بهجة الأسرار

ومعدن الأنوار

في بعض مناقب القطب الرباني

محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني



تأليف

نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن جرير

اللخمي الشطنوفي

اعتنى به

أحمد فريد المزيدي

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



بهجة الأسرار

ومعدن الأنوار

في بعض مناقب القطب الربّاني

محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني

تأليف

نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن جرير

اللخمي الشطنوفي

المتوفى سنة ٧١٣هـ

اعتنى به

أحمد فريد المزيدي

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد: ١١ - ٩٤٢٤ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3506-6
9782745135063 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله مُبدع المعاني والصور، ومبيّن آثار كمال الكامل، ومظهر عجائب الوجود من خزائن جوده بآيات وعبر. أحمده بمقتضى جماله وجلاله كما أمر، وأشكره على جميع أفعاله، وإنما المزيد لمن شكر، وأصلي على نبيّه الحبيب المخصوص بتجلي ذاته في ظهوره بين ما ظهر «سيدنا محمد» بن عبد الله بن عبد المطلب فخر آل مُضر، صاحب الوسيلة العظمى والمكانة الزلفى واسطة من يأتي ومن غبر ﷺ وعلى آله وأصحابه وعترته الذين هم خير البشر.

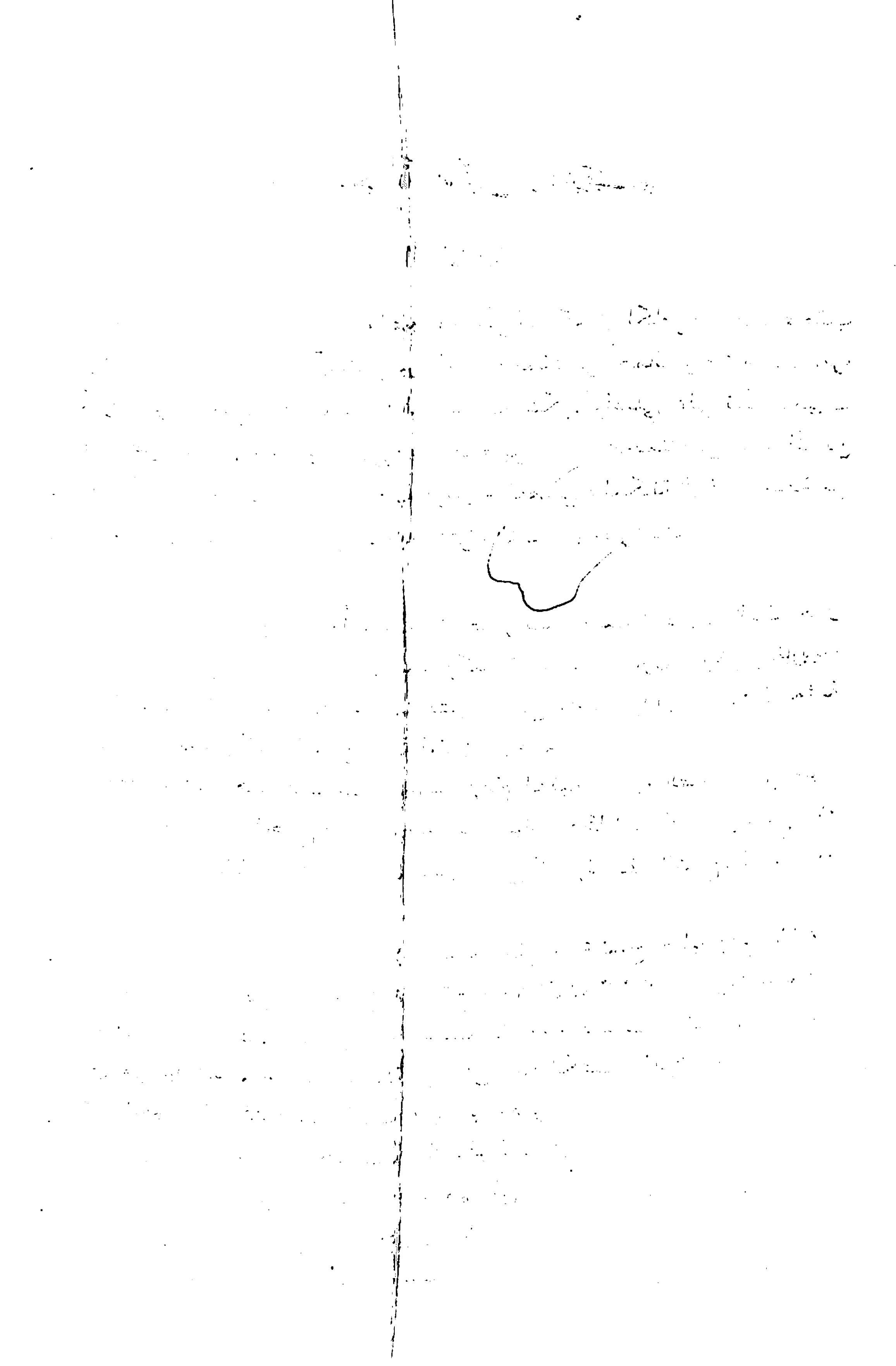
أما بعد..

فهذا كتاب حوى درراً وفوائد لا حصر لها، حيث الحديث الدائر حول قطب رباني ووليّ رحماني، شاع صيته وكثر أتباعه في مشارق الأرض ومغاربها، وما كان ذلك إلا كرامة الله له، لما كُتب له من التوفيق والقبول، فكان بمثابة المنارة والهداية، ليكون آية من آيات الخالق سبحانه.

وقد صنّف هذا الكتاب المبارك الإمام الفقيه الراوية الصوفي ابن حريز الشطنوفي الشافعي، فجمع ما وقف عليه من أخبار وحكايات وأوراد، وما نقل عنه من آداب وعبر وعظات، كي يتعرف المريد على آثار ولطائف الشيخ. فحقاً أجاد فيه وأفاد.

وقد قمت بضبط نص الكتاب معتمداً على عدة نسخ خطية وهي ١٨٨٧ تاريخ طلعت، تقع في (٢٥٠ق) ٩٨٩٨ح (٢٦٠ق)، ٣٣ تاريخ. وثلاثتهم من محفوظات دار الكتب المصرية - حرسها الله - واكتفيت بالضبط، ولم أشر للفروق مراعياً عدم الحشو والإطالة في مثل هذه الكتب، الغرض منها المعرفة والفائدة المباشرة. وقد طبع الكتاب قديماً في مصر.

وآخراً لا يسعني إلا أن أتقدّم بالشكر لسيدي وشيخي سيدي صالح أبو خليل حفظه الله تعالى، ولجميع مشايخي في الأزهر الشريف وغيرهم. وكذا والديّ رحمهما الله تعالى، ولزوجتي رعاها الله وبارك فيها، ولجميع المسلمين والمسلمات، وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.



ترجمة المصنف

هو الشيخ العارف باللّه أبو الحسن عليّ بن يوسف بن حريز بن فضل بن معضاد بن فضل اللخمي الشطنوفي، نور الدين الشافعي. عالم بالقراءات واللغة، كان من فقهاء الشافعية، وكان شيخ الديار المصرية في عصره. وأصله من البلقاء بالشام، ولد بالقاهرة في ٢٠ ذي الحجة سنة ٦٤٤هـ - ١٢٤٦م.

شرح الشاطبية، وصنف بهجة الأسرار هذه لشيخ الطريق وقطب الأقطاب سيدي عبد القادر الجيلاني، وتوفيّ سنة ٧١٣هـ - ١٣١٤م.

انظر في ترجمته:

١- طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٥٨٥).

٢- بغية الوعاة للسيوطي (٣٥٨، ٣٥٩).

٣- فهرست الخديوية (٥/ ٢٠)، وفيها [ابن جرير] بدل [ابن حريز]، والصواب ما أُثبت.

٤- الأعلام للزركلي (٥/ ٣٤).

٥- معجم المؤلفين لكحالة (٢/ ٥٤٦).

٦- كشف الظنون (٢٥٦، ٢٥٧).

٧- هدية العارفين (١/ ٧١٦).

٨- فهرس دار الكتب المصرية، والظاهرية (٢/ ٢٨٢، ٢٨٧)، ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربيّة.

ترجمة الشيخ عبد القادر

هو الإمام الفقيه العارف باللّه القطب الرّباني أوحد زمانه سيدي عبد القادر ابن موسى بن عبد اللّه بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى الحوزي ابن عبد اللّه المحص بن الحسن المثنى بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب الكيلاني - الجيلاني - الجيلي - محيي الدين، الحنبلي وكيلان بلدة بالعراق وراء طبرستان، عُرِّبت لجيلان، ووقع في الشذرات والإعلام لابن قاضي شهبة (عبد القادر بن عبد اللّه..).

وفي تاريخ السليمانية (٢١١)، عبد القادر الجيلي، نجل أبي صالح زنكي ووست، وفي بعض الروايات «جنكي ووست»، وفي «الكامل» عبد القادر بن أبي صالح، أبو محمد الجيلي، وفي «معجم الشيوخ» (جنكي ووست) أي العظيم القدر.

ولد بجيلان في ٢٠ ذي الحجة في ربيع الآخر سنة ٤٧٠هـ، وقيل: ٤٧١. وانتقل إلى بغداد شابّاً سنة ٤٨٨ فاتّصل بشيوخ العلم والتصوّف، وبرع في أساليب الوعظ، وتفقّه وسمع الحديث، وقرأ الأدب، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدّر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ما نقلت إلينا كرامات أحد بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر. وقال ابن السمعاني: هو إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح ديّن خيّر كثير الذكر دائم الفكر سريع الدّمعة، كتبت عنه، وكان يسكن بباب الأزج في المدرسة التي بُنيت له.

وقال ابن رجب الحنبلي: ظهر الشيخ عبد القادر للناس وجلس للوعظ بعد العشرين وخمسمائة، وحصل له القبول التام من الناس، واعتقدوا ديانته وصلاحه، وانتفعوا بكلامه، وانتصر أهل السنة بظهوره، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وهابه الملوك فمن دونهم.

وللشيخ تلاميذ كثيرين منهم ابن تيمية الحرّاني، فأثنى عليه الجميع وقلّ من حظي بذلك الفضل.

مصنفاته:

١- جلاء الخاطر في الباطن والظاهر.
٢- الفتح الرباني والفيض الرحماني (فتوح الغيب).
٣- الغنيّة لطالبي طريق الحق.
٤- سر الأسرار ومظهر الأنوار فيما يحتاج إليه الأبرار.
٥- آداب السلوك والتوصّل إلى منازل الملوك.
٦- إغاثة العارفين وغاية الواصلين.
٧- دعاء وأوراد الفتحية - دعاء البسملة.
٨- الحزب الكبير.
٩- أوراد الأيام والأوقات.
١٠- رسالة في الأسماء العظيمة.
١١- الطريق إلى اللّه.
١٢- كتاب في الفقه والتصوف.

وتوفي سنة ٧١٣هـ، ودُفن بمدرسته بباب الأزج، وفي دليل خارطة بغداد (١٧٨): أن مشهده الشريف، أي موضع دفنه يُعدّ من المواقع المهمة التي كانت داخل سور بغداد الشرقية، وذلك من الناحية الخططية لمدينة بغداد القديمة، لأنه من الأماكن القديمة القليلة التي لا تزال قائمة في مواضعها الأصلية إلى الآن، وقد أنشأ عند المرقد مسجد جامع واسع وعلى مصلاّه قُبّة فخمة متقنة الهندسة مبنية بالحجر الكاشاني الملوّن بالأصباغ المختلفة مع النقش الجميل، تحيط بها المآذن، وحول المصلى رواق واسع عقد على أساطين من الرّخام الأبيض.

مصادر الترجمة:

١- الأنساب للسمعاني (٣/ ٤١٥).
٢- المنتظم لابن الجوزي (١٠/ ٢١٩).
٣- الكامل لابن الأثير (١١/ ٣٢٣).
٤- مرآة الزّمان لليافعي (٨/ ٩٦٤).
٥- العبر للذهبي (٤/ ١٧٥).
٦- دول الإسلام له (٢/ ٧٥).
٧- سير أعلام النبلاء له (٢٠/ ٧٥).
٨- فوات الوفيات لابن شاكر (٢/ ٣٧٣).

٩- البداية والنهاية لابن كثير (٢ / ٢٥٢).
١٠- ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١ / ٢٩٠، ٣١٠).
١١- النجوم الزاهرة لتغري بردي (٥ / ٣٧١).
١٢- الطبقات الكبرى للشعراني (١ / ١٠٨).
١٣- شذرات الذهب لابن العماد (٤ / ١٩٨).
١٤- جامع الكرامات لحسن الكوهن (٧٨، ٧٩).
١٥- الكواكب الدرية في المناقب القادرية لمحمد رشيد الرافعي.
١٦- بهجة الأسرار للشطنوفي (كتابنا هذا).
١٧- مختصر بهجة الأسرار لسيدي عبد العزيز الديريني.
١٨- كنوز الأولياء ورموز الأصفياء لأبي الليث الزيلي (٣٤، ٣٥).
١٩- تاريخ السليمانية لمحمد أمين زكي (٢١١).
٢٠- قلائد الجواهر في مناقب سيدي عبد القادر لمحمد التادفي.
٢١- الباز الأشهب في حياة عبد القادر الكيلاني - آرتين آصادور بيان.
٢٢- نزهة الخاطر الفاتر في ترجمة سيدي الشريف عبد القادر.
٢٣- روضات الجنات للخوانساري (٤٤١، ٤٤٣).
٢٤- مناقب الجيلاني (١ / ٥٢ - ٢ / ٥٩) ظاهرية ٤٦٥٦ عام.
٢٥- نبذة من مناقب عبد القادر الجيلاني (١٠٥ / ١ / ١١٠) ظاهرية ١٣٦٧ عام.
٢٦- تفريج الخاطر في مناقب تاج الأولياء.
٢٧- مناقب سيدي عبد القادر لابن الملقن الشافعي.
٢٨- الأعلام للزركلي (٤ / ٤٧).
٢٩- معجم المؤلفين لكحالة (٢ / ٢٠٠).

كتبه

أبو الحسن المزيدي أحمد فريد أحمد مزيد
الشافعي الأثري
جامعة الأزهر - كلية أصول الدين
القاهرة - رمضان - ١٤٢٠هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أستفتح باب العون بأيدي محامد الله كلها، وأستنجح سعي القصد بأياديه الغر وبلها وطلها، وأستلمح برقي الحق لعين سريرتي في مقعد ظلها، فأستقيه لمصادر أفعالي من موارد أفضاله نهلها وعلها، وأستشفيه من أدواء نفسي في حالة صفوها وغلها، وأسأله أن يلحقها بأنفس جرها وناصب سعدها إلى رفعها في وصلها، وأضافها عامل فعلها في تمييزها إلى حال عقلها في عقلها، وأصلي على سيد الخليقة طراً وأجلها ومخرجها بنور رسالته من ظلمة جهلها، وباني أركان قبة الإسلام حتى علت في صدر محلها، ورافع درجات الأولياء على قواعد أصلها، ومالك أزمّة أمرها في عقدها وحلها، وعلى آله وصحابته خير صحابة كانت من قبلها.

وبعد: فإني كنت سُئلت أن أجمع ما وقع لي في قول شيخنا شيخ الإسلام؛ مقتدي الأولياء، علم الهدى محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي - قدس الله روحه، ونور ضريحه - القائل: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله إذ هي يتيمة عقد الزمان، وفريدة سلك البيان، وحلة مجد حلي فيها قائلها، ومنزلة عز انفرد بها نازلها.

فاستخرت الله تعالى، وأجبت السائل ابتغاء النفع العاجل، والأجر الآجل، ولخصته كتاباً مفرداً مرفوع الأسانيد معتمداً فيها على الصحة دون الشذوذ، وفصلته بذكر أعيان المشايخ الذين بلغنا بعض أقوالهم وأفعالهم في ذلك مقرين بقدره الرفيع.

وصدرته بما نقل إلينا من بعض أخبار المشايخ أنه سيقول ذلك، مصرحين بفضله الوافي، وأتبعت ذاك بدرر من كلمات قالها مسفرة عن وجه مقام لم ينل بالمكاسب، ولم يحز بالرغائب.

بل هيأت المواهب أسبابه، وفتحت السعادة أبوابه، ومدت الزيادة أطنابه، وقد ضمت الرعاية أطرافها، وهزت العناية أعطافها، وقاد التوفيق زمامها، وكشف التحقيق لثامها، وجاء الأمر بقولها أمامها، وفتق البيان من جناب القرب أنوارها، وروى الجنان عن جنان القدس أخبارها؛ لتكون مهداة على الكلمة التي من أجلها

جمع، ومن جرائرها نصب، فرفع كي لا يظن أنها شاردة إبل، أو واردة نهل بلا علل.

وأردفته بفضول من جليل كلامه، وعقود من نفيس نظامه قد كشف بها براقع اللبس عن وجوه المعارف، ورفع أغطية الغين عن عين شرائف اللطائف، وبث فيها ذخائر علوم التوحيد، وأودعها خزائن حكم التفريد، بنظم كالرياض والحدق المراض، ومعنى كالمدام وصوب كالغمام.

فمع كل فصل قلب يحن إلى الوصل، ومع كل نفس للنفس من الأنوار قبس، ومع كل شطر من الحقائق سطر يرى معانيها من معانيها دراً وياقوتاً، ويجد من درها دواء، ومن ياقوتها قوتاً.

ورصعتها بطرف من خارقات أفعاله، وظرف من بداياته وأحواله ترصيعاً كست ديباجته أزاهير الربيع رونقاً، وأعارت بهجته أرانيج الزهر يافعاً مورقاً، وأهدت لطافته إلى نسيم السحر رقة، وملكت محاسنه من تنضيد عقد الجواهر دقة، لتكون بنية تثبت ما قبلها، وعقداً في عقائدها يحيل حلها، ويشد سلطانها أزر الأقوال، ويسد برهانها على المعترض سبل المجال.

وألحقته بشواهد على فضل أتباعه ومريديه، وشوارد في نشر مبشرات لأصحابه ومحبيه، ليعلم مشتري ولائه بأي صفة باء، وبأي غنيمة من فضل اللّه فاء.

وأتبعته بلوامع أنوار نسبه، وخَلقه وخُلقه، وعلمه ووعظه، وطرقه وتعظيم الأولياء له، اعترافاً بحقه وجوامع أخباره عن وفاته ووصاياه حين مماته.

وأعقبته بأشياء من هذا المعنى تزيد في نظر المهتدي حسناً، وختمته ببعض مناقب أكابر أصحابه، وفضائل أعيان من انتمى إلى جنابه، فإن علو قدر الأتباع من شرف المتبوع، ومزيد فيض الأنهار من عظيم الينبوع.

وعزلت ذلك كله عن الإطالة خوف السآمة والملالة، فإنه من أطال بعد الكفاية أملّ ومن اقتصر على الإبانة أخدج وأضلّ، وخير الأمور ما انحط عن الإفراط وارتقى عن التقصير، وفي ذلك حجة وعمدة لمحتج، وعبرة لمستبصر، وسميته (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار).

جعل اللّه ما تقدم إليه أو تأخر عنه فيه وله، وإياه أسأل العصمة من الزلل، والتوفيق إلى صالح القول والعمل.

ذكر إخبار المشايخ عنه بذلك

(الشيخ) أبو بكر بن هوار رضي اللّه عنه، أخبرنا الشيخان؛ الشيخ العالم زين الدين أبو الحسن علي بن أبي محمد عبد اللّه بن أبي بكر بن أبي الطيب المغربي الجزائري المالكي المقري المعروف بابن الفلال بالقاهرة المحروسة سنة أربع وستين وستمائة، والشيخ الصالح أبو زيد عبد الرحمن بن أبي النجاة؛ سالم ابن أحمد بن أبي حميد بن صالح بن علي القرشي المحدث بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الفتح بن أبي الغنائم الواسطي نزيل الإسكندرية بها سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي بأم عبيدة رضي اللّه عنه، وأخبرنا أيضاً الفقيه العدل أبو الفرج عبد الملك بن محمد بن عبد المحمود ابن أحمد بن علي الواسطي الربعي الشافعي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الصالح بقية السلف أبو العزائم مقدام بن صالح بن عبد الرحمن بن يوسف العراقي الرفاعي، نزيل الحدادية بها سنة ثلاث وعشرين وستمائة. قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أحمد بن الرفاعي قال: وكان عمري يوم مات خالي أكثر من خمسين سنة، وخدمته ثلاثين سنة. قال: أخبرنا شيخنا خالي الشيخ منصور البطائحي.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد الشنبكي، وأخبرنا الشيخ الثقة أبو العفاف موسى ابن الشيخ العارف أبي المعالي عثمان بن موسى بن عبد الكريم بن علي البقاعي الأصل الدمشقي العقيبي المولد والدار بها سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي بدمشق سنة أربع عشرة وستمائة، أخبرنا الأشياخ الثلاثة، أبو الخير سعيد ابن سيدي الشريف القدوة أبي سعد القيناوي، والشيخ أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن المدايني، والشيخ أبو عبد اللّه محمد بن علي الفيدي بقيلوية وفد بها قديماً.

قالوا: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو سعد القيلوي، والشيخ الأصيل أيضاً أبو عبد اللّه الحسن بن بدران بن علي بن محمد بن صالح البغدادي الحنبلي سنة سبعين وستمائة قال: أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد القادر بن عثمان بن أبي البركات بن

علي بن رزق الله بن عبد الوهاب التميمي البرداني الحنبلي ببغداد سنة خمس وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو محمد عبد اللطيف بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن هبة الله القرشي البغدادي الفقيه الحنبلي الصوفي ببغداد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

قال: أخبرنا السيد الشريف الشيخ أبو سعد القيلوي بقيلوية.

قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو سعد بن ماخوش البطايحي الحامدي.

قال: أخبرنا شيخنا أبو محمد الشنيكي ح[1]، وأخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمرو بن إسحاق بن نعيم البغدادي الأزجي الحنبلي؛ المحدث بالقاهرة سنة إحدى وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو طاهر الجليلي ابن الشيخ القدوة أبي العباس أحمد بن علي بن خليل الصرصري الجوسقي بصرصر سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي **قال**: أخبرنا الشيخ عزاز بن مستودع البطائحي الغساني بالحدادية رضي الله عنه.

قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو بكر بن هوار البطائحي رضي الله عنه في مجلسه يوماً بين أصحابه، ذكر أحوال الأولياء، ثم قال: سوف يظهر بالعراق رجل من العجم عالي المنزلة عند الله وعند الناس اسمه عبد القادر، ومسكنه ببغداد يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وتدين له الأولياء في عصره، ذلك الفرد في وقته الشيخ عبد الله الجوبي رضي الله عنه.

أخبرنا الأصيل أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الواسع بن أمير كاه شافع بن صالح بن حاتم الجيلي الأصل البغدادي الدار بالقاهرة سنة ثمان وستين وستمائة.

قال: أخبرنا والدي ببغداد سنة خمس وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الإمام العالم العامل الرباني عزيز الدين أبو رشد عمر بن عبد الملك الدينوري بها.

قال: أخبرنا شيخنا العلامة برهان الدين أبو جعفر محمد بن أبي زيد بن عبد الرحمن الأصفهاني.

قال: أخبرنا شيخنا ذو اللسانين أكمل الدين أبو الفضل محمد بن جعفر النوحي.

قال: أخبرنا شيخنا أبو صالح عبد الله بن الطبقي الرومي.

---

(١) هذه علامة على تحويل السند إلى سند آخر.

قال: أخبرنا شيخنا الإمام أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسين بن شعيب الهمداني النور بجردي بهمدان سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة.

قال: سمعت شيخنا أبا أحمد عبد اللّه بن أحمد بن موسى الجوني الملقب بالحقي بجبل حرد في خلوته سنة ثمان وستين وأربعمائة يقول: أشهدت أنه سيولد بأرض العجم مولود له ظهور عظيم بالكرامات وقبول تام عند كافة الأولياء يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وتندرج الأولياء في وقته تحت قدمه ذلك الذي يشرف به أهل زمانه وينتفع به من رآه الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء رضي اللّه عنه.

أخبرنا الشيخ أبو عبد اللّه محمد بن أبي العباس أحمد بن منظور الكناني العسقلاني الشافعي بظاهر القاهرة بالمقسم سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو عبد اللّه محمد بن أبي الفتح الهروي المولد البغدادي الدار السائح بالقاهرة قدمها علينا سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة علي بن الهيتي ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وأخبرنا أيضاً الشيخ الثقة أبو حفص عمر بن محمد بن إبراهيم الدنيسري المعروف بابن مزاحم بظاهره سنة خمس وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أبي بكر بن إدريس الرحاوي اليعقوبي بها سنة ست عشرة وستمائة.

قال: أخبرنا شيخنا الشيخ علي بن الهيتي العراقي الدرباني بها سنة ستين وخمسمائة ح[1].

قال: وأخبرنا الفقيه أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر بن مهذب بن أبي علي القرشي ثم البغدادي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر ابن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ابن شيخ الإسلام أبي محمد عبد القادر الجيلي، والشيخ أبو الحسن علي بن سليمان ابن أبي العز المعروف بالخباز ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ الصالح أبو حفص عمر الكيمائي ببغداد سنة تسعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ بقا بن بطو العراقي النهر ملكي ح.

---

(١) كما قلنا إن هذا الحرف (ح) علامة على تحويل السند إلى سند آخر أو بتعبير آخر هو علامة حاصرة بين سندين.

وأخبرنا أبو المظفر إبراهيم بن عبد اللّه محمد بن أبي بكر محمد بن نصر ابن نصار بن منصور البغدادي القروي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا جدي لأمي الشيخ الصالح أبو عمرو عثمان بن نصار بن منصور البغدادي الدار والوفاة ببغداد سنة سبع وستمائة.

قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الطسفونجي عن علي الكرخي.

قال: وكان قد أخذ عنه وصحبه مدة، **قالوا**: كان الشيخ عبد القادر يأتي في صغره وهو شاب إلى زيارة شيخنا تاج العارفين أبي الوفاء كاكيس رضي اللّه عنه ببغداد بقلمونيا، فحين يراه أبو الوفاء ينهض له ويقول لمن حضره: قوموا لولي اللّه، وربما يمشي في وقت خطوات يتلقاه، وربما قال في وقت من لم يقم لهذا الشاب لم يقم لولي اللّه، فلما تكرر ذلك منه قال له أصحابه في ذلك.

فقال: لهذا الشاب وقت إذا جاء افتقر إليه الخاص والعام، وكأني أراه قائلاً ببغداد على رؤوس الأشهاد، وهو محق: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فتتواضع له رقاب الأولياء في عصره إذ هو قطبهم في وقته، فمن أدرك منكم ذلك الوقت فليلزم خدمته.

(الشيخ) عقيل المنجي رضي اللّه عنه أخبر الشيخ الأصيل أبو المحاسن يوسف ابن الشيخ أبي بكر بن الشيخ بركة بن أحمد الحمصي، العراقي الأصل الأربلي المولد والدار بالقاهرة سنة سبع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا جدي الشيخ بركة الحمصي العراقي، والشيخ الصالح بقية السلف أبو أحمد محمود بن محمد الكردي الجبلاوي الشيباني الأربلي بها سنة إحدى عشرة وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ عدي بن مسافر، **قالا**: كانا لقياه وصحباه مدة، وأخبرنا الشيخ الثقة أبو محمد رجب بن أبي المنصور بن نصر اللّه بن أبي المعالي العراقي الداري الأصل النيصيبيني المولد والدار، ثم القاهري بها سنة خمس وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو عبد الرحيم بن عسكر بن عبد الرحيم بن عسكر بن أسامة العدوي النيصيبيني بها سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الملك ديان بن أبي المعالي بن أسد بن نبهان العراقي، ثم الشيباني سنة خمس وتسعين وخمسمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو عمران بن برماهين الزولي بماردين.

قال: سئل شيخنا الشيخ عقيل المنجبي رضي الله عنه يوماً عن القطب في ذلك الوقت فقال: هو في وقتنا هذا بمكة مخفي لا يعرفه إلا الأولياء، وسيظهر هنا، وأشار إلى العراق فتى عجمي شريف يتكلم على الناس ببغداد، ويعرف كرامته الخاص والعام، وهو قطب وقته يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله وتضع الأولياء له رقابهم، ولو كنت في زمانه لوضعت له رأسي ذلك الذي ينفع الله به من صدق بكرامته من سائر الناس.

(الشيخ) علي بن وهب رضي الله عنه، أخبرنا أبو محمد عمران بن أبي علي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن علي السنجاوي الشافعي المؤدب بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الصالح جواب بن الشيخ كامل بن الشيخ جواب السنجاري رحمهم الله.

قال: أخبرنا الشيخ الصالح المعمر أبو بكر بن الحميد الشيباني السنجاري المعروف بالحباري، إمام شيخنا الشيخ علي بن وهب رضي الله عنه.

وأخبرنا أيضاً أبو الفداء إسماعيل بن الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن درع بن عيسى بن أبي الحسن المنذري المغربي الأصل، ثم المصري المولد بالقاهرة سنة ست وخمسين وستمائة.

قال: أخبرنا والدي سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

قال: أخبرنا الشيخ قيس بن يونس الشامي صاحب الشيخ القدوة أبي الحسن علي بن وهب السنجاري رضي الله عنه.

قال: دخل يوماً على شيخنا الشيخ علي بن وهب رضي الله عنه جمع من الفقراء فقال لهم: من أين؟ قالوا: من العجم، قال: من أي العجم؟ قالوا: من جيلان، قال: إن الله تعالى قد نور الوجود برجل يظهر منكم قريب من الله تعالى اسمه عبد القادر مظهره في العراق يقول ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وتقر أولياء عصره لفضله قدس الله روحه وروحهم.

(الشيخ) حماد الدباس رضي الله عنه، أخبرنا شخصياً الشيخ العالم ضياء الدين أبو البقاء صالح بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن نصر ابن قريش الأسعردي الأصل، الفارقي المولد، الدمشقي الدار نزيل القاهرة بها سنة إحدى وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد اللّه السهروردي بدمشق سنة عشرين وستمائة.

قال: أخبرنا عمي الشيخ نجيب الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد اللّه السهروردي ببغداد سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

وأخبرنا أيضاً أبو حفص عمر بن محمد بن عبد اللّه بن عبد السميع بن عبد الجبار بن صالح الصنهاجي الأصل، الشارعي المولد والدار الشافعي سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو محمد عبد اللّه بن مسعود بن مطر الصوفي المعروف بالرومي بزاويته بين مصر والقاهرة سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السهروردي ببغداد سنة ستين وخمسمائة.

قال: كنت عند الشيخ حماد بن مسلم الدباس رضي اللّه عنه ببغداد سنة ثلاث وخمسمائة والشيخ عبد القادر يومئذٍ في صحبته، فجاء فجلس بين يديه متأدباً، ثم قام فسمعت الشيخ حماد يقولُ بعد قيام الشيخ عبد القادر: لهذا العجمي قدم تعلو في وقتها على رقاب الأولياء في ذلك الوقت، وليؤمرن أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي للّه، ولتوضعن له رقاب الأولياء في زمانه.

قيل: رجل اسمه العون رضي اللّه عنه، **وقيل**: اسمه أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني.

أخبرنا الفقيه أبو أحمد عبد الملك بن أبي الفتح بن منصور بن مقلد المنجبي المولد الإعزازي الدار، ثم القاهري الشافعي المحدث بالقاهرة سنة ست وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الفقيه الجليل أبو عمرو عثمان بن وأد بن جواد بن عبد القوي الهلالي الإعزازي بها سنة تسع وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ أبي العلى بحر بن شرف الإسلام، أبي البركات عبد الوهاب بن أبي الفرج عبد الواحد الأنصاري الخزرجي السعدي العبادي الشيرازي الأصل، الدمشقي الدار المعروف بابن الحنبلي بدمشق سنة إحدى وستمائة.

قال: أخبرنا أبو العلى عبد الوهاب، وأخبرنا أيضاً عالياً الشيخ الصالح الزاهد أبو المحاسن يوسف بن إياس بن مرجان بن منيع البعلبكي المقري الحنبلي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ المعمر أبو الفتوح نصر بن رضوان بن ثروان الداراني الفردوسي الحنبلي المقري بجامع دمشق سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو سعيد عبد الله محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون التميمي الشافعي بدمشق سنة ثمانين وخمسمائة.

قال: رحلت وأنا شاب إلى بغداد في طلب العلم، وكان ابن السقا يومئذ رفيقي في الاشتغال بالنظامية، وكنا نتعبد ونزور الصالحين، وكان ببغداد يومئذٍ رجل يقال له الغوث، وكان يقال عنه أنه يظهر إذا شاء ويخفى إذا شاء، فقصدت أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر الجيلي، وهو يومئذٍ شاب، إلى زيارته، فقال ابن السقا، ونحن في الطريق: اليوم أسأله عن مسألة لا يدري لها جواباً، فقلت: أنا أسأله عن مسألة فأنظر ما يقول فيها، فقال الشيخ عبد القادر: معاذ الله أن أسأله شيئاً، أنا بين يديه إذاً أنظر بركات رؤيته، فلما دخلنا عليه لم نره في مكانه فمكثنا ساعة، فإذا هو جالس، فنظر إلى ابن السقا مغضباً وقال: ويلك يا بُنَي السقا؛ تسألني عن مسألة لم أرد لها جواباً، وهي كذا وجوابها كذا، إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك، ثم نظر إلي وقال: عبد الله تسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها، هي كذا وجوابها كذا؛ لتخرن عليك الدنيا إلى شحمتي أذنيك بإساءة أدبك، ثم نظر إلى الشيخ عبد القادر وأدناه منه، وأكرمه وقال له: يا عبد القادر لقد أرضيت الله ورسوله بأدبك، كأني أراك ببغداد، وقد صعدت على الكرسي متكلماً على الملأ، وقلت: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وكأني أرى الأولياء في وقتك قد حنوا رقابهم إجلالاً لك، ثم غاب عنا لوقته فلم نره بعد ذلك.

قال: وأما الشيخ عبد القادر فإنه ظهرت أمارة قربه من الله تعالى، وأجمع عليه الخاص والعام.

وقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وأقرت الأولياء بفضله في وقته.
وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها، وفاق كثيراً من أهل زمانه، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم، وكان ذا لسان فصيح، وسمت بهي، فأدناه الخليفة منه، وبعثه إلى ملك الروم رسولاً، فرآه الملك ذا فنون وفصاحة، وسمت، فأعجب به وجمع له القسيسين والعلماء بدين النصرانية، وناظروه فأفحمهم عجزاً، فعظم عند الملك، ثم رأى بنتاً للملك ففتن بها، وسأل الملك إياها أن يزوجها به، فأبى إلا أن يتنصر، فأجابه وزوجه بها، فذكر ابن السقا كلام الغوث وعلم أنه أصيب بسببه.

وأما أنا فجئت إلى دمشق وأحضرني السلطان نور الدين الملك الشهيد،

وأكرهني على ولاية الأوقاف، فوليتها وأقبلت عليَّ الدنيا إقبالاً كثيراً، فتصدق قول الغوث فينا كلنا.

ذكر من حضر من المشايخ والعلماء في المجلس الذي قال فيه ذلك

أخبرنا الشيخ أبو الفرج عبد الوهاب بن أبي المفاخر الحسن بن فتيان بن محمد بن أحمد الكوفي الأصل، الاربلي المولد البغدادي، ثم القاهري سنة خمس وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الصالح المعمر بقية السلف أبو الثناء محمود بن أحمد الكردي الحميدي الجيلاني، ثم البغدادي الشافعي ببغداد سنة عشرين وستمائة.

قال: وسمعته يقول في هذا التاريخ تجاوز سني مائة عام وعشرين عاماً، ورأيت الشيخ عبد القادر والشيخ بقاء بن بطول، والشيخ الشريف أبا سعيد القيلوي، والشيخ عدي بن مسافر، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنهم وعنابهم.

وأخبرنا الفقيه العدل أبو أحمد عبد الملك بن أبي الفتح بن منصور بن مقلد المنجي الإعزازي الشافعي المحدث بالقاهرة سنة ست وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ المعمر بقية السلف شرف أبو عبد الله محمد بن علي السبكي الشافعي، قدم علينا من إعزاز سنة إحدى وعشرين وستمائة، وقال: عمري الآن أكثر من مائة سنة، وتوفي الشيخ عبد القادر، عمري[1] سنة وصحبته ببغداد مدة.

وأخبرنا الفقيه الأصيل أبو محمد الحسن ابن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن ابن إبراهيم بن علي بن الزراد البغدادي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

وأخبرنا الشيخ الحافظ أبو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد البغدادي بها سنة أربع وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الإمام العلامة أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء بن الحسين العكبري الأصل، البغدادي المولد والدار، والفقيه المرضي النحوي الضرير ببغداد سنة إحدى عشرة وستمائة.

---

(١) بياض في الأصل.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد اللّه بن أحمد الخشاب البغدادي الحنبلي النحوي، والشيخ الإمام أبو بكر عبد اللّه بن نصر بن حمزة التميمي البكري البغدادي الحنبلي ببغداد سنة أربع وستين وخمسمائة.

وأخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن علي أبو الشيخ زكريا يحيى بن أبي القاسم أحمد بن عبد الرحمن البغدادي الأزجي الحنبلي بالقاهرة سنة ست وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الفقيه الجليل محيي الدين أبو محمد بن يوسف ابن الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي الفقيه الحنبلي ببغداد سنة تسع وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو هريرة محمد بن أبي الفتوح الليث بن شجاع بن مسعود بن أبي الفضل البغدادي الأزجي الديناري الضرير، المعروف بابن الوسطاني ببغداد سنة ثلاث عشرة وستمائة.

قال: أخبرنا الحافظ أبو العز عبد المغيث بن أبي حرب زهير بن زهير بن علوي البغدادي الجوبي الحنبلي ببغداد سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

قالوا: كنا حاضرين في مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي رضي اللّه عنه ببغداد برباطه بالحلبة، وكان في مجلسه حينئذٍ عامة مشايخ العراق منهم الشيخ علي بن الهيتي الزريرامي، والشيخ بقاء بن بطو النهر ملكي، والشيخ الشريف أبو سعد القيلوي، والشيخ موسى بن ماهين الزولي قدم بغداد يومئذٍ حاجاً، والشيخ أبو النجيب عبد القادر بن عبد اللّه السهروردي، والشيخ أبو الكرم المعمر، والشيخ أبو العباس أحمد بن علي الجوسقي الصرصري، والشيخ ماجد الكردي، والشيخ أبو حكم بن إبراهيم بن دينار النهرواني، والشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشي قدم بغداد يومئذٍ زائراً، والشيخ مكارم الأكبر، والشيخ مطر البادراني، والشيخ جاكير، والشيخ خليفة بن موسى الأكبر، والشيخ صدقة بن محمد البغدادي، والشيخ يحيى بن محمد الدوري المرتعش، والشيخ ضياء الدين إبراهيم بن أبي عبد اللّه بن علي الجوني، والشيخ أبو عبد اللّه محمد الدريامي القرشي قدم بغداد يومئذٍ، والشيخ أبو عمرو عثمان بن مروة البطايحي، والشيخ قضيب البان الموصلي، والشيخ أبو العباس أحمد البقلي المعروف باليماني، والشيخ أبو العباس أحمد القرشي ذو التصريف الظاهر وتلميذه الشيخ داود شاباً، وكان يذكر عنه أنه يصلي الخمس بمكة شرفها اللّه تعالى، والشيخ أبو

عبد الله محمد بن عبد الله العراقي المعروف بالخاص، والشيخ أبو عمرو عثمان ابن أحمد العراقي المعروف بالشوكي، وكان يقال إنه من رجال الغيب السيارة، والشيخ سلطان بن أحمد المزين، والشيخ أبو بكر بن عبد الحميد الشيباني المعروف بالحباري، والشيخ أبو العباس أحمد ابن الأستاذ، والشيخ أبو محمد أحمد بن عيسى المعروف بالكوسجي، والشيخ مبارك بن علي الجميلي، والشيخ أبو البركات بن معدان العراقي، والشيخ عبد القادر بن حسن البغدادي، والشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحزيمي العطار، والشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن قائد الأواني، والشيخ أبو القاسم عمر بن مسعود البزار شاباً، والشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي شاباً، والشيخ أبو الثناء محمود ابن عثمان النعال، والشيخ أبو حفص عمر بن أبي نصر الغزال، والشيخ أبو محمد الحسن الفارسي ثم البغدادي، والشيخ أبو محمد علي بن إدريس اليعقوبي شاباً، والشيخ أبو حفص عمر الكيماتي، والشيخ عياد البواب، والشيخ مظفر الحمال، والشيخ أبو بكر الحمامي المعروف بالمزين، والشيخ جليل صاحب الخطوة والزعقة، والشيخ أبو عمرو عثمان الطريفني، والشيخ أبو الحسن الجوسقي المعروف بأبي عواجا، والشيخ أبو محمد عبد الحق الحزيمي، والشيخ أبو يعلى محمد بن محمد بن الفراء، وغيرهم رضي الله عنهم وعنابهم.

والشيخ محيي الدين يتكلم عليهم، وقد حضر قلبه فقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فقام الشيخ علي بن الهيتي وصعد على الكرسي وأخذ قدم الشيخ ووضعها على عنقه، ودخل تحت ذيله، ومد الحاضرون كلهم أعناقهم.

وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن علي بن أحمد الأبهري الأصل، البغدادي المولد والدار بالقاهرة سنة خمس وستين وستمائة، قال: حضرت ببغداد في سنة ثلاثين وستمائة مجلساً حفلاً بمشايخ بغداد يومئذٍ، فأجروا بينهم ذكر قول الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله.

فقال الشيخ الجليل أبي العباس أحمد الصرصري: قصدت إلى زيارة الشيخ أبي السعود رضي الله عنه في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وسألته عن قول الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فقال: كنت حاضراً وسمعتها من فلق فيه، وكان في مجلسه يومئذٍ نحو خمسين شيخاً من أعيان شيوخ ذلك العصر، ورأيتهم قد حنوا أعناقهم حين قالها، وظهرت عليهم

أمارات الخضوع، ورأيت الشيخ علي بن الهيتي رضي اللّه عنه وقد طلع إليه فوق الكرسي، ووضع قدم الشيخ على عنقه، **فقال** الشيخ أبو الحسن الخفاف البغدادي: وأنا أيضاً سمعت من سيدي الشيخ أبي السعود غير مرة، وقال الشيخ أبو عمرو عثمان بن سليمان المعروف بالقصير: أنا أيضاً قصدت إلى زيارة الشيخ أبي عبد اللّه محمد بن قائد الأواني رضي اللّه عنه يوم عاشوراء سنة أربع وثمانين وخمسمائة، وسألته عن قول الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فذكر مثل ذلك، يعني مثل قول الشيخ أبي السعود رضي اللّه عنهما.

أخبرنا أبو يوسف يعقوب بن بدران بن منصور بن بدران الأنصاري المقري القاهري سنة سبع وستين وستمائة، قال: دخلت بغداد سنة إحدى وعشرين وستمائة، وقصدت زيارة قاضي القضاة أبي صالح نصر بمدرسة جدة بباب الأزج، فوجدت عنده جمعاً، فقال له أحدهم: ما سمعت في قول الشيخ عبد القادر قدمي هذه على رقبة كل ولي لله.

فقال: سمعت أبا بكر عبد الرزاق وأعمامي أبا عبد الرحمن عبد اللّه، وأبا عبد اللّه عبد الوهاب، وأبا إسحاق إبراهيم أولاد الشيخ عبد القادر رحمهم اللّه في أوقات متفرقة يقولون: حضرنا المجلس الذي قال فيه والدنا رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وكان فيه نيف وخمسون شيخاً من أكابر مشايخ العراق، وحنوا كلهم رقابهم ووضع ابن الهيتي رضي اللّه عنه قدمه على عنقه، ثم بلغنا عن المشايخ المتفرقين في الأمصار الذين حضروا في ذلك الوقت أنهم مدوا أعناقهم وأخبروا عنه بما قال، ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه أنكر عليه ذلك القول.

ذكر إخبار المشايخ بالكشف عن هيئة الحال حين قال ذلك

السيد الشريف (**الشيخ**) أبو سعد القيلوي رضي اللّه عنه أخبرنا الفقيه الجليل أبو غالب رزق اللّه بن أبي عبد اللّه محمد بن يوسف الرقي الشافعي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ القدوة أبي الفتح منصور بن الأقدم الرقي بها سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

فقال: أخبرنا منصور سنة ست وثمانين وخمسمائة.

قال: أخبرنا القدوة الشيخ أبو عبد اللّه محمد بن ماجد الرقي بها سنة ستين وخمسمائة ح، وأخبرنا أيضاً عالياً أبو الفتوح نصر اللّه بن أبي المحاسن يوسف ابن خليل بن علي بن مفرج البغدادي الأزجي الحنبلي المحدث بالقاهرة سنة سبع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن حمزة بن أبي البركات المبارك بن حمزة بن عثمان بن الحسن البغدادي الأزجي المعروف بابن الطبال ببغداد سنة سبع وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ المعمر أبو المظفر منصور بن المبارك بن الفضيل بن أبي الواسطي الواعظ، والإمام أبو محمد عبد اللّه بن أبي الحسن بن أبي الفضل الشامي الحباري الأصل البغدادي الدار، ثم الأصبهاني ببغداد سنة إحدى وستمائة.

قالوا: سمعنا السيد الشريف الشيخ القدوة أبا سعد القيلوي رضي اللّه عنه بقليوبة يقول: لما قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تجلى الحق عز وجل على قلبه، وجاءته خلعة من رسول اللّه ﷺ على يد طائفة من الملائكة المقربين، وألبسها بمحضر من جميع الأولياء من تقدم منهم ومن تأخر، الأحياء بأجسادهم والأموات بأرواحهم. وكانت الملائكة ورجال الغيب حافين بمجلسه واقفين في الهواء صفوفاً حتى استد الأفق بهم، ولم يبق ولي في الأرض إلا حنا عنقه.

(الشيخ بقا بن بطو رضي اللّه عنه)

أخبرنا الشيخ العلامة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد ابن الشيخ الإمام العالم عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي الحنبلي بالقاهرة سنة خمس وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو القاسم هبة اللّه بن عبد اللّه بن أحمد الخطيب المعروف بابن المنصوري ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو القاسم عمر بن مسعود المعروف بالبزار ببغداد سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

قال: سمعت بقا بن بطو النهر ملكي رضي اللّه عنه يقول: لما قال الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، قالت الملائكة صدقت يا عبد اللّه.

(الشيخ عدي بن مسافر والشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنهما)

أخبرنا الفقيه الأصيل أبو الفضل منصور بن أحمد بن أبي الفرج العراقي الدوري ثم البغدادي الحنبلي بالقاهرة سنة أربع وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا شيخنا العلامة كمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن سمرويه الصريقيني، الفقيه الحنبلي ببغداد سنة إحدى وأربعين وستمائة.

قال: سمعت الشيخ الصالح أبا محمد يوسف بن المظفر بن شجاع العاقولي الأصل، البغدادي الأزجي الصفار ببغداد سنة اثنتين وعشرين وستمائة.

يقول: قصدت زيارة الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه في أوائل سنة ست وخمسين وخمسمائة، فقال: من أين؟ فقلت: من بغداد من أصحاب الشيخ عبد القادر، فقال: بخ بخ ذلك قطب الأرض وضعت ثلاثمائة ولي لله وسبعمائة غيبي ما بين جالس في الأرض، ومار في الهواء أعناقهم له في وقت واحد حين قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله،

قال العاقولي: فعظم ذلك عندي، ثم بعد مدة أتيت أم عبيدة لأزور الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه فذكرت له ما سمعت من الشيخ عدي في ذلك فقال: صدق.

(الشيخ عدي والشيخ ماجد الكردي والشيخ مطر رضي الله عنهم)

أخبرنا أبو محمد ماجد بن محمد بن خالد بن أبي بكر بن سيما بن غانم العراقي الحلواني البغدادي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو بكر محمد بن الشيخ عوض بن سلامة الغراد البغدادي الصوفي ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا والدي عوض صاحب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، قال: قصدت من بغداد أنا والشيخ محمد البشنكي، والشيخ أبو أحمد عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي البغدادي الصوفي الحرضي، و الشيخ أبو عبد الله استاه مهر بن محمد الخيلاني من بغداد إلى زيارة الشيخ أبي ماجد الكردي رضي الله عنه بجبل حمرين، فلما أتيناه أكرمنا وأقمنا عنده أياماً، فلما استأذناه في الانصراف قال: أزودكم بما تنقلونه عني لما قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، لم يبق ولي لله في الأرض ذلك الوقت إلا حنى عنقه تواضعاً لله واعترافاً بمكانته، ولم يبق نادٍ من أندية صالحي الجن في ذلك الوقت إلا وفيه ذكر ذلك، و قصدته وفود صالحي الجن من جميع الآفاق مسلمين عليه وتائبين على يديه، وازدحموا في بابه.

قال: فودعناه وأتينا بإدبارنا بزيارة الشيخ مطر رضي اللّه عنه، وفي أنفسنا إعظام مما سمعناه من الشيخ ماجد، فلما دخلنا عليه رحب بنا وقال: صدق أخي ماجد فيما أخبركم به عن الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه.

(الشيخ مكارم رضي اللّه عنه) قال: أخبرنا أبو محمد عبد الواحد بن صالح ابن يحيى بن محمد القرشي البغدادي الحنبلي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العلامة محيي الدين أبو عبد اللّه محمد بن حامد بن محمد الآمدي الأصل، البغدادي الدار، الحنبلي المعروف بالتوحيدي، سبط الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ببغداد سنة تسع وثلاثين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن ابن الشيخ أبي حفص عمر بن أبي نصر بن علي بن عبد الدائم البغدادي الواعظ المعروف بابن الغزال ببغداد بجامع المنصور في مستهل رجب سنة أربع عشرة وستمائة.

قال: زرت الشيخ أبا عبد الرحمن عبد القادر ابن الشيخ محيي الدين أبي محمد عبد القادر رضي اللّه عنه بمدرسة والده بباب الأزج سنة تسع وستين وخمسمائة، وسألته: هل حضرت المجلس الذي قال والدك فيه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، قال: نعم، وكان فيه زهاء خمسين شيخاً من أعيان المشايخ، ورأيتهم كلهم واضعين أعناقهم، فلما دخل الشيخ داره وانصرف من كان حاضراً سوى الشيخ مكارم، والشيخ محمد الخاص، والشيخ أحمد بن العربي، وتلميذه داود، فجلست وأخواي عبد العزيز وعبد الجبار إليهم، فقال الشيخ مكارم: أشهدني اللّه عز وجل في هذا اليوم أنه لم يبق أحد ممن عقد له لواء الولاية في أقطار الأرض أدناها وأقصاها إلا شاهد علم القطبية محمولاً بين يدي الشيخ عبد القادر وتاج الغوثية على رأسه ورأى عليه خلعة التصريف العام النافذ في الوجود، وأهله ولاية وعز لا معلمة بطرازي الشريعة والحقيقة، وسمعته يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، ووضع رأسه لذلك كل ولي لله في وقت واحد حتى الأبدال العشرة خواص المملكة سلاطين الوقت.

قلت: من هم؟ **قال**: الشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبو سعد القيلوي، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ عدي بن مسافر، والشيخ موسى الزولي، والشيخ أحمد ابن الرفاعي، والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، والشيخ أبو محمد بن عبد اللّه البصري، والشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ أبو مدين المغربي.

فقال له الشيخ أبو محمد الخاص والشيخ أحمد بن العربي: صدقت، قال: فحفظت أنا وأخواي ذلك عنهم، وقيدناه عندنا.

قال ابن الغزال: فانصرفت من عنده وأتيت أخويه؛ عبد الجبار، وعبد العزيز، وسألتهما عن ذلك فأخبراني بمثل ما قال، ولم يخلا منه بشيء.

(الشيخ خليفة الأكبر رضي اللّه عنه) أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن أبي القاسم، وخلف بن أحمد بن محمد البغدادي الحريمي المعروف بجده ابن قوقا بالقاهرة سنة ست وستين وستمائة ..

قال: أخبرنا محمد بن دنف ببغداد سنة خمس وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم بن أبي بكر بن أحمد بن أبي السعادات أحمد بن كرم النبدليجي الأصل، البغدادي الدار، الأزجي ببغداد سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

قال: سمعت الشيخ خليفة رضي اللّه عنه ببغداد وكان كثير الرؤيا لرسول اللّه ﷺ، يقول: رأيت رسول اللّه ﷺ فقلت له: يا رسول اللّه لقد قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فقال: صدق الشيخ عبد القادر، وكيف لا وهو القطب وأنا أرعاه.

(الشيخ لولو الأرميني) رضي اللّه عنه، **قال:** أخبرنا الشيخ الصالح أبو علي العباس ابن الشيخ أبي موسى عمران بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم الفزاري، الشافعي بالقاهرة المحروسة سنة ست وستين وستمائة.

قال: أخبرنا والدي عمران وعمي صنو أبي الشيخ أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بالصادق الفزاري سنة اثنين وعشرين وستمائة.

قالا: أخبرنا شيخنا القدوة أبو الخير عطاء بن عبد العزيز بن نعيم بن تازوكة ابن قيمان بن رزين المصري بسواد مصر ببرسوم سنة تسعين وخمسمائة، قال: كنت مجاوراً بمكة شرفها اللّه تعالى سنة خمسمائة، وكان فيها يومئذٍ الشيخ لولو الأرميني القطب المخاطب على الأنفاس، وكان الشيخ عبد اللّه الماريديني في خدمته فحضرته يوماً وعنده شيخنا الشيخ أبو عبد اللّه محمد بن السميري، والشيخ أبو عبد اللّه محمد الديسني، والشيخ صلاح الدين المعروف بإمام الحرم، والشيخ أبو حفص عمر بن محمد المغربي العدوي، والشيخ أبو محمد عبد اللّه بن أيدغش الماريديني رضي اللّه عنهم، فرأيت في حاله مع اللّه عز وجل ما لم أره في زماني من أحد، فقلت في نفسي: يا ترى إلى من ينتسب من المشايخ؟

فقال مسابقاً لخاطري: يا عطاء شيخي الشيخ عبد القادر الذي قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، ووضع ثلاثمائة وثلاثة عشر ولياً لله عز وجل رؤوسهم في جميع آفاق الأرض في ذلك الوقت منهم بالحرمين الشريفين سبعة عشر رجلاً، وبالعراق ستون رجلاً، وبالعجم أربعون رجلاً، وبالشام ثلاثون رجلاً، وبمصر عشرون رجلاً، وبالمغرب سبعة وعشرون رجلاً، وباليمن ثلاثة وعشرون رجلاً، وبالحبشة أحد عشر رجلاً، وبسد يأجوج ومأجوج سبعة رجال، وبوادي سرنديب سبعة رجال، وبجبل قاف سبعة وأربعون رجلاً، وبجزائر البحر المحيط أربعة وعشرون رجلاً رضي الله عنهم.

ذكر إخبار المشايخ عنه أنه لم يقل ذلك إلا بأمر الشيخ عدي بن مسافر

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن حسين بن أحمد بن عبد الرحمن الدمشقي الدار الموصلي بالقاهرة سنة ثلاث وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو المفاخر عدي بن الشيخ أبي البركات صخر، قال: قلت لعمي الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه: أعلمت أن أحداً من المشايخ المتقدمين قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله غير الشيخ عبد القادر؟

قال: لا، قلت: فما معناه؟ قال: هي مفصحة عن مقام الفردية في وقته، **قلت**: فلكل وقت فرد.

قال: لم يؤمر أحد منهم أن يقول هذا سوى الشيخ عبد القادر.

قلت: أو أمر بقولها: **قال**: بلى قد أمر، وإنما وضعت الأولياء كلهم رؤوسهم لمكان الأمر، ألا ترى إلى الملائكة لم يسجدوا لآدم صلوات الله عليه إلا لورود الأمر عليهم بذلك.

السيد الشريف الشيخ أبو سعد القيلوي رضي الله عنه.

أخبرنا الفقيه أبو القاسم محمد بن عبادة بن محمد بن عبادة بن عبد المحسن بن المنذري الأنصاري الجلي بالقاهرة سنة أربع وسبعين وستمائة.

قال: سمعت الشيخ العارف أبا الحسن علياً الغزني رضي الله عنه بدمشق سنة عشر وستمائة، يقول: قيل لشيخنا أبي سعد القيلوي رضي الله عنه، وأنا أسمع هل قال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله بأمر؟ قال:

بلى، قالها بأمر لا شك فيه، وهي لسان القطبية ومن الأقطاب في كل زمن من يؤمر بالسكوت فلا يسعه إلا السكوت، ومنهم من يؤمر بالقول فلا يسعه إلا القول، وهو الأكمل في مقام القطبية لأنه لسان الشفاعة.

(سيدي الشيخ علي بن الهيتي رضي اللّه عنه وعنا به) أخبرنا أبو محمد عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن إبراهيم بن عبد اللّه البصري البغدادي المولد والدار بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو القاسم هبة اللّه بن عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن المنصوري ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو محمد علي بن أبي بكر بن إدريس اليعقوبي بها سنة إحدى عشرة وستمائة، قال: لما قال سيدي عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وصعد إليه الشيخ سيدي علي بن الهيتي رضي اللّه عنه فوق الكرسي، وأخذ قدمه وجعلها على عنقه، ودخل تحت ذيله، قال له أصحابه: لم فعلت ذلك؟ فقال: لأنه أمر أن يقولها وأذن له في عزل من أنكرها عليه من الأولياء، فأردت أن أكون أول من سارع إلى الانقياد له.

(الشيخ أحمد الرفاعي رضي اللّه عنه) أخبرنا أبو الحسن علي بن الشيخ أبي المجد المبارك بن يوسف بن غسان القرشي البطايحي الحدادي الشافعي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العارف أبي الحسن علي الرفاعي البطايحي المعروف بالأعزب برواق أم عبيدة سنة إحدى وستمائة، قال: قال أبي لسيدي أحمد رضي اللّه عنه: هل قال الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله بأمر أو بلا أمر؟ قال: بل قالها بأمر.

(الشيخ أبو محمد القاسم بن عبد اللّه البصري رضي اللّه عنه) أخبرنا الشيخ أبو المحاسن يوسف بن أبي العباس أحمد بن نسيب بن حسين البصري المالكي بالقاهرة سنة تسع وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو الفرج حسين بن محمد بن أحمد بن الدويرة البصري المقري الحنبلي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن مطيع الباجسراي بها سنة سبع عشرة وستمائة.

قال: سمعت الشيخ القدوة أبا محمد القاسم بن عبد اللّه البصري رضي اللّه

عنه بها يقول: لما أمر الشيخ عبد القادر رضي الله عنه أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، رأيت الأولياء في المشرق والمغرب واضعين رؤوسهم تواضعاً له إلا رجلاً بأرض العجم، فإنه لم يفعل فتوارى عنه حاله.

(الشيخ حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه) أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الدائم بن علي القرشي المقدسي الحنبلي بالقاهرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الملك ابن الشيخ العارف أبي عبد الملك ذيال بن الشيخ أبي محمد عبد الله ابن الشيخ العارف أبي المعالي بن راشد بن نبهان العراقي الأصل المقدسي الدار سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي سنة ثلاث عشرة وستمائة قال: حضرت عند الشيخ القدوة حياة بن قيس رضي الله عنه يوم الجمعة الثالث من رمضان سنة تسع وسبعين وخمسمائة بجامع حران، فجاء رجل سأله أن يأخذ عليه عهد القدوة لنفسه فقال له: أنت عليك وسم غيري، فقال: قد نسيت للشيخ عبد القادر لكن لم آخذ له خرقة من أحد، قال: عشنا زماناً مديداً في ظل الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وشربنا كؤوساً هنيئة من مناهل عرفانه، ولقد كان النفس الصادق يصدر عنه فيستطير شعاع نوره في الآفاق استطارة النار فنقتبس منه أسرار أحوال الأصحاب على قدر مراتبهم، ولما أتاه الأمر بأن يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله زاد الله تعالى جميع الأولياء نوراً في قلوبهم وبركة في علومهم، وعلواً في أحوالهم ببركة وضعهم رؤوسهم، وقد مضى إلى الله تعالى في حلبة السابقين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين رضي الله عنا بهم.

ذكر من حنا رأسه من المشايخ عندما قال ذلك

(الشيخ بقا بن بطو رضي الله عنه)

أخبرنا أبو الحسن علي بن ازدمر البغدادي المحمدي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن بن يوسف العراقي الباسري، ثم البغدادي الحنبلي ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

قال: سمعت الشيخ الصالح أبا بكر ابن الشيخ أبي الغنائم إسحاق بن بطو

النهر ملكي ببغداد سنة تسع وثمانين وخمسمائة، قال: كنت مع عمي الشيخ بقا ابن بطو في مجلس الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ببغداد، فقال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فحنى عمي عنقه.

أخبرنا أبو المعالي صالح بن يوسف بن عجلان بن نصر العسقلاني البغدادي القطفني الشافعي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد اللطيف البغدادي المعروف بالمطرز ببغداد سنة ثمان وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد بن أبي بكر بن شجاع البغدادي الحنبلي المعروف بابن نفطة رضي الله عنه بزاويته ببغداد سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

قال: أخبرنا شيخنا أبو عمرو عثمان الصريفيني، ثم البغدادي بها سنة تسع وستين وخمسمائة.

قال: كنت في مجلس شيخنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ببغداد إلى جانب الشيخ بقا بن بطو رضي الله عنه، فقال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فحنا الشيخ بقا عنقه رضي الله عنه وعنا به بمنه وكرمه.

(السيد الشريف الشيخ أبو سعيد القيلوي رضي الله عنه)

أخبرنا أبو الفرج عبد الحميد بن معالي بن عبد الله بن علي الصرصري، ثم البغدادي الحنبلي بالقاهرة سنة ثمان وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو حفص عمر بن الشيخ الخير سعيد بن الشيخ الشريف القدوة أبي سعيد القلوي بقيلوبة سنة سبعين وخسمائة.

قال: كنت مع السيد أبي سعد ببغداد سنة سبعين وخمسمائة في مجلس الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، فقال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فحنا أبي عنقه.

أخبرنا أبو الفضل منصور بن أحمد بن أبي الفرج العراقي الدوري، ثم البغدادي الحنبلي بالقاهرة سنة أربع وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو الفضل إسحاق بن أحمد بن غانم العلني بها سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد طلحة بن مظفر بن غانم العلثي الحنبلي بزاويته بالعلث سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة.

قال: كنت في مجلس شيخنا الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه ببغداد برباطه، والشيخ الشريف أبو سعد القيلوي قدامي، فقال الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فحنا الشريف الشيخ أبو سعد عنقه رضي اللّه عنه وعنا به.

(الشيخ سيدي علي بن الهيتي رضي اللّه عنه)

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي المنصور بن نصر اللّه العوفي الداري النصيبيني بالقاهرة سنة خمس وستين وستمائة، قال: قصدت أنا والشيخ مسعود الحارثي رحمه اللّه إلى بعفو بابا لزيارة الشيخ علي بن إدريس رضي اللّه عنه، سنة سبع عشرة وستمائة، فلما دخل عليه قيل له: هل أخذ الشيخ علي بن الهيتي قدم الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنهما لما قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله؟

فقال: كنت جالساً في مجلس الشيخ عبد القادر لما قال ذلك، وأنا شاب، وصعد شيخنا الشيخ علي بن الهيتي رضي اللّه عنه فوق الكرسي ووضع قدمه على عنقه ودخل تحت ذيله.

قال: وهذا أتم، يعني أنه أشد انقياداً له.

أخبرنا أبو الحسن علي بن آدم بن عبد اللّه البغدادي المحمدي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبره الشيخ المعمر بقية السلف أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد ابن حسن البغدادي الصوفي الحنبلي المعروف بالسقا ببغداد بجامع الخليفة سنة تسع وعشرين وستمائة، وقال: في هذا التاريخ عمري في هذه السنة مائة عام وسبعة أعوام، قال: صحبت شيخنا الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه، وخدمته مدة، وحضرت مجلسه الذي قال فيه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وسمعتها من لفظه، وكانت يومئذ أكثر من عشرين سنة، ورأيت الشيخ علي بن الهيتي وقد صعد إليه فوق الكرسي وأخذ قدمه ووضعها على عنقه، فلما انصرف الناس قال له أصحابه في ذلك، قال: لو رأيتم أبا الظفر إبراهيم بن أبي عبد اللّه بن أبي بكر بن نصر البغدادي المقري بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الإمام الصالح المعمر أبو الحسن علي بن نبا بن صالح بن نصر بن يوسف الكردي الحميدي البغدادي القطيعي الحنبلي ببغداد سنة إحدى عشرة وستمائة، قال: كان عمري يوم قال سيدي عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي

هذه على رقبة كل ولي لله يزيد على ثلاثين سنة، وحضرت مجلسه يومئذٍ، وسمعته يقولها، ورأيت الشيخ علياً بن الهيتي رضي الله عنه وقد وضع قدمه على عنقه فوق الكرسي، وحنا كل من حضر مجلسه أعناقهم، قال: وصحبته قبل ذلك بسبع سنين.

(الشيخ سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه)

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي بن عبد الله بن سنان الصوفي الدمياطي المولد والدار بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الأشياخ الصلحاء قداة العراق الشيخ أبو طاهر الجليل ابن الشيخ أبي العباس أحمد الصرصري الجوسقي، والشيخ أبو الحسن الخفاف البغدادي، والشيخ أبو حفص عمر البريدي، والشيخ أبو القاسم عمر الدرداني، والشيخ أبو الوليد زيد بن سعيد، والشيخ أبو عمرو عثمان بن سليمان المعروف بالقصير ببغداد بجامع المنصور سنة أربع وعشرين وستمائة.

قالوا: أخبرنا أبو الفرج عبد الرحيم، وأبو الحسن علي ابنا أخت الشيخ القدوة أبي العباس أحمد بن أبي الحسن الرفاعي رضي الله عنه، قدما علينا ببغداد قريباً من سنة ثمانين وخمسمائة، قالا: كنا عند شيخنا الشيخ أحمد بن الرفاعي بزاويته بأم عبيدة فمد عنقه وقال على رقبتي، فسألناه عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله.

أخبرنا الشريف الجليل أبو عبد الله محمد بن أبي العباس الخضر بن عبد الله بن يحيى بن محمد الحسيني الموصلي بالقاهرة سنة سبع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو الفرج عبد المحسن، ويسمى حسناً بن محمد بن أحمد بن الدويرة المقري الحنبلي البصري بها سنة سبع وثلاثين وستمائة.

قال: قال الشيخ أبو بكر عتيق بن أبي الفضل محمد بن عثمان بن أبي الفضل البندلجي الأصل البغدادي المولد والدار، والأزجي المعروف بمعتوق ببغداد سنة إحدى وستمائة، زرت الشيخ سيدي أحمد بن أبي الحسن الرفاعي رضي الله عنه بأم عبيدة في سنة ست وسبعين وخمسمائة، فسمعت أكابر أصحابه وقدماء مريديه يقولون: كان الشيخ يوماً جالساً في هذا الموضع، وأشاروا لموضع بالرواق، فحنا رأسه وقال: على رقبتي، فسألوه عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فأرخنا ذلك الوقت، فكان كما قال في ذلك الوقت بعينه.

(الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي رضي اللّه عنه)

أخبرنا الشيخ الصالح أبو حفص عمر بن أبي المعالي نصر بن محمد بن أحمد القرشي الهاشمي الطفسونجي المولد والدار الشافعي بالقاهرة سنة سبع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الأصيل الصالح أبو عبد اللّه محمد بن أبي الشيخ الصالح أبي حفص عمر ابن الشيخ القدوة أبي محمد عبد الرحمن الطفسونجي بها سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو عمر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، قال: حنا أبي يوماً عنقه بين أصحابه بطفسونج وقال: على رأسي، فسألناه فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فأرخناه عندنا، ثم جاء الخبر من بغداد أنه قال ذلك في اليوم الذي أرخناه.

(الشيخ النجيب السهروردي رضي اللّه عنه)

أخبرنا الفقيه أبو علي إسحاق بن علي بن عبد اللّه بن عبد الدايم بن صالح الهمداني الصوفي الشافعي، المحدث بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الجليل الأصل أبو محمد عبد اللطيف ابن الشيخ أبي النجيب عبد القاهر بن عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه السهروردي، ثم البغدادي الفقيه الشافعي الصوفي بأربل سنة ثمان وستمائة، قال: حضر أبي أبو النجيب ببغداد بمجلس الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنهما، فقال الشيخ عبد القادر قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فطأطأ أبي رأسه حتى كادت تبلغ الأرض، وقال على رأسي على رأسي على رأسي، يقولها ثلاثاً.

(الشيخ موسى الزولي رضي اللّه عنه)

أخبرنا الفقيه أبو علي الحسن بن نجم الدين بن عيسى بن محمد الحوراني الحنبلي بالقاهرة سنة ثلاث وستين وستمائة، قال: أخبرنا الشيخ أبو الفتوح يحيى ابن الشيخ أبي السعادات سعد اللّه بن أبي عبد اللّه الحسن بن محمد التكريتي بها، قال: دخلتها وافداً سنة سبع عشرة وستمائة، قال: كنت أرحل من تكريت مع والدي أبي السعادات مرة ببغداد لزيارة الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه، ومرة إلى ماردين لزيارة الشيخ موسى الزولي رضي اللّه عنه فأتينا بغداد مرة مع الشيخ موسى الزولي رضي اللّه عنه حاجين، فحضر مجلس الشيخ عبد القادر، وحضرنا معه فقال الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فحنا الشيخ عنقه.

(الشيخ محمد بن موسى بن عبد اللّه البصري رضي اللّه عنه)

أخبرنا الشيخ أبو المحاسن يوسف بن أبي المعالي أحمد بن شبيب بن حسين المصري البصري المالكي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الفقيه المقري العدل أبو طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد بن أبي المظفر عبد السميع بن عبد اللّه القرشي الهاشمي الواسطي بها سنة عشرين وستمائة.

قال: حضرت بالبصرة وأنا صبي مع والدي أبي الفتح عند الشيخ القدوة أبي محمد بن عبد اللّه البصري رضي اللّه عنه، وكان يتكلم على أصحابه فقطع كلامه وسها ساعة وسكت كل من كان حاضراً إجلالاً له، ثم وضع رأسه على الأرض، وقال: على رأسي، فلما دخل داره دخل أبي معه وأنا خلفهما فقال له أبي وكان يدل عليه: يا سيدي بحق العزيز إلا ما أخبرتني بسبب هذا الفعل والقول اللذين رأيناهما منك فقال: قد قال الشيخ عبد القادر اليوم ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، ولم يبق ولي في الأرض حتى فعل مثل ما رأيتني فعلت، قال: فأرخ أبي ذلك اليوم وسافر إلى بغداد وأنا معه، فأخبرنا أن الشيخ عبد القادر قد قال ذلك في اليوم الذي أرخه أبي بالبصرة.

(الشيخ حياة بن قيس رضي اللّه عنه وعنا به)

أخبرنا الفقيه الأجل أبو المكارم خليفة بن محمد بن علي بن أحمد الحراني بن محمد، ثم البغدادي الحنبلي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو طالب عبد اللطيف ابن الشيخ أبي الفرج محمد ابن الشيخ أبي الحسن بن علي بن حمزة بن فارس بن محمد الحراني الأصل البغدادي الدار التاجر المعروف بابن القبطي ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا والدي أبو الفرج محمد، وكان يجلس إلى الشيخ حياة بن قيس الحراني رضي اللّه عنه، قال: حضرت عنده يوماً بحران فمد عنقه وقال: على رقبتي، فسأله والدي والشيخ أبو حفص عمر ولده عن ذلك، فقال: يا بني إنه قد قال أستاذنا الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله.

أخبرنا شيخنا الشيخ المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف ابن الشيخ العلامة نجم الدين بن عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن الفضيل الحراني بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: سمعت والدي رحمه اللّه غير مرة يقول: رأيت الشيخ حياة بن قيس

الحراني رضي اللّه عنه بحران، وقد حنا عنقه في الوقت الذي قال فيه الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله قال: وعلى عنقي. رضي اللّه عنه.

(الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق والشيخ أبو الكرم رضي اللّه عنهما)

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن الشيخ أبي زكريا يحيى بن أبي القاسم أحمد بن عبد الرحمن البغدادي الأزجي بالقاهرة سنة ست وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن منصور بن أبي بكر بن علي الموصلي البغدادي المحدث الشافعي المعروف بالأثري البغدادي سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الإمام الأصيل أبو الخير سعد ابن الشيخ القدوة العلامة أبي عمرو عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلامة القرشي الحنبلي المصري المولد البغدادي الدار بها سنة تسعين وخمسمائة، قال: سمعت والدي رحمه اللّه، يقول: حججت من مصر وأتيت بغداد لزيارة مشايخنا نفعنا اللّه بهم، فحضرت مجلس شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، وفيه يومئذ أجلاَّء ومشايخ العراق، وكنت جالساً إلى جانب الشيخ أبي الكرم الأكبر المعمر، وأبي عبد اللّه محمد الدرباني القزويني رضي اللّه عنه، فقال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فمد جميع الحاضرين أعناقهم، ووضعت أنا رأسي حتى دنوت إلى الأرض، وكذلك فعل الشيخ أبو الكرم، فلما انصرف الناس قال لي الشيخ أبو الكرم: لم يبق في الأرض من ولي لله تعالى حتى فعل كما فعل الحاضرون إلا رجلاً بأصبهان، فإنه لم يفعل فغلب حاله فصدقه الدرباني على ذلك.

(الشيخ ماجد الكردي رضي اللّه عنه)

أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن عيسى بن عبد اللّه بن قيماز بن علي الأورلي الرومي الأصل البغدادي الدار الفقيه الحنفي بالقاهرة سنة ثمان وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو محمد عباس ابن الشيخ الجليل أبي النجاة سليمان ابن الشيخ القدوة أبي محمد ماجد الكردي رضي اللّه عنه ببغداد.

قال: أخبرنا أبي قال: حضرت مع والدي مجلس الشيخ عبد القادر ببغداد برباطه، فقال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. رضي اللّه عنه وعنهم.

(الشيخ سويد السنجاري رضي الله عنه وعنا به)

أخبرنا أبو علي الحسن بن النجم بن عيسى بن محمد الحوراني الحنبلي بالقاهرة سنة ثلاث وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو عمرو عثمان بن عاشور السنجاري بها سنة ست عشرة وستمائة، قال: حنا الشيخ سويد يوماً رأسه برباطه بسنجار، وقال: على رأسي، فسأله الشيخ حسين التلعفري، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الساعة ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله.

قال: أخبرنا أبو محمد عمران بن أبي علي بن عثمان بن محمد بن أحمد ابن علي السنجاري (الشافعي المؤدب) بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

أخبرنا الشيخ الأصيل أبو محمد عبد الله ابن الشيخ أبي أحمد إسماعيل ابن الشيخ القدوة سويد السنجاري بالموصل سنة تسع وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا إسماعيل، قال: كان والدي سويد رضي الله عنه كثيراً ما يذكر فضائل الشيخ عبد القادر رضي الله عنه مما منحه الله عز وجل، حتى إنه ما جلس مجلساً إلا ذكره فحنا يوماً رأسه وقال: على رأسي، فقال له الشيخ حسين التلعفري في ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الساعة ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فأرخنا ذلك، ثم علمنا أنه قد قال في ذلك الوقت الذي أرخناه رضي الله عنه وعنا به.

(الشيخ رسلان الدمشقي رضي الله عنه وعنا به)

أخبرنا الشيخ العالم أبو يوسف يعقوب بن بدران بن منصور الأنصاري المقري بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا العارف أبو محمد رغيب الرحبي بها سنة إحدى وعشرين وستمائة، قال: حنا الشيخ رسلان الدمشقي رضي الله عنه عنقه بدمشق في الوقت الذي قال فيه الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وأخبرنا بذلك وقال: لله در من شرب من بحار القدس وجلس على بساط المعرفة والأنس، وشاهد سره بعظم الربوبية، وإجلال الأحدية فتلاشا وصفه في شهود الكبرياء وفني وجوده عند معاينة مقام الفرار، وهب على روحه نسمات روح الأزل بلا خجل ولا وجل، فنطق بالحكم من معادن الأنوار، وامتزج بسويداء سره كمون الأسرار، فيوفي الحضور صاحي وفي الصحو ماحي، واقفاً بالحياة منبسطاً بالإذن والصفا،

متكلماً بالتواضع مذللاً بالافتقار، مقرباً بالتنصيص، مخاطباً بالإكرام، فعليه من ربه أفضل تحية وسلام، فقيل له: هل في الوجود اليوم أحد هذا وصفه؟ قال: نعم، الشيخ محيي الدين عبد القادر سيدهم.

قال أبو يوسف الأنصاري: وسمعت الشيخ رغيباً الرحبي يقول عقيب هذا الكلام: كان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، هو القطب العالي في وقته، الفرد الساعي في عصره، إليه انتهت رئاسة علوم المعارف، وله سلمت أزمة معالم الحقائق، كان سيد البزاة الشهب من الطرفين، وقائد ركب المحبين الصادقين من الواصلين، كان سمته يحلل القول هيبة ووقاراً، وصمته يكسو القلوب إجلالاً وأنواراً، ونطقه يحصل ما في الصدور، وأنفاسه تبعثر ما في القبور، وأنواره أضاءت بها أركان الطريقة والحقيقة بالشريعة، ولقد رحم الله به محبه ومتبعه، ورفيقه رضوان الله عليه وعليهم أجمعين.

(الشيخ سيدي شعيب أبو مدين المغربي رضي الله عنه وعنا به)

أخبرنا الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن مسعود عمر بن عبد الدايم بن غازي المغربي السجلماسي المالكي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العالم أبو زكرياء يحيى بن محمد بن علي الفقيه المحدث المعروف بالمعري.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو محمد صالح بن ويرجان المغربي البربري الدكالي رضي الله عنه ح.

وأخبرنا الفقيه الزاهد أبو المحاسن محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي المكارم إسحاق بن يوسف القرشي الهاشمي المغربي، التلمساني المالكي بالقاهرة سنة سبع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو عبد الله محمد ابن الشيخ القدوة أبي محمد صالح بن ويرجان المغربي البربري الدكالي سنة ست وخمسين وستمائة.

قال: أخبرنا والدي الشيخ أبو محمد صالح قال: حنا الشيخ أبو مدين بن شعيب رضي الله عنه يوماً عنقه بين أصحابه بالمغرب، قال: وأنا منهم اللّهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك أني سمعت وأطعت، فسأله أصحابه عن ذلك فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله. فأرخنا ذلك اليوم، ثم جاء أصحابنا المسافرون من العراق فأخبرونا أن الشيخ عبد القادر قال ذلك ببغداد في الوقت الذي أرخناه بالمغرب، رضي الله عنه وعنهم، وعنا بهم بمنه وكرمه.

(الشيخ الشريف عبد الرحيم القناوي رضي الله عنه وعنا به)

أخبرنا الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله، محمد بن أبي الغنايم، محمد بن أبي المفاخر، محمد الحسني الدمشقي المولد، البغدادي الدار، ثم القاهري بها سنة ست وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشريف الأصل القدوة أبو عبد الله الحسين ابن الشيخ القدوة أبي محمد عبد الرحيم بن أحمد بن حجون بن أحمد بن محمد بن جعفر الزكي ابن محمد المأمون بن علي الحارصي، بن حسين الجون بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، المغربي الأصل، الصعيدي بقنا من صعيد مصر الأعلى سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

قال: لما قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، مد والدي عبد الرحيم رضي الله عنه عنقه بقنا وقال: صدق الصادق المصدوق، قيل: ومن هو؟ قال: الشيخ عبد القادر قال ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وقد تواضع له رجال المشرق والمغرب، فأرخنا ذلك الوقت، ثم أخبر أن الشيخ عبد القادر قال ذلك في الوقت الذي أرخناه.

(الشيخ أبو عمرو عثمان بن مروزة البطايحي رضي الله عنه)

أخبرنا أبو الفرج عبد الملك بن محمد بن عبد المحمود بن أحمد بن علي الواسطي الربعي الشافعي بالقاهرة المحروسة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الهمامي الفقيه الشافعي بواسط سنة تسع وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو حفص عمر بن مصدق بن محمد بن حسين الواسطي الربعي الشافعي بواسط سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

قال: كنت أقيم بالبطايح عند الشيخ أبي عمرو عثمان بن مروزة مدة أخدمه، فمكثت عنده مرة ثلاثة أيام فقال في بكرة اليوم الرابع: يا عمر إني أريد بغداد، فقلت يا سيدي وأنا معك، قال: بسم الله كن ورائي وضع رجلك مكان رجلي، قلت: نعم، فخرج من البطايح وأنا خلفه أفعل ما أمرني به، فلم نلبث إلا قليلاً حتى وصلنا بغداد، فأتى رباط الشيخ عبد القادر وحضر مجلسه، وإذا فيه جميع من أعرفه من مشايخ العراق، فقال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فحنا الحاضرون أعناقهم، وحنا الشيخ عثمان عنقه، فلما انصرف

الناس قام وقبل يد الشيخ عبد القادر، فقال له الشيخ عبد القادر: أسرع إلى مكانك، فخرج وخرجت خلفه أفعل كما فعلت أولاً، فلم نلبث إلا قليلا حتى وصلنا البطايح، فقلت له: يا سيدي ما السبب في دخولك إلى بغداد وخروجك من يومك؟ فقال: أمرت أن أحضر مجلس الشيخ عبد القادر فحضرته، ولم يكن لي قصد في بغداد سواه.

(الشيخ مكارم النهر ملكي رضي اللّه عنه وعنا به)

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح داود بن الشيخ أبي المعالي نصر ابن الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ المجد المبارك بن أحمد بن محمد الظاهري البغدادي الحريمي الجيلي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا والدي أبو المجد ببغداد سنة سبع وسبعين وخمسمائة، قال: زرت الشيخ مكارم رضي اللّه عنه ببلاد السواد، فدخل بغداد وأتى رباط الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه وأنا معه، فإذا في الرباط أكثر مشايخ العراق، والشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه يتكلم عليهم، فجلس بين الشيخ أبي النجيب السهروردي والشيخ سلطان المزين، فقال الشيخ عبد القادر: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فمد الشيخ مكارم عنقه، ومد الحاضرون أعناقهم.

(الشيخ خليفة النهر ملكي رضي اللّه عنه وعنا به)

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن أبي القاسم دلف بن أحمد بن محمد البغدادي الحريمي المعروف جده بابن قوقا بالقاهرة سنة ستين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن بركة بن محفوظ البغدادي البزار المعروف بابن الديبقي ببغداد سنة خمس وستمائة.

قال: أخبرنا أبو يحيى قال: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه برباطه بالحلبة، وكان مجلساً حفلاً بالمشايخ، وكنت إلى جانب الشيخ خليفة رضي اللّه عنه، فقال الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فطأطأ الشيخ خليفة رأسه، قال: وسمعته يقول: لا غرو أن قالها الفرد في وقته.

(الشيخ عدي بن مسافر الأموي رضي اللّه عنه وعنا به)

أخبرنا الشيخ العالم أبو محمد الحسن بن داود بن محمد القرشي المخزومي الخالدي، الشافعي بالقاهرة سنة ثمان وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو إسحاق إبراهيم بن محمود بن جوهر البعلبكي

الدمشقي العقبي المقري الحنبلي المعروف بالبطايحي بدمشق سنة سبع وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو محمد عبد الله البطايحي غير مرة بدمشق.

قال: طلبني الشيخ عدي بن مسافر من سيدي عبد القادر رضي الله عنهما لأصلي به، فأمرني الشيخ بالمسير إليه فصليت به خمس سنين، وصحبته خمس سنين، وكان لا يخرج إلى ظاهر زاويته بجبل لالش إلا وبيده عكازه من خشب اليسر. ويخط به دارة في أرض الجبل، ويجلس فيها ويقول من أراد أن يسمع كلام الشيخ عبد القادر في بغداد فليجلس في هذه الدارة، فيجلس أكابر أصحابه ويسمعون كلام الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وكان الشيخ عبد القادر يقول حينئذٍ لأهل مجلسه: عين الشيخ عدي بن مسافر فيكم.

قال: فدخل يوماً الدارة ثم حنا عنقه حتى كاد رأسه ينال الأرض، وأخذه وجد عظيم، وتكلم بكلام حسن بعد أن دخل زاويته يصف فيه حال الأولياء، فسألناه عن ذلك.

فقال: قد قال الشيخ عبد القادر ببغداد في اليوم: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، فأرخ ذلك الوقت، ثم قدم علينا المسافرون من بغداد وأخبروا أن الشيخ عبد القادر قد قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله في الوقت الذي أرخناه.

أخبرنا الشيخ الجليل أبو البركات يونس بن أبي النجاة سالم بن أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد بن علي التيمي البكري الأربلي الأصل، الموصلي المولد والدار، المقري الشافعي العدوي بالقاهرة سنة إحدى وتسعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو المفاخر عدي ابن الشيخ أبي البركات ابن الشيخ أبي القوي صخر بن مسافر بجبل الهكار سنة ثمان عشرة وستمائة.

قال: أخبرنا أبو البركات قال: حنا عمي الشيخ عدي بن مسافر عنقه بظاهر زاويته بلالش، فسأل عن ذلك، فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وتكلم بكلام حسن نوَّه فيه بذكر الشيخ عبد القادر كتبناه عنه، وهو هذا: سترمي النفوس بأهوالها فإما عليها وإما لها، فإن سلمت فتنال المنى. وإن تلفت فبآجالها، يا هذا إن قبلت كنت من جندنا، وإن تلفت كنت في تلك الحالة عندنا، إن عشت فعيش السعداء، وإن مت فموت الشهداء، اطرح نفسك في مقام الإفلاس، وغرقها في بحار الإياس، وانزل عليها بعساكر الصفا، وقاتلها برجال الوفا، واضرب عليها سرادقات للتسليم والرضا،

وانشر عليها أعلام المراقبة والحيا، واركب خيول التوكل، وأفرغ عليها تخافيف اليقين، والبس الصبر وأشهر أسياف الخوف، وتنكب بتماريس الرجاء، واعقل برماح الخشوع، وجل عليها في ميادين الشوق، وأقم عليها منجنيقات الصدق ورايات الإخلاص، وازحف بخفيات الذكر وجزئيات الفكر، وقدم إليها معارج العلم وسلالم الحلم، فإذا فعلت هذا فاستعمل قسي القناعة، وركب عليها أوتار المجاهدة، واطرح فيها سهام المشاهدة، واجذبها بأيدي المعرفة، وارمِ للقرب من النبال، لعلك تحظى بحبل الوصال، فإذا فعلت هذا مع ذلك فاقطع مطامعك واترك اختيارك، وقاتل هواك، وراقب مولاك، واخط قدمين يقال لك: ها أنت وربك كقاب قوسين، واعلم أن القوم صاموا عن الصوم، وناموا عن النوم، وفنوا عن الفنا، ونودوا بلسان الأزل من سر أسرارهم، وذهب عنهم العنى فهاموا فرحاً، وتاهوا طرباً، ثم خرجوا عن وصف البشرية، وغابت نفوسهم عن نعت البنية، وطارت قلوبهم في العوالم الملكوتية بأجنحة عناية المشيئة، وألبسوا حلل العلوم اللدنية من مذخور الخزائن الغيبية، حتى إذا خرقوا حجب الحدث، وانتهوا إلى مقام الأزل وقفوا على بساط الأنس، فنظروا محل القدس، وفوقهم الملائكة الكروبية والروحانية، فأخذتهم الغيرة وانتهت بهم إلى مقام الحيرة، فطاشوا وعاشوا، وأجلسوا فسومروا وأنسوا، فقربوا وكوشفوا، فوصلوا ثم نسوا أنفسهم، فغابوا عن ذاتهم فنظروا وعرفوا، فجلسوا فسقاهم الحبيب جل جلاله من شراب محبته بكأس وده على بساط قربه، فلما شربوا طاشوا حتى بلغوا مقعد صدق عند مليك مقتدر، ناداهم الجليل جل جلاله: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، وعذري في ذكر الشيخ عدي رضي الله عنه آخراً أني قصدت أن أختم الأعيان به تبركاً بكلامه، فهو وإن تاخر ذكراً فقد تقدم قدراً، وتعطر نشراً، وتكمل فخراً، وساد عند الله في الدنيا والآخرة. نفعنا الله بهم أجمعين.

ذكر تعظيم الأولياء رضي الله عنهم وعنا بهم بسبب قوله ذلك

أخبرنا الشيخ الثقة أبو زيد عبد الرحمن بن أبي النجاة سالم بن أحمد بن حميد بن صالح بن علي القرشي المحدث بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو الخير نعمة الله ابن الشيخ أبي المعالي

ظريف بن أحمد بن محمد الجذيلي العسقلاني الشافعي بغزة سنة تسع وعشرين وستمائة.

قال: سمعت أبي الشيخ أبا المعالي بقا الجذيلي، والشيخ أبا يحيى محمود ابن قاسم القاسمي الأصل والمولد الشامي الدار سنة ثلاث عشرة وستمائة.

قالا: أخبرنا شيخنا الشيخ أحمد بن أبي القاسم البطايحي الحدادي؛ نزيل الشام بها سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، قال: أتيت إلى جبل لبنان في سنة تسع وسبعين وخمسمائة لأزور من فيه من الصالحين، وكان يومئذٍ رجل من الصالحين من أصبهان يقال له الشيخ الجبل، ويسمى الجبلي لطول إقامته في الجبل، أي جبل لبنان، فأتيته وجلست إليه وقلت له: يا سيد كم لك هنا، قال: ستون سنة، قلت: أي شيء مرَّ بك من العجائب، قال: كنت هنا في سنة تسع وخمسين وخمسمائة، فرأيت أهل الجبل في ليلة مقمرة يجتمع بعضهم إلى بعض ويطيرون في الهواء إلى جهة العراق جماعة بعد أخرى، فقلت لصاحب لي منهم: إلى أين تذهبون؟ **قال**: أمرنا الخضر سلام الله عليه أن نأتي بغداد فنحضر بين يدي القطب، **قلت**: من هو؟ **قال**: الشيخ عبد القادر، فسألته أن أسير معه قال: نعم، فسرنا في الهواء فلم يكن إلا يسير حتى أتينا بغداد، فإذا هم بين يديه صفوف، وأكابرهم يقولون: يا سيدنا، وهو يأمرهم فيبتدرون لامتثاله، ثم أمرهم بالانصراف، فرجعوا بين يديه القهقرى حتى استقلوا في الهواء سائرين، وأنا معهم مع صاحبي، فلما رجعنا إلى الجبل قلت له: ما رأيت كالليلة في أدبكم بين يديه، وإسراعكم إلى امتثال أمره، فقال لي: يا أخي وكيف لا وهو قد قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وقد أمرنا بطاعته واحترامه.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفداء إسماعيل ابن الفقيه أبي إسحاق إبراهيم بن درع بن عيسى بن أبي الحسن المنذري ثم المغربي ثم المصري الشافعي بالقاهرة، سنة ست وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو المحاسن يوسف ابن الشيخ أبي الحسن البريجاني الملقب بالأسد الأسدي الأخرس ببريجان سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

قال: أخبرنا والدي أبو الحسن صاحب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ببريجان، وأخبرنا أيضاً عالياً أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي بكر علي بن أحمد الأبهري الأصل البغدادي المولد والدار، وأبو محمد سالم بن علي بن عبد الله بن سنان الدمياطي القاهري الشافعي، بها سنة تسع وستين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ الإمام المعمر بقية السلف أبو الثناء محمود بن أحمد الكردي الحميدي الحنبلي، ثم البغدادي الشافعي ببغداد سنة عشرين وستمائة.

قال: كانت تحية الأولياء والأبدال والأوتاد للشيخ عبد القادر رضي الله عنه حين يحضرون عنده بعد أن قال الشيخ عبد القادر قدمي هذه على رقبة كل ولي لله أن يقولوا: السلام عليك يا ملك الزمان، ويا إمام المكان، يا قائماً بأمر الله، ويا وارث كتاب الله، ويا نائب رسول الله، يا من السماء والأرض مائدته، وأهل وقته كلهم عائلته، يا من ينزل القطر بدعوته، ويدر الضرع ببركته، رضي الله عنهم.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي عمر أن موسى بن أحمد بن الحسين بن داود القرشي المخزومي الخالدي الشافعي بالقاهرة سنة ثمان وستين وستمائة.

قال: أقمت عند الشيخ الفقيه تقي الدين أبي عبد الله بن محمد بن أبي الحسين بن عبد الله بن عيسى اليونيني البعلبكي الفقيه الحنبلي المحدث بدمشق أياماً في شهر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة، ففقد الشيخ أبو الحسن علي القرشي من العراق ونزل بزاويته بجبل قاسيون، فأتاه الشيخ تقي الدين اليونيني مسلماً عليه، وأنا معه، فلما دخلنا عليه وجدنا عنده الشيخ أبا يونس عبد الله بن يونس الأرمني، والشيخ أبا عمر وعثمان الرومي، والشيخ أبا إبراهيم بن إسماعيل ابن علي الكوراني رضي الله عنهم، فقال الشيخ علي القرشي في جملة كلامه ونحن نسمع: قلت للشيخ قضيب البان الموصلي: هل رأيت مثل الشيخ عبد القادر؟ قال: لا كانت الأولياء الغيبيون يحضرون عنده ببغداد، قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، ورأيت رؤوسهم مكسةهيبة له.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو المحاسن يوسف بن إياس بن مرجان بن منيع البعلبكي المقري الحنبلي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ أبو يونس عبد الله بن يونس المعروف بالأرمني بجامع دمشق في رجب سنة تسع وعشرين وستمائة، و الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين بن محمد بن عيسى اليونيني البعلبكي الفقيه الحافظ الحنبلي بجامع دمشق في المحرم سنة ثلاثين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخان؛ القدوة أبو محمد عبد الله بن عثمان اليونيني البعلبكي بها سنة ثلاث وستمائة، والشيخ العارف أبو محمد إبراهيم بن محمد ابن جوهر البعلبكي الدمشقي العقبي المقري الحنبلي المعروف بالبطايحي بالعقبية في رمضان سنة تسع وستمائة.

قالا: سمعنا الشيخ أبا محمد البطايحي رضي الله عنه غير مرة يقول:

دخلت على شيخنا الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه ببيته يوماً فوجدت عنده أربعة ما رأيتهم قبل، فوقفت مكاني، فلما قاموا من عنده قال لي الشيخ الحقهم واسألهم أن يدعوا لك، فلحقتهم في صحن المدرسة قبل أن يخرجوا وسألتهم الدعاء، فقال لي أحدهم لك البشرى، أنت خادم رجل يحرس اللّه تعالى الأرض ببركته، سهلها وجبلها، برها وبحرها، وبدعوته ترحم الخليقة برها وفاجرها، ونحن وسائر الأولياء في حضرة أنفاسه وتحت ظل قدميه، وفي دائرة أمره، ثم خرجوا من باب المدرسة فلم أرهم، فرجعت إلى الشيخ متعجباً فقال لي قبل أن أخبره بشيء: يا عبد اللّه لا تعلم أحداً بما قالوا لك يا أخي، قلت: يا سيدي من هؤلاء؟ قال: رؤساء رجال جبل قاف، وهم الآن في مواضعهم بجبل قاف.

أخبرنا الفقيه أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر علي القرشي، ثم البغدادي الحنبلي بالقاهرة سنة تسعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو المحاسن فضل اللّه ابن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه ببغداد سنة خمس وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو محمد بن علي بن أبي بكر بن محمد بن عبد اللّه بن إدريس اليعقوبي ببغداد سنة عشر وستمائة.

قال: سمعنا شيخنا الشيخ علياً بن الهيتي رضي اللّه عنه بزوريران سنة اثنتين وستين وخمسمائة يقول: دخلت بغداد مرة لزيارة الشيخ عبد القادر، فوافيته فوق سطح مدرسته يصلي الضحى فنظرت إلى الفضاء فوجدت فيه أربعين صفاً من رجال الغيب واقفين في كل صف سبعون رجلاً، فقلت لهم: ألا تجلسون؟ قالوا: حتى يقضي القطب صلاته ويأذن لنا، فإن يده فوق أيدينا، وقدمه على رقابنا، وأمره علينا كلنا، فلما سلم أقبلوا إليه مبادرين يسلمون عليه ويقبلون يده.

قال الشيخ علي بن الهيتي رضي اللّه عنه: وكنا إذا رأينا الشيخ عبد القادر رأينا الخير كله.

ذكر كلمات أخبر بها عن نفسه محدثاً بنعمة ربه ومنه عليه وفضله

اعلم والاك اللّه بجميل حمايته، وصانك بلطيف رعايته؛ أن قدم الصدق إذا طلبت وجدت، ويد الشوق إذا جذبت ملكت، وجنود الحب إذا أسرت قتلت،

وصفات الحر إذا فنيت بقيت، وغروس الوصل إذا ثبتت نبتت، وأصول القرب إذا رسخت بذخت، ورياض القدس إذا ظهرت بهرت، ورياح الأنس إذا هبت بسطت، وعيون الألباب إذا شهدت دهشت، وقلوب الأحباب إذا رمقت عشقت، وأسماع الأرواح إذا قربت سمعت، وأبصار الأسرار إذا حضرت نظرت، وألسن القوم إذا أمرت نطقت، فلله در عباد ناداهم مولاهم في سابق القدم، بلسان الكرم، ودعاهم منادي الفضل إلى نادي الوصل، فبدا لهم من معاني الحب وحدا بهم إلى جانب القرب حادي، وشاهدوا مجد الجمال من مطالع الأزل، وعاينوا عز الكمال في طوالع الحلل، وسمعت بصائرهم إلى مطالعة عوالم الغيب ومعالم التوحيد، وسرت سرائرهم إلى مشاهدة القدس ومعارج التفريد، وشخصت أبصارهم إلى رقوم الفتح في ديوان الكشف عن محيا ذلك الجناب، واتكأت أفئدتهم على آرائك الأنس، في مقاصير القدس بين تلك القباب، وجلست أسرارهم على بساط البسط، وارتاحت أرواحهم برياحين الخطاب، فإن صمت صامتهم فلشهود حق اليقين، وإن نطق ناطقهم فلورود أمر يقين، وإن خامر نفس مريدهم خوف فأمنوا مكر الله، أو باشر قلوبهم زجرو يحذركم الله نفسه ناجاها مخاطب لا تخافا إنني معكما، ونطقت شواهد السعادة قائلة: بشراكم اليوم، وقال سفير الجودي: وأما بنعمة ربك فحدث، وإن أخرج لمرادهم مرسوم وائتوني به أستخلصه لنفسي من ديوان يختص برحمته من يشاء، جذبته يد اصطفينا من عبادنا إلى حضرة سلام قولاً من رب رحيم، وقدم إلى مجلس وسقاهم ربهم شراباً طهورا، واستقبله وجه فخذ ما آتيتك فمد باع رب اشرح لي صدري، فهتف به محب نبىء عبادي فأخبر لسان صدقه ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، وإن ثبت قطبهم على طريق من يطع الرسول استقام على سبيل وما آتاكم الرسول فخذوه، واستمسك بعروة إن كنتم تحبون الله اتصل بنسب من تبعني فإنه مني، وسقى عرق حاله صاحب قاب قوسين وأمده بفيض من بحر، وما ينطق عن الهوى، وإن قرأت مكتوب سعدهم فيحبهم ويحبونه، وإن نظرت منثور مجدهم فرضي الله عنهم، وإن سألت عن مقامهم فعند مليك مقتدر، وإن حددت وصفهم فأولئك أعظم درجة عند الله، وإن كبر ما ظهر منهم فما تخفي صدورهم أكبر، وإن علمت نفس ما أحضرت لهم العناية فلا تعلم نفس ما أخفي لهم، كيف وقد ورد أن الله تعالى أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن لي عباداً يحبونني وأحبهم، ويشتاقون إليَّ، وأشتاق إليهم، ويذكرونني وأذكرهم، وينظرون إليَّ وأنظر إليهم، قال: يا رب وما علامتهم؟ قال: يحنون إلى

غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنهم الليل واختلط الظلام بالظلام، وفرشت الفرش ونصبت الأسرة، وخلا كل حبيب بحبيبه، نصبوا إلي أقدامهم وافترشوا إلي وجوههم، وناجوني بكلام فبين صارخ وباك، وبين متأوه وشاك، وبين قائم وقاعد، وبين راكع وساجد، فبعيني ما يتحملون من أجلي، وبسمعي ما يشكون من حبي أول ما أعطيتهم أن أقذف في قلوبهم من نوري فيخبرون عني كما أخبر عنهم، والثاني لو كانت السماوات السبع والأرض في ميزان أحدهم لاستقللتها له، والثالث إن أقبل بوجهي الكريم عليهم أفترى من أقبلت بوجهي الكريم عليه، يعلم أحد ما أريد أن أعطيه فعليك يا أخي باتباعهم لعلك أن تكون من أتباعهم، وسلم لهم ما ترى وما تسمع تنل من السعادة منزلاً أرفع، والله تعالى أسأل أن يكحل أبصارهم بصائرنا بنور هدايته، ويسدد قواعد عقائدنا بحسن رعايته.

أخبرنا الشيخ العالم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ العلامة عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي المقدسي الحنبلي بالقاهرة سنة أربع وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد الخطيب المعروف بابن المنصوري، والشيخ أبو الحسن بن علي بن سليمان بن أبي المعز المعروف بالخباز ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ القدوة أبو القاسم عمر بن مسعود المعروف بالبزار البغدادي سنة ثلاث وستين وستمائة.

قال: سمعت الشيخ العالم الرباني نجيب الدين عبد القاهر بن عبد الله السهروردي رضي الله عنه ببغداد سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

يقول: كنت عند الشيخ حماد الدباس رضي الله عنه في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، وكان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه يتكلم بكلام عظيم، فقال له الشيخ حماد: يا عبد القادر لقد تكلمت بالعجب، أما تخاف أن يمكر الله بك، فوضع الشيخ عبد القادر كفه على صدر الشيخ حماد وقال له: انظر بعين قلبك ما في كفي مكتوباً، فسها الشيخ حماد سهوة، ثم رفع الشيخ عبد القادر كفه عن صدر الشيخ حماد، فقال الشيخ حماد: نظرت في كفه أنه أخذ من الله تعالى سبعين موثقاً أن لا يمكر به، قال الشيخ حماد: لا بأس بعدها، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أخبرنا الشريف الجليل أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي عبد اللّه محمد بن أبي الغنائم محمد بن الأزهري بن أبي المفاخر محمد الحسني الدمشقي، ثم البغدادي بالقاهرة سنة خمس وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو الفرج أبي وكان قد خدم الشيخ عبد القادر خمس عشرة سنة وعمر ح.

وأخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن أبي المفاخر الحسن بن فتيان بن محمد ابن أحمد الكوفي الأصل الأربلي، ثم البغدادي بالقاهرة سنة خمس وستين وستمائة.

قال: أخبرنا القاضي قاضي القضاة أبو صالح نصر بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الجيلي البغدادي سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرزاق سنة ستمائة قال: قيل للشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: متى علمت أنك ولي اللّه؟

قال: كنت وأنا ابن عشر سنين في بلدنا أخرج من دارنا وأذهب إلى المكتب فأرى الملائكة تقول للصبيان: افسحوا لولي اللّه حتى يجلس، فمر بنا رجل لم أعرفه يومئذٍ فسمع الملائكة يومئذٍ تقول ذلك فقال لأحدهم: ما هذا الصبي؟ فقال له: سيكون له شأن عظيم، هذا يعطى فلا يمنع، فيمكن فلا يحجب، ويقرب فلا يمكر به، ثم عرفت ذلك الرجل بعد أربعين سنة فإذا هو من أبدال ذلك الوقت.

قال: وكنت يومئذٍ صغيراً في بلد أهلي كلما أهممت أن ألعب مع الصبيان سمعت قائلاً يقول لي: إلى أين يا مبارك؟ فأهرب فزعاً، وألقي نفسي في حجر أمي، وإني لا أسمع الآن هذا في خلوتي.

قال: وكنت وأنا شاب في أيام سياحتي أسمع يقال لي: يا عبد القادر واصطنعتك لنفسي، أسمع الصوت ولا أرى القائل.

وكنت في زمن مجاهدتي إذا أخذتني سنة أسمع قائلاً يقول: يا عبد القادر ما خلقتك للنوم، قد أحببناك ولم تك شيئاً، فلا تغفل عنا وأنت شيء.

أخبرنا الشيخ أبو محمد علي بن إزدمر المحمدي، وأبو محمد عبد الواحد ابن صالح بن يحيى بن محمد القرشي البغدادي الحنبلي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ محيي الدين أبو عبد اللّه محمد بن علي بن محمد بن خالد البغدادي، المعروف بالتوحيدي ببغداد سنة إحدى وأربعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشريف أبو القاسم هبة اللّه بن عبد اللّه بن أحمد الخطيب المعروف بابن المنصوري ببغداد سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان القدوة أبو مسعود أحمد بن أبي بكر الحريمي العطار، والشيخ القدوة أبو عبد اللّه محمد بن قائد الأواني سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

قالا: تكلم الشيخ صدقة البغدادي رضي اللّه عنه بكلام أنكر عليه فيه بطريق الشرع، فطولع به إلى الخليفة فأمر بإحضاره إلى باب المتولي وتعزيره، فلما أحضروه وكشف رأسه صاح خادمه وشيخاه، فشلت يد الذي هم بضربه، وألقى اللّه سبحانه وتعالى الهيبة في قلب المتولي عليه، فطالع الوزير بذلك إلى الخليفة فألقى اللّه سبحانه وتعالى الهيبة في قلب الخليفة، فأمر بإطلاقه، فدخل إلى رباط الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه، فوجد المشايخ والناس جلوساً ينظرون خروج الشيخ ليتكلم عليهم، فجاء فجلس بين المشايخ، فلما صعد الشيخ على الكرسي لم يتكلم ولم يأمر القارىء بالقراءة، وأخذ الناس وجد عظيم وداخلهم أمر جليل.

فقال الشيخ صدقة في نفسه: لم يتكلم والقارىء لم يقرأ فممَّ هذا الوجد؟ فالتفت الشيخ إلى جهته وقال: يا هذا جاء لي مريد من بيت المقدس إلى هنا في خطوة وتاب على يدي، والحاضرون اليوم في ضيافته.

فقال الشيخ صدقة في نفسه: من تكون خطوته من بيت المقدس إلى بغداد فمم يتوب؟ وما احتياجه إلى الشيخ؟ فالتفت الشيخ إلى جهته وقال: يا هذا يتوب من الخطو في الهواء فلا يرجع إليه، ويحتاج أن علمه الطريق إلى محبة اللّه عز وجل، ثم قال: أنا سيفي مشهور، وقوسي موتور، ونبالي مفوقة، وسهامي صائبة، ورمحي مصوب، وفرسي مسرج، أنا نار اللّه الموقدة، أنا سلاب الأحوال، أنا بحر بلا ساحل، أنا دليل الوقت، أنا المتكلم في غيري، أنا المحفوظ أنا الملحوظ، يا صوام يا قوام يا أهل الجبال دكت جبالكم، يا أهل الصوامع هدت صوامعكم، أقبلوا إلى أمر من أمر اللّه، أنا أمر من أمر اللّه يا بنيات الطريق، يا رجال يا أبطال يا أطفال، هلموا وخذوا عن البحر الذي لا ساحل له، يا عزيز أنت واحد في السماء وأنا واحد في الأرض، يقال لي بين الليل والنهار سبعين مرة، وأنا اخترتك لنفسي ولتصنع على عيني، يقال لي: يا عبد القادر تكلم يسمع منك، يقال لي: يا عبد القادر بحقي عليك كل، بحقي عليك اشرب، بحقي عليك تكلم، وأمنتك من الردى.

أخبرنا أبو محمد عبد السلام بن أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن إبراهيم بن عبد السلام البصري الأصل، البغدادي المولد والدار بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان البغدادي الخباز ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ أبو القاسم عمر بن مسعود البزار، والشيخ أبو حفص عمر الكيماتي ببغداد سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

قالا: كان شيخنا الشيخ عبد القادر يمشي في الهواء على رؤوس الأشهاد في مجلسه، ويقول: ما تطلع الشمس حتى تسلم علي وتجيء السنة إلي وتسلم علي وتخبرني بما يجري فيها، ويجيء الشهر ويسلم علي ويخبرني بما يجري فيه، ويجيء الأسبوع ويسلم علي ويخبرني بما يجري فيه، ويجيء اليوم ويسلم علي ويخبرني بما يجري فيه، وعزة ربي إن السعداء والأشقياء ليعرضون على عيني في اللوح المحفوظ، أنا غائص في بحار علم الله ومشاهدته، أنا حجة الله عليكم جميعكم، أنا نائب رسول الله ﷺ ووارثه في الأرض.

أخبرنا أبو محمد بن الحسن بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن الشيخ أبي القاسم دلف بن أحمد بن محمد البغدادي الحريمي المعروف جده بابن قوقا بالقاهرة سنة ست وستين وستمائة.

قال: أخبرنا جدي محمد ببغداد سنة خمس وعشرين وخمسمائة. قال: أخبرنا أبي أبو القاسم دلف سنة إحدى وتسعين وستمائة. قال: كنت أنا وأبو السعود أبو بكر الحوضي والشيخ أبو الخير بشر بن محفوظ بن عنيمة، والشيخ أبو حفص عمر الكيماتي، والشيخ أبو العباس أحمد الإسكافي، والشيخ سيف الدين عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر جلوساً عند شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه آخر نهار يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة سنة ستين وخمسمائة، وهو يتكلم علينا، فجاء شاب حسن الصورة وجلس إلى ناحية الشيخ، وقال: السلام عليك يا ولي الله أنا شهر رجب جئتك أهنيك وأعلمك بما قدر أن يكون في، هو عام خير على الناس، قال: فلم يرَ الناس في شهر رجب ذلك إلا خيراً، فلما كان يوم الأحد سلخه جاء شخص كريه المنظر ونحن أيضاً عنده، وقال: السلام عليك يا ولي الله أنا شهر شعبان؛ جئتك لأهنيك وأعلمك بما يكون في فناء ببغداد، وغلاء بالحجاز، وسيف بخراسان.

قال: فوقع فيه فناء كبير ببغداد، وجاء الخبر بالغلاء الشديد بأرض الحجاز،

وبالسيف بخراسان، ومرض الشيخ أياماً في رمضان، فلما كان يوم الإثنين التاسع والعشرين منه ونحن أيضاً عنده وكان يومئذٍ حاضراً عنده الشيخ علي بن الهيتي، والشيخ نجيب الدين عبد القاهر السهروردي، والشيخ أبو الحسن الجوسقي، والقاضي أبو يعلى محمد بن البراء، فجاء شخص بهي السمت عليه وقار وقال: السلام عليك يا ولي الله أنا شهر رمضان، جئتك أعتذر إليك مما قدر عليك فيَّ، وأودعك فهذا آخر اجتماعي بك، ثم انصرف.

قال: فمات الشيخ رضي الله عنه في ربيع الآخر من السنة الثانية، ولم يدرك رمضان آخر. قال: وسمعته غير مرة على الكرسي يقول: لله تعالى عباد يأتي إليهم شهر رمضان فيعتذر إليهم إن كانوا مرضوا في أيامه، أو أصابتهم فاقة. يقول لهم: كيف أنتم مما قضي عليكم فيَّ.

قال: وقال لي ولده الشيخ سيف الدين عبد الوهاب رحمه الله: ما من شهر إلا ويأتي إليه قبل أن يهلَّ، فإن كان قد قدر الله تعالى فيه سوء وشدة جاء في صورة منكرة، وإن كان قد قدر الله تعالى فيه نعمة وخيراً وبركة وسلامة جاء في صورة جميلة.

قال: وقال لي ولداه عبد الوهاب وعبد الرزاق: كان الشيخ إذا أقبل عليه أحد من الناس ورآه من بعيد يقول بحيث لا يسمع: مرحباً بحبيب الله، فنرى على ذلك الرجل من علامات الخير والإقبال على الله تعالى ما يستدل به على صحة قوله، وكان في الناس من إذا أقبل عليه ورآه من بعيد يقول بحيث لا يسمع: لا مرحباً بطريد الله، فنرى على ذلك الرجل من علامات الطرد والإعراض عن الله تعالى ما يستدل به على صحة قوله رضي الله عنه.

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي بن عبد الله بن سنان الدمياطي المصري المولد بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة شهاب الدين أبو حفص عمر بن عبد الله السهروردي ببغداد سنة أربع وعشرين وستمائة.

قال: سمعت الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يقول على الكرسي بمدرسته: كل ولي على قدم نبي، وأنا على قدم جدي ﷺ، وما رفع المصطفى ﷺ قدماً إلا وضعت أنا قدمي في الموضع الذي رفع قدمه منه، إلا أن يكون قدماً من أقدام النبوة، فإنه لا سبيل أن يناله غير نبي.

أخبرنا أبو علي الحسن بن نجم الدين بن عيسى بن محمد الحوراني بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو محمد علي بن إدريس اليعقوبي بها سنة سبع عشرة وستمائة.

قال: سمعت الشيخ عبد القادر يقول :الإنس لهم مشايخ والجن لهم مشايخ والملائكة لهم مشايخ، وأنا شيخ الكل.

قال: وسمعته في مرض موته يقول لأولاده: بيني وبينكم وبين الخلق كلهم بعد ما بين السماء والأرض لا تقيسوني بأحد ولا تقيسوا علي أحداً.

قال: وسمعته أيضاً يقول لولده عبد الجبار أنت نائم أو منتبه موتوافى وقد انتبهتم.

أخبرنا الفقيه أبو عبد اللّه محمد بن عبد الملك بن علي بن جعفر بن درارة القرشي المحدث بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن سليمان بن حميد بن إبراهيم بن مهلهل القرشي المخزومي البلبلي الشافعي المعروف بابن كيسا بالقاهرة، سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي الحنبلي بالقاهرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة.

وأخبرنا الفقيه أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر بن مذهب بن أبي علي القرشي، ثم البغدادي بالقاهرة، سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد اللّه محمد بن محمود بن النجار البغدادي بها سنة تسع وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن أبي نصر بن محمود بن أبي القاسم المبارك بن محمود الحنابذي الأصل البغدادي المولد والدار، المعروف بابن الأخضر ببغداد سنة ست عشرة وستمائة.

قال: سمعت الشيخ أبا محمد عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه يقول: أنا من وراء أمور الخلق، أنا من وراء عقولهم كل رجال الحق إذا وصلوا إلى القدر أمسكوا إلا أنا وصلت إليه وفتح لي منه روزنة فأولجت فيها ونازعت أقدار الحق بالحق للحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له.

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح محمد ابن الشيخ أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل بن أحمد بن علي القرشي التيمي البكري البغدادي الفثلقني بالقاهرة، سنة ثمان وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ أبي المجد المبارك ابن محمد الطاهري البغدادي الحريمي، سنة خمس عشرة وستمائة، والشيخ أبو الحسن الخفاف البغدادي بها سنة عشر وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي العطار ببغداد سنة ثمانين وخمسمائة.

قال: سمعت شيخنا الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه يقول: طوبى لمن رآني أو رأى من رآني أو رأى من رأى من رآني، وأنا حسرة على من لم يرني.

أخبرنا أبو محمد عبد الواحد بن صالح بن يحيى بن محمد القرشي البغدادي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان البغدادي المعروف بالخباز، والشيخ أبو الوليد بن سعيد البغدادي بها سنة ثلاثين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ القاسم عمر بن مسعود البزار برباطه بالقاهرة، سنة خمس وستمائة..

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الحسن علي بن الهيتي الزيراني ببغداد سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

قال: زرت مع الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه قبر معروف الكرخي رضي اللّه عنه فقال: السلام عليك يا شيخ معروف عبرتنا بدرجة، ثم زاره مرة أخرى، وأنا معه فقال: السلام عليك يا شيخ معروف، عبرناك بدرجتين، فقال له من القبر: وعليك السلام يا سيد أهل زمانه، قال: وكان قد قال لأصحابه أنه قد سلمت إلي العراق، ثم بعد مدة قال لهم قد كنت عهدت إليكم أن قد سلمت إلي العراق، والآن قد سلمت إلي الأرض، شرقها وغربها، قفرها وعمرانها، وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها.

قال: ولم يبق أحد من الأولياء في ذلك الوقت إلا وقد أتاه وسلم عليه احتراماً للقطبية رضي اللّه عنه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي زكرياء البغدادي.

قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ابن شيخ الإسلام محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلي ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرزاق، وأخبرنا الشيخ أبو محمد الحسن ابن

الفقيه أبي عمران موسى بن أحمد بن الحسين القرشي الشافعي بالقاهرة سنة تسعين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي القرشي بدمشق سنة ثلاث عشرة وستمائة.

قال: سمعت الشيخ أبا محمد عبد القادر رضي اللّه عنه يقول: إذا سألتم اللّه حَاجة فاسألوه بي.

أخبرنا أبو العفاف موسى ابن الشيخ أبي المعالي عثمان بن موسى بن عبد اللّه بن عبد الدائم بن مجلي البقاعي الأصل، العقبي الدمشقي الدار، ثم القاهرة بها سنة سبع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي بدمشق سنة أربع عشرة وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ العارف أبو عمرو عثمان الصريفيني، والشيخ الصالح أبو محمد عبد الحق الحريمي ببغداد، سنة سبع وستين وخمسمائة.

قالا: سمعنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه يقول على الكرسي: يا أهل الأرض شرقاً وغرباً، ويا أهل السماء، قال اللّه تعالى: ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ [النحل:٨]، أنا مما لا تعلمون، يا أهل الأرض شرقاً وغرباً، تعالوا تعلموا مني، يا أهل العراق الأحوال عندي كثياب معلقة في بيتي، أيها شئت لبست، فعليكم بالسلامة أو لآتينكم بجنود لا قبل لكم بها، يا غلام سافر ألف عام لتسمع مني كلمة، يا غلام الولايات هاهنا الدرجات هاهنا في مجلسي تفرق الخلع، وما من نبي خلقه اللّه تعالى، ولا ولي إلا وقد حضر مجلسي هذا، الأحياء بأبدانهم والأموات بأرواحهم، يا غلام اسأل عني منكراً ونكيراً عند مجيئهما إلى قبرك فيخبراك عني.

أخبرنا الشيخ الفقيه أبو الحسن علي ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن المبارك ابن أسباط بن محمد البغدادي الحريمي الشافعي بالقاهرة، سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الفقيه عبد القادر بن عثمان بن أبي البركات بن علي بن رزق اللّه بن عبد الوهاب التيمي البرداني الحنبلي ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن أبي طاهر أحمد بن محمد ابن هبة اللّه الترمسي البغدادي الحنبلي الصوفي ببغداد، سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

قال: كان شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه إذا تكلم بالكلام العظيم يقول عقيبه باللّه عليكم قولوا صدقت، إنما أتكلم عن يقين لا

شك فيه، إنما أنطق فانطق وأعطي فافرق وأومر فافعل، والعهدة على من أمرني والديه على العاقلة، تكذيبكم لي سم ساعة لأديانكم، وسبب لإذهاب دنياكم وأخراكم، أنا سياف أنا قتال، ويحذركم اللّٰه نفسه لولا لجام الشريعة على لساني، لأخبرتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم، أنتم بين يدي كالقوارير يرى ما في بواطنكم وظواهركم، لولا لجام الحكم على لساني لنطق صاع يوسف بما فيه، لكن العلم مستجير بذيل العالم كي لا يبدىء مكنونه.

أخبرنا أبو محمد ماجد بن خالد بن أبي بكر بن سيما بن غانم العراقي الخلوتي، ثم البغدادي بالقاهرة، سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو بكر محمد ابن الشيخ عوض بن سلامة العراد البغدادي الصوفي ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم بن أبي بكر أحمد بن أبي السعادات أحمد ابن كرم بن غالب البنذليجي الأصل البغدادي المولد والدار، الأزجي ببغداد، سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

قال: كنت في وقت أكتب عن الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّٰه عنه ما يتكلم به على الكرسي، فكان مما كتبته من كلامه في شهر المحرم سنة إحدى وستين وخمسمائة.

قوله: قلبي في مكنون علم اللّٰه عز وجل في زاوية عن الخلق، ملك على باب الحق سبحانه، أظهره قبلة لكل وارد من أهل زماني، وأصل من وراء الإغلاق على بساط الأنس والقرب جالس، والملك الفرد له مؤانس مطلع على أسرار الخليقة ناظر إلى وجوه القلوب قد صفاه الحق عن دنس رؤية سواه حتى صار لوحاً ينقل إليه ما في اللوح المحفوظ، وسلم إليه أزمة أمور أهل زمانه وصرفه في عطائهم ومنعهم، وقال له بلسان الغيب إنك اليوم لدينا مكين أمين، وأقعده مع أرواح أهل اليقين على دكة بين الدنيا والآخرة، بين الخلق والخالق بين الظاهر والباطن، بين ما يدرك وبين ما لا يدرك، وجعل له أربعة وجوه: وجه ينظر به إلى الدنيا، ووجه ينظر به إلى الآخرة، ووجه ينظر به إلى الخلق، ووجه ينظر به إلى الخالق، وصيره خليفة في أرضه وعوالمه، فإذا أراد به أمراً قلبه من صورة إلى صورة، ومن هيئة إلى هيئة فأطلعه على خزائن الأسرار لأنه مفرد الملك ونائب أنبيائه، وأمين مملكته في وقته، وله في كل يوم وليلة ثلاثمائة وستون نظرة إليه.

ذكر فصول من كلامه مرصعاً بشيء من عجائب أحواله مختصراً

من رام أن يدرك الشأو من هذا المعنى أو يبلغ الحد من هذا المبنى فقد نزعت همته إلى أمنية قاص منالها، وارتقت عزيمته إلى ذروة صعب مجالها، فإن دون مرامه من سعتها أمداً بعيداً، ووراءه من فيضها مدداً سديداً إذا هي غاية لن يملكها عدد الحساب، ومادة لن ينهبها مدد الكتاب، ومهمه ما أضاء فيه قبس إحاطة الإخبار حلبة ما جرى إليها سابق حصر الإكبار، ومدرك ما أنيط به سبب استقصاء إلا انقطع قاصراً، وفرض ما صوب إليه سهم إحصاء إلا انفصم حائراً، وكيف لا وقد أخبرنا الفقيه الأصيل عبد الأحد ابن الشيخ العارف أبي المجد عبد الصمد عن عبد الكريم بن حسن بن محمد القرشي التميمي، البغدادي الأزجي الشافعي القاهري بها، سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر ابن الإمام عبد الرزاق، والشيخ أبو الحسن علي بن سليمان الخباز ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال أبي: أخبرنا الشيخ الحافظ تاج الدين أبو بكر عبد الرزاق ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الجيلي، بمدرسته ببغداد بباب الأزج سنة ستمائة، والشيخ الإمام أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الفقيه النحوي الضرير، ببغداد سنة ثلاث وستمائة.

وقال أبو صالح: أخبرنا أبي عبد الرزاق وعماي عبد الوهاب، وإبراهيم ببغداد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

وقال أبو الحسن العمراني الكيماتي والبزار ببغداد سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

قالوا: حضرنا عند الشيخ محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلي رضي الله عنه بمنزله بمدرسته بباب الأزج سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وهو يأكل تيناً فترك الأكل وسها سهوة طويلة، ثم **قال:** قد فتح لقلبي الآن سبعون باباً من العلم اللدني، سعة كل باب منها سعة ما بين السماء والأرض، ثم تكلم في معارف أهل الخصوص كلاماً طويلاً اندهش له الحاضرون، وقلنا ما نظن أن أحداً يتكلم بمثل هذا الكلام من بعد الشيخ.

أخبرنا الفقيه أبو أحمد عبد الملك بن عبد المحمود بن يوسف بن عثمان العراقي الصرصري بالقاهرة، سنة اثنتين وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ أبو زكرياء يحيى بن يوسف بن زكرياء بن يحيى الأنصاري الصرصري، والشيخ كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن وضاح الشهربان ببغداد، سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الحسن علي بن أبي بكر بن إدريس اليعقوبي بها سنة اثنتي عشرة وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الحسن علي بن الهيتي الزيراني بها سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

قال: ما رأيت أحداً من أهل زماني أكثر كرامات من الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّٰه عنه، وكان لا يشاء أحد أن يرى منه كرامة في أي وقت شاء إلا رآها، وكانت الخارقة تظهر أحياناً منه، وأحياناً فيه.

وأخبرنا أبو المعالي صالح بن أحمد بن علي بن أبي القاسم بن عبد اللّٰه اللخمي البغدادي القروي المالكي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ أبو محمد الحسن البغدادي المعروف بالمطرز ببغداد سنة خمس وعشرين وستمائة.

قال أبو محمد الحسن: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي به سنة ثمانين وخمسمائة.

قال: أخبرنا شيخنا أبو عمرو عثمان الصريفيني، قال: واللّٰه ما أظهر اللّٰه تعالى، ولا يظهر إلى الوجود مثل الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّٰه عنه، كانت كراماته كالعقد المنضد بالجواهر يتبع بعضها بعضاً، وكان الرجل منا لو أراد أن يعد منها كل يوم أشياء لفعل.

قال أبو الحسن وأبو محمد: كان المشايخ بالعراق يستعظمون قولهما ولا يظهروه لأنهما لو لم يطلعهما على المستقبل لم يخبرا عنه، ولا غرو إن وردت من بحر لجي كنعبة طائر أو أزيل من كوكب دري غبار غابر، وهل يدني مثال الشمس في البيداء، وخد ويحصى نثار الزهر في الروض عد؟ فاحذروا أيها السادة الغر، فلا محيط بما في المحيط من الدر، وفيما سنذكر لذي اللب كفاية واللّٰه ولي التوفيق والهداية.

أخبرنا الفقيه أبو الفتح نصر اللّٰه بن القاسم يوسف بن خليل بن أحمد الهاشمي البغدادي الكرخي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا القاضي أبو صالح نصر بن الحافظ تاج الدين أبو بكر عبد الرزاق ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي عبد الرزاق ببغداد وعمي عبد الوهاب والعمران الكيماتي والبزار سنة تسعين وخمسمائة.

قالوا: سمعنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة يقول على الكرسي: رأيت رسول اللّه ﷺ قبل الظهر يوم الثلاثاء السادس عشر من شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، فقال لي: يا بني لم لا تتكلم؟ قلت: يا أبتاه أنا رجل أعجمي كيف أتكلم على فصحاء العرب ببغداد؟ قال لي: افتح فاك، ففتحته، فتفل فيه سبعاً، وقال لي تكلم على الناس، وادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير، فارتج علي فرأيت علياً بن أبي طالب كرم اللّه وجهه قائماً بإزائي في المجلس، فقال لي: يا بني لم لا تتكلم؟ فقلت يا أبتاه قد ارتج علي، فقال افتح فاك، ففتحته، فتفل فيه ستاً، فقلت: لم لا تكملها سبعة؟ فقال: أدباً مع رسول اللّه ﷺ، ثم توارى عني فقلت: غواص الفكر يغوص في بحر القلب على در المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر، فينادي عليها سمسار ترجمان اللسان فتشترى بنفائس أثمان حسن الطاعة في بيوت أذن اللّه أن ترفع، قالوا: هذا أول كلام تكلم به الشيخ للناس على الكرسي رضي اللّه عنه.

أخبرنا الشيخ الشريف الجليل أبو العباس أحمد ابن الشيخ أبي عبد اللّه محمد بن أبي الغنائم محمد الأزهري بن أبي المفاخر محمد المختاري الحسيني البغدادي بالقاهرة، سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي بدمشق سنة تسع وعشرين وستمائة، قال: حضرت مجلس شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه في سنة خمس وستمائة، وكان في المجلس يومئذ نحو عشرة آلاف رجل، وكان الشيخ علي بن الهيتي رضي اللّه عنه جالساً تجاه الشيخ تحت دكة المقري، فأخذته سنة فقال الشيخ للناس: اسكتوا فسكتوا حتى يقول القائل إنه لا يسمع منهم إلا أنفاسهم، ثم نزل من أعلى الكرسي ووقف بين يدي الشيخ متأدباً، وجعل يحدق إليه، ثم استيقظ الشيخ علي بن الهيتي فقال له الشيخ: أرأيت النبي ﷺ في المنام؟ فقال: نعم، قال: من أجله تأدبت، قال: فما أوصاك؟ قال: بملازمتك، قال: فسئل الشيخ علي عن معنى قول الشيخ: من أجله تأدبت، قال: الذي رأيته في المنام رآه هو في اليقظة، قال: ومات في ذلك اليوم سبعة رجال منهم من مات مكانه في المجلس، ومنهم من حمل إلى داره مغشياً عليه ثم مات من يومه.

وقال رضي اللّه عنه في آدم عليه السلام: لما سمعت الملائكة بأذان العقول قوله تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة، ولمع لها من أفق العناية برق المجعول بيده، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي، قالت: إلهنا أين يكون هذا الخليفة؟ قال: في نقطة خط الأرض، قالت بلسان الاعتراض: أتجعل فيها، كيف لمع هذا البارق من سحاب التراب؟ هل التراب إلا محل الظلمة، هل الصلصال إلا مركز العيب لا الغيب؟ إلهنا نحن رهبان صوامع الصفح الأعلى، نحن شيوخ صفة الصفا، نحن سكان مقام ربط يسبحون الليل والنهار، ولا يفترون، قال لهم مجيب القدر أخطأ فاسد نظركم في تأملكم، أما علمتم أن في الأرض معدن الياقوت، وأن الجواهر من بحارها تستخرج، وأن أشخاص الأنبياء من معادن أخرجت، وأن غرائب أسرار القدم كنوزها دفنت، وجسد الصفي آدم من عناصرها ركب، فلما استخرج القدر شكلاً ألقي من نطفة إني خالق بشراً ومد على صفحة لوح الكون بيد، فإذا سويته وصار ذاتاً آدمية، بسابق علم فعال لما يريد ووضع طفله في حجر اصطفى آدم وربي في مهد، وعلم آدم الأسماء، رأت الملائكة ذاتاً صلصالية الهيكل، ولمحت عليه أسرار، ونفخت فيه من روحي، وأشرق لها من شرق الطين صباح اسجدوا لآدم، ورأت عليه خلعة، وقلنا يا آدم اسكن، وأخذت عليه علم يا آدم أنبئهم، فقالت الملائكة: اجلس في دست السلطنة عزيز، وصل إلى مصر الفخر عاشق هب عليه نسيم وصل محبوبه عز تنقل من أشباح الملائكة إلى الحمأ المسنون، اشتهى آدم أن يخله في حضرة القدس بها بجذع صاحب فوسوس عن قول: إن لك أن لا تجوع فيها، دخل عليه عدو من نامة هل أدلك على شجرة الخلد، غره بأباطيل ما نهاكما ربكما كانت الشجرة شمعة نصبت لفراش زوجه، حامت حولها بأجنحة، فأكلا منها فاحترقت بلهب ألم أنهكما، جذبت ما فيه من ظلمة الأرض إلى غفلة وعصي، فاستدرك بما فيه من نور السماء فقال: ربنا ظلمنا أنفسنا، بكى على فرقة محله الأول، قال: من أين لي جلد على فراق محبوبي، قيل: يا آدم المعتبة حجاب بينك وبين ربك، حضرته طاهرة لا توطأ بأقدام ملوثة بمخالفة المحبوب، أكد أسباب هجرة كيف تقيم في دار عصيت فيها صاحبها، فقال لسان الحال: إلهي محتوم قضاؤك لا يرد باجتهاد، وسهام قدرك لا تدفع بدروع الحيل، ما عصيتك جراءة عليك بل غفلة، وما خالفت أمرك إلا لأمر كتب علي، قيل: يا آدم أنين العاصين أحب إلينا من زجل المسجين، الاعتراف بالذنب كفارته، وإني لغفار لمن تاب، قد كتبنا لك قبل زلة، وعصاً منشور فتاب عليهم، وقبلنا قبل خلقك عذر فنسي، ولم نجد له عزماً.

أخبرنا أبو الحسن علي بن نجيم بن عيسى الحوراني، وعلي بن عيسى الجوسقي، وأبو محمد رجب بن أبي منصور بن نصر اللّه الداري بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قالوا: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن إدريس اليعقوبي بها سنة سبع عشرة وستمائة.

وأخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن الحسن بن فتيان الأربلي بالقاهرة سنة خمس وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر ابن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي سنة أربع وتسعين وخمسمائة ح.

وأخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن دلف المعروف جده بابن قوقا بالقاهرة سنة ست وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الأشياخ الثلاثة؛ الشيخ أبو القاسم هبة اللّه بن عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن المنصوري ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة، والشيخ أبو عمرو عثمان المعروف بالقصير، والشيخ أبو الحسن علي بن سليمان المعروف بابن الخباز ببغداد سنة تسع وثلاثين وستمائة.

قال أبو القاسم: أخبرنا أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي المعروف بالمدلل ببغداد سنة ست وسبعين وخمسمائة.

وقال ابو عمر وأبو الحسن: أخبرنا العمران الكيماتي والبزار ببغداد سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

قالوا: قال الشيخ أبو محمد عبد الرحمن الطفسونجي رضي اللّه عنه على الكرسي بطفسونج: أنا بين الأولياء كالكركي بين الطيور، أطولهم عنقاً، فقام الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الحبي وكان ذا حال فاخر ونزع دلقاً كان عليه وقال: دعني أصارعك، فسكت الشيخ عبد الرحمن وقال لأصحابه: ما رأيت فيه شعرة خالية من عناية اللّه تعالى، وأمره أن يلبس دلقه، فقال لا أعود فيما خرجت عنه، ثم التفت إلى جهة الحبة، ونادى باسم زوجته يا فاطمة ائتني بما ألبسه، فسمعته وهي في الحبة، وتلقته في الطريق بما يلبس، قال له الشيخ عبد الرحمن: من شيخك؟ قال: شيخي الشيخ عبد القادر، فقال: إني لم أسمع بذكر الشيخ عبد القادر إلا في الأرض، وإن لي أربعين سنة في دركات باب القدرة ما رأيته، ثم

قال لجماعة من أصحابه: اذهبوا إلى بغداد وأتوا إلى الشيخ عبد القادر، وقولوا له: يسلم عليك عبد الرحمن ويقول لك: إن له أربعين سنة في دركات باب القدرة فما رآك، ثم لا داخلاً ولا خارجاً. فقال الشيخ عبد القادر في ذلك الوقت لعباد البواب ومظهر الجمال، وعبد الحق الحريمي، وعثمان الصريفيني: اذهبوا إلى طفسونج وستجدون في طريقكم جماعة من أصحاب الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي بعثهم إلي بكذا وكذا وذكر الرسالة، فإذا لقيتموهم فردوهم معكم فإذا أتيتم الشيخ عبد الرحمن فقولوا له: عبد القادر يسلم عليك ويقول لك أنت في الدركات، ومن هو في الدركات لا يرى من هو في الحضرة، ومن هو في الحضرة لا يرى من هو في المخدع، أنا في المخدع أدخل وأخرج من باب السر من حيث لا تراني بأمارة أن خرجت لك الخلعة الفلانية في الوقت الفلاني على يدي، خرجت لك وهي خلعة الرضا، وبأمارة خروج التشريف الفلاني في الليلة الفلانية لك على يدي خرج وهو تشريف الفتح، وبأمارة أن خلع عليك في الدركات بمحضر اثني عشر ولياً لله خلعة الولاية وهي فرجية خضراء طرزها سورة الإخلاص على يدي خرجت لك، فانتهوا إلى نصف الطريق، فوجدوا أصحاب الشيخ عبد الرحمن، فردوهم وأتوا إليه وبلغوه رسالة الشيخ عبد القادر، فقال: صَدق الشيخ عبد القادر سلطان الوقت وصاحب التصريف فيه.

وقال رضي الله عنه في موسى عليه السلام: كان موسى عليه السلام طفلاً نشأ في مهد عهد القدم صغيراً تغذى بلبن ولتصنع على عيني، صبيًّا ربي في جحر واصطنعتك لنفسي، والقي في التابوت شبه من يموت، فقذفته أمه في اليم خوفاً من فتنة يذبح، أوقعه القدر في كفالة عدوه بواسطة قرة عين لي ولك، ورده إلى أمه بشفاعة لا تقتله، وسلم من القتل بمقالة عسى أن ينفعنا، ثم نبه طفل عقله لرؤية عجائب الكون عرف الخالق بنور اشرح لي صدري، وما كان جاهلاً ثبوت أحكام القادر، فإن الأنبياء فطروا على نور المعرفة، وجبلت أرواحهم على توحيد صانع الوجود، وإثبات وجود واجب الوجود، انطبعت في مرآة علمه أشكال الأكوان فصار نوراً في فتور حدقة الزمان، وخطب له خطيب آتيناه حكماً، وحرك القدر ساكن عزمه، ونبه بريد الأمر المقضي نائم فكره، فانصب سيل سحابه إلى شعب شعيب أنبت له في أرض مدين نبات إني أريد أن أنكحك أثمر ثمر، فلما قضى موسى الأجل خرج بأهله وقد استبان وضع الحمل والليل كسواد حدق، حور الجنة، والريح تثير عبرات عيون السحاب وسيوف البرق تسل من غمد

الغمام، وأسود الرعود تزمجر في غابات الديم، فطلب قطراً يأوي إليه من القطر ليقدح لزوجه من زند الظلام شراراً، ويطلب في أكناف الوادي المقدس ناراً، هذا والغرام غريم سره، والوجد نديم روحه، والشوق سمير قلبه والتوق جليس فؤاده، والهوى حشو صدره، فلاح له النور في معرض النار نصب لصياد طائر روحه شباك إني أنا اللّه، رأى سطراً من سطور لوح القدر، تجلت لفراسة روحه شمعة الطور، ووقعت رجل عقله في شرك آنس أنيس أفرغ في سمعه كأس صرف شراب أنا اللّه لا إله إلا أنا، أسكره بإدامه شرب مدام كلمه، ودبت فيه نشوات الشوق، وطاحت به طوائح أمواج بحار الوله، غلب على قلبه هيمان العشق، خرقت لذة التكليم منافذ سمعه حتى وصلت إلى بصره فطلب البصر نصيبه من النظر، ووافقه توق القلب فقال: رب أرني أنظر إليك، قيل: يا موسى انظر أولاً إلى مرآة الجبل وحك ذهب ثباتك على محك فإن استقر فاعتبر سكونك عند حركة الصخور لهيبة تجلي، فمادت به أجزاء الطور عند إشراق لمعان ذلك النور، وتعطرت أشجار الوادي المقدس بنسيم القرب، وأرجت رياض البقعة المباركة ببهجة وقت الوصل، وصارت هضبات الطور حدائق لأجل تجلي، وامتلأت جنباته بالملائكة استعظاماً لقوله أرني، وقامت أرواح الأنبياء تترصد ما يكون بعد ذلك، سمع كلاماً لا ككلام البشر خاطبه من ليس من جنس المحدثات، نودي من جميع آفاق جهة الوجود، صارت جملته سمعاً وبصراً، فالتفت بعين سره إلى الطور، ووقع شعاع نور عين عقله على لموع نور مرآة الجبل، انعكست أشعة الميقات دخان برق بصره الحسن ذهلت عين الفكر، خرس لسان الطبع، انقطعت أسباب الحواس، قر لسان حال موسى، وخشعت الأصوات للرحمن، قال المخبر عن صدق طلبه وخر موسى صعقاً، قيل: يا موسى معدة طبعك ضعيفة عن تناول شراب تجلي، أنيق عينيك ضيق عن مقابلة أنوار سبحات أرني أنظر إليك، عين الحدث لا تنفتح في شعاع شمس القدم، ورد النظر لا يطلع في شجر كانون هذا الكون إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا، خلعة النظر في الدنيا مدخرة في خزائن الغيب لصاحب قاب قوسين، هذا الشرف لا يناله في الدنيا سوى سيد ولد آدم ويتيمة عقد البشر، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده، مات موسى عليه السلام بضرب سيف لن تراني، ثم جيء بروح فسوف، وقام على قدم تبت إليك فرفل في حلة إني اصطفيتك، رجع إلى أهله متبرقعاً ببرقع الغيرة إن ترى نور تلك الآثار الأغيار، قالت له صفراء بنت شعيب عليه السلام: يا كليم اللّه إني قد اشتقت إلى نظر وجهك فاكشف لي عنه البرقع لأراه، فقال لها: كيف

أكشف لك وجهاً قابل على صخور جبل الطور بهجة نور تجلى؟ كيف أريك روضاً فاح طيبه من أرج؟ ولكن انظري إلى بقايا شراب وكلمه ربه في كؤوس وجنات سطوات هيبة جعله دكاً، في لمحات أسارير وجهي، قالت: رضيت أن أراه فاموت فقد هان عليَّ بذل نفسي بنظرة إلى زهرات جمال وجهك يا غلام كن في صدق طلبك كبنت شعيب عليه السلام، بع نفسك في طمع نظرة من أهل الحمى، سارع بقطع المنازل وطي المراحل بعزم مجرد من جواذب الإرادات شوقاً إلى رؤية المحبوب وولهاً بنيل المطلوب، وادخل حرم الحرمة وقف موقف العبودية، وأم مجد الوجد فعسى أن تقف بإزاء ليلى الأرواح، وترى مصر يوسف يعقوب القلوب، فإنه أتاك نشر من تلقائهم يحمل نسمة من نور جمالهم فته لشذائه المتضوع، وبع مهجتك بعودة من تألق برقهم غراماً يعود ذلك الوصل، واللّه ما غبن بائع نفسه بنظرة واحدة، النظر عبارة عن الرؤية بالأبصار، ولم ينله مخلوق في هذه الدار، سوى صاحب المقام المحمود، والمشاهدة، عبارة عن الرؤية ببصائر الأسرار تخرج تواقيع مقاماتها من ديوان يختص برحمته من يشاء، أيها المريد الصادق الشواق التواق إن ظفرت بخلعة المشاهدة في خلوة مجلس سرك فلك الهناء، وإن لم تنلها فاستقم على جادة الصدق حتى يأتيك اليقين وتنقل إن شاء اللّه إلى دار الصادقين، فتنظر إلى مطلوبك وتأخذ نصيبك من رؤية محبوبك، الشجاعة صبر ساعة يا غلام، كن موسوي الهمة لا تنفع بدون أرني عيسوي التوحيد، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به، أحمدي الثبات ما زاغ البصر وما طغى، أول أحوال الأنبياء غاية مراقي أقدام الأولياء، بداية أفعال الرسل، أقصى معارج همم العارفين، طوبى لك يا فقير ليلة يقع موسى عقلك في شاطىء وادي عرفانك، في البقعة المباركة من قربك إن أردت أن تعرف ذلك فاطلب دلائل تلك الآثار في صفحات وجوه الأعمال، ﴿وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم، ورسوله والمؤمنون﴾ [التوبة:١٠٥]، يا نحل العقول ارتعي في ظهر هذه البساتين، واجمعي شهد المعارف من هذه الحدائق، حتى إذا مرض ولي من الأولياء بغير مزاج المحبة، قلنا لطبيب أسقام العارفين حكيم الشريعة الإسلامية، صاحب الملة الحنيفية، إتل بلسان قلت به دللت إلى الفصاحة، يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمر بن إسحاق بن نعيم البغدادي المحدث بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو طاهر الجليل ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن خليل الصرصري بها سنة ثلاثين وستمائة ح، وأخبرنا أبو بكر محمد بن أبي القاسم أحمد بن علي بن يوسف بن صالح البغدادي الحريمي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو الحسن الخفاف البغدادي بها سنة أربع وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي البغدادي سنة ثمانين وخمسمائة.

قال: جاء أبو المظفر الحسن بن نجم بن أحمد التاجر البغدادي إلى الشيخ حماد الدباس رضي الله عنه في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وقال له: يا سيدي جهزت لي قافلة إلى الشام فيها بضاعة بسبعمائة دينار، فقال له: إن سافرت في هذه السنة قتلت وأخذ مالك، فخرج من عنده مغموماً، فوجد الشيخ عبد القادر رضي الله عنه وهو شاب يومئذٍ، فقال له ما قال للشيخ حماد، فقال له الشيخ عبد القادر: سافر تذهب سالماً، وترجع غانماً، وضمان ذلك عليَّ، فسافر إلى الشام وباع بضاعته بألف دينار، ودخل يوماً إلى سقاية في حلب لقضاء حاجة الإنسان، ووضع الألف دينار على رف من السقاية، وخرج وتركها ناسياً، وأتى إلى منزله فألقي عليه النعاس فنام فرأى في منامه كأنه في قافلة قد خرجت عليها العرب وانتهبوها، وقتلوا من فيها، وأتاه أحدهم فضربه بحربة فقتله، فاستيقظ فزعاً، فوجد أثر الدم في عنقه، وأحس بألم الضربة وذكر ماله، فقام مسرعاً ووجده في مكانه، فأخذه وسافر راجعاً إلى بغداد، فلما دخلها قال في نفسه: إن بدأت بالشيخ حماد فهو الأسن، وإن بدأت بالشيخ عبد القادر فهو الذي صح قوله، فلقيه الشيخ حماد في سوق السلطان فقال: يا أبا المظفر ابدأ بالشيخ عبد القادر فإنه رجل محبوب، فقد سأل الله تعالى فيك سبع عشرة مرة حتى جعل ما قدره عليك من القتل يقظة في المنام، وما قدره من ذهاب مالك وفقرك منه نسياناً، فجاء إلى الشيخ عبد القادر فقال له ابتداءً: قال لك الشيخ حماد إنني سألت الله تعالى فيك سبع عشرة مرة، وعزة المعبود لقد سألت الله فيك سبع عشرة مرة، وسبع عشرة مرة، وسبع عشرة مرة، وسبع عشرة مرة، إلى سبعين مرة، حتى جعل ما قدره عليك من القتل يقظة في المنام، وما قدره من ذهاب مالك نسياناً.

وقال رضي الله عنه في النبي ﷺ: لما أرجت مشام أرباب صوامع النور بعطر إني خالق بشراً من طين، وأشرق الملكوت الأعلى بأنوار إني جاعل في الأرض

خليفة، قيل لرهبان صوامع القدس الأشرف: فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، صار التراب مسكاً في مشام أصحاب يسبحون، وجليت عروس آدم في خلع إن اللّه اصطفى، وسجدت الملائكة لسطوع نور ونفخت فيه من روحي، وسمع موسى عليه السلام بلبلاً يترنم بلذيذ لحن إنني أنا اللّه، وأنس ساقياً يفرغ شراب القدم في كؤوس وأنا اخترتك مادت به جنبات الطور، وطويت تحته أكناف الجبل، ووقف تحت الشجرة في الوادي المقدس اشتاق إلى رؤية الساقي، هزت أعطافه نشوات سكره وكتب بيده شدة توقه في طرس عشقه حروف أرني، فانقلب القلم في يده فكتب لن تراني، وسطع لعين عقله نور بارقة تجلى وصار الجبل جنة لولا نار وخر، قال بعد إفاقته: سبحانك تبت إليك قيل له عند انقضاء دولته: يا موسى سلم قلم الرسالة لصاحب ويكلم الناس في المهد، وأعطه الدواة ليكتب في كتاب توحيدي: إني عبد اللّه، وينقش في صحف رسالته سطور ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، كان تاج شرف رسول اللّه ﷺ، سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً، وعرضه ربه على عيون سكان السماوات، فاشرق جمال رسالته حين زينه بعزة أنزل على عبده الكتاب، وضوعفت الأنوار في الملكوت الأعلى لليلة جلي عروس أحمد ﷺ، فانبهرت أحداق أشخاص النور من شعاع بهاء بهجته، وغشيت أبصار الملائكة من لألأ نوره، وقيل لها: يا سكان الملكوت الأعلى من القدس الأسنى اقتبسوا من ضياء المبعوث سراجاً منيراً فأنت في خفارة إمام الأنبياء استترت الشمس السمائية لظهور الشمس الأرضية، واختفت الكواكب حياءً من طلوع نجم يثرب، وانطفت الشهب بتبلج شهاب مكة، واندرجت الأنوار في شعاع نور أحمد ﷺ، وخرجت رهبان صوامع القدس الأشرف لتنظر جمال صاحب وما ينطق عن الهوى، قيل له: يا سيد الوجود طورك ليلة أسرى رفرف النور والوادي المقدس لك قاب قوسين، البلبل الذي يرجع لك شهي اللحون فأوحى إلى عبده ما أوحى، مطلوب موسى قد تجلى لك به سجل ما زاغ البصر وما طغى، أنت آخر حرف كتب في ديوان الأنبياء، أنت أعظم سطر رقم في منشور تلك الرسل فضلنا، زفت عروسك في محل الأفق الأعلى، فكان من بعض خلعها لقد رأى من آيات ربه الكبرى، قد صيغ لمفرق جبين الوجود من شرفك تاج لم يصنع قط للأنبياء كلهم ما قدروا على عز ليلة أسرى بعبده، ولا وجدوا نسمة من نسمات روض قاب قوسين، ولا قيل لأحد منهم كفاحاً: السلام عليك أيها النبي، وتأخر الكل عند حجاب أو أدنى تقدم صاحب دنا فتدلى،

وجليت عليه عرائس الأكوان، في خلع لقد رأى ما التفت إليها بعين الأشغال بل تأدب بأدب ولا تمدن عينيك هذا الوادي المقدس فأين موسى هذا روح القدس؟ فأين عيسى هذا مغتسل بارد وشراب، فأين أيوب كم سافرت العقول في ميادين الغيوب، وكم طارت الأفكار من أوكار أوطارها إلى رياض العلى تطلب نسمة من نسمات هذا الشرف الأعلى وتطمع في نفحة من نفحات هذا الروض الأغر، وتتعلل بالخوض في لجج كل بحر، فما وجدت إلى ما طلبت سبيلاً، فنادت ألسن معارفها بلسان اعترافها: يا خاتم الرسل أنت روح القدس، أنت روح جسد الوجود، أنت ورد بستان الكون، أنت عين حياة الدارين، لك نظمت يتائم الوحي على مشام روحك، هبت نسمات عطف لطف القدم لك، عقد القدر لواء ولسوف يعطيك ربك فترضى، بعطر الثناء عليك أرج الملكوت الأعلى من نور علومك أضاء مصباح الشرع بمصابيح كلمك تشرق سموات الحكم، قامت الأنبياء صفوفاً خلفه لتأتم بجلالته في مشهد شهادتهم، لتقدمه عليهم فناداهم منادي القدر: يا أصحاب أوكار السعادة وأرباب الحجة على الخليفة هذا قمر العلى، هذا شمس السنا، هذا ذرة تاج الأنبياء فحدقوا أحداق البصائر في بهائه وكشفوا براقع الأبصار عن ضيائه، تجدوه يتيمة شرف بهاء درر، جيد الرسالة، ودبج بها طراز حلة الوحي فتلوا بلسان الاعتراف، وما منا إلا له مقام معلوم.

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح محمد ابن الشيخ أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل بن أحمد بن علي القرشي التميمي البكري البغدادي القطفني الحنبلي بالقاهرة سنة ثمان وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو جعفر محمد بن أبي القاسم لبيب بن النفيس بن أبي الكرم يحيى العلوي الحسني ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو الخير محمد بن محفوظ بن عتيمة ببغداد بمنزله بباب الأزج في الثالث من رجب سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة.

قال: كنت أنا والشيخ أبو السعود بن أبي بكر الحريمي، والشيخ محمد بن قائد الأواني، والشيخ أبو محمد الحسن الفارسي، والشيخ جميل صاحب الخطوة والزعقة، والشيخ أبو القاسم عمر بن مسعود البزار، والشيخ أبو حفص عمر بن أبي نصر الغزال، والشيخ خليل ابن الشيخ أحمد الصرصري، والشيخ أبو البركات علي ابن غنايم بن فتح العدوي العمري البطايحي الهمامي، والشيخ أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج محمد بن علي البغدادي المقري المعروف بابن الخضري، وأبو عبد اللّه محمد بن الوزير عون الدين أبي المظفر بن هبيرة، وأبو الفتوح عبد اللّه بن هبة

اللّه، وأبو القاسم علي بن محمد بن الصاحب؛ كلهم حاضرين عند شيخنا؛ الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه بمدرسته، فقال: ليطلب كل منكم حاجة أعطيها له، فقال الشيخ أبو السعود: أريد ترك الاختيار، وقال الشيخ ابن قايد: أريد القوة على المجاهدة، وقال الشيخ البزار: أريد الخوف من اللّه تعالى، وقال الشيخ أبو الحسن الفارسي: كان لي حال مع اللّه تعالى وقد فقدته وأريد رده عليَّ، وقال الشيخ جميل: أريد حفظ الوقت، وقال الشيخ عمر الغزال: أريد الازدياد من العلم، وقال الشيخ خليل بن الصرصري: أريد أن لا أموت حتى أنال مقام القطبية، وقال الشيخ أبو البركات الهمامي: أريد الاستغراق في محبة اللّه تعالى، وقال الشيخ أبو الفتوح بن الخضري: أريد حفظ القرآن والحديث، وقلت أنا: أريد معرفة أفرق بها بين الموارد الربانية وغيرها، وقال أبو عبد اللّه بن هبيرة: أريد نيابة الوزارة، وقال أبو الفتوح بن هبة اللّه: أريد أن أكون أستاذ الدار، وقال أبو القاسم بن الصاحب: أريد أن أكون حاجب الباب العزيز، فقال الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه: كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظوراً، قال أبو الخير: فواللّه لقد نالوا كلهم ما طلبوا، ورأيت كل واحد منهم في الحالة التي أرادها إلا الشيخ خليل بن الصرصري فإنه لم يأته الوقت الذي وعده فيه بالقطبية، فأما الشيخ أبو السعود فإنه بلغ في ترك الاختيار غاية قصوى، وتنسم ذروة عليا، وسبق فيه كثيراً من المتقدمين، وسمعته يقول ما خطر لي شيء خارج عن سجادتي، وكان له حال يعز مثلها، وأما الشيخ ابن قايد فإنه نال في القوة على المجاهدة ما لم يبلغنا مثله عن أحد من أهل زمانه، وجلس في أزج تحت الأرض أربع عشرة سنة بعد أربع عشرة أخرى، وسمعته يقول في سنة تسع وستين وخمسمائة: جوعت الجوع، وعطشت العطش، ونومت النوم، وأسهرت السهر، وخوفت الخوف، والبلاء يفر مني، واللّه غالب على أمره، وأما الشيخ عمر البزار فإنه وصل إلى درجة عالية في الخوف حتى إنه في وقت يقطر من مخه ماء إلى حلقه من شدة الخوف، وأما الشيخ أبو الحسن الفارسي فإن الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه نظر إليه وهو جالس في مجلسه نظرة فاضطرب منها وقام لوقته، فلقيته من الغد وسألته عن شأنه فقال: قد رد الشيخ علي حالي الذي كنت فقدته بزيادة في تلك النظرة، وأما الشيخ جميل فإنه نال في حفظ الوقت ومراعاة الأنفاس ما لم ينله غيره فيما نعلم، حتى إنه كان إذا دخل الخلاء علق سبحته في وتد في الحائط فتدور وحدها حبة حبة إلى أن يأخذها، ورأيتها هكذا مراراً، وأما الشيخ

خليل الصرصري فإن الشيخ عبد القادر رضي اللّٰه عنه قال له في مجلسه ذلك: ما تموت يا خليل حتى تتقطب، وسمعته بعد ذلك يقول غير مرة: ما يموت خليل الصرصري حتى يتقطب، وأما الشيخ عمر الغزال فإنه جمع من فنون العلم أشتاتاً، وحفظ منه كثيراً، وباع من خزانته أكثر من ألف سفر فعوتب في بيعها، فقال: كلها في حفظي، وأما الشيخ أبو البركات الهمامي فإن الشيخ عبد القادر رضي اللّٰه عنه نظر إليه وهو جالس في مجلسه ذلك نظرة فخر مغشياً عليه، فحمل في جراب بين يديه وهو لا يعقل، وفقدناه من بغداد زماناً ثم رأيته بعد مدة في خراب الكرخ، وهو شاخص إلى السماء فكلمته فلم يكلمني فانصرفت، ثم انحدرت بعد سنين إلى البصرة، فرأيته على مثل حاله الأول على تل بين البطائح، فأتيته وكلمته فلم يكلمني، فذهبت فجلست بإزائه وقلت: اللّٰهم إني أسألك بحرمة الشيخ عبد القادر أن ترد عليه عقله ليكلمني، فقام وأتاني وسلم عليَّ، فقلت له: ما هذا الحال؟ فقال: يا أخي قد أعطيت بتلك النظرة التي نظر إليَّ الشيخ عبد القادر بها من محبة اللّٰه عز وجل ما غيبتي عن الوجود وعن نفسي، وصيرني كما ترى، ثم رجع إلى مكانه، وعاد إلى حاله، وانصرفت عنه باكياً، ثم بلغني أنه مات على هذه الحالة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وأما الشيخ أبو الفتوح بن الخضري فإنه حفظ القرآن الكريم في ستة أشهر وتيسر عليه الحفظ بعد أن كان صعباً عسيراً عليه، وأتقن القراءات السبع، وكتب الكثير من الحديث ولم يزل يسمع ويفيد إلى أن مات، وأما أنا فإن الشيخ رضي اللّٰه عنه وضع يده على صدري وأنا جالس بين يديه في مجلسه ذلك فوجدت في الوقت العاجل نوراً في صدري، وأنا إلى الآن أفرق به بين موارد الحق والباطل، وأميز به بين أحوال الهدى والضلال، وكنت قبل ذلك شديد القلق لالتباسها عليَّ، وأما أبو عبد اللّٰه بن هبيرة فإنه تولى نيابة الوزارة، وتولى أبو الفتوح بن هبة اللّٰه أستاذ دار الخليفة، وتولى أبو القاسم بن الصاحب حاجباً على الباب، وتصرفوا في هذه الولاية زماناً طويلاً.

قال أبو الفتوح بن يوسف القطفني: وسمعت الشيخين؛ الشيخ أبا عمرو عثمان بن يوسف سليمان المعروف بالقصير ببغداد في المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة، والشيخ أبا الحسن علياً بن سليمان المعروف بالخباز ببغداد سنة ثلاث وأربعين وستمائة. يقولان: قطب الشيخ خليل الصرصري رحمه اللّٰه قبل موته بسبعة أيام.

وأخبرنا الفقيه أبو الحسن بن هبة اللّٰه بن سعيد بن محمد بن أحمد اليمني رضي اللّٰه عنه الزبيدي الشافعي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا الغيث عبد اللّه بن جبل اليمني رضي اللّه عنه في رجب سنة أربع وثلاثين وستمائة.

يقول: قطب رجل ببغداد يقال له الشيخ خليل الصرصري قبل موته بسبعة أيام.

وقال رضي اللّه عنه في قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] حدقوا أحداق البصائر، وكشفوا براقع الغفلة عن وجوه السرائر، وقابلوا أشخاص عوالم الغيب بصقال مرايا القلوب، والتقطوا جواهر المعاني من نثار عقود كلم الوحي، وأرتعوا في رياض ربيع حكم القدم بعيون أفهام الأسرار، واجتلوا بمواشط الأفكار عرائس أوصاف الأزل، وأحضروا بقلوب غير ملتفتة إلى القوالب، وأشهدوا بأرواح قدسية قد ألفت مساكن هذه الأشباح، وأخرجوا بعقولهم من ديار هياكل الصلصال إلى أطوار مراتب القدس، وطلبوا بنجائب الهمم جنات جلال الوحدانية، وميلوا بمشام أرواحهم إلى انتشاق نسمات روض القرآن.

قال معشوق الأرواح ومحبوب القلوب وغاية آمال الطالبين إشارة إلى صفوته من خلقه: «فسوف يأتي اللّه بقوم يحبهم ويحبونه»، كانوا نياماً في مراقد العدم رقوداً في مهود الغيب، فتية في كهف الكرم، فاستخرج ذرات ذواتهم سابق القدر من أجزاء الطين، وأذهب غشها بنار الاصطفاء، ونقش عليها صائغ المواهب في دار ضرب الأزل سطور يحبهم، وقال عنهم وهم في طي العدم ويحبونه، حديث منطق الطير لا يفهمه إلا سليماني الوقت، وإشارات عيون العشاق لا يفهمها إلا مجنون ليلى الغرام، لما كتب كاتب الأزل في ديوان القدم على صفاء صقال ألواح الأرواح بقلم الاجتباء عن استمداد مداد الولاء أسطر يحبهم ويحبونه، كانت رهبان صوامع أشخاصهم في العدم، ودرر ذواتهم في أصراف أغطية الغيب، وندماء نفوسهم رقوداً تحت ظلال شجر أكنان كن، فنبههم مؤذن القدر بهبوب نسيم فيكون، فأشرقت ظلمة الدنيا بأضواء شموع وجودهم، وسكنت نفوسهم قصور الصور، افختلط صفاؤها بكدرها، وامتزجت أنوارها بالظلمة العنصرية، وحلت الأرواح محل الغريب في البلد النازح، فاشتاقت إلى ما أشرقت به من جناب القدم، وحنت إلى ما أنست به في مواطن القدس، وطال علها التنقل في الفوق والتحت، فأصبحت ذرات ذواتهم هباء طائراً في فضاء الغرام، فلما خرجوا إلى سعة ميدان القرب ألبست يد العناية كلاً منهم ما قدر له مقدر القدر من خلع الحب وعقد لخواصهم في خلوة مجلس الأنس ألوية يحبهم ويحبونه، ونصب لقدومهم أسرة العز على ساحل بحر وسارعوا، وأمر كاتب ديوان الأزل أن يسجل

لهم سجل السعادة الكبرى وجعل ختم كتابه والله يدعو إلى دار السلام وعنوان خطابه فاتبعوني يحببكم الله، وبعثه بريداً على جواد قد جاءكم من الله نور، يا هذا يا سرير الأسرار ينصب في سرادق الأطوار الطينية، وتلحظ بعيون اليقين نقطة خطة التوحيد قاعدة بناء الوجود، هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي عمران موسى بن أحمد القرشي الخالدي، وأبو محمد سالم بن علي بن عبد الله الدمياطي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ العالم الرباني شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي.

قال: أخبرنا الحسن بحلب سنة ثمان عشرة وستمائة.

قال: أخبرنا سالم ببغداد سنة أربع عشرة وستمائة.

قال: اشتغلت بعلم الكلام وأنا شاب وحفظت فيه كتباً وصرت فيه فقيهاً، وكان عمي يزجرني عنه ولا أزدجر، فأتى يوماً وأنا معه إلى زيارة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، فقال لي: يا عمر قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ [المجادلة: ١٢]، وها نحن داخلون على رجل يخبر قلبه عن الله عز وجل، فانظر كيف تكون بين يديه لتنال بركات رؤيته، فلما جلسنا إليه قال له عمي: يا سيدي هذا ابن أخي عمر مشتغل بعلم الكلام، وقد نهيته فلم ينته، فقال لي يا عمر: أي كتاب حفظته فيه؟ قلت: الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني، فمر يده على صدري فو الله ما نزعها وأنا أحفظ من تلك الكتب لفظة، وأنساني الله جميع مسائلها ولكن وقر الله تعالى في صدري العلم اللدني في الوقت العاجل، فقمت من بين يديه وأنا أنطق بالحكمة، وقال لي: يا عمر أنت آخر المشهورين بالعراق.

قال: وكان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه سلطان الطريق والمتصرف في الوجود على التحقيق.

وأخبرنا الحسن بن موسى الخالدي، وأبو الحسن بن أبي بكر أبي الثناء أحمد بن صالح القرشي الهاشمي التفليسي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قالا: سمعنا الشيخ نجم الدين التفليسي صاحب الشيخ القدوة شهاب الدين أحمد السهروردي رضي الله عنه ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة يقول: جلست في خلوة عند شيخنا الشيخ شهاب الدين أحمد السهروردي ببغداد

أربعين يوماً، فأشهدت في الواقعة في اليوم الأربعين الشيخ شهاب الدين على جبل عالٍ وعنده جواهر كثيرة، وتحت الجبل خلق كثير وبيده صاع يملؤه من تلك الجواهر، ويبثها على الناس، فيبتدرون إليها وكلما قلت الجواهر نمت كأنها تنبع من عين، فخرجت من الخلوة في آخر يومي من ذلك، وأتيته لأخبره بما شاهدت، فقال لي قبل أن أخبره الذي رأيته حق، وأمثاله معه، وهو من مادة الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه لي، مما عوضني به عن علم الكلام، فإنه كانت له اليد المبسوطة من اللّه تعالى والتصريف النافذ والفعل الخارق الدائم.

(88) **وقال** رضي اللّه عنه في إبراهيم الخليل صلوات اللّه وسلامه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: كان طفل إبراهيم عليه السلام مربى في مهد عطف لطف القدم، تحت ظل إبراهيم عليه السلام مربى في مهد عطف لطف القدم، تحت ظل شجرة الكرم، يروحه مروح الفضل بنسيم ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل، حين جمع القدر ذرات الذوات، وأرواح النسمات في مجلس عهد، وإذا أخذ ربك ونطق رقاب ألست بربكم، فكان فصيح رشده ولسان سعده من أول من خطب على منبر الولاء بكلمة بلى، فقرعت مسامع سره لذة سلام على إبراهيم، وطافت عليه سقاة الأزل بسلاف راح أقداح، واتخذ اللّه إبراهيم خليلاً، فانصرع متواجداً على بساط وله عشقه لاستيلاء نشوة سكره ورمقه، ودبت حميا الأشواق في شغاف قلبه، وملك سلطان الغرام حمى لبه، وبقي مطروحاً بين تلك النسيم في حضائر وأشهدهم حتى آن أوان ظهوره في سرادق الزمان في دولة نمروذ بن كنعان، فنهض بنشق محيا ذاك النسيم في براري الوله يهيم طالباً للتفرد في مجلس بلى، وقد لذَّ له التهتك في الحب، وحلا، والشوق يجدد بالي باله، والعشق يثير دفين بلباله، وخرج الخليل الجليل من المغارة وقد أضرم الوجد في قلبه ناره، فدهش ناظر فكره، وعين سره إلى وجه عرائس الفلك، وقال منادم حاله لمسامر جماله قرة عين لي ولك، وأشرقت أشعة بصيرته في عرصات االعتبار، لمع ومض وتألق له بارق نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، فأجال نظر فكره في ميادين العالم وحدائق العلى بأحداق مبشريه، برقان توق شوقه بهيمان سكر عشقه فما تراءى لعين قلبه لائح إلا خاله المطلوب، ولا بد لناظر سره طالع إلا ظنه المحبوب، فكلما لاح له شيء ظن طلعته الساقي يخاطبه في كفه القدح، والليل قد صبغ ثوب الكون بظلمته، ومدَّ على بساط البسيطة أذيال هيبته، وبستان الفلك قد أزهر، ونور الجو قد ظهر وثغر القضاء قد ابتسم، ووجه الوجود قد أدهش النسيم،

وجمال الأنوار قد رفعت عليه أستار السحب، ومنزه الأبصار قد قطعت دونه الحجب، والخيمة الزرقاء كالعروس تحلى كمالاً ودلالاً، والقبة العليا كالثمل المايس الأعطاف يميناً وشمالاً، وروضة السماء قد أينعت بزهر الكواكب، وبحر العلى قد ماج بدرر الشهب الثواقب، ومنازل النجوم قد اختلفت صفاتها في درج المشارق والمغارب، فالمشتري كالصب الغرق النشوان، أو كالمحب الفلق السكران، والمريخ كجذوة نار غرام في قلب واله مستهام، والثريا كعاشق ناحل من ألم البين لم يبقِ فيه الجوى منظراً سوى الرأس والعين، والجوزاء كسرادق سلطان المحبة وقد دخل قرية روح المحب، وملك قلبه، والصبا كرسول الحبيب إلى مهج الأحباب يبلغ رسالة هل من داع هل من تائب، هلموا إلى الباب، هذا والغرام غريم قلب المحب، والوجد حريق روح الطالب، والشوق حليف فكر الحبيب، والوله مستولٍ على القلب الكئيب، والعشق القديم قد ظهر على ذات إبراهيم، فبدا له جمال وجه الزهرة بحالة الساقي في تلك الحضرة تشرق في أشعة ضيائه، ويرفل في حالة بهائه، يسير بين مواكب الزهر في جيوش الملك كأنه في هالة دارة كماله، فقال لسان نظرة لفهم فكره إن كان هذا يتصرف في سيره على مقتضى اختياره تصرف القادرين ويتنقل من منازل السماء كما يشاء تنقل المختارين، فسأقول له بلسان حبي عن قلبي: هذا ربي، وإن كان لا يملك أزمة أحواله، ويخالف مبدأه هيئة مآله، فكان تحت حجر سابق القدر تعتوره مختلفات الغير ولا يدفع عن نفسه من خصمه واقع الضرر، فالمطلوب سواه يجيب من دعاه، فلما حالت عليه بين الصفين خيول الأفول ووقع بين الجيشين عند النزول، وغرق في بحر الظلمة بعدما طفا وغاب، مستتراً في معاني معاطف الأفق واختفى، اتضح لناظر فكره معنى حقيقة أمره، فقال بلسان صفاء اليقين لا أحب الآفلين، ثم طلع القمر بازغاً في برج كماله باهراً في نور جماله، قد أشرق إيوان السماء بتوقد أنوار أشعته، وبعث عساكر الأضواء بين يدي دولته، فقال هذا أجل سلطاناً وأرفع مكاناً، فإن سلم سيره من الاعوجاج والتغير والانزعاج والأفول والطلوع والتقدم والرجوع، فسأقول له بلسان فهمي عن لبي هذا ربي، فلما استتر وجه بهجة معاليه بنقاب خفائه وتواريه، واختطفت أنواره يد الأفاق، واستولى على بدره المحاق، وقطع القدر علامة وجوده بسيف العدم، وغاص في لجة الثرى غوص المنهزم، ووقف مطلق دليله بمقيد تحصيله، فقال بلسان تحقيق المرسلين: لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، ثم بدا له سلطان أضواء الشمس من جميع جيوش

مهابة الإشراق، فأنس وحشة النفوس، وشرح ضيق الصدور، وفسخ مد الأحداق وضرب سرادقات مواكب أنواره في إيوان السماء، ومد رواق كتائب لألائه في آفاق الفضاء، وركب سناه على الجو كالطراز المذهب على الحلة الزرقاء، فسجدت لجلال عزته حياء أشعة الكواكب وعنت لكمال هيبته وجوه الطوالع والغوارب، وانهزمت من سطوة بهجته عساكر النجوم الزاهرة، وخسفت لجمال بهائه بدور الجواري الباهرة، فقال: هذا أعظم وأكبر وأزهر وأبهر وأشرق وأحرق، وأسنى وأبهى، فإن سلم من مجاذبات القهر في مدارج سيره، ومنازعات القلب في مناهج أمره، فسأقول له بلسان فكري عن سري هذا ربي، فلما أزمعت دولتها على النقلة والارتحال واحتجبت برداء الأفول والزوال، وانتهبتها أيدي الغير، وكرت عليها خيول القدر، وأظلم لغيبتها إيوان الأفق، ودار حول أقطار السماء نطاق الشفق، فقال حاكم اعتباره لشاهد اختياره أرى دولة متغيرة الوصف يجب أن يكون لها مالك سواها، ومملكة متقنة الصنع لا بد أن يكون المدبر لها مولاها، إيوان زمردي، ولون لازوردي، فبرت يد القدرة على بساطه الأزرق جواهر النجوم ونسجت الرياح تحته بيد الحكمة أردية الغيوم، وليل مظلم كلجة البحر المتلاطم، ونهار مشرق كوجوه البدر والتائم، ومهاد بسط فوق بساطه فراش الحكم، ودل بإتقان صنعه على ثبوت القدم، وليس الأزل مما تكيفه الخواطر، ولا يدخل في كمية الأعراض والجواهر، فقال له لسان التوحيد بمنصف الفهم: أيها الخليل: الحركات والسكون والظهور والكمون والألوان والأكوان والمباني والمثاني والمألوف والتأليف، والطوالع واللوامع، من أوصاف المنشئات بعد العدم بيد إرادة القدم، فلا تقس الأفعال الأزلية على مقاييس فعلك، ولا تمثل الأوصاف الأحدية بما يتراءى لعين عقلك، ثم ناداه منادي القدم بلسان لطف عطف الكرم يا إبراهيم سر إلى جنات العزة، والتمس بأذيال أستار القدرة، وتوجه إلى حمى الجلال الأحدي، وقف على باب الكمال الأزلي واقصد الخالق الفرد في تدبير مملكته، واعبد الرب الواحد المقدس عن شبه خليقته، وضع في مسيرك إليه وتعويلك عليه قدمك الأولى، على رأس قمة البراءة مما يشركون، وضع الثانية على ذروة شرف إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، فقال لسان طربه بنيل أربه إلى متى الإعراض عمن لا عليه اعتراض، وفيم هذه المقاطعة لمن له الحجة القاطعة في النفل والفرض، والحجة اللامعة في الطول والعرض، وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض.

أخبرنا الشيخ العارف الصالح أبو عبد اللّه محمد بن كامل بن أبي المعالي ابن محمد النيساني:

قال: سمعت الشيخ العارف أبا محمد مفرج بن نبهان بن بركات الشيباني النيساني.

قال: كان الشيخ عطا العوفي يغدو في الشريعة من بلدته إلى نيسان كل جمعة، وأصحابه حوله، وكانوا أصحاب أحوال عالية، فيهم من يركب الأسد فحصل في نفسي من ذلك شيء، فسافرت إلى بغداد واجتمعت بسيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي، فذكرت له حال الشيخ عطا فامسك عني أياماً، فلما أخذت منه دستور السفر قال لي عند فراقي له: إذا وصلت إلى الشريعة فقف عند المخاضة وقل عبد القادر يقول لك: لا تتركي الشيخ عطا ولا أصحابه يعدونك، فلما رجعت وقفت عند المخاضة، وقلت عندها كما قال الشيخ، فلما كان يوم الجمعة جاء الشيخ عطا وأصحابه على عادتهم وأرادوا الخوض وكان بينهم وبين الماء عقبة عالية، فزاد الماء حتى انتهى إلى العقبة، فلم يقدروا على الخوض ومنعوا من العبور، فقال الشيخ عطا لأصحابه: ارجعوا فهذا أمر قد حدث، ثم قال لأصحابه اكشفوا رؤوسكم لنمضي إلى بغداد ونستغفر للشيخ عبد القادر، فقال له ولده إبراهيم لا بل إلى الشيخ مفرج نستغفر له، فلما عزموا على ذلك هبط الماء إلى حده أولاً، وعبروا إلى نيسان واستغفروا للشيخ مفرج، وكانوا يحضرون متواضعين وكان يوم استغفارهم يوماً عظيماً.

وقال رضي اللّه عنه: لما ضربت في عالم الملكوت الأعلى نوبة إني جاعل، وتلألأت في العلى أنوار ونفخت فيه من روحي، ونشرت في السماء أعلام فقعوا له ساجدين، وأشرقت في عالم الغيب أضواء أشعة إن اللّه اصطفى، وأبرزت يد القدرة شخص آدم من كنه كن إلى بنية تسوية الهيكل جالساً على سرير جلالته، متوجاً بتاج كرامته، مرفوعاً على مرتبة خلافته عليه ملابس الأنس والمواصلة، وعلى رأسه لواء القرب والمكالمة، نظرت إليه أعين سكان الصفيح الأعلى بأحداق الدهش، وأشارت إليه أيدي ملائكة السرادق الأسنى بأنامل التعجب، ولم يستبن لهم معاني رموز كتابة سورته، ولم ينحل لهم مشكل حروف سطور خلقته، ولم يفهموا إشارات حقائق كنه بشريته، فانقطعت عبارات فصاحتهم عن فهم كنز سره، وكشف غيب علمه، وعكس القدر عليهم دعوني منزلة ونحن نسبح بحمدك، باعتراف شاهد لا علم لنا، ناداهم لسان العزة من جناب القدم يا أرباب صوامع النور، هذا أول نقطة قطرت من رأس قلم القدرة على لوح إنشاء العالم الإنساني، عن استمداد مدد إرادة الأزل، وأول سهم رشق من قوس القضاء الإلهي

إلى الفضاء الوجودي، عن قوة رامي القدر الأحدي، وأول طلائع الصور متقدمة بين يدي عساكر البشر، هذا أبو الأنبياء وعنصر الأصفياء وعهد كماله وجلاله منظم على جيد بهائه وجماله، هذا شكل على حروف الإنشاء ونقطة على كلمات الكون، وسطر على لوح الوجود وعنوان على رأس كتاب الجود، وستر على باب الخالق، كنز من كنوز القدرة، ومعدن من معادن الحكمة، وصندوق من صناديق المجد، وقنديل في صومعة الجلال، ولسان بين ثنايا معالي وعلم وإنسان في عين شخص العالم نهض ليرقي من خير دويرة الطين إلى درج الجلال، في مقام التعال عن عنصر الصلصال فاراً من تلهب نار الفخار، فتعلقت بذيل فخره يد حمأ مسنون، وتمسكت بأردان عزه أنامل سلالة من طين، فقال القدرة دعوه فبجناح اصطفائنا مطاره، ولطافة آياتنا افتخاره، فليس المفضل إلا من اصطفيناه واجتبيناه، ولا المكرم إلا من اخترناه، وكان موسى عليه السلام ملحوظاً من جناب القدم بأعين الكرم، برقت له من صخور الطور بارقة، وقربناه نجياً ومدت إليه بد الألطاف الرحمانية من خزائن المواهب الربانية كأس استئناس، وناديناه من جانب الطور الأيمن، وقرعت مسامع حسه من محيا عز سلطان الأزل لذة إني أنا اللّه، فشرب من يد ساقي، وأنا اخترتك على بساط، واصطنعتك لنفسي، سلاف راح الارتياح إلى ملاطفة وما تلك بيمينك، وطافت عليه سقاة ندماء القدس بشراب الاصطفاء للكلام في كؤوس حروف يا موسى، ونودي من شجرة عقله إني أنا ربك، وأتاه الخطاب من قبل الجناب اخلع نعليك، ونبهه جاذب الغيرة في حال الحيرة على شرف مقام إنك بالوادي المقدس، فلما توالي عليه شرب مدام الكلام بيد سقاة الإكرام، واستمر له ابتسام نسيم أنس فاستمع لما يوحى، ودام له أنس وصل مسامر فاعبدني، ورقت نسمات أوتيت سؤلك يا موسى، غلب سكره من شربه لكأس قربه على قرية قلبه، واستولى سلطان حبه لحبه على مدينة لبه، وغرق في لجة بحر وجده وانمحقت رسوم هزله بكتائب جده، فكاد يخرج عن حده لولا مساعدة جده، وخلع جلباب صبره لغلبة موارد سكره، وشرب حمياً الكأس في ذلك الرأس، وتحكمت الأشواق من تلك الأحداق، وقام راهب روحه في صومعة ارتياحه إلى الحضور على الطور ليلة النور، فوضع قدم تقدمه على قمة طور نهاية أطوار الطالبين، وحاول أن ينال شرفاً لم يدركه أحد قبله من المرسلين، فقال وقد فني: ربي أرني، فقيل له: أيها الكليم والمخصوص بالتكريم أنت مكلف بأطوارك مقيد بأوطارك، فتارة تقول: رب إني لا أملك إلا نفسي، وتارة تقول: إني قتلت

نفساً، وتارة تقول: إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير، وتارة تقول: ربي إني ظلمت نفسي، وتارة تقول: رب اشرح لي صدري، وهذا مذهب من ضاقت به الحيل في مناجاة محبوبه، وجال كل مجال في نيل مطلوبه، يا بن عمران، يا أيها الفلق النشوان إن السكران لا يداوي خمار الخمرة إلا بالأشياء المرة، ولا أمر من منع لن تراني، فرجع رجوع الآيس وانصرف انصراف البائس، واضطرمت في قلبه نيران الذوبان وانتهبته أيدي الهيمان، فلما هب عليه نسيم، ولكن انظر إلى الجبل، أحيا قتيل أشواقه، وبعثر دفاين أتواقه، فظنها يداً في تداركت غريقاً أو ريح صبا سرت فبشرت متشوقاً حريقاً، فإذا كاتب الأزل قد وقع لبريد الخطاب على قصة العشاق بسؤال العتاب، بالحوالة على صخور الجبل، فضاقت الحيل واشتد الخبل، وخاب الأمل وانقطع الجدل، ولاح الخلل، ولم يبق في الأرض يابس إلا اخضر، ولا حطام إلا أورق، ولا مظلم إلا أشرق، ولا أعمى إلا أبصر، ولا ذو عاهة إلا برىء، ولا ماء غور إلا عاد غدقاً، وخر موسى صعقاً، فلما أفاق قال: سبحانك إني تبت إليك، وكان الشخص المحمدي والشكل الأحمدي هاشمي المناسب أحدي المناقب ملكوتي الآيات، غيبي الإشارات، شرف بخصائص الكرم وخص بجوامع الكلم، بشرفه قام عمود خيمة الكون الكلي، وبجلاله انتظم سمط الوجود العلوي والسفلي، وهو سر كلمة كتاب الملك، ومعنى حرف فعل الخلق والفلك، وقلم كاتب إنشاء المحدثات، وإنسان عين العالم، وصائغ خاتم الوجود، ورضيع ثدي الوحي، وحامل سر الأزل، وترجمان لسان القدم، وحامل لواء العز، ومالك أزمة المجد، وواسطة عقد النبوة ودرة تاج الرسالة، وقائد ركب الأنبياء، ومقدم عسكر المرسلين، وإمام أهل الحضرة، أولى في السبب آخري في النسب بعث بالناموس الأكبر ليؤيد سليم الفطر، ويمزق ستور الهمم ويلين صعب الأمور، ويمحق وسواس الصدور، ويروح كرب الأرواح، ويجلو مرايا الألباب ويضيء ظلمة البواطن، ويغني فقراء القلوب، ويفك أسر النفوس، ويطرد وحشة الانقباض، ويجلب أنس الانبساط، ويفرق مجتمع الغفلة، ويجمع مفترق المسرة، ويميت حي الشقاوة، ويحيي ميت السعادة، ويضع أسر الغواية، ويرفع علم الهداية، ويجد بأولي الألباب إلى الوصال ويثير دفين البلبال إلى الجمال، ويشوف إلى لقاء الأحبة ويضرم نيران المحبة، ويذكر الأرواح عهدها في سالف القدم، ويجدد على الذوات ميثاقها في عرصة الكرم، وأينعت بسقياه زهرات الحكم في شجرات الشريعة، واخضرت برؤياه رياض الأحكام في حدائق العلوم، وقامت بقيامه أشخاص الآيات، وظهرت بظهوره

مخبآت المعجزات، بعث في عنصر الفصحاء فأخرس بفصاحته بليغ ألسنتهم، وجمع بوجيز بلاغته بسيط لسنهم، وسجدت لعزة إشارته رؤوس عقول معارفهم، وبرز بجموعهم في مواكب وذللت له الفصاحة بحبل لواء لو اجتمعت الإنس والجن، فكسفت شموس أفهامهم في جوامع كلمه، وخسفت بدور أفكارهم في لوامع حكمه، أتاه الروح الأمين من عند رب العالمين، وحمله على البراق، وخرق به السبع الطباق لمباشرة جمال الجلال الأزلي، ومحاضرة كمال العز الأبدي، والليل ممدود الرواق مضروب السرادق على الآفاق، والوقت قد صار أعبق من نسيم روض الزهر، وأشرق من نور الفجر بعد السحر، طوي له بساط البسيطة بيد أسرى بعبده ليلاً، والتفت له أطراف القضاء بأمر ائتوني به أستخلصه لنفسي، وعرضت عليه عوالم السماء وملكوت العلى في حلة لنريه من آياتنا، وزفت عليه مخدرات الكونين وأسرار الملكين، وأمور الدارين وعلوم الثقلين في مجلس لقد رأى من آيات ربه الكبرى، وأتته رؤساء الرسل مسلمة عليه وهو بالأفق الأعلى، وقد كانت أمرت أمراؤهم أن تجلس على أبواب السماوات ترتقب وفوده عليهم، وأقبلت ملوك الأملاك تسعى حجاباً بين يديه إلى سدرة منتهى مقاماتهم، وقد كانت سالت ساداتهم أن تمتع أبصارهم وتسر أسرارهم بمشاهدة طلعته، وملاحظة بهجته، فغشى سدرة منتهى عقولهم، وغاية علومهم من أنوار بهائه ما غشى أبواب السماء من إشراق ضيائه، فبهتت لجلاله أحداق أشباح النور، ودهشت لجماله أبصار سكان الصفيح الأعلى، وخشعت لهيبته أعناق أهل السرادق الأسنى، وخضعت لعزته رؤوس أصحاب صوامع النور، وشخصت لكمال مجده أعين الكروبيين والروحانيين، ووقفت الملائكة صفوفاً من المقربين، وابتهجت حضائر القدس بزجل المسبحين، وأرجت معالم التنزيه بأنفاس المتواجدين، واهتز العرش والكرسي طرباً برؤيته، وزينت الجنان الحسان فرحاً بمقدمه، وماج الكون بأهله من إعجابه ودله وافتخر العلى على الثرى بما رأى وأشرق إيوان السماء بالأضواء، وسما كيوان العلى بالسناء، وانكشف لعين المختار الأسرار، ورفعت لصاحب الأنوار الأستار، وتقدم به الروح الأمين إلى دائرة ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات:١٦٤]، وقال له: أيها الحبيب القريب تهيأ لتلقى اللّه وحدك خالياً، وزجه في النور، وتأخر عنه وعند التناهي يقصر المتطاول، فوقفت أشخاص الأنبياء في حرم الحرمة على قدم الخدمة، وقامت أشباح الملائكة في معارج الجلال على أرجل الإجلال، وهامت أشباح العشاق في مقامات الأشواق، لعلها

تراه في رجعاه لتستنشق من محياه نسيم من تهواه، فانتهى مسراه إلى مستوى أهيب تسمع فيه صرير أقلام الوحي على صفاء صفحة اللوح الأعظم، وسار على رفرف النور إلى الأفق الأعلى، وطار بجناح الأشواق إلى مقام دنا فتدلى، وأنزله مضيف الكرم في روضة قاب قوسين، وبسط له فراش الدنو؛ فراش أو أدنى سمع من جناب الرفيع الأعلى السلام عليك أيها النبي، تلقاه الحبيب بالإكرام وبادره الجليل بالسلام، وبسط منقبض روعته وأنس منزعج وحشته، فوعى مخاطبات فأوحى إلى عبده ما أوحى، كوشف بعيان، ولقد رآه نزلة أخرى هم أن يجيب المسلم سبقه القدر، ففتح فمه فقطرت فيه قطرة من بحر العلم الأزلي، فعلم بها علم الأولين والآخرين، وقال لسان خلقه العظيم وجوده العميم: هذه حضرة الكرم، وعرصة النعم، ومعدن الرحمة، وجنات الفضل، وبساط الفتوة، ومنبع الخيرات، ولا يليق في شرع المكارم التخصيص عن الإخوان، ولا يحسن في حكم الموافاة ترك مواساة الأحباب، فانعطف عليهم بعواطف مراحمه، وانثنى عليهم بمعاطف بره، وجعل لهم نصيباً من شرف منزلته، وبركته من مصالح دعوته، وذكرهم حيث ينسى الذاكر نفسه، ولم ينسهم في مقام انفراده بالفرد، ومناجاته للرب، فقال: السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين فناداه الحبيب: يا سيد السادات وإمام أهل المكرمات لك الجلالة أولاً وآخراً، والمفاخر باطناً وظاهراً، ولك المروءة والوفاء والفتوة والصفاء، ألم نشرح لك صدرك، ألم نضع عنك وزرك الذي أنقض ظهرك، ألم نرفع لك ذكرك، ألم نشرفك في الأزل على جميع الرسل، ألم نرسلك إلى الأحمر والأسود، ألم نؤثل لك في عليين المجد الأمجد، ألم نجعل عيسى مبشراً برسول ياتي من بعدي اسمه أحمد، ذاك يقول: رب اشرح لي صدري، وأنت يقال لك: ألم نشرح لك صدرك، ذاك يقول: رب أرني وأنت يقال له: ألم ترَ إلى ربك، أنت في الدنيا على أمتك شهيد، ولا يكون في الآخرة إلا ما تريد، فإذا فرغت من تمهيد الشريعة فانصب، وإلى ربك في أمتك فارغب، فاتصلت الرسائل بين الصب والحبائب، ورق نسيم وصل الحبيب المخاطب، فقال المراد المخطوب، المقرب المجذوب: إلهي ملحوظ نعمتك ومحفوظ عصمتك، وطفل مهد عهدك وغذي لبان لطفك، وربي حجر جودك، قد كلَّ لسانه دهشاً في مترادف آلائك، وحار بصره في مراتع نعمائك، فاحلل عقدة لسانه، واكشف أستار بيانه، وأيد قوى جنانه، فأجابه الجليل: ها نحن قد رفعنا عنك أستار الجلال، وأيدنا لك صفات الكمال لترى ما وراء رداء الكبرياء، وتنظر ما

فوق العظمة، ومع هذا قد جعلنا قلبك بيت الحكمة، ولسانك محل الفصاحة، وعنصرك معدن البلاغة، وذكرك منبع الإعجاز، فإذا رجعت من سفر الإسراء فنبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم، وبلغ خلقي أني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، فنطق صاحب الرسالة والجلالة بلسان جمع فيه بين أطراف المحامد وأسباب المماجد، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ثم عاد إلى معالمه وأهل عالمه، ورؤساء الملائكة تضع جباهها في مواطىء قدميه، والروح الأمين يحمل بين يديه غاشية فخره، ويطرق له بين صفوف الملائكة تعظيماً لقدره، وآدم يرفع ألوية جلالته، وإبراهيم ينشر أعلام مهابته، وموسى يناجي حبيبه من جانب غربي صفحات وجه، نظرت عيناه محبوبه يسأله عودة بعد عودة عسى نظرة بعد نظرة، فناداه القدر من جانب الطور قضينا الأمر، وعيسى يتألى بالمولى لينزلن ويخبرنا أهل الأرض ما شاع في أرجاء السماء من أخبار صاحب قاب قوسين، هذا وبين يديه ﷺ شاويش هذا عطاؤنا يترنم بأناشيد عبد أنعمنا عليه، تاج شرفه محمد رسول اللّٰه، طراز حلته ما زاغ البصر، نادى منادي سلطان عزه في طبقات الأكوان، وصفحات الوجود بلسان الأمر بالتشريف، إن اللّٰه وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا؛ صلوا عليه وسلموا تسليماً.

أخبرنا أبو محمد الحسن، قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه. قال: خدمت الشيخ الجليل العارف أبا عبد اللّٰه محمد بن أحمد البلخي رضي اللّٰه عنه ببغداد سنة، وسألته عن بدايته فكتمني إياها، فخدمته سنة ثانية، وسألته عن بدايته فكتمني إياها، فخدمته سنة ثالثة فسألته فقال: ولا بد؟ فقلت: إن رأيت، قال: ولا تخبر أحداً بما أخبرك به وأنا حي، قلت: نعم، فلما وثق مني بالكتمان قال: هاجرت من بلخ إلى بغداد وأنا شاب لأرى الشيخ عبد القادر رضي اللّٰه عنه، فوافيته يصلي العصر بمدرسته وما كنت رأيته ولا رآني قبل ذلك، فلما سلم وأهرع الناس للسلام عليه تقدمت إليه وصافحته فأمسك بيدي ونظر إليَّ مبتسماً وقال: مرحباً بك يا بلخي يا محمد؛ قد رأى اللّٰه مكانك وعلم نيتك، قال: فكان كلامه دواء الجريح، وشفاء العليل، فذرفت عيناي خشية، وارتعدت فرائصي هيبة، وتقطعت أحشائي شوقاً ومحبة، وأوحشت نفسي من الخلق، ووجدت في قلبي أمراً لا أحسن أن أعبر عنه، ثم لازال ذلك ينمو ويتقوى وأنا أغالبه، وقمت إلى وردي في ليلة مظلمة فبرز لي من قلبي شخصان وبيد أحدهما كأس، وبيد الآخر خلعة، فقال لي صاحب الخلعة: أنا علي بن أبي طالب، وهذا أحد الملائكة

المقربين، وهذا كأس من شراب المحبة، وهذه خلعة من حلل الرضى، ثم ألبسني تلك الخلعة وناولني صاحبه الكأس فأضاء بنوره المشرق والمغرب، فلما شربته كشف لي عن أسرار الغيوب، ومقامات أولياء اللّه تعالى، وغير ذلك من العجائب، فكان مما رأيت مقاماً تزل أقدام العقول في سره، وتضل أفهام الأفكار في جلاله، وتخضع رقاب الألباب لهيبته، وتذهل أسرار السرائر في بهائه، وتدهش أبصار البصائر لأشعة أنواره، ولا تسامته طائفة من الملائكة الكروبيين والروحانيين والمقربين إلا حنت ظهورها على هيئة الراكع تعظيماً لقدر ذلك المقام، وسبحت لله عز وجل بأنواع التقديس والتنزيه، وسلمت على أهل ذلك المقام، ويقول القائل: إنه ليس فوقه إلا عرش الرحمن، ويتحقق الناظر إليه أن كل مقام لواصل أو حال لمجذوب أو سر لمحبوب، أو علم لعارف، أو تصريف لولي، أو تمكين لمقرب، فمبدؤه ومآله وجملته وتفصيله، وكله وبعضه وأوله وآخره فيه استقر، ومنه نشأ، وعنه صدر وبه كمل، فمكثت مدة لا أستطيع النظر إليه، ثم طوفت النظر إليه ومكثت مدة لا أستطيع أن أسامته، ثم طوقت مسامتته، ومكثت مدة لا أستطيع أعلم من فيه، ثم بعد مدة علمت من فيه، فإذا فيه محمد رسول اللّه ﷺ، وعن يمينه آدم وإبراهيم وجبريل، وعن شماله نوح وموسى وعيسى صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين، وبين يديه أكابر أصحابه، والأولياء قياماً على هيئة الخدمة كأن على رؤوسهم الطير من هيبته ﷺ، وكان ممن عرفت به من الصحابة رضي اللّه عنهم أبا بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة والعباس رضي اللّه عنهم، وكان ممن عرفت به من الأولياء معروف الكرخي وسري السقطي، والجنيد، وسهل التستري، وتاج العارفين أبا الوفاء والشيخ عبد القادر، والشيخ أبا سعد والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ عدي رضي اللّه عنهم، وكان من أقرب الصحابة إلى المصطفى ﷺ أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه، وكان من أقرب الأولياء إليه الشيخ عبد القادر، فسمعت قائلاً يقول: إذا اشتاقت الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون، والأولياء المحبون إلى رؤية محمد ﷺ ينزل من مقامه الأعلى عند ربه تعالى إلى هذا المقام، فتضاعف أنوارهم برؤيته، وتزكو أحوالهم بمشاهدته، وتعلو مكانتهم ومقاماتهم ببركته، ثم يعود إلى الرفيق الأعلى، فسمعت الكل يقولون: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير، ثم بدت لي بارقة من نور القدس الأعظم فغيبتني عن كل مشهود، واختطفتني من كل موجود، وأسقطت مني التمييز بين كل مختلفين، وأقمت على هذا الحال ثلاث سنين، فلم أشعر

بنفسي إلا وأنا في مسامرة، والشيخ عبد القادر رضي الله عنه قابض على صدري وإحدى رجليه عندي والأخرى ببغداد، وقد عاد إليَّ تمييزي وملكت أمري، فقال لي الشيخ: يا بلخي قد أمرت أن أردك إلى وجودك وأملكك حالك، وأسلب منك ما قهرك، ثم أخبرني بجميع مشاهداتي وأحوالي من أول أمري إلى ذلك الوقت إخباراً يدل على اطلاعه عليَّ في كل نفس، وقال لي: لقد سألت فيك رسول الله ﷺ سبع مرات، حتى طوقت النظر إلى ذلك المقام، وسبع مرات حتى طوقت مسامتته، وسبع مرات حتى اطلعت على ما فيه، وسبع مرات حتى سمعت المنادي، ولقد سألت الله فيك سبع مرات، وسبع مرات، وسبع مرات، حتى ألاح لك تلك البارقة، وكنت من قبل سألته فيك سبعين مرة حتى سقاك كلماً من محبته، وألبسك خلعة رضوانه، يا بني اقضِ جميع ما فاتك من الفرائض.

وقال رضي الله عنه في الأولياء رضي الله عنهم: الولاية ظل النبوة والنبوة ظل الإلهية، والنبوة مستفادة من وحي الملك وغيب الأزل، فالولاية مطالعة روح الكشف وملاحظة مطالع البيان بصفاء يذهب كدورة البشرية، وطهارة تنقي دنس الأسرار، فالأنبياء مصادر الحق، والأولياء مظاهر الصدق، ومعجزة النبي ﷺ محل جري الوحي، والتحدي بأسرار معاني الحكمة، إعجاز كمال القدرة مبرهناً على صدق قوله، ومنهاج أمره بقطع به حجج المنكرين، وكرامة الولي استقامة فعل على قانون قول النبي ﷺ، فالمتحدث بسر الولاية نقص، والترصد لنسيمها كرامة، والكرامة أثر انعكاس نور الحق على قلب الولي من منبع ضوء نور الكلمي بواسطة الفيض الإلهي، ولا يظهر ذلك على الولي إلا مع عدم اختياره والأولياء خصوا بإشارات نبوية، واطلاعات حقيقية، وأرواح نورية، وأسرار قدسية، وأنفاس روحانية، ومشاهدات زكية، وهم خلفاء الأنبياء وبقايا أسرار الأصفياء، وغيب غيث قطرات الكرم، ومهابط أسرار كلمة القدم، رقود في الأظلة قعود في الأكلة كالأهلة، إذا نهضوا من مراقد أكوانهم بإشراق أفكارهم وصفاء أسرارهم، وخرجوا من معاقل وجودهم بطهارة أشباحهم، وأنوار أرواحهم، وجاؤوا إلى معالم مقاماتهم بمعارف منازلاتهم، وعوارف مشاهداتهم، وأقاموا مرايا سرائرهم الصقلية، وعيون بصائرهم الصحيحة بإزاء عوالم الملكوت، ومظاهر أسرار الجبروت، ووقفوا تحت مناظر الأنبياء ومطالع إشراقات شموس الأصفياء، وقع انعكاس ضوء شمس الأصل على صفاء صقال مرآة الفرع، وانطبع فيها أثر نور الغيب، وانتقشت فيها أشخاص الغائبات، وتراءت فيها صور الكائنات، وانجلت لها أمثلة أصناف الحكم، وأسرار

القدر، لما عقد سلطان الجبروت في رواق الملكوت لخواص الصفوة مجلس الخلوة بين رياض يحبهم ويحبونه، ونصب لقدومهم أسرة الجلوة على آرائك القرب في مقعد صدق، ومد لحضورهم رواق المشاهدة على حدائق الأنس عند مليك مقتدر، وأمر الأزل كاتب ديوان القدر أن يكتب لبريد القدم بإحضارهم سجل والله يدعو إلى دار السلام، وجعل عنوانه فاتبعوني يحببكم الله، وأرسله إليهم على جواد قد جاءكم من الله نور، ونودوا في أمصار أسرارهم بلسان وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، ركبوا خيول الأشواق وركائب الاحتراق، وساروا في براري الهيمان وصحارى الذوبان، ونشروا أعلام ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان، وترنموا بأناشيد سمعنا وأطعنا، وحداة الغرام تحدوا نجائب عشقهم بألسنة الحنين في أودية من يطع الرسول فقد أطاع الله، وكلما توارت عنهم أعلام قصدهم بفنائهم في محبتهم نودوا من وراء أستار طلبهم أينما تولوا فثم وجه الله، وكلما خرجوا من أطوار تغربهم عن ذلك المكان، فلما استقر بهم المزار ورفعت عيون بصائرهم أستار الأسرار، أدارت عليهم ندماء الأنس في مقاصر القدس كؤوس وسقاهم ربهم شراباً طهوراً، فتحكمت الأشواق من تلك الأحداق، وسرت الكؤوس في تلك الرؤوس، وأديرت الأقداح على تلك الأرواح، ودبت المحيا في ذاك المحيا، وتمكن السلاف من تلك الأعطاف، وزهقت القباب بالأحباب وسكرت الألباب بالخطاب، وأقبلت وفود التهاني من كل باب، وماج الكون ومات البين، وطاح الغين، وهامت العين بكشف الحجاب، ودام الشراب، وامتد القرب، وانتهب الحب ثياب الحجب، ولذّ العتاب، وأينع الوادي، وأشرق النادي، وزمزم الحادي باسم ذاك الجناب، وهام القلب وطاش اللب، وحار الفكر، ومات الصبر، وعاش العشق، وساح الشوق رفيق زميل الموق، كفيل الرمق لذلك الباب.

يا غلام: إذا رمقت عين العاشق الصادق جمال محبوبه الأعظم قابلت مرآة عقله محاسن معانيه، ومعاني محاسنه، فوجدت في صقالها استعداداً لجلاء بهجة لطائفه، وانتقش عشق جمال وجهه في صفاء لوح شغاف قلبه، وانعكست أشعة نوره على سره، وانبسطت حركات طلبه، ونهضت القوى الروحانية التي فيها جمال صفات المحبوب، وسار سلطانها إلى الرأس فشغل العين بالرمق، وملأ اللب بالسكر، وقرن الروح بالصبابة، ثم عاد إلى القلب فأودعه القلق، وانثنى على الفكر فأسكنه الحيرة، فاشتد الشوق لرؤية المحبوب، وابتهجت النفس بكمال محاسن المطلوب، وأثبت ذلك الابتهاج في مواد قوى الأجزاء البدنية، وأخذ كل عضو من

ذلك بقسطه على مقدار قوته، فصارت الحواس كلها مأسورة للجمال، فخرس اللسان عن مناجاة غيره، وصمت الآذان عن سماع كلام سواه، وعمي النظر عن ملاحظة ما دونه، وبهتت العين إليه، وأبى القلب القلق إلا عليه، وخانه الجلد وأعوزه الصبر، وملكه الوجد، وانتهبه السكر، وعلاه الهيام، وأسره الغرام، وخطفت المحبة بأشعتها نور عين لبه، وصار إقبال محبوبه قبلة قلبه ونسيم روح، مطلوبه حياة روحه، ووجه جلال مقصوده روضة عين لبه، ورائحة ريحان وصل مراده ورد مشم سره، وقربه غاية طلبه، ونظره نهاية أربه، ومحادثته أعظم سؤله، ومحاضرته أعلى مأموله، فأشجار العقول على أنهار القلوب بأصائل أوقات الوصال تتواجد بين أستار الجمال عند بث شجون المحبة، وأغصان الغرام تغازل نسائم الوجد كلما هبت من رياض القدس على حدائق قلب المشتاق، وصبابات الأرواح في ميادين الأشباح ترقص طرباً بانتشاق ريح من تهواه، كلما غناها نسيم سحر الشوق، وناغاها بلبل بلبال السكر بلذات ألحان نغمات المناجاة، وكاسات المصافاة في ظلال كهوف القرب، وأطيار الأنس قد ركبت منابر الخطاب على أوتاد المشاهدة في مقاصير الأسرار صادحات مطربات، قد هيجت أشواق المحبين، وبعثرت دفائن الحنين، بنفخ إسرافيل البوق في صور الأنين إلى ميدان العندية، ولسان الأبدية في مقعد صدق عند مليك مقتدر، يا غلام منازل الزلفة لا ينزل بها المتشبثون بالأغيار، ومقار القربة لا يسكنها المستأنسون بالآثار، أنت أخو العز ما التحفت برداء القناعة، ومحبوب القدم ما التزمت مفروض الطاعة، يا طفل مهد عهد وإذ أخذ ربك وغذ ألبان وأشهدهم ورضيع ثدي يحبهم أين شواهد حقيقة ويحبونه، صف لي مواضع نظرات عين الأزل من فؤادك، ومواقع منازلات لحظ الجلال من مرادك، ترصد في أوقات الخلوات هبوب نسيم إن لربكم في أيام دهركم نفحات.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن كامل الشيباني. قال: سمعت الشيخ العارف أبا محمد شاور السبتي المحلي يقول: دخلت بغداد لزيارة شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، وأقمت عنده مدة، فلما عزمت على الرجوع إلى مصر على قدم التجريد من الخلق، ومن المعلوم استاذنته فأوصاني أن لا أسأل أحداً شيئاً، ووضع أصبعيه في فمي وأمرني أن أمتصهما ففعلت، وقال لي: انصرف راشداً مهدياً، فصرت من بغداد إلى مصر وأنا لا آكل ولا أشرب وقوتي في زيادة.

وقال رضي الله عنه في العقل والشرع والنبوة: فالعقل نور تألق بارقه من أفق العناية من وراء حدود غايات الفكر، وقابل شعاعه صقال مرآة الهداية، فيستضيء

صاحبه في ظلم الأمور وغياهب الأكوان بوميض لألائه وإشراق ضيائه، حتى يريش لطائر طلبه جناح النجاح، ويسفر لوجه توجهه صباح الفلاح.

والعقل: طائر غيبي لا يصاد إلا بشباك عناية القدم، ووارد إلهي لا يرد إلا من جنات مفيض النعم، جوهري الصفات، نوراني الذات، ملكي السماوات، وهو روح قدس روحك، وجبريل قلبك يهبط بالوحي من سماء أعاليك على رسل سرك، وينزل بتحف الغيوب عليك من ربك، فيلطف كثيف صفتك، ويجوهر صدف علمك، وهو ميزان العدل ولسان الفضل، وشرع الكرم ومعدن الحكم، ومقر النعم وعمود الفكر، ودليل الفهم وترجمان السر.

والشرع: حكم بت القضاء يشاهده حاكم الرسالة فانفرد سلطان عزه في دولة بقاء كماله، وانقادت ملوك الحكم طائعة لهيبة جلاله، ودانت ممالك الأحكام خاشعة لعظيم إجلاله، وحامت أطيار البلاغة حول حماه، ورضعت أطفال العلوم بلبان هديه وهداه، ومحق سيف سطوة قهره من خالفه وناواه، واعتصمت بحبل حمايته وثيقات عرى الإسلام، وعليه مدار أمر الدارين، وبأسبابه أنيطت منازل الكونين.

١٢٨ **والنبوة**: نور من أنوار العزة مختومة بطابع روح القدس، قوتها فعالة بالقدرة، ومعناها متسع بالبهجة، وظاهرها مؤيد بأفعال اللّه الخارقة للعادة المستمرة، وباطنها مقرون بالوحي، وهي عين روح القدس ومعنى سر الأزل، ونتيجة سابق القدم ومشاهدة مناط معنى القدر، ومحط مدرك سر الأمر، وموضع الفصل بين القدم والحدوث، والوحي بدر بازغ في أفق النبوة طالع من فلك الرسالة تلقيه من كلام الله عز وجل، ومعه روح القدس ينشر لديه مطويات العلوم وتبرز عنده مخبئات الأسرار، وتظهر منه مفاتح معالم الأبد، وتؤخذ عنه أنباء أمور الكائنات، وتطوى فيه مسافات مفترقات العلوم والعقول، والعوالم والمعالم، والشواهد والرسوم، والمؤتلف والمختلف، والمركب والمثنى، ويكشف عن حقيقته معنى وحداني، وسر رباني لا ينكشف بغير طريق الوحي الصريح، وهو بريد الأزل يخترق فضاء الغيب بمخزون أسرار القدم، ومكنون أخبار الأبد على يد أمين المملكة، ومقدم عساكر الملائكة إلى من وقع له كاتب القدر في مجلس الأزل، توقيع تلك الرسل، فيجلو نوره صقال مرآة قلبه، فينطبع فيها أشخاص تفاصيل أحوال الدارين، وجزئيات أحكام الكونين، ودقيقات أنباء الملكين، ثم ينعكس لألاء أضوائه على صفاء جوهرية سريرته، فترى عين عنايته آيات ربه الكبرى، ويلحق بالرفيق الأعلى،

فحينئذٍ النبي مشكاة لنور قلبه، وفي المشكاة زجاجة النبوة، وفي الزجاجة مصباح الرسالة، ومصباح الرسالة نور متعلق بذنب ذبالة الوحي، والوحي سر غيب الموحي، فالأنبياء رضعاء أثداء غيب الأزل، وندماء مخاطب سر الوحي، وجلساء حضرة القدس، وسفراء وجوه الحق، ما قام رواق عز في الأفق الأعلى إلا لجلالتهم عقد لواؤه، ولا مدَّ بساط مجد في المقام الأسنى إلا على مهابتهم نسجت أركانه، ولا سكن صوامع القدس الأشرف شبح نوري إلا كان له من جلالهم جليساً، ولا آوى إلى ظل التسبيح الأرفع لطف معنوي إلا كان له من بهائهم أنيساً، ولا رقي صديق صاعداً في مقامات القرب إلا كانت بقواهم معارجه، ولا سلك ولي سائر إلى مولاه إلا كانت مناهجهم مدارجه، ولا رفع علم كرامة لبشر إلا كان شرفهم عماده، ولا شيد بنيان مكانه لعبد إلا كان على تأسيس إبراهيم ﷺ تأثيله.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر الأبهري، قال: سمعت قاضي القضاة أبا صالح نصراً، **قال**: سمعت أبي عبد الرزاق يقول: خرج والدي؛ يعني الشيخ محيي الدين الجيلي رضي اللّه عنه يوماً إلى صلاة الجمعة، وأنا وأخواي عبد الوهاب وعيسى معه، فمر بنا في الطريق ثلاثة أحمال خمراً للسلطان قد فاحت رائحتها واشتدت، ومعها صاحب الشرطة وأعوان الديوان، فقال لهم الشيخ: قفوا، فلم يفعلوا، وأسرعوا في سوق الدواب، فقال الشيخ للدواب: قفي، فوقفت مكانها كأنها جمادات، وضربوها ضرباً عنيفاً فلم تتحرك من مواضعها، وأخذهم كلهم القولنج، وجعلوا يتقلبون على الأرض يميناً وشمالاً من شدة الألم في الوقت، فضجوا بالتسبيح وأعلنوا بالتوبة والاستغفار، فزال عنهم الألم في الوقت، وانقلبت رائحة الخمر برائحة الخل، ففتحوا الأواني فإذا هي خل، ومشت الدواب، فعلت أصوات الناس بالضجيج، وذهب الشيخ إلى الجامع، وانتهى الخبر إلى السلطان، فبكى رعباً وارتدع عن فعل كثير من المحرمات، وحضر إلى زيارة الشيخ، وكان يجلس بين يديه متواضعاً متصاغراً.

وقال رضي اللّه عنه في عائشة أم المؤمنين رضي اللّه عنها: حركت الإرادة الأزلية العزيمة المحمدية للخروج في بعض أسفارها، فاستصحب الدرة اليتيمة معه من قرارها، ووكل بخدمتها ورفع قبتها حين أمسى وأصبح عبده مسطح، فنزل القوم منزلاً لإصلاح عيشهم، وسكن النوم حركات بطشهم، واستولت على العبد في المسرى سنة الكرى، فأثارت المشيئة الأحدية حركات عائشة الصديقة الصفية للخروج من مطارها إلى بعض أوطارها، ونزلت من قبتها لقضاء حاجتها،

فحلت يد القدر عقدة عقدها وانتثرت قلادتها من جيدها، واشتغلت بنظم نثرها لتردها إلى صدرها، نادى القدر: يا جبريل إنها فقدت من قلادتها جزءاً، فاجعل مكانها جزءاً، فانتبه مسطح، وساق جمله، ولا علم له بما حصل له، فلما وصل إلى المدينة، ولم يرها عاد يطلب أثرها، والقدر يثير دفين الأسرار، ويقدح شرار الأشرار، فلما بلغ ذلك رضيع ثدي الوحي، وحامل سر الأزل، وحافظ ودائع الغيب، ورافع لواء الحمد، فظن لرمز عيون لأفكهم، وتراءت له إشارات شركهم، تألم قلبه، وجرح بنصل الكآبة لبه، وانصدعت زجاجة سره، وانقسمت مجتمعات أمره، وقال لها بلطف شفقته قولاً معنوياً، ولوح لها برمز محبته تلويحاً خفياً، انصرفي إلى بيت أبيك، فسيأتيني الخبر فيك، فانتثرت عبراتها، واستولت عليها زفراتها، وأظلم نهار فرحها، واسود ليل ترحها، وتصاعدت أنفاس وجدها، وعدم الصبر من عندها، وقالت: علام أهجر وما جنيت، وأبعد وما تعديت، أمن جهة شكوى الضرائر من دلال الحبيب الهاجر، قيل لها: أيتها الصديقة والسيدة على الحقيقة البلاء بقدر الولاء، والنصر في ضمن الصبر، فلما عرفت القصة وتبينت الغصة،، محق بدر صبرها بشياع أمرها، وهوت أنجم حواسها بتصاعد أنفاسها، وتناثرت عبرات عيونها لحرقة نارها، وانحنى ألف قامتها على لوح انكسارها، وطالت عليها مدة هجر محبوبها، وعدمت رضاع ثدي مطلوبها، قالت: إلهي بك يستنصر الذليل، وإلى جنات عزك يلجأ المظلوم، ومن غيرك ينفس كرب المكروب، ومن سواك يجيب دعاء المضطر، أنت أخبر بطهارة عصمتي، وأعلم مني بمسالتي، فاتخذت قبة يعقوبية، وجعلت الفرقة حالة يوسفية، وصارت ظلمة قبتها سجن يوسف، حزنها مرَّ بها من جانب الحبيب، هبوب نسيم كيف تيكم، فقالت: أنا ربيبة خدر الفصاحة، وقرينة أفصح من نطق بالضاد، والتاء، للمخاطب القريب، والكاف للغائب البعيد، أين تاء أنت من كاف ذاك، أين هاء هذه من تاء تيكم؟ ميم الجمع لا توجب تخصيص أحد المذكورين طال ما كنت سواد عين الهاجر، وسويداء قلب الغائب، وريحانة أنس المعرض، ولكن للزمان أحوال تحول وفصول تصول، يا رب يَمُّ هَمّي قد أغرقني، وحر حزني قد أحرقني، ونحول حالي قد أنحلني، وتبليل بالي قد بلبلني، فصجت الملائكة في الصفيح الأعلى، واختلفت تسابيح سكان حضائر القدس، وانزعجت رهبان صوامع النور، قالت الأشباح النورانية، والأرواح الروحانية، إلهنا طاهرة فراش النبوة قد تكدر صفاء قلبها، ودرة بحر الشرف قد تشظى جوهر لها، وريحانة مشم الرسالة قد ذبلت

بإفك الفاسقين، ورضيعة ثدي الوحي قد فطمت بكذب المنافقين، قيل لبريد المملكة، ومقدم عساكر الملائكة: يا جبريل خذ من لوح غيب الأزل سبع عشرة آية براءة من العيب بالسنة الغيب، فإني تكلمت بها في الأزل وقديم القدر، وجعلتها طرازاً لكم ثوب عائشة إلى يوم القيامة، فهبط بريد الأزل على السيد المفضل بآيات السرور في سورة النور،فلما سمعت الصديقة رنات الآيات، ولاح لها إشارات البشارات، قالت: سبحان من يجبر الكسير، ويعز الحقير، وينصف المظلوم ويصرف الغموم، واللّه ما كنت أظن أن ربي تبارك وتعالى ينزل فيَّ قرآناً، ولا يذكرني لنبيه فيما يوحى إليه، ولكن رجوت أن يرى رسول اللّه ﷺ في منامه ما يقضي براءة ذمتي، وطهارة عصمتي، فلا ييأس المظلوم من الانتصار، ولا يعول المقهور إلا على الاصطبار، فإن مات مطاوي الأقدار تقليب ما في الليل والنهار.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر قال: سمعت شيخنا محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، أخبرنا عبد اللّه بن محمد بن علي التوحيدي، قال: سمعت خالي قاضي القضاة أبا صالح نصر بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق، قال: سمعت الشيخ العارف أبا عمرو عثمان الصريفيني يقول: كانت بداية أمري أني كنت ليلة بصريفين مستلقياً على ظهري تحت السماء، فمرت في الفضاء خمس حمامات؛ فسمعت إحداهن تقول بلسان فصيح كمنطق الآدميين سبحان من عنده خزائن كل شيء، وما ينزله إلا بقدر معلوم، وسمعت الأخرى تقول: سبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هداه، وسمعت الأخرى تقول: سبحان من بعث الأنبياء حجة على خلقه، وفضل عليهم محمداً ﷺ، وسمعت الأخرى تقول: كل ما كان في الدنيا باطل إلا ما كان لله ورسوله، وسمعت الأخرى تقول: يا أهل الغفلة عن مولاكم قوموا إلى ربكم رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم.

قال: فغشي عليَّ، وأفقت وقد نزع من قلبي حب الدنيا وما فيها، فلما أصبحت عاهدت اللّه تعالى أن أسلم نفسي لشيخ يدلني على ربي عز وجل، وسرت لا أدري أين آخذ فاستقبلني شيخ وافر الهيبة ظاهر الوضاءة، فقال لي: السلام عليك يا عثمان، فرددت عليه السلام وأقسمت عليه من أنت، وكيف عرفت اسمي وما رأيتك قط، فقال: أنا الخضر، وكنت الساعة عند الشيخ عبد القادر فقال لي: يا أبا العباس قد جذب البارحة رجل من أهل صريفين اسمه عثمان، وقد قبل وأقبل عليه ونودي من فوق سبع سماوات: مرحباً بك يا عبدي، وقد عاهد

اللّٰه تبارك وتعالى أن يسلم نفسه لمن يدله على ربه عز وجل، فاذهب إليه تجده في الطريق فأتني به.

ثم قال لي: يا عثمان الشيخ عبد القادر سيد العارفين في هذا العصر، وقبلة الوافدين في هذا الوقت، فعليك بملازمة خدمته، وتعظيم حرمته، فما شعرت بنفسي إلا وأنا ببغداد في أسرع وقت، وغاب عني الخضر فما رأيته بعد ذلك إلى سبع سنين، فدخلت على الشيخ عبد القادر رضي اللّٰه عنه فقال لي: مرحباً بمن جذبه مولاه إليه بألسنة الطير، وجمع له كثيراً من الخير، يا عثمان سيهبك اللّٰه مريداً اسمه عبد الغني بن نقطة يعلو كثيراً من الأولياء، يباهي اللّٰه تعالى به الملائكة، ثم وضع على رأسي طاقية، فلما لمست رأسي وجدت في يافوخي برداً اتصل بفؤادي، وأثلج قلبي، فكشف لي عن الملكوت، وسمعت العوالم وما فيها تسبح اللّٰه تعالى باختلاف اللغات، وأنواع التقديس، فكاد عقلي يذهب، فرماني الشيخ بقطنةكانت في يده، فثبت اللّٰه تعالى عليَّ عقلي، وزادني تمكيناً، ثم أجلسني في خلوة فمكثت فيها أشهراً، فواللّٰه ما وجدت أمراً باطناً، ولا ظاهراً إلا أخبرني به قبل أن أفوه به، ولا وصلت إلى مقام ولا حال، ولا شاهدت مشهداً، ولا كوشفت بعلم من الغيب إلا أخبرني به قبل أن أناله، فيفصل لي أحكامه، ويحل لي مشكلاته، ويبين لي أصله وفرعه، وما زال ينزلني منزلة بعد منزلة إلى ما شاء اللّٰه من علمه، وأخبرني بأمور وقعت لي كما أخبر بعد إخباره بثلاثين سنة، وكان بين لبسي منه، ولبس ابن نقطة مني خمس وعشرون سنة، وهو كما وصف لي رضي اللّٰه عنه.

وقال رضي اللّٰه عنه: نسمات أسحار الوصال إذا اجتازت بربوع المطرودين حنوا،وطيف ليالي الاتصال إذا طرق مضاجع المهجورين أنوا، وأوتار الشوق إذا ركبت على عيدان المشاهدة في مجلس الأنس على ندماء عشاق الأزل، ورضعاء أثداء المحبة اهتزت أشجار العقول في بساتين القلوب، وتمايلت أغصان النفوس في در الهياكل، ورقصت جواهر الخواطر طرباً في قصور الصور، وتواجدت ألباب الأحباب سروراً في معاني المباني، وقدح زند الكشف في حراق الأكباد شرار العشق، واحترقت بصواعق الهيبة ذرات أجزاء الذوات، وماج الكون بأهله وجرح رامي الغرام أسرار المحبين بنبله، وتزلزلت قواعد أركان السرائر وهامت بسكر توق رمقها البصائر، وقامت الأرواح على أقدام إقدام سؤال ما الخبر؟ واشتغلت الأعين بسح سحب العبرات عن النظر، ووقف آدم الأحوال على قدم الاعتراف بالاقتراف،

وقام إبراهيم الهمم على باب أطمع أن يغفر لي خطيئتي، وخر موسى العزائم صعقاً على قمة طور تبت إليك، وأشار أيوب الوله بيد مسني الضر، ومر سليمان الهيمان على بساط انبساط صولة دولته محمولاً بريح إن لربكم في أيام دهركم لنفحات.

وقالت نملة القلب لرعايا الخواطر عند انتشار عساكر سلطان الجلال، واستيلاء جيوش ملك الكمال: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم، فبدت أضواء القرب وانبسطت أشعة الدنو، ومد رواق اللقاء وفرش بساط الحضرة على أرائك بسيط القدس، وعقد مجلس الخلوة تحت لواء لذلك في أرض المشاهدة، ونصبت أسرة الجلوة بين سراقات الجمال في حرم الأمن، وانتظم حال العاشق، واجتمع المحب مع المحبوب، ودارت كؤوس شراب الشارب في أقداح الأفراح، وعطر الوقت، وسعد البخت وارتفع المقت وتجلت أسرار غيب القدم من بين أكناف مسالك أوصاف الأزل، يا لها من مسالك دقت فضل الوهم عن علم ماهيتها، فهي كالبروق لامعة لحدق الخواطر من سحب الأبد، وكالشموس طالعة من مدرات بروج الحال، وتاللّه لقد تاهت البروق عند بروزها وميضاً، وغموضاً، وخجلت الشموس عند ظهورها تلويحاً وتعريضاً حين أسفرت يد الإرادة لأبصار خطابها عن جبين جمالها نقاب الحجاب، ونصصتها مواشط الأزل على سرير الاستجلاء على استهزاز عشاق الطلاب، وأظهرها اللوح النوراني من أقاصي مكامنها وأدانيها، وكشف الوصف الوحداني نعوت معانيها ومعاليها، وغامزت لحظات جمالها صبابات التَّوَّاقين المشتاقين، وغازلت نظرات سبحاتها حيرة الشاخصين العارفين، فلما قدموا لنظر جلائها وحضروا لمشاهدة بهائها، اهتز تاج جمالها في مجلس كمالها، فنثر على رؤوسهم جواهر القبول ودرر الرضوان، ثم توارت بأستار العز، ورداء الكبرياء وإزار العظمة، فقطعت القلوب وجداً واشتياقاً، وهامت الأرواح عطشاً واحتراقاً، وتمايلت أغصان الغرام تغازل نسائم الوجد، وتناثرت أوراق الصبر تشكو قلق الفراق، يا ركائب الأرواح جدي في طلب هذه المنازل، ويا نجائب القلوب أسرعي إلى نيل هذه الدرجات، وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون.

أخبرنا أبو الفتح عبد الرحمن ابن الشيخ الصالح أبي الفرج توبة بن إبراهيم ابن سلطان البكري الصديقي البغدادي، **قال**: سمعت أبي يقول: سمعت الشيخ الجليل مكارماً النهر خالصي رضي اللّه عنه يقول: كنت يوماً بين يدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه بمدرسته بباب الأزج ببغداد، فمر بنا دراج

طائر في الجو، فخطر في نفسي أني اشتهيته بكشك، وقد علم اللّٰه تعالى أني لم أفه بذلك، فنظر الشيخ إليَّ مبتسماً، ونظر إلى الجو فسقط الدراج إلى أرض المدرسة، وسعى حتى وقف على فخذي ساعة، فقال الشيخ: يا مكارم دونك وما اشتهيت، أو لينزعن اللّٰه منك شهوة الدراج بالكشك، قال: فبغض إليَّ الدراج من وقتي ذلك إلى الآن، وإنه ليوضع بين يدي مشوياً ومطبوخاً فلا أستطيع شم رائحته كراهة له، وقد كنت قبل ذلك من أحب الناس فيه.

قال: وحضر في مجلسه مرة وكان يتكلم في مقامات الواصلين، ومشاهد العارفين، حتى اشتاق كل من كان حاضراً إلى اللّٰه عز وجل، فوقع في خاطري كيف الطريق إلى اللّٰه عز وجل، كيف الطريق إلى نيل المراد، فقطع كلامه والتفت إلى جهتي، **وقال**: يا مكارم بينك وبين نيل مرادك قدمان، تقطع بإحداهما الدنيا، وبالأخرى نفسك، ثم ها أنت وربك.

وقال رضي اللّٰه عنه: هجر المحبوب نار يضرمها مالك الصدق في جهنم الوجد، وفقد المطلوب صواعق ترسل من غمام الغرام على غريم البعد، وتواري المشهود فصل تذبل فيه أغصان الوصال في حدائق الاتصال، واستتار المتجلي سيف سله المحبوب من غمد الدلال بيد الملال، وغيبة الحاضر شرر يقدحه زند الحب في حراق فؤاد الصب، وإعراض الحبيب غصة يتجرعها المحب من يد الحب في كاسات الضد بلذة أحلى من الشهد، وتنائي القريب عذاب يذيب القلوب بتوقد لهيب النوى سكرى بنشوة العتب بأحاديث أشهى للنفوس من المنى، وتجافي الأليف صولة تصرع أعطاف الأرواح بشدة وطاة سلطان الهيمان في قيعان براري الهوى، وكثبان الحجب عن المنى وعرائس الفتح جواهر معان نضدها ناظم القدم، ورياض الكشف حدائق بيان أنبتت أعطاف الحكم، والشوق ستور مسدلة على جمال وجوه عرائس الغيوب، والمحبة شموس لا تشرق أشعة أنوارها إلا على شرف مدائن القلوب، والمشاهدة سلاف راح يطوف بها سقاة الأزل على ندماء الأرواح، في أقداح الخطاب في مجلس الوصل، عند سدرة منتهى الأمل فوق غاية منية العارفين، تحت ظلال جلال القدم، قدام وفود ركائب أرباب العشق، خلف حادي مطايا جناب القرب، عن يمين ساق حميا جمال رب الحمى، يا أرباب الوله في معاني كمال صفات الإله في معاني صفات الإله العظيم، قوموا يا أصحاب الصدق في عشق الحبيب القريب، انهضوا إلى هذا الوصال فكل ملذذ بسماع نغمة من منشد هذه النغمة، أو مضطرب من طيب ألحان، مضطرب

بشجو حنين مكتئب على الفور بسعادة هذا المنقلب، أو متبلبل بالهيام من الطرب بأصوات حادي إلى نادي هذا العز البادي، فإنما ذلك محرك من القدر، يذكر روحه حلاوة النظر من مجلس، وإذ أخذ ربك أو يثير دفين سره إلى لذة سماع ما بقي من مسموعه في حضرة ألست بربكم، عند تجريد الأرواح عن صور الأشباح ويفردها بنعت توحدها في العالم النوري، فإن وجدت مشام روحك روح الأنس، يهب عليها من رياض ربيع الكرم عند ذكر الحبيب الأعظم، فذلك وارد من جناب الأبد يذكرك التزام شرط بيعة المحبة بحركات شمائل محاسن العهد القديم، فاضطرمت في سويداء القلب نار أسف المهجور، لوحشة الانقطاع، وتوقدت في صميم السر جمرة حرقة المحبوب بفرقة الأحباب، نادى لسان هيمان وجد فاقد الأحبة [من الطويل]:

على مثل ليلى يقتلُ المرءُ نفسه ويحلو لـه مـرُّ المنايا ويعذب

(١) أخبرنا أبو محمد عبد الواحد بن صالح بن يحيى القرشي البغدادي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الفرج حسن بن محمد بن أحمد بن الدويرة البصري، قال: سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بن مطيع بن أحمد الباجسراني، قال: سمعت الشيخ الصالح أبا المظفر إسماعيل بن علي بن ستان الحميري الزريراني، وكان شيخاً صالحاً صحب الشيخ القدوة علياً بن الهيتي رضي الله عنه قال: كان الشيخ سيدي علي بن الهيتمي إذا مرض ربما يأتي إلى قراح لي بزريران يتمرض فيه أياماً، فمرض فيه مرة فأتاه سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر من بغداد عائداً، واجتمعا في قراحي، وكان فيه نخلتان قد يبستا لهما أربع سنين لم تثمرا، وكنا قد عزمنا على قطعهما، فقام الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فتوضأ تحت إحداهما وصلى ركعتين تحت الأخرى، فأينعتا وأورقتا، وأثمرتا في أسبوعهما ذلك قبل أوان حمل النخل، وأحضرت شيئاً من تمر قراحي وقدمته إلى الشيخ فأكل منه وقال لي: بارك الله لك في أرضك ودرهمك، وصاعك وضرعك، قال: فغلت لي أرضي منذ تلك السنة أضعاف خراجنا المعتاد، وصرت كلما وضعت درهماً في وجهة يأتي إليَّ منها أضعافاً مضاعفة، وإذا تركت مائة كارة براً في مكان؛ فلو تصدقت منها بخمسين كارة وأكلت الباقي لوجدته مائة كارة، وأنتجت ماشيتي حتى تاه مني عددها، والحالة هذه إلى الآن ببركة دعوته رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه: كل معراج فإلى باب اسمه العالي انتهاؤه، وكل سلم للصعود فباسمه عروجه تجلى في أسمائه، فظهر التجلي في أفعاله، فأشرق كل

مكون بإشراق التجلي، وفصلت شواهد التفصيل في الوجودين، وظهر تباين حكم العدل في العالمين، فبرزت الأسماء وافترقت الصفات، واختلفت اللغات، وتقابلت الأفعال، وتنوعت الأنواع، وتجانست الأجناس، فكل بقهر العدل معتدل، وكل يوحده بما ظهر فيه من التجلي، ويشير إليه بما أبطن فيه من أسرار أسمائه، ويعرفه بما تعلق به علمه في أزله من إيجاده، والكل حائر بين العوالم لولا أنيس رحمته، مأخوذ عن حسه في معرفته، لولا درك الحيرة أظهر شدة بطشه في تجليات أسمائه للجبال فسكنت، وللبحار فاضطربت، وللنيران فاضطرمت، فالذي به سكن به حرك، وأظهرت العرش أنوار اسمه العلي فانتشأت ملائكته انتشاءً مناسباً لتلك الحضرة، فلكل منهم روح، ولكل روح نفس من أرواحهم، ولكل ذكر من أذكارهم روح، وكل منهم أذهلته عظمة من تجليه في أسمائه فانفعلت ذواتهم بتلك الأسماء، فهم ذاكرون من الذهول، وذاهلون من الذكر، فذكرهم من حيث الاسم أنت أنت أنت، من حيث الذهول هو هو هو، ومن حيث العظمة آه آه آه، ومن حيث التجلي هاهاها، ومن حيث الستر سبحانك سبحانك سبحانك، فقدس الكروبيون، وهينم الصافون، وزجل الروحانيون، وسبح المقربون، أشرقت أنواره في كل موجود إشراقاً أظهر منه سر وجوده بشهوده، فاعترفت به له اعتراف عبودية وقهر، فالأذكار حاملة المحمولين، ومسكنة الساكنين، وجاذبة إلى ما وارته سرادقاً في الجلال من مصون الأسماء وبديع الصفات، فتقبلت أسرار العارفين في أطوار معارف أسمائه تقلباً يشهدون به في دارة وجوههم، ما أودعته ذوات وجودي الملك والملكوت، حتى عاينوا سريان سر قدره في عالم المعلومات، فلم يبق معلوم إلا وأبدى سر دقيقة منه مجذوبة بيد كمال ونور، فتصرفوا في المهج بمهيجات المحبة، وأغمسوا في بحر نور هيبته فخرجوا وفي وجوههم شعاعات هيبة تخطف أبصار الناظرين من الجن والإنس، وقوبلوا بنور أسمائه مقابلة ملأت وجودهم ظاهراً وباطناً حتى محيت عنهم خطوط الأشكال كلها، فأبدى لهم وجودهم من وجودهم سر ما كتبه لهم قلم التقدير من كل مستودع في مستقر ومستقر في مستودع، فلم يخف عنهم ما غاب عليهم فنظروا أنفسهم به، ونظروا ما سواه بنور اسمه، ورأوا الكمال المطلق في الملك المطلق، ومشوا بما أشهدهم في آفاق الملكوت، وكشفوا معنى كلمة التكوين فانفعل لهم كل مكون انفعال تلك الكلمة بإذنه، يا من أظهر كبرياءه ومجده في أستار عرشه أسألك بالصفات التي لا يعلوها موجود، محدث الإنس بمقابلات سر القدر أنساً يمحو آثار وحشة الفكر، حتى يطيب وقتي بك فاطيب بوقتي لك.

أخبرنا أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر القرشي، قال: سمعت الشيخ علي ابن سليمان الخباز ببغداد يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن الجوسقي رضي اللّه عنه، يقول: ورد علي وارد عظيم في زمن شبيبتي فأشكل علي كثير من أموره، فجئت إلى سيدي علي بن الهيتي رضي اللّه عنه لأسأله عنه، فقال لي ابتداء: يا أبا الحسن واردك من أفعال القدرة لا تحل مشكلاته بالأقوال بل بالأفعال، اذهب إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر، فإنه ملك علماء العارفين، ومالك أزمة أفعال المتصرفين في وقته هذا، فجئت إلى بغداد ودخلت على سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، فوافيته جالساً في قبلة مدرسته، وبين يديه جماعة فلما جلست بين يديه نظر إليّ ففهمت عنه جميع ما في باطني وما جئت بسببه، فأخرج من تحت سجادته خيطاً ملوياً على خمس طاقات،، فأعطاني طرفه ومسك طرفه الآخر بيده، وحل منه لية فاتضح لي من واردي طرف عظيم، وشاهدت فيه أمراً جليلاً، وصار كلما حل لية اتضح لي من واردي طرف عظيم، لا حد له عندي، وشاهدت في ضمنه أمراً جليلاً لا يدرك كنهه حتى حل الليات الخمس فانكشف لي جميع أحكام واردي، وتبينت لي خفيات أموره من مكامن أسراره، ونهضت بصيرتي بقوى نورانية حتى خرقت الحجب، فنظر إلي الشيخ وقال: خذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها، فقمت من بين يديه، فواللّه ما كلمته بكلمة ولا علم الحاضرون شيئاً من أمري، ورجعت إلى زريران، فلما جلست بين يدي سيدي الشيخ علي بن الهيتي، قال لي قبل أن أنطق: ألم أقل لك إن الشيخ محيي الدين عبد القادر ملك علماء العارفين، ومالك أزمة أفعال المتصرفين، يا أبا الحسن لم يكن لك من أحكام واردك مشاهدات لك، لكن لما مازج نظر الشيخ عبد القادر واردك أنتج لك هذه المشاهدات، وفي أدناهن تفنى الأعمار، ولولا قوله لك: خذها بقوة لا نفصل عنك عقلك وحشرت في زمرة المتولهين، وقد أخبرك أنك ممن يقتدى بك بقوله لك: وأمر قومك يأخذوا بأحسنها.

وقال رضي اللّه عنه: مقامات العارفين على سبعة أصول: تعلم آداب الحضرة اقتداء، والعجز عن الإدراك ارتقاء، والتوجه للمعارف اهتداء، واتخاذ الجوع وصالاً، وانفصال الأرواح عند المناجاة حالاً، والوقوف مع التوحيد وضعاً، وذكر سورة الإخلاص سراً، فكلما أتم العارف مقاماً من هذه المقامات فتح اللّه له في آخر كل مقام باباً من أبواب مواهبه، فيفتح له من تعلمه آداب الحضرة، اقتداء باب البسط،

وهو أن يبسط اللّه تعالى له في الملك والملكوت، والجبروت بساطاً من مواهب رحمته، ولطائف منته، فهو في بساط الملك بالعلم والجسم، وفي بساط الجبروت بالحال والقلب، وفي بساط الملكوت بالروح والسر، فتظهر له أسرار المقامات، وحقائق الأحوال مع انتفاء الغيب جهراً، والفناء عن الالتفات سراً، والمخاطبة بالجواب أمراً، تجد أرواحهم نسيم القرب فلا تألف إلا بنسبتها، وهذا هو سر العرفان المتولد عن التقوى، وهو أول حقائق العارفين في أول مشاهدتهم ومبادي منازلتهم، ومن آداب المصطفى ﷺ في الحضرة أنه لما سلم اللّه تعالى عليه ليلة المعراج في قاب قوسين، وقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته، لم يرد السلام على اللّه تعالى لعظم الحضرة، بل قبل هيبته ولم يدع المكافأة، وتجلت له حقائق المؤمنين التابعين له، فرد السلام على نفسه وعليهم، وقال: السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين، ولما كان السلام والرحمة والبركة ثلاث مراتب كان من سواه على ثلاث مراتب الصديقين والشهداء والصالحين، فالصديقون للسلام، والشهداء للرحمة، والصالحون للبركة، وواردات المصطفى ﷺ في أفعال الحق على ثلاثة أقسام في ثلاثة مواطن:

الأول: رحمتي سبقت غضبي، فوجب بهذا الوصف السلام.

والثاني: هذه إلى الجنة، وهذه إلى النار، فوجب بهذا الوصف الرحمة.

والثالث: لمن الملك، اليوم وهذا الوصف في مقابلة ظهور البركة، فمن سبقت رحمته في أفعاله غضبه فقد تأدب بنزول تلقيه وله السلام، وكان من الصديقين الجالسين على بساط الجبروت، ومن قدم رضاء ربه على هوى نفسه فقد تأدب بالتلقي الثاني وله الرحمة،وكان من الشهداء الجالسين على بساط الملكوت، ومن لم يخشَ إلا اللّه عز وجل علماً بأن لا ضار ولا نافع سواه فقد تأدب بالتلقي الثالث، وله البركة وكان من الصالحين الجالسين على بساط الملك، واقتفاء كل من نزل مقاماً من هذه المقامات الثلاثة لآداب النبي ﷺ بحسب تلقيه من آداب هذه المحاضر الربانية الثلاثة، لأن هذه المقامات إنما نشأت وظهرت من بركة إشارته ﷺ لأهل التمكين من أمته، ويفتح له في العجز عن الإدراك ارتقاء باب التمكين،وهو أن اللّه تعالى يحقق له أنوار الغيبة في الحضور، وأسرار الحضور في الغيبة، فهو مع اللّه تعالى في مشاهدة الأنوار في الغيبة، ومع التجلي في ملاحظة الأسرار في الحضور بحكم الجملة والتفصيل على صراط الكتاب والسنة، وهذا هو الذي ينبغي الاقتداء بطريقته، والاهتداء بحقيقته،

فإذا كان حاضراً أشرقت عليه شموس العبارات من حقائق الآيات، وإذا كان غائباً أخفته رموز الإشارات مع بقائه بالأبد، وفنائه بالأزل معناه بقاؤه بالعلم وفناؤه بالمعلوم، ويفتح له في التوجه للمعارف اهتداء باب الفكر، وهو أن يتضاءل بالملك والملكوت، وعوالمهما في فسيح أنوار فكرته، وهم الذين خرجوا من رق الأكوان في الأزل ففهموا أسرار التسخير على الجملة والتفصيل، وقبلوا الشرائع كشفاً، وتحققوا الملكوتيات إدراكاً، ويظهر عليهم من تحية اللّه تعالى في عالم أرواحهم ما يقع أثره في أرواح المؤمنين، فينمو إيمانهم وترقى مقاماتهم فترجع الأعمال إليهم اضطراراً، ويتركون الأكوان اختياراً ويفتح له في اتخاذ الجوع وصالاً باب القوة الملكوتية والحقيقة الروحانية، وهو استيلاء أنوار الصمدية على ذات وجوده فتخرق بأنوارها ظلم الأجسام، فلا ترجع إليه حاسة الطبع الجسماني إلا بعد عدد الأسماء أياماً، وذلك مما يعلمه المحققون، وهذه مبادىء القوم في الجوع، وأما نهايتهم فيه، بأن تخرق أجسامهم حجب الغيوب، وتفجر أنوارهم ينابيع الحكم من خزائن القلوب، وطعامهم كلام اللّه تعالى وشرابهم سنة الرسول ﷺ، وغذاؤهم من طعام الفضل في مقر الأمن، وريهم سلسبيل القرب المختوم بختام الأنس، ويفتح له في انفصال الأرواح عند المناجاة حالاً باب الاسترواح، وهو المعبر عنه بالنفس والروح، وهو طيب الوقت بصفاء السر، واستنشاق نسيم القرب من حضرة الوصال، وهذا الذي صلاته دائمة الوجود، ومناجاته سرمدية الشهود، فكل زمن منه صلة، وكل نفس منه مناجاة، وكل لحظة منه شهود، وكل حركة منه استرواح، وهذا يرزقه اللّه تعالى التمكين في عالم الأرواح، فينفصل بالاستغراق في طلب الفناء متى أراد، ويتصل بعالم الصحو والحس متى أراد، ففي العرش سر تمكينهم كما أن في الكرسي سر تلوينهم مع حفظ القالب حساً، وظهور النور حكماً، وشهود الحق جمعاً، ويفتح له في الوقوف مع التوحيد وضعاً باب العناية الربانية، وهو أن يثبته اللّه تعالى في مبدأ إرادته وحقيقة إجابته، وأول فطرته، فهو في العلم يسمع من اللّه تعالى، وفي الأفعال يشهد الفاعل عز وجل، وفي الفطرة يوحد اللّه تعالى بما وحد به نفسه على تمام كمال صفاته التي أودعها في حقائق أسمائه، فهذا هو الذي جاءه الرسول ليذكره في عالم الإنسانية مبدأ أمره في مبدأ فطرته، كما أتى غيره ليعلمه حقائق إنسانيته لأن له ﷺ الكمال الأوفى بشيراً لأهل القبضة اليمنى، نذيراً لأهل القبضة اليسرى، وحقيقة الوقوف مع التوحيد وضعاً طمس البصائر عن التواني، وخرق الحجب وكسر الأواني، وشهود ما تجلى في السبع المثاني، ويفتح له في ذكره سورة الإخلاص باب التجلي، وهو

أن يتجلى له الحق تعالى في الموجودات، فهذا عبد كلت فيه أسن الموجودات، فيوحد اللّه تعالى بحركته عدد من وحده وبسكونه عدد من لم يوحده، وإن كانت الخلائق كلها موحدة لله تعالى فهو يوحد اللّه تعالى بجهر من وحده، وبسر من لم يوحده، فهو سر قطب التوحيد، وباطن التفريد، ولطيفة التجريد، فهؤلاء قوم شاهدوا تجلي الحق سبحانه في أطوار التوحيد بكل لسان وكل لغة، فيأتسون بالجمادات لسر أذكارها، ويسمعون نطقها في عالم أسرارها، فإذا سمعوا كلام اللّه العظيم فاضت عليهم أنوار التعظيم فيعقبهم التوحيد إيناساً، وإذا تكلموا فاضت عليهم أنوار التعظيم فيعقبهم الوقوف على حدهم استحقاراً، وإذا استغرقوا في الحال فاضت عليهم أنوار التعظيم فيعقبهم الصمت أدباً، وإذا تحرك وارد الفعل فاضت عليهم أنوار التعظيم فيلزمهم لزوم الثبات على الشرع، فيريهم مولاهم بهذه الاختصاصات حقائق ما لهم في اليوم الأخروي، ويبسط لهم نور الكشف في طبقات الأكوان، فينكشف لهم ما في اللوح المحفوظ، ويشهدون بسر العناية الأزلية مواضع أهل الدارين، وما أعد اللّه لكل في مآله، ويسمعون داعياً من قلوبهم ومخاطباً من أسرارهم، فأما الداعي الذي من قلوبهم فينطق لهم عن حقائق الأرواح في الدارين، فتنكشف لهم حقيقة أحوالها من النعيم، والعذاب في البرزخ، وهم على قسمين: قوم كملوا المقام فرأوا ذلك كشفاً، وقوم لم يكملوا المقام فبرز لهم ذلك من وراء أستار الإشارات، وأما المخاطب الذي من أسرارهم فينطق لهم بمظاهر لطائف الأسرار في التوحيد وحقائق الشرائع وأنواع الفهم عن اللّه عز وجل، وإذا نظر أحدهم إلى الخلق بعين التوحيد برزت لهم القدرة لاستحكام أنوار التوحيد على مقامه، وإذا نظر إليهم بعين العلم تراءت لهم الإرادة ببطون القدر لتفرقة العلم وجمع التوحيد، وهذا الذي يخرق بواطن الخلق بأنوار المكاشفات فينجلي له ما أودع فيها من أسرار التصريف، وهذا ينتفع به أهل الخلوات، وأرباب الرياضات، ويزن أحوال أصحاب الرسوخ بقسطاس الحقيقة على بساط الكشف، قد أمده اللّه تعالى بالقوة الملكوتية في إخراق أحوال الواصلين، يختلف إلى زوايا بواطن السالكين فيكمل نقائص الناقص، ويرجع حال الصادق ويظهر على نسبة حال الرائي، فتارة في الخيال لضعف المريد، وتارة في الحس لتمكن السلوك، وتارة يخاطب المريد من زواياه، وتارة يخاطبه من لطائف أسراره، فيمد أرباب الأحوال بلطائف البواطن، ويمد أصحاب الأعمال بشرائف الأذكار، وله القوة في التصريف، وربما قرب إلى البواطن بمعاني القرب، وربما بعد من الكشف بقرائن الأحوال في طور القربة.

أخبرنا أبو الفتوح نصر الله بن أبي المحاسن يوسف بن خليل الأزجي، قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن حمزة الأزجي المعروف بابن الطبال، قال: سمعت الشيخ أبا المظفر منصور بن المبارك الواسطي الواعظ المعروف بجرادة، يقول: دخلت وأنا شاب على الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه ومعي كتاب يشتمل على شيء من الفلسفة وعلوم الروحانيات، فقال لي، من دون الجماعة قبل أن ينظر في كتابي أو يسألني عما فيه: يا منصور بئس الرفيق كتابك هذا قم فاغسله، فعزمت أن أقوم من بين يديه وأطرح الكتاب في بيتي ثم لا أحمله بعد ذلك خوفاً من الشيخ، ولم تسمح نفسي بغسله لمحبتي فيه، وكان قد علق بذهني شيء من مسائله وأحكامه، فنهضت لأقوم بهذه النية فنظر إلي الشيخ كالمتعجب مني، فلم أستطع النهوض، وإذا أنا على حال المقيد، فقال لي: ناولني كتابك، ففتحته فإذا هو كاغد أبيض لا حرف مكتوب فيه، فأعطيته إياه فتصفح أوراقه، وقال هذا كتاب فضائل القرآن لمحمد ابن الضريس وأعطانيه، فإذا هو فضائل القرآن لابن الضريس مكتوباً بأحسن خط، فقال لي الشيخ: تتوب أن تقول بلسانك ما ليس في قلبك، قلت: نعم سيدي، قال: قم فنهضت فإذا أنا قد أنسيت جميع ما كنت حفظت من مسائل الفلسفة، وأحكام الروحانيات، ونسخ من باطني حتى كأنه لم يمر بي قط إلى الآن.

قال: وشهدته مرة متوسداً فقيل له: إن فلاناً وسمي له رجل كان مشهوراً في ذلك الوقت بالكرامات والعبادات والخلوات والزهد قد قال إنه تجاوز مقام يونس ابن متى نبي الله ﷺ، فتبين الغضب في وجه الشيخ واستوى جالساً، وتناول الوسادة بيده وألقاها بين يديه، وقال: قد أصبت قلبه فنهضنا مسرعين، فوجدنا ذلك الرجل قد فاضت روحه في ذلك الوقت، وكان سوياً لا علة به، ثم رأيته بعد مدة في المنام في حالة حسنة فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، واستوهب لي كلمتي من نبيه يونس بن متى ﷺ، وكان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: شفيعي عند الله تعالى، وعند نبيه يونس بن متى، وقلت خيراً كثيراً.

وقال رضي الله عنه في الذكر: أعذب مورد وردته عطاش العقول مورد الذكر والتوحيد، وأطيب نسيم هب على مشام القلوب نسيم الأنس بالله عز وجل، التلذذ بحلاوة مناجاة الله كؤوس راحات الأرواح، وذكر الله تعالى جلاء رمد عيون العقول، ودرر حمد الله لا يرضع بها إلا تيجان مفارق الأسرار، ومسك شكره لا يفتق إلا في جيوب ثياب الأرواح، وورد الثناء عليه لا يطلع إلا على شجر ألسن

عباده المؤمنين إن ذكرت ربك بألسن حسن صنعه فتح أقفال قلبك، وإن ذكرته بألسن لطائف أسرار أمره فأنت ذاكر على الحقيقة، وإن ذكرته بقلبك قربك من جنات الرحمة، وإن ذكرته بسرك أدناك من مواطن القدس، وإن صدقته في حبه حملك بجناح لطفه إلى مقعد صدق، ما عرف قدر جلاله من فتر لحظة عن ذكره، ولا لاحظ أزلية وحدانيته من التفت بعين سره إلى غيره، الذكر روح جناب الرحمة، يهب نسيمه على مشام أرواح الذاكرين، فتهتز من نشواته أعطاف الأرواح في أقفاص الأشباح، فتقوم العقول راقصة في بساتين الصور، وتخرج الأسرار هائمة في براري الوجد، وتنطق بلابل السكر بما في خبايا الضمائر، ويحترق المحب بنيران التلهف، ويغيب المشتاق عن نظر ذاته لشدة التأسف، ويقول لسان الواجد طرباً بقرب الوجد: إني لأجد ريح يوسف، فتبرز مواشط القدم تجلو عرائس صفات المحبوب على أعين الألباب في قصور الأفكار تحت قباب الأسرار، ثم يجلل عليها بجلال ستور الغيبة فتحتجب برداء العظمة، فرمدت عيون البصائر من حر يبس العشق، وسقطت قوادم أقدام شوقها لطول سفرها في هجير براري الهجوم، فأرسل إليها سفير الكرم طبيب القدر، فداوى رمدها بكحل بسم الله الرحمن الرحيم، فلما طلعت طلائع هذا الاسم في جبروت الجلال، وسطعت سطوة العز تحت خفقات بنود الكبرياء بهتت عيون العقول، ودهشت نواظر الأفهام، ووقفت أطيار الأفكار وطمست سطور كتابات الكائنات، وقال لسان هيبة الأحدية، وخشعت الأصوات للرحمن، فتزلزلت جبال عصم الألباب، ودكت ببهاء نور تجلي أرض نعوت البشرية، وقصت أجنحة الأرواح فلا مطار لها في فضاء علم التفريد، وتيمت القلوب بأشواق عشقه، وهامت الأسرار بوله حبه، وتبلبلت الأفكار في براري بعده وقربه، فحكمه مبثوثة في كل ذات، وآثار صنعه لائحة في كل مصنوع، وعجائب قدرته ظاهرة في كل كائن، وبراهين وحدانيته قائمة على كل موجود، وأنوار اقتداره باهرة لعين كل عقل، وألسن حسن صنعه تخاطب أهل الوجود بإشارات شواهد إلهيته، قابل مرايا العقول بأشخاص بيان عجائبه، وجلي على عيون قلوب عباده عرائس أسرار الغيب ذلكم الله ربكم له الملك، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير.

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن عمر الدنيسري المعروف بابن مزاحم بظاهر القاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا القدوة أبو محمد علي بن أبي بكر بن إدريس الروحاني اليعقوبي بها سنة خمس عشرة وستمائة.

قال: أخذ سيدي الشيخ أبو الحسن علي بن الهيتي رضي اللّه عنه بيدي، وأتى بي إلى سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه في سنة خمسين وخمسمائة.

وقال له: هذا غلامي، فخلع ثوباً كان عليه وألبسني إياه، وقال لي: يا علي لبست قميص العافية، **قال**: فلي منذ ألبسنيه خمس وستون سنة ما حدث لي فيها ألم أشكوه، **قال**: وأتى بي أيضاً إليه في سنة ستين وخمسمائة، وقال له: أطلب منك له خلعة باطنية، فأطرق ملياً فرأيت بارقة من نور صدرت عنه، واتصلت بي، فرأيت في الوقت الحاضر أصحاب القبور وأحوالهم، والملائكة في مقاماتهم، وسمعت تسبيحهم باختلاف لغاتهم، وقرأت المكتوب على جبين كل إنسان، وكشف لي عن أمور جليلة كشفاً جلياً، فقال لي الشيخ: خذها ولا تخف، فقال له سيدي الشيخ علي: أخاف عليه زوال العقل، فضرب بيده على صدري فوجدت في باطني شيئاً على هيئة السندان، فلم أرتع لشيء مما رأيت،وسمعت، وأنا إلى الآن أستضيء بنور تلك البارقة في طرق الملكوت.

قال: ودخلت إلى بغداد أول دخولي إليها وأنا لا أعرف فيها أحداً ولا مكاناً، فالتجأت إلى مدرسة حسنة وهي مدرسة الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، ولم يكن فيها وقتئذٍ غيري، فسمعت قائلاً يقول من داخل الدار التي فيها: يا عبد الرزاق اخرج وانظر من ثمة، فخرج ونظر ودخل **وقال**: ما من ثم إلا صبي سوداني، **قال**: لهذا الصبي شأن عظيم، ثم خرج الشيخ إليَّ ومعه خبز وطعام وما كنت رأيته قبل، فقمت إجلالاً له فقال: يا علي أنت هنا، ووضع الطعام قدامي، وقال لي: نفع اللّه بك، نفع اللّه بك، نفع اللّه بك، سيأتي زمان يفتقر فيه إليك، وتصير علياً، **قال**: فأنا دعوة الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه.

وقال رضي اللّه عنه في الشريعة المطهرة: الإيمان طائر غيبي ينزل من أفق يختص برحمته من يشاء، يسقط على شجرة قلب العبد بترنم له لذيذ لحون يبشرهم ربهم بطير من قفص صدر صاحبه؛ إلى مقعد صدق الشريعة المطهرة المحمدية، ثمرة شجرة الملة الإسلامية، شمس أضاءت بنورها ظلمة الكون اتباع شرعه يعطي سعادة الدارين، احذر أن تخرج من دائرته، إياك أن تفارق إجماع أهله في قلب صاحب الشرع الأعظم ودائع بدائع الحكمة في أسرار صاحب الناموس الأكبر، جواهر خزائن الغيب، اجعل قبول أمره طريقك إلى اللّه تعالى، صير كعبة عقلك مهبط أملاك كلمات أحكامه، من ماء غمام أقواله تشرب عطاش الأرواح

في عيون حياة بألفاظه، يغتسل خطر العقول، نادى منادي الأرواح في الكامنة في القوالب آثار ساكن عزمها إلى العلي، طارت بأجنحة الغرام في فضاء المحبة، وقعت بعد التعب على أغصان الشوق، وتناغت في السحر بلابلها بمطربات ألحان الحنين إلى جمال وأشهدهم أزعجها هبوب نسيم الغرام إلى إعادة لذاذة ألست بربكم، خرجت بعض تلك الطيور من أقفاص الصدور تتلمح أثراً من مطارها القديم، تستنشق نسمة من مهب التكليم، تتذكر عيشها في ظل أثل الوصل، تشكو جواها بعد بعاد الأحباب، فسمعت داعي اللّه بلسان إنسان عين الوجود، انتقش دعاؤه ﷺ في صفحات ألواح الأرواح، صارت دعوته ريحاً تهز أغصان أشجار القلوب، اضطربت فرسان العقول في ميادين الصور غراماً، بما سمعت، اهتزت الألباب بأيدي الوجد طرباً بذلك العهد، صار عيشها له سراً من أسرار القدم، وأصبح ولهها به لطيفة من لطائف القدر، إذا أشرقت على النفوس الحرية أنوار الغيب حفظت الأسرار، وارتفعت الحجب الظاهرة من عيون بصائرها، لاحظت جمال صاحب الكون شاهدته بصفاء مرايا الأسرار، كعبة كل عارف موضع نظرات الحق منه أقرب الطرق إلى اللّه تعالى لزوم قانون العبودية، والاستمساك بعروة الشريعة الإسلامية، والاستقامة على جادة التقوى، أنسك باللّه عز وجل على قدر وحشتك من غيره، ثقتك به على قدر معرفتك به، الكدر في الأعمال نوع من الحرمان، الانغماس في طلب الدنيا يثني العقل عن طلب اللّه عز وجل، الرياء في المطالب كسوف في شموس الطلب، والنفاق في المقاصد خدش في وجوه القصد، عدم المطلوب عذاب القلوب، فرقة الأحباب عذاب العقول، علائق زهد الدنيا حجاب يمنع من الوصول إلى الملكوت العلى، إقبالك على اللّه عز وجل بوجه عبادتك في الدنيا سبب إقباله عليك بوجه الرحمة، لو بلغ طفل عقلك الأشد في حجر التأديب ما التفت إلى الدنيا، لكن هو يعد في مهد شغلتنا أموالنا وأهلونا، الأرواح الطاهرة قناديل هياكل الأجساد، العقول الصافية ملوك قصور الصور، يا غلام افتح عين عقلك لتلقى عرائس أسرار الأزل، وانتشق بمشم روحك هبوب نسيم لطائف القدر، إن اللّه تعالى وضع تماثيل الوجود على ساحل بحر الدنيا لامتحان عيون أهل البصيرة، وتسلم من الالتفات إلى زخرفها أطفال أرواح أقيمت في مهود الثبات، وربيت في حجور العصمة، وأرخيت عليها أكناف آيات الأمر، ولو كوشفت بلطائف مخبئات القدر، وجليت عليها عرائس الغيب وردت إلى كهف الكرم بلبل أسرار العارفين هيم أفكار الوالهين، زلزل جبال

عصم العقول، اطلع على مخبئات الأسرار يا أرواح المؤمنين طيري إليه بأجنحة الشوق، وصدق العشق، اطوي في صدق قصدك إليه أذيال بساط البسيطة، اصبري حول شمعة طلبه فراشاً يتهافت حول النور، حومي حول حماه بقوادم أقدام الوله، اطلبي منه ما طلب آدم ﷺ، ربنا ظلمنا أنفسنا، ﴿وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [ص:١٠٧].

(١٣٥) **أخبرنا** الشيخ الأصيل أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله بن علي الطبري الأصل، الجوي المولد والدار بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي أحمد بجوى سنة خمس عشرة وستمائة، والشيخ نور الدين أبو عبد الله محمد الجيلي الأصيل، القزويني بها سنة ثماني عشرة وستمائة.

قال: قالا: لما اشتهر أمر الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه في البلاد، قصد زيارته ثلاثة مشايخ من جيلان، فلما دخلوا بغداد وأتوا إلى مدرسته استأذنوا عليه فوجدوه جالساً وبيده كتاب، ورأوا إبريقه متوجهاً إلى غير جهة القبلة، والخادم واقف بين يديه فنظر بعضهم إلى بعض كالمنكرين على الشيخ بسبب الإبريق، وتفريط الخادم فيه، فوضع الكتاب من يده، ونظر إليهم نظرة، ونظر إلى الخادم نظرة، فوقع ميتاً، ونظر إلى الإبريق نظرة فدار وجهه إلى القبلة، قالا: وحضر عنده بمدرسته ببغداد سنة ست وأربعين وخمسمائة الشيخ بقا بن بطو، والشيخ علي بن الهيتي، والسيد الشريف الشيخ أبو سعد القيلوي، والشيخ ماجد الكردي رضي الله عنهم أجمعين، فأمر الشيخ خادمه أن يمد السماط، فلما هياه وأخذوا في الأكل قال لخادمه: اقعد وكل، قال: أنا صائم، قال: كل ولك أجر صوم يوم، قال: أنا صائم، قال: كل ولك أجر صوم إسبوع، قال: أنا صائم، قال: كل ولك أجر صوم شهر، قال: أنا صائم، قال: كل ولك أجر صوم سنة، قال: أنا صائم، قال: كل ولك أجر صوم الدهر، قال: أنا صائم. فنظر إليه مغضباً فسقط إلى الأرض وانتفخ جسده وتقطر قيحاً ودماً، فشفع فيه المشايخ الحاضرون وسكنوا غضبه عليه حتى رضي عنه، فعاد كما كان كأن لم يكن به شيء.

ومما جمعت من كلامه رضي الله عنه في التنزيه: ربنا الله القريب في علوه، المتعالي في دنوه، بارىء الخلق بقدرته، ومقدر الأمور بحكمته، والمحيط بكل شيء بعلمه، تمت كلمته، وعمت رحمته، لا إله إلا هو، وكذب العادلون به ومن ادعى له نداً، أو اعتقد له شبيهاً أو سمياً، سبحان الله عدد خلقه وزنة عرشه

ورضاء نفسه ومداد كلماته، ومنتهى علمه وجميع ما شاء وخلق وذرأ، وبرأ، عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، الملك القدوس، العزيز الحكيم، واحد أحد فرد صمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا شبيه له ولا نظير، ولا عون ولا ظهير، ولا شريك له ولا وزير، ولا ند ولا مشير، ليس بجسم فيمس، ولا جوهر فيحس، ولا عرض فينتفى، ولا ذي تركيب فيتبعض، ولا ذي آلة فيمثل، ولا ذي تاليف فيكيف، ولا ذي ماهية مخيلة فيحدد، ولا طبيعة من الطبائع، ولا طالع من الطوالع، ولا ظلمة تظهر، ولا نور يزهر، أحاط بالأشياء علماً من غير ممازجة، شاهد لها اطلاعاً من غير مماسة، قاهر حاكم، قادر راحم، غافر ساتر، خالق فاطر، فرد معبود، حي لا يموت أزلي، لا يفوت أبدي الملكوت، سرمدي الجبروت، قيوم، لا ينام عزيز لا يضام، منيع لا يرام، له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، والجد الأبقى، لا تصوره الأوهام ولا تقدره الأفهام، ولا يدرك بالقياس، ولا يمثل بالناس، ولا تكيفه العقول، ولا تحده الأذهان، جل أن يشبه بما صنعه، أو يضاف إلى ما اخترعه، محصي الأنفاس، قائم على كل نفس بما كسبت، لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً، يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ، يرزِق ولا يُرزَق، يجير ولا يُجار عليه، خلق ما ابتدع لا لاجتلاب نفع ولا لدفع ضر، ولا لداعٍ دعاهُ، ولا لفِكرٍ حدث لهُ، بل إرادة مجردة عن تغيرات الحدثان، فهو المنفرد بالقدرة على اختراع الأعيان، وكشف الضر وإزالة البلوى، وتقليب الأعيان، وتغير الأحوال، يسوق ما قدر إلى ما وقت، لا معين له في تدبير ملكه، حي بحياة غير مكتسبة، ولا مسبوقة، عالم بعلم غير محدث ولا محجوب ولا متناه، قادر بقدرة غير محصورة مدبر بإرادة لا محدثة ولا متناقضة، حفيظ لا ينسى، قيوم لا يسهو، رقيب لا يغفل، يقبض ويبسط، يرضى ويغضب، يغفر ويرحم، أوجد وأعدم، فاستحق أن يقال له قادر، أزاح علل مخلوقاته وأبداها كاملة الوصف فاستحق أن يقال له رب، أجرى أفعال عباده على مقتضى مراده منهم، فاستحق أن يقال له إله، لا يتجدد له علم ينافي علمه في القدم، فاستحق أن يقال له عالم على الحقيقة، لا تشابه ذاته ولا صفاته ذات ولا صفات، فوجب أن يقال له ليس كمثله شيء، كل شيء قائم فقيامه بديمومية أزله، كل حي فحياته مستفادة بأمره إن ضرب العقل لعزته مثلاً أو جال العلم في جلاله جدلاً، وقف الفهم مذهولاً ودهش الفكر كللاً، ولاح التعظيم جللاً، ولم يجد للتنزيه بدلاً، ولا عن التوحيد حولاً .

وجاءت جيوش التقديس قبلاً تسلك سبل التفريد ذللاً، حجب الألباب برداء كبريائه عن معرفة كنه ذاته، وحسر الأبصار بنور بقائه عن إدراك حقيقة أحديته، فإن نهضت غايات علوم الخلائق تقفو خبراً أو شخصت نهايات معارف الممالك تتلمح أثراً تألق لها بارق من الأزل مبرقعاً بنقاب الكمال عن نقائص التشبيه، فلم تستطع مجاورة سناه، ومحقت مداركها، وانفعالات قواها في اتصال أوصاف القدم؛ بنعوت الأبد اتصالاً لم يزل غير مسبوق بانفصال، ولا صائر إلى انفصال، وبدت من جنات القدس الأشرف هيبة تميت العلل، وانفراد يمنع التعدد ووجود يحيل الحدر جلال ينفي الكيف، وكمال يسقط المثل، ووصف يوجب الوحدة وقدرة تبسط الملك، ومجد يستنفد المحامد، وعلم محيط بما في السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحار، ومنبت كل شعرة وشجرة ومسقط كل ورقة وعدد الحصى والرمال ومثاقيل الجبال ومكاييل البحار، وأعمال العباد وآثارهم وأنفاسهم، وهو باين من خلقه ولا يخلو مكان من علمه، فرجعت ليس لها علم سوى التصديق بأحديته، والإقرار أن لا أول لقدم أزليته، ولا آخر لبقاء أبديته، ولا كيف ولا مثل يدخلان في صمديته، تعرف إلى خلقه بصفات ليوحدوه، ويثبتوا وجوده، لا ليشبهوه، فالإيمان يثبتها بعلم اليقين تصديقاً، والاطلاع على علم حقيقتها غيب لا مجال للعقل في إدراكه، وكلما حكاه الوهم، أو جلاه الفهم، أو تخيله العقل، أو تصوره الذهن، فعظمة الله وجلاله وكبرياؤه بخلاف ذلك، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

أخبرنا الفقيه أبو الفتح نصر الله بن القاسم بن يوسف بن خليل بن أحمد الهاشمي البغدادي الكرخي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان الأجلان، قاضي القضاة أبو صالح نصر بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن الإمام محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، والشيخ أبو الحسن علي بن سليمان الخباز ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال أبو صالح: أخبرنا أبي عبد الرزاق، وعمي عبد الوهاب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

وقال أبو الحسن: أخبرنا العمران الكيماتي، والبزار سنة تسعين وخمسمائة.

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبادة بن عبد المحسن بن المنذر الأنصاري الجيلي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة ح.

قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ القدوة أبو محمد عبد الله بن عثمان اليونيني

بدمشق سنة ست عشرة وستمائة، والشيخ العارف أبو إسحاق إبراهيم بن محمود ابن جوهر البعلبكي، ثم العقيبي بها سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قالا: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو محمد عبد الله البطائحي رضي الله عنه. قال: حضر مجلس شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه بمدرسته ببغداد سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، أبو المعالي محمد بن علي بن أحمد البغدادي التاجر، فاخذته حقنة شديدة منعته من الحركة لشدتها، وبلغت منه الجهد، فنظر إلى الشيخ نظر المستغيث، فنزل الشيخ مرقاة فظهر على المرقاة الأولى رأس كرأس الآدمي، ثم نزل الأخرى فظهر كتفان وصدر، وما زال ينزل مرقاة مرقاة حتى تكملت على الكرسي صورة كصورة الشيخ تتكلم على الناس بصوت مثل صوته، وكلام مثل كلامه، ولا يرى ذلك إلا هو ومن شاء الله تعالى، وجاء يشق الناس حتى وقف عليه وغطى رأسه بكمه، وفي رواية عبد الرزاق بمنديله.

قال: فإذا هو في صحراء متسعة فيها نهر عنده شجرة فعلق فيها مفاتيح كانت في كمه، وأزال حقنته، وتوضأ من ذلك النهر، وصلى ركعتين، فلما سلم منهما رفع كمه أو منديله، فإذا هو في المجلس وأعضاؤه مبتلة بالماء، ولا حقنة به، والشيخ على الكرسي كأن لم يزل فسكت ولم يذكر ذلك لأحد، وتفقد مفاتيحه فلم يجدها معه، ثم بعد مدة جهز قافلة له إلى بلاد العجم وساروا من بغداد أربعة عشر يوماً، فنزلوا منزلاً في برية فيها نهر، فذهب فيها ليزيل حقنته، ف**قال:** ما أشبه هذه الصحراء بتلك الصحراء، وهذا النهر بذلك النهر، وذكر شأنه ذلك في ذلك اليوم، فإذا هو بذلك النهر، وبتلك الأرض، وبتلك الشجرة، وبحقنته في ذلك اليوم فعرف ذلك، ولم ينكر منه شيئاً، ووجد مفاتيحه معلقة في الشجرة، فلما رجعوا إلى بغداد أتى إلى الشيخ ليخبره فأمسك بأذنه قبل أن يخبره بشيء، وقال له: يا أبا المعالي، لا تذكره لأحد وأنا حي، ولازم خدمته إلى أن مات رضي الله عنه.

وقال في الحلاج رضي الله عنه: طار طائر عقل بعض العارفين من وكر شجرة صورته، وعلا إلى السماء خارقاً صفوف الملائكة، كان بازياً من بزاة الملك مخيط العينين بخيط وخلق الإنسان ضعيفاً، فلم يجد في السماء ما يحاول من الصيد، فلما لاحت له فريسة رأيت ربي ازداد تحيره في قول مطلوبه أينما تولوا فثم وجه الله، عاد هابطاً إلى حطيرة خطة الأرض، طلب ما هو أعز من وجود النار في قعور البحار، تلفت بعين عقله فما شاهد سوى الآثار، فكر فلم يجد في الدارين مطلوباً سوى محبوبه، فطرب فقال بلسان سكر قلبه: أنا الحق ترنم بلحن

غير معهود من البشر، صفر في روضة الوجود صفيراً لا يليق ببني آدم، لحن بصوته لحناً عرضه لحتفه، ونودي في سره: يا حلاج، اعتقدت أن قوتك بك، قل الآن نيابة عن جميع العارفين حسب الواحد ما فراد الواحد، قل: يا محمد أنت سلطان الحقيقة، أنت إنسان عين الوجود، على عتبة باب معرفتك، تخضع أعناق العارفين في حمى جلالتك، توضع جباه الخلائق أجمعين.

أخبرنا الفقيه أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم بن حجاج بن يعلى بن عيسى المغربي الفاسي المالكي المحدث بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا جدي حجا بفاس سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قال: حججت مع الشيخ أبو محمد صالح بن ويرجان الدكالي رضي الله عنه سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، فلما كنا بعرفات وافينا بها الشيخ أبا القاسم عمر ابن مسعود البغدادي المعروف بالبزار، فتسالما وجلسا يتذاكران أيام الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه.

قال الشيخ أبو محمد: قال لي سيدي الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: يا صالح سافر إلى بغداد، وأتِ الشيخ محيي الدين عبد القادر ليعلمك الفقر، فسافرت إلى بغداد، فلما رأيته رجلاً ما رأيت أكثر هيبة منه، فأجلسني في خلوة مائة وعشرين يوماً، ثم دخل عليَّ وقال لي: يا صالح انظر إلى هنا، وأشار إلى جهة القبلة،قلت: نعم، قال: ما ترى؟ قلت: الكعبة، قال: انظر إلى هنا، وأشار إلى جهة المغرب، قلت: نعم، قال: ما ترى؟ قلت: شيخي أبا مدين، قال لي: أين تريد تذهب إلى هنا، وأشار إلى جهة الكعبة، أو إلى هنا، وأشار إلى جهة المغرب؟ قلت: إلى شيخي أبي مدين، قال: في خطوة تذهب أو كما جئت؟ قلت: بل كما جئت، قال: هو أتم، ثم قال لي: يا صالح إن أردت الفقر فإنك لن تناله حتى ترقى سلمه، وسلمه التوحيد، وملاك التوحيد محو كل متلوح من المحدثات بعين السر، قلت: يا سيدي أريد أن تمدني منك بهذا الوصف، فنظر إليَّ نظرة فتفرقت عن قلبي جواذب الإرادات كما يتفرق ظلام الليل بهجوم نور النهار، وأنا إلى الآن أنفق من تلك النظرة.

وقال الشيخ عمر البزار: وأنا أيضاً كنت جالساً بين يديه في خلوته، فقال لي: يا بني احفظ ظهري أن يقع عليه قط، فقلت في نفسي: ومن أين تأتي القط إلى هنا، ولا كوة في السقف، فلم يتم كلامه حتى وقع على ظهره قط، فضرب بيده في صدري، فأشرق في قلبي نور على قدر دارة الشمس، ووجدت الحق من وقتي، وأنا إلى الآن في زيادة من ذلك النور.

وقال رضي اللّه عنه: تفقه ثم اعتزل، من عبد اللّه بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه، خذ معك مصباح شرع ربك من عمل بما يعلم أورثه اللّه علم ما لم يعلم، اقطع الأسباب عنك، فارق الإخوان والأقسام، أعطها ظهر قلبك بتزهدك تكلف، إن ربك جلدك حسن أدبك، كن مقاطعاً لمن سواه منفصلاً عن الأغيار والأسباب، خائفاً على انطفاء مصباحك، أخلص لربك أربعين صباحاً تنفجر ينابيع الحكم من قلبك على لسانك، بينما هو كذلك إذ رأى نار الحق عز وجل كما رأى موسى عليه السلام يرى ناراً من شجرة قلبه، يقول لنفسه وهواه وشيطانه، وطبعه وأسبابه ووجوده: امكثوا إني آنست ناراً، نودي القلب من السر: أنا ربك، أنا اللّه فاعبدني، ولا تدن لغيري، لا تتعلق بغيري، اعرفني واجهل غيري، اتصل بي وانقطع عن غيري، واطلبني وأعرض عن غيري، إلى علمي إلى قربي، إلى ملكي إلى سلطاني، حتى إذا تم اللقاء جرى ما جرى، أوحى إلى عبده ما أوحى زالت الحجب زالت الكدر، سكنت النفس، جاءت الألطاف، جاء الخطاب: اذهب إلى فرعون، يا قلب ارجع إلى النفس والهوى والشيطان طوقهم إليَّ، اهدهم إليَّ، قل لهم: اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد، اتصل ثم انقطع ثم أوصل.

أخبرنا أبو عبد اللّه الحسن بن بدران بن علي البغدادي سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الفقيه عبد القادر بن عثمان بن أبي البركات التميمي البرداني ببغداد سنة خمس وثلاثين وستمائة. قال: أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد اللطيف ابن أحمد القرشي الصوفي ببغداد سنة ثلاثة وسبعين وخمسمائة ح.

وأخبرنا أبو غالب فضل اللّه بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن إبراهيم المصري البغدادي الأزجي الحنبلي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الأشياخ الثلاثة أبو عمرو عثمان بن سليمان المعروف بالقصير ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة، والشيخ أبو الحسن الخفاف البغدادي ببغداد سنة خمس وعشرين وستمائة، والشيخ أبو الحسن علي بن سليمان المعروف بالخباز سنة أربع وثلاثين وستمائة.

قال الخفاف: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو السعود الحريمي ببغداد سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

وقال القصير: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو محمد عبد الغني بن نقطة البغدادي بها سنة ثمانين وخمسمائة.

وقال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو عمرو عثمان الصريفيني بها سنة تسع وستين وخمسمائة.

وقال الخباز: أخبرنا شيخنا الشيخ عمر الكمياتي، والشيخ عمر البزار ببغداد سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ح.

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر المحمدي البغدادي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ بقية السلف أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن حسين البغدادي الصوفي المعروف بالسقا بجامع الخليفة سنة تسع وعشرين وستمائة.

قالوا: زار شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه مقابر الشونيزي يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة، ومعه جمع كثير من الفقهاء والفقراء، فوقف عند قبر الشيخ حماد الدباس رضي اللّه عنه زماناً طويلاً حتى اشتد الحر، والناس واقفون خلفه، ثم انصرف والسرور بين في وجهه، فسئل عن سبب طول قيامه، فقال: كنت خرجت من بغداد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة تسع وتسعين وأربعمائة مع جماعة من أصحاب الشيخ حماد الدباس رضي اللّه عنه، لنصلي الجمعة في جامع الرصافة والشيخ معنا، فلما كنا عند قنطرة النهر دفعني فرماني في الماء، وكان في شدة البرد في كوانين، فقلت: باسم اللّه نويت غسل الجمعة، وكان علي جبة صوف وفي كمي أجزاء، فرفعت يدي لئلا تبتل، وتركوني وانصرفوا، فخرجت من الماء وعصرت الجبة، وتبعتهم وقد تأذيت من البرد أذى كثيراً، فطمع في أصحابه فنهرهم وقال: إنما آذيته لأمتحنه فرأيته جبلاً لا يتحرك، وإني رأيته اليوم في قبره، وعليه حلة من جوهر، وعلى رأسه تاج من ياقوت، وفي يده أساورة من ذهب، وفي رجليه نعلان من ذهب، ويده اليمنى لا تطيعه، فقلت: ما هذا؟ قال: هذه اليد التي رميتك بها، فهل أنت غافر لي ذلك؟ فقلت: نعم، قال: فاسأل اللّه تعالى أن يردها عليَّ، فوقفت أسأل اللّه تعالى في ذلك، فأمن خمسة آلاف من أولياء اللّه تعالى في قبورهم، وسألوا اللّه تعالى أن يقبل مسألتي فيه، وتشفعوا عندي، في تمام المسألة فما زلت أسأل اللّه عز وجل في مقامي ذلك حتى رد اللّه تعالى يده عليه، وصافحني بها وتم سروره، فلما اشتهر هذا القول ببغداد اجتمع المشايخ والصوفية من أهل بغداد من أصحاب الشيخ حماد الدباس ليطالبوا الشيخ عبد القادر بتحقيق ما قال في الشيخ حمّاد، وتبعهم خلق كثير من الفقراء وأتوا إلى المدرسة، فلم يتكلم منهم أحد إجلالاً للشيخ، فناداهم بمرادهم وقال لهم: اختاروا رجلين من المشايخ يتبين لكم ما ذكرته لكم عن لسانهما، فاجتمعوا على الشيخ أبي يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف الهمداني، وكان يومئذٍ قد ورد إلى بغداد، والشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن

شعيب بن مسعود الكردي، وكان مقيماً ببغداد رضي اللّه عنهما، وكانا من ذوي الكشف الخارق، والأحوال الفاخرة، وقالوا له: أمهلناك في بيان ذلك عن لسانهما جمعة، فقال لهم: بل ما تقومون من مقامكم حتى يتحقق لكم هذا الأمر، وأطرق وأطرقوا، فصاح الفقراء من خارج المدرسة، وإذا الشيخ يوسف قد جاء حافياً يشتد في عدوه حتى دخل المدرسة وقال: أشهدني اللّه عز وجل الساعة الشيخ حماد، وقال لي: يا يوسف أسرع إلى مدرسة الشيخ عبد القادر، وقل للمشايخ الذين فيها صدق الشيخ عبد القادر فيما أخبركم به عني، فلم يتم الشيخ يوسف كلامه حتى جاء الشيخ عبد الرحمن، وقال مثل قول الشيخ يوسف، فقام المشايخ كلهم يستغفرون للشيخ عبد القادر رضي اللّه عنهم أجمعين.

وقال رضي اللّه عنه: ينبغي للفقير أن يتزيا بالعفة، ويتزين بالقناعة حتى يصل إلى الحق عز وجل، ويسعى بقدم الصدق طالباً لباب القرب، مهرولاً عن الدنيا والآخرة، والخلق والوجود، يحتاج أن يموت ألف مرة، ويفنى ألف مرة، تستقبله عناية الحق عز وجل، ورأفته ورحمته وشوقه إليه، وجذباته ونظراته ومباهاته، ومواكب أرواح النبيين والمرسلين، والصديقين والملائكة، تصحبه وترقيه إلى الحق عز وجل، ويتفرغ قلبه، ويصفو سره من كل محدث، ويدنو إلى الحق عز وجل، ويقرأ سابقته، فيقف على سطر سطر، وكل كلمة وكل حرف، ويقف على أوقاته وأزمانه، وساعاته ولحظاته، ويتيسر له أمره وما يؤول إليه كلما جذب الخوف إليه جذبه القرب منه، ثم لا يزال ينقل من شيء إلى شيء حتى يجعل حاجباً بين يديه منفرداً عنده، مطلعاً على أسراره، يعطى خلعة وطبقاً ومنطقة وتاجاً، وأشهد الملك على نفسه أن لا يغير عليه، يوقع له بصحبة دائمة، وولاية مستمرة، فلا يبقى زهد مع المعرفة، يا موتى القلوب طلبكم الجنة قيدكم عن الحق سبحانه وتعالى.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي منصور الداري بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان الشيخ العارف أبو الفضل إسحاق بن أحمد بن غانم العلثي، والشيخ أبو بكر محمد بن عمر بن أبي بكر المقري البغدادي المعروف بابن النحال، ببغداد سنة سبع وعشرين وستمائة.

قال الشيخ أبو الفضل: أخبرنا الشيخ أبو محمد طلحة بن مظفر بن غانم العلثي بها سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

قال أبو بكر: أخبرنا الشيخان الإمامان الشيخ أبو حفص عمر بن أبي نصر بن

علي البغدادي المعروف بابن الغزال، والشيخ أبو الثناء محمود بن عثمان المعروف بالبقال ببغداد ح.

وأخبرنا الفقيه أبو الفرج عبد السميع بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد السلام البغدادي البصري الحري بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان الشيخ الشريف أبو القاسم هبة اللّه بن عبد اللّه المعروف بابن المنصوري، والشيخ أبو الحسن علي بن سليمان المعروف بالخباز، ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

قال أبو القاسم هبة اللّه: أخبرنا الشيخان أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي المعروف بالمدلل ببغداد، والشيخ أبو عبد اللّه محمد بن قائد الأواني بها سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

وقال أبو الحسن: أخبرنا الشيخان العمران الكيماتي والبزار ببغداد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، قالا: قيل لشيخنا الشيخ الإمام محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، ونحن عنده ما سبب تسميتك بمحي الدين؟ قال: رجعت من بعض سياحاتي مرة في يوم جمعة في سنة إحدى عشرة وخمسمائة إلى بغداد حافياً، فمررت بشخص مريض متغير اللون نحيف البدن، فقال لي: السلام عليك يا عبد القادر فرددت عليه السلام، فقال: ادن مني فدنوت منه، فقال لي: أجلسني فأجلسته، فنما جسده، وحسنت صورته، وصفا لونه فخفت منه، فقال: أتعرفني؟ فقلت لا، قال: أنا الدين وكنت دثرت كما رأيتني، وقد أحياني اللّه تعالي بك وأنت محيي الدين، فتركته وانصرفت إلى الجامع فلقيني رجل ووضع لي نعلاً، وقال: يا سيدي محيي الدين، فلما قضيت الصلاة أهرع الناس إلي يقبلون يدي ويقولون: يا محيي الدين وما دعيت به من قبل.

وقال رضي اللّه عنه: يا عباد اللّه يا مريدين له عليكم بسنة من تقدمكم فهم الأدلاء فهم المفاتيح، باتباعهم تصلون إلى ربكم عز وجل، تصل إليه قلوبكم وأسراركم ومعانيكم، إذا اتبعتم كتابه وسنة رسوله ﷺ، وعملتم بهما وأخلصتم في أعمالكم جاءتكم يد الرحمة واللطف والمحبة، فتدخل قلوبكم عليه، وتجيئكم السابقة ومعها ما سبق لكم من علمه في قرب قلوبكم منه، فيجذبكم ويدخلكم ويوقفكم بين يديه، فترون ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، إذا وصل العبد إلى هذا المقام جاءت الخلع إلى قلبه، ونزل تاج المملكة على رأسه، وخاتم الملك في أصبعه، ودرع بدرع التقوى، ويؤخذ قلب

هذا العبد فيغيب عن جميع الخلق، فيرى ما يرى، ويعلم ما يعلم، ويستكتم ما يستكتم، ثم يرد إلى الخلق لمصالحهم، فإذا رجع إلى الرسول ﷺ، وعلى آله وأصحابه، وقال لهم: هذا الذي أعطيته ببركاتكم، فيرجع إلى الخلق في موكب الرسول ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، والكتاب عن يمينه، والسنة عن يساره، وأرواح الأنبياء حوله، فحينئذٍ يقال له: اذكر نعمة الله عز وجل عليك.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر المحمدي سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد التوحيدي البغدادي، بها سنة تسع وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا خالي قاضي القضاة أبو صالح نصر بن الإمام عبد الرزاق، والشيخ الشريف أبو القاسم هبة الله بن أحمد، المعروف بابن المنصوري، بجامع المنصور سنة أربع وعشرين وستمائة.

قالا: أخبرنا الحافظ أبو بكر عبد الرزاق بن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، ببغداد سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ح.

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمر بن إسحاق البغدادي الأزجي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان أبو الحسن علي بن سليمان الخباز، والشيخ أبو عمرو عثمان بن سليمان المعروف بالقصير ببغداد سنة ثلاث وستمائة.

قالا: قال سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، لمؤذن مدرسته في نصف الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة مستهل رمضان سنة خمس وأربعين وخمسمائة، اصعد المنارة، ونادي الأولى ففعل، ثم قال له في أول الثلث الأخير: اصعد ونادي الثانية ففعل، ثم قال له في أول السحر: اصعد ونادي الثالثة ففعل، ثم قال له بعد ساعة: اصعد ونادي بالسحور ففعل، فلما كان من الغد سأله بعض أصحابه عن معنى ذلك، فقال: إن العرش اهتز عندما قلت له: نادي الأولى اهتزازاً عظيماً، ونادى منادٍ منتحت العرش ليقم المقربون الأخيار، وعندما قلت له: نادي الثانية اهتز اهتززاً دون الأولى، ونادى منادٍ من تحت العرش ليقم الأولياء الأبرار، وعندما قلت له: نادي الثالثة اهتز اهتزازاً دونهما، ونادى منادٍ من تحت العرش ليقم المستغفرون بالأسحار، فأشرت إلى ذوي المرتبة الأولى أن هذا الوقت وقتكم، وإلى أصحاب المرتبة الثانية أن هذا الوقت وقتكم، وإلى أصحاب المرتبة الثالثة أن هذا الوقت وقتكم.

وقال رضي اللّه عنه: الدنيا قيد عن الآخرة، والآخرة عن رب الدنيا، والآخرة لا تأخذهما ولا تشتغل بهما إلا بعد الوصول إليه تصل إليه من حيث قلبك وسرك ومعناك، أعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة، ثم أعرض عن الآخرة، وأقبل على الحق عز وجل، فإنهما تتبعانك أتبعهما بالسير خلفك تأتي الدنيا، ومعها أقسامك منها، تطلبك عند الآخرة فلا تجدك عندها فتقول لها: إلى أين ذهبت به؟ فتقول: ذهبت إلى باب الملك وأنا في طلبه أيضاً، فيقومان ويسرعان في السير خلفك، فيصلان إليك وأنت على باب الملك، فتشكو الدنيا حالها إلى الملك تشكو كيف تركت ودائعك، وهي الأقسام المقسومة المرتبة بالسابقة، فتأتي الشفاعة منه إليك في حقها وأخذ الأقسام عن يدها، تأتيك الوصية منه بالأخذ من الدنيا والنظر إلى الأخرى، فترجع بها في صحبة الملائكة وأرواح النبيين، فيقعد على دكة بين الجنة والنار، بين الدنيا والآخرة، بين الخلق والخالق، بين السبب والمسبب، بين الظاهر والباطن، بين ما يعقل وما لا يعقل، بين ما يضبط وبين ما لا يضبط، بين ما يدرك وبين ما لا يدرك، بين ما يدرك الخلق وبين ما لا يدرك الخلق، فتصير لك أربعة وجوه، وجه تنظر به إلى الدنيا، ووجه تنظر به إلى الآخرة، ووجه تنظر به إلى الخلق، ووجه تنظر به إلى الخالق.

أخبرنا الشريف الجليل أبو العباس أحمد ابن الشيخ أبي عبد اللّه محمد بن أبي الغنائم محمد الأزهري بن أبي المفاخر، محمد المختار الحسيني البغدادي، بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي بدمشق سنة تسع وعشرين وستمائة، قال: سمعت الشيخ سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه ببغداد، سنة تسع وخمسين وخمسمائة، يقول: حججت أول ما حججت من بغداد سنة تسع وخمسمائة، وأنا شاب على قدم التجريد وحدي، فلما كنت عند المنارة المعروفة بأم القرون لقيت الشيخ عدي بن مسافر وحده؛ وهو شاب يومئذ، فقال لي: إلى أين؟ قلت: إلى مكة، قال: هل لك في الصحبة؟ قلت: إني على قدم التجريد، قال: وأنا كذلك، فسرنا جميعاً، فلما كنا ببعض الطريق إذا نحن بجارية حبشية نحيفة البدن، مبرقعة، فوقفت بين يدي وحدقت النظر في وجهي وقالت: من أين أنت يا فتى؟ قلت: من العجم، قالت: قد أتعبتني اليوم، قلت: ولم؟ قالت: لأني كنت الساعة في بلاد الحبشة، فاشهدت أن اللّه تعالى قد تجلى على قلبك ومنحك من وصلها ما لم يمنح بمثله غيرك فيما أعلم، فأحببت أن أعرفك. ثم قالت: أنا اليوم

أصحبكما وأفطر الليلة معكما، فجعلت تمشي في جانب الوادي، ونحن نمشي في الجانب الآخر، فلما كان العشاء إذا نحن بطبق نازل من الجو، فلما استقر بين أيدينا وجدنا فيه ستة أرغفة، وخلاً وبقلاً، فقالت: الحمد لله الذي أكرمني وأكرم أضيافي إنه ينزل عليَّ كل ليلة رغيفان، فأكل كل واحد منا رغيفين، ثم نزل علينا أيضاً ثلاثة أباريق فشربنا منها ماءً لا يشبه ماء الدنيا لذة وحلاوة، ثم ذهبت عنا في ليلتها تلك وأتينا مكة، فلما كنا في الطواف منَّ اللّه عز وجل على الشيخ عدي بمنازلة من أراده، فغشي عليه حتى يقول القائل: إنه قد مات، وإذا بتلك الجارية واقفة على رأسه تقبله وتقول يحييك الذي أماتك، سبحان الذي لا تقوم الحوادث لتجلي نور جلاله إلا بتثبيته، ولا تستقر الكائنات لظهور صفاته إلا بتأييده، بل اختطفت سبحات قدسه أبصار العقول، وأخذت بهجات بهائه ألباب قلوب الفحول، ثم إن اللّه تعالى وله الحمد منَّ عليَّ بمنازلة من أنواره في الطواف أيضاً، فسمعت خطاباً من باطني وقال في آخر ما قال: يا عبد القادر اترك التجريد الظاهر، والزم تفريد التوحيد وتجريد التفريد، فسنريك من آياتنا عجباً فلا تشب مرادنا بمرادك، ثبت قدمك بين أيدينا ولا ترَ في الوجود تصريفاً لسوانا يدم لك شهودنا، واجلس لنفع الناس، فإن لنا خاصة من عبادنا سنوصلهم على يدك إلى قربنا، فقالت لي الجارية: ما أدري يا فتى ما شأنك اليوم إنه ضربت عليك خيمة من نور، وأحاطت بك الملائكة إلى عنان السماء، وشخصت إليك أبصار الأولياء في مقاماتهم، وامتدت إلى مثل ما أعطيت الآمال ثم ذهبت فلم أرها بعد.

وقال رضي اللّه عنه في الزهد: الزاهد غريب في الدنيا، والعارف غريب في الدنيا والآخرة، والزاهد زهد في الخلق، وما في أيديهم وأخرج حب الدنيا من قلبه، وقعد على بساط التوكل منتظراً لربه عز وجل، إما على أيدي الخلق والأسباب، أو على يد التكوين، فلا جرم هو غريب بين الخلق في الدنيا، والعارف زهد في الدنيا كما زهد في الآخرة، لا تشغله الدنيا والآخرة عن ربه عز وجل، لا يسكن إلى شيء سواه حتى يقيده عنه، فلا جرم يكون غريباً فيهما، يد الدنيا مقطوعة عنه، وهكذا يد الآخرة، وجه الدنيا والآخرة مغطيان عنه، غطى اللّه عز وجل عنه وجه الدنيا حتى لا يفتتن بها نفسه، وغطى وجه الآخرة عنه حتى لا يفتتن بها قلبه، وغطى وجه ما سواه عنه حتى لا يفتتن سره، كشف له الأشياء جميعها؛ الظاهرة والباطنة حتى عرفها، عرف ما سواه به، وفتح له باب قربه، فرأى جلاله وجماله، ورأى قضاءه وقدره وملكه وسلطانه، رأى كل المخلوقات المصورات

المحدثات بين حرفي كن فيكون، سلوا هذا الملك العظيم الكريم قفوا بقلوبكم على بابه، سلوه ولا تبرحوا إن أجابكم أو لم يجبكم، لا تتهموه في فعله بكم فقد يكون منعه للإجابة في حق العبد السالك القاصد كالفخ، يخيبه حتى يصل إليه، فإذا وصل إليه قيده عنده، ثم يكون بعد ذلك ما يكون، يخيبه حتى يحجبه عن الخلق، يدعوه حتى يدخل فإذا دخل أغلق الباب دونه، وقص جناح نفسه وهواه وطبعه واختياره، وإرادته وسوء أدبه وأخلاقه بقص هذه الأجنحة، وينبت له جناحين جديدين، ويرده إلى الخلق والوجود، فيطير بين الدنيا والآخرة، بين الخلق والخالق، يطير في فضاء ما بين العرش إلى الثرى، يجيب دعاءه في البداية ويناديه في النهاية، يلهمه الدعاء حتى يحييه، ثم يمنعه عن الدعاء والإجابة حتى يناديه بما يريد من غير اختيار منه ولا تحكم، كيف يدعو وقد أغناه عن الدنيا بتحصيله في دار ضيافته، إذا تمت معرفة هذا العبد، وتمكن من القرب أوجده بين الخلق، فينجي به قوماً، ويهلك به قوماً، ويهدي به قوماً، ويضل به قوماً، وهكذا الأنبياء صلوات اللّه عليهم رحمة ونقمة، والأولياء تبع لهم من أجابهم وصدقهم فهم له رحمة، ومن أعرض عنهم وكذبهم فهم عليه نقمة، يأخذون بأيدي الذين يحبونهم ويحملونهم إلى الحق عز وجل ويدخلونهم إلى جنته، ما كان جوهراً رفعوه إلى خزانة الملك، وما كان قشوراً حملوه إلى ناره، هذا دأب الأنبياء والأولياء إلى يوم القيامة، رفع الأنبياء صلوات اللّه عليهم وسلامه، ودعاهم إليه، وأبقى معانيهم في قلوب الأولياء والأبدال والصديقين، كلما مات منهم واحد أقام بدله آخر، العالم إذا عمل بعلمه، وعلمه الخالق، فقد صحت وراثته للنبي ﷺ، وإذا صحت وراثته له رقي قلبه إلى دار قرب ربه عز وجل والملائكة حوله، يصير قلبه ملكاً يسير إلى قرب الملك، اقبلوا من الرسول، اتبعوه في فعله وقوله حتى يأخذ بأيديكم في الدنيا والآخرة، انتموا إليه سيروا على أثره، كونوا أفراخاً تحت جناحيه.

أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن منظور الكتاني بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو عبد اللّه محمد بن أبي الفتح الهروي السائح بالقاهرة سنة ثلاث وعشرين وستمائة.

قال: كنت قائماً بين يدي سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه ببغداد سنة أربعين وخمسمائة، فبادرتني نخامة فبصقتها، ثم

استحييت وقلت في نفسي أبصق في مثل حضرة الشيخ عبد القادر، فقال: يا محمد لا بأس عليك لا بصاق بعدها ولا نخام، قال: فلي منذ قالها ثلاث وثمانون سنة ما بصقت ولا تنخمت، قال: وكان يسميني محمداً الطويل، فقلت له يوماً: يا سيدي أنا قصير من الرجال، فقال لي: أنت طويل العمر طويل الأسفار، فعاش الشيخ محمد مائة وثلاثين سنة وسبع سنين، ورأى في سياحته عجائب وأرضين قاصية ووصل إلى جبل قاف، وهو أول من خدم الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه في الكشف الأفعال والمشاهدة: ينكشف للأولياء والأبدال من أفعال الله عز وجل ما يبهر العقول ويخرق العادات والرسوم، وهي على قسمين؛ جلال وجمال، فالجلال والعظمة يورثان الخوف المقلق، والوجل المزعج، والمعلة العظيمة على القلب بما يظهر على الجوارح، كما روي أن النبي ﷺ كان يسمع من صدره الشريف أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة الخوف لما يرى من جلال الله عز وجل، وينكشف له من عظمته، ونقل مثل ذلك عن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وعن أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه، وأما مشاهدة الجمال فهو التجلي للقلوب بالأنوار والسرور والألطاف، والكلام اللذيذ والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب الجسام والمنازل العالية، والقرب منه عز وجل مما يؤول أمرهم إليه، وجف به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة، وتثبيتاً منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الآجال للوقت المقدر، لئلا تفرط بهم المحبة من شدة الشوق إليه عز وجل، فتتفطر مرائرهم فيهلكون ويضعفون عن القيام بالعبودية إلى أن يأتيهم اليقين الذي هو الموت، فيفعل ذلك بهم لطفاً بهم منه ورحمة ومداواة وتربية لقلوبهم ومداراة لها، إنه حكيم عليم لطيف بهم رؤوف رحيم، ولهذا روي عن النبي ﷺ أنه كان يقول لبلال المؤذن: أرحنا يا بلال، يعني بالإقامة لندخل في الصلاة لمشاهدة ما ذكرناه من الجمال، ولهذا قال النبي ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة».

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمر الأزجي المحدث، وأبو محمد جعفر بن عبد القدوس بن أحمد بن علي بن محمد، الهلالي البغدادي الحريمي، بالقاهرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخان قاضي القضاة أبو صالح نصر، والشيخ الإمام أبو الفضل إسحاق بن أحمد العلثي ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة.

قالا: أخبرنا عبد الوهاب وعبد الرزاق سنة تسع وثمانين وخمسمائة، قالا: بكر الشيخ بقا بن بطو رضي اللّه عنه سحر يوم الجمعة الخامس من رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة إلى مدرسة والدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، وقال لنا: ألا تسألاني عن سبب بكوري اليوم، إني رأيت الليلة نوراً أضاءت به الآفاق، وعم أقطار الوجود، ورأيت أسرار ذوي الأسرار تثب إليه، فمنها ما يتصل به ومنها ما يمنعه مانع من الاتصال به، وما اتصل به سر منها إلا تضاعف نوره فتطلبت ينبوع ذلك النور، فإذا هو صادر عن الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه، فأردت الكشف عن حقيقته فإذا هو نور شهوده قابل نور قلبه، وتقادح هذان النوران فانعكس ضياؤهما على مرآة حاله، واتصلت أشعة المتقادحات من لحظ جمعه إلى وصف قربه، فأشرق بها الكون، ولم يبقَ ملك إلا نزل الليلة إلى الأرض، وأتاه وصافحه، واسمه عندهم الشاهد المشهود، قال: فأتيناه وقلنا له: أصليت الليلة صلاة الرغائب فأنشد: [من الطويل]

إذا نظـرت عيني وجـوه حبائبي ... فتلك صلاتي في ليالـي الرغائـب
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها ... أضاءت لها الأكوان من كل جانب
حرمت الرضا إن لم أكن باذلاً دمي ... أزاحم شجعان الوغى بالمناكب
أشـق صفوف العارفين بعـزمـة ... فتعلو بمجدي فوق تلك المراتب
ومن لم يوفِ الحب ما يستحقه ... فذاك الذي لم يأتِ قط بواجب

أخبرنا أبو حفص عمر بن الشيخ أبي المجد المبارك بن أحمد النصيبيني الحنبلي بظاهر القاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحيم عسكر بن عبد الرحيم النصيبيني بها سنة ثلاث وتسعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم عمر بن مسعود البزار ببغداد سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ح.

وأخبرنا أيضاً عالياً الفقيه أبو القاسم محمد بن عبادة الأنصاري بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الحسن علي المقري القرشي بدمشق، قالا: قيل للشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه ونحن حاضران: نسمع في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة صف لنا شيئاً مما وجدته من أحوال البداية والنهاية من هذا الأمر لنقتدي بك فأنشد يقول: [من الطويل]

أنا راغب فيمن يقرب نفسه ... ومناسب لفتى تلاطف لطفـه

ومفاوض العشاق في أسرارهم من كل معنىً لم يسعني كشفه
قد كان يسكرني مزاج شرابه واليوم يصحبني لديه صرفه
وأغيب عن رشدي بأول نظرة واليوم أستجليه ثم أزفه

قالوا له: إنا نصوم مثل ما تصوم، ونصلي مثل ما تصلي، ونجتهد مثل ما تجتهد، وما نرى من أحوالك شيئاً، فقال: زاحمتوني في الأعمال أتزاحموني في المواهب، والله ما أكلت حتى قيل لي: بحقي عليك كل، ولا شربت حتى قيل لي: بحقي عليك اشرب، وما فعلت شيئاً حتى أمرت بفعله.

قال أبوحفص النصيبيني: كان الشيخ عسكر يتمثل بهذه الأبيات كثيراً، ولفظه في البيت الأخير. ويغيب رشدي عند أول نظرة.

وقال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض﴾ [البقرة: ١٦٤]، حكم بهرت عيون العقول، آيات أعجزت فصاح الألسن، قد حارت فيها ثواقب الخواطر، محدثات دلت على ثبوت القدم، عرائس أسفرت عن وجه إتقان الصنع، شواهد شهدت بإثبات حكم فاطر الكائنات، آثار بلبلت أسرار الأفكار، رموز لا يحل عقودها الفطن، إشارات تنطق بألسنة غائب الغيب، ذبح روض الجو بزهر الكواكب، رصع بستان السماء بأفانين الشهب، زين بياض عذار النهار بسواد شعرات ظلمة الليل، السماء سطح ممرد قواريره، الكواكب بستان أنيق زهر الشهب عذاره معشوق، خال جماله الليل وجنة محبوب إشراق حسنه النهار، السماء طرازاً لحكمة الفلك، كاتباً لشاء القدر، النجوم نقط كتاب الكون، الشمس سلطان بلاد الأفق، القمر وزير جيوش الكائنات لما خلق الله عز وجل السماوات والأرض، بقيت الظلمة منسدلة على جميع جهات البسيطة، فاشعلت في نور الأفق شمعة الشمس، وأسرجت على منار الجو سرج الكواكب، وعلق في صومعة السماء قنديل القمر، كان خد ورد النهار صورة الوجود ساذجاً فتنقش بعذار ظلمة الليل، ونشرت على وجناتها أوراق ورد النهار، وأشعلت بين يديه مشاعل النور، فبهتت عين عاشقيه إليه، وتراءت لقارىء الاعتبار بآياته في صفاء لوح وجهه سطور الله نور السماوات والأرض، تبرقع في طرة الليل عن غرة الصباح، وانكشف خمار الجو عن وجه خود الشمس، تجري مياه الأنوار في أنهار النهار، يقرأ خطيب حكم القدم على منبر إتقان الصنع وجعلنا النهار معاشاً، ثم تقلب يد التقدير مسلة التدبير، فينهزم من زنج الظلمة ترك الأضواء ويتزعفر ورد خد الشمس، ويجري في غصن قامة النهار ماء الذبول، وينتثر مسك الظلمة على

ذوائب عذار النهار، ويزهو روض الفلك بزهو الكواكب، ويركب جيش الظلام في ميادين الأفق، وتنصب خيم الحندس على جميع جهات البسيطة، يغش طارق النوم عين كل حي في الأرض حتى إذا أذن مؤذن الحكم، وطوى بيد القدر أردية الظلمة وانتهى آخر نفس الديجور، نفخ إسرافيل القدر في صور الصور لتقوم أموات لحود الليل، فإذا انشق عمود ضوء الصباح قالت حداة ركب الأرض في جميع جهات الكائنات لوفود العارفين: ميلوا إلى الدار، من ليال نحييها الليل سلطان يملك جميع جهات البسيطة، ملك يستولي على كل مدائن الأرض تسيل عساكره سيل القطر في كل قطر، يخفق عذب ألويته على كل رأس، تمد أطناب خيمته على الوجود، ينادي منادي الجود عند غلبة مدده جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، الليل بستان العارفين، في الليل حصلت نفائس المواهب لأصحاب المعارف، تحت الدجنة أسري بسيد الوجود إلى قاب قوسين، كان بعض العارفين إذا جن عليه الليل يقول مرحباً ببشير وصل محبوب الأرواح، لا يزال سيف الفجر مغمداً في غمد الغسق حتى تسله يد غرة النهار، فيضيء لأبصار الناظرين، يا هذا ما خلقك لتسعى بالنهار وتنام بالليل، بل لك في كل منهما وظائف وخدم، لتتقرب بها إلى الصانع، وتؤدي بها ما يجب عليك لمنشىء العالم، السماء محل أشباح النور، والفلك نزهة الأبصار، والشهب للرجم، والكواكب للزينة، والشمس لإنضاج الثمر، وتربية الناميات، والقمر لمعرفة مقادير الأوقات، والزمان على وزان الطبائع للإنسان، فالربيع كنضارة الشباب، والصيف كبلوغ الأشد، والخريف كقوة صاحب السبعين، والشتاء كنهاية الضعيف إلى الموت، ذلك تقدير العزيز العليم.

لا تزال مرآة الجو صقيلة من أسداء الغمام، صافية من أكدار السحب حتى يرى فيها خيالات أشخاص القطرات، فيظلم الأفق باستتار ضوء الشمس، وتنتقب عرائس الشهب بنقب الظلمة، تزمجر أسود الرعود في غابات الديم، ويسل سيف البرق من غمد الغمام، وتلقح الأهوية عقيمات السحب، وتبكي الديم لتضحك ثغور الرياض، وينفخ إسرافيل القطرات في صور صور النبات لتقوم من لحود العدم، فتعرض يوم عرض الزهرات على أعين الناظرين، يعبر على حال الكل معبر القدر بلسان فانظر إلى آثار رحمة الله، في كل ما خلق سر لا تقف عليه العقول، كل ما كون دفين لا يستثار بأيدي الخواطر، في كل ما أوجد لسان ينطق بأحديته، في كل ما خلق عبر تحار فيها أفكار الناظرين، وتذهل منها عقول أرباب الهداية، وتدهش فيها معارف أصحاب القرب، قال عز وجل مخبراً لعباده عن حسن صنعه ﴿بديع السماوات والأرض﴾ [البقرة:١١٧].

أخبرنا الشيخ الشريف أبو العباس أحمد بن أبي عبد اللّه محمد بن محمد الأزهري الحسيني البغدادي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي بدمشق سنة تسع وعشرين وستمائة ح.

وأخبرنا أبو الفضل أحمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن إسماعيل الواسطي الأصل البغدادي الدار بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي ببغداد سنة خمس وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن يحيى بن بركة بن محفوظ البغدادي المعروف بابن الديبقي، ببغداد سنة إحدى عشرة وستمائة، **قال**: سمعنا شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه يقول ببغداد على الكرسي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة: مكثت خمساً وعشرين سنة متجرداً سائحاً في براري العراق وخرابه، وأربعين سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء، وخمس عشرة سنة أصلي العشاء، ثم أستفتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة ويدي في وتد مضروب في حائط خوف النوم، حتى أنتهي إلى آخر القرآن عند السحر، وكنت ليلة طالعاً في سلم فقالت لي نفسي: لو نمت ساعة ثم قمت فوقفت في موضع خطر لي هذا، وانتصبت على رجل واحدة، واستفتحت القرآن حتى أتيت على آخره وأنا على هذه الحالة، وكنت أمكث من الثلاثة الأيام إلى الأربعين يوماً ولا أجد ما اقتات به، وكان النوم ياتيني في صورة فأصيح عليه، فيذهب وتأتيني الدنيا وزخارفها وشهواتها في صور حسان، وقباح، فأصيح عليها فتفر هاربة، وأقمت بالبرج المسمى الآن ببرج العجمي إحدى عشرة سنة، وبطول إقامتي فيه سمي برج العجمي، وكنت عاهدت اللّه عز وجل فيه أن لا آكل حتى أطعم، ولا أشرب حتى أسقى، فبقيت فيه مدة أربعين يوماً لا آكل شيئاً، فبعد الأربعين جاءني رجل ومعه خبز وطعام، فوضعه بين يدي، ومضى وتركني، فكادت نفسي تقع على الطعام من شدة الجوع، فقلت: واللّه لا حلت عما عاهدت ربي تبارك وتعالى عليه، فسمعت صارخاً من باطني ينادي الجوع، فلم أرتع له، فاجتاز بي الشيخ أبو سعد الحريمي فسمع الصارخ، فدخل عليَّ. وقال: ما هذا يا عبد القادر؟ قلت: هذا قلق النفس، وأما الروح فساكنة إلى مولاها عز وجل، فقال لي: تعال إلى باب الأزج، ومضى وتركني على حالي، فقلت في نفسي: ما أخرج من هذا المكان إلا بامر، فجاءني أبو العباس الخضر عليه السلام، وقال لي: قم وانطلق إلى أبي سعد، فانطلقت إليه وإذا هو واقف على باب داره ينتظرني، فقال لي: يا عبد القادر، ألم

يكفك قولي لك، تعال إلي حتى أمرك الخضر بما أمرتك به، ثم أدخلني داره فوجدت طعاماً مهيأ، فجعل يلقمني حتى شبعت، ثم ألبسني الخرقة بيده، ولازمت الاشتغال عليه.

وكنت قبل ذلك في سياحتي، فأتاني شخص ما رأيته قبل، فقال لي: هل لك في الصحبة؟ قلت: نعم، **قال**: شرط أن لا تخالفني، قلت: نعم، **قال**: اجلس هنا حتى آتيك، وغاب عني سنة ثم عاد إليّ، وأنا في مكاني ذلك، فجلس عندي ساعة ثم قام **وقال**: لا تبرح من مكانك حتى أعود إليك، فغاب عني سنة أخرى، ثم جاء وأنا في مكاني، فجلس عندي ساعة، ثم قام **وقال**: لا تبرح من مكانك حتى أعود إليك، فغاب عني سنة أخرى، ثم عاد ومعه خبز، ولبن فقال لي: أنا الخضر، وقد أمرت أن آكل معك فأكلنا، ثم قال لي: قم فادخل بغداد، فدخلنا جميعاً، فقيل للشيخ: من أين كنت تقتات في مدة تلك السنين الثلاث، **قال**: من المنبوذات.

وقال رضي اللّه عنه: معاشر العارفين اسمعوا بآذان العقول كلام ربكم عز وجل، وأنصتوا بأسماع الأفهام إلى قول بارئكم سبحانه وتعالى، وتدبروا بأفكار القلوب معاني أوامره، واجنوا نحل أرواحكم شهد حكمه من زهر أشجار الشريعة المحمدية، وانظروا بأبصار بصائركم آثار اقتداره في تصاريف أفانين قدره، وصفوا إفاضة معين ماء منبع عين العلم من أكدار ظلم نفوسكم، طارت نحل الأرواح قبل وجود الأشباح من أوكار كن من فضاء روض التوحيد، لترعى من زهر أشجار الأنس، وتأكل من ثمار أغصان المعرفة، وتتخذ بيوتاً في مواطن القدس، فوق قمم جبال العز، وتسلك سبل الدنو إلى ربها في حضرة العلو في مقام قربها، وتجني شراب الحضور بأيدي الهمم العالية، فاصطادها صياد القدر بشباك التكليف، وحصرها بيد الأمر في أقفاص الأشباح، فألهتا من الهياكل بهجة حسن الصنعة، وألقت مساكن البشرية فنسيت مواطنها من القدس الأشرف، فأوحى ربك إلى نحل الأرواح أن اسلكي سبل ربك ذللاً في مسالك الأشباح، وكلي من كل ثمرات الشريعة، وارعي من أزهار أنوار الحقيقة، فلما طار طائرها ليرعى حب الحب من حدائق المجاهدة وقع في شرك المحنة، ورأى ماء البلاء في غدير الولاء، فقال: كيف الخلاص؟ روض أنيق لكن ثمره مر، منهل عذب لكن ساحله غريق، فناداها حادي مطايا صدق الطلب بلسان النصح، يا أرباب الوله في حب معشوق الأرواح، ويا أصحاب الحرق في غاية أماني العارفين، ما بينكم وبين مطلوبكم سوى ارتفاع

أستار الصور، ولا يحجبكم عنه إلا حجب الهياكل، فطيروا إليه بأجنحة الغرام، واطلبوا عنده الحياة الأبدية، وموتوا عن شهوات إرادتكم، ليحييكم به عنده في مقعد صدق، فالبلاء ريحان أرواح العارفين، والعناء نعيم أسرار الواصلين، البلاء والولاء نجمان طلعا في فلك السعادة، والمحنة والمحبة وردتان لمعتا في غصن القرب، البلاء الأعظم فقد المحبوب، والعناء الأكبر عدم المطلوب.

معاشر العارفين ما البراءة من الحول والقوة إلا به حقيقة التوحيد، ومحو كل متلوح لعين العقل محض التفريد، وإلقاء كل ما في الوجود من يد الطمع عين التجريد، قل اللّه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون، لما نظرت الملائكة إلى نحل الأرواح كامنة في مكامن أسرار الغيب، ساكنة في ظل أثل الوصل، مستقرة في مهد وهد اللطف، يهب عليها نسيم سحر القرب، ويعبق في ناديها ريحان روح الأنس، ويتألق لها برق نور المعارف، ويهز أعطافها نشوات سكر شراب المشاهدة، وينادمها حديث مسامرة المخاطبة، أرج الملكوت الأعلى يعطر إعجابهم بحالهم، وبهتت عيون أشباح النور إلى سطوع أنوارهم في أطوارهم، فقال القدر: يا أصحاب صوامع النور الطائر إلى درجة هذا الشرف، انظروا إلى طائر يطير من وكر شجرة الشرف الأعظم يقال له أحمد، مطاره فضاء جو قاب قوسين، بجناح شرفه طاروا إلى أوكار هذا العز، بنور هدايته نزلوا على أغصان شجرة هذا الوصف، باتباع شرعه أشرق لعيون عقولهم هذا النور، بخفارة بركته، وصلوا إلى هذا المقام، هو هدهد يعود من بلاد بلقيس الغيب إلى سليمان العقول، بنبأ يقين بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، يقول: إذا وردت عليه واردات محبوبه لست كأحدكم، يتميز على الأنبياء برتبة أظل عند ربي، ترعى نحلة روحه ليلة أسري زهرة شجرة فأوحى، نثر على تاج رأس مجده نثار در لقد رأى من آيات ربه الكبرى، في مجلس أو أدنى من أجله نشر رداء بهاء الزمان على مناكب بهجة المكان، لله در عبد لا يجعل بين أذن سره وبين سماع هذا الكلام حجاباً من غفلة طبعه، وعمل بقوله تعالى: ﴿ تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

حدثني أبو عبد اللّه محمد ابن الشيخ أبي العباس الخضر بن عبد اللّه بن يحيى الحسني الموصلي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي بالموصل سنة ثلاث وعشرين وستمائة، قال: كنا ليلة في مدرسة شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه ببغداد، فجاءه الإمام المستنجد باللّه أبو المظفر يوسف، وسلم عليه واستوصاه، ووضع بين يديه

مالاً في عشرة أكياس يحملها عشرة من الخدم، فقال: لا حاجة لي فيها فأبى أن يقبلها، وألح عليه فأخذ كيساً منها في يمينه، وآخر في يساره، وعصرهما بيده فسالا دماً، فقال: يا أبا المظفر أما تستحي من الله تعالى أن تأخذ دماء الناس، وتقابلني بها، فغشي عليه.

فقال الشيخ: وعزة المعبود لولا حزمة اتصاله برسول الله ﷺ لتركت الدم يجري إلى منزله، قال: وشاهدته يوماً عنده فقال له: أريد أن أرى شيئاً من الكرامات ليطمئن قلبي، قال: وما تريد؟ قال: تفاحاً من الغيب، ولم يكن ذلك الأوان أوان التفاح بالعراق، فمد يده في الهواء، فإذا فيها تفاحتان، فأعطاه إحداهما، وكسر الشيخ التي بيده، وإذا هي بيضاء تفوح منها رائحة كالمسك، وكسر المستنجد التي بيده، فإذا فيها دودة، فقال: ما هذا والتي بيدك كما أرى، قال: يا أبا المظفر لمستها يد الظلم فدوّدت.

وقال رضي الله عنه في الإرادة والمريد والمراد: أما الإرادة فترك ما عليه العادة، وتحقيقها نهوض القلب في طلب الحق، وترك ما سواه، فإذا ترك العبد العادة التي هي حظوظ الدنيا والأخرى فتجردت حينئذ إرادته، فالإرادة مقدمة كل أمر، ثم يعقبها القصد ثم الفعل، فهو بدء طريق كل سالك واسم أول منزلة كل قاصد، قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام:٥٢]، فنهى نبيه ﷺ عن طردهم وإبعادهم، وقال في آية أخرى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف:٢٨]، فأمره بالصبر معهم وملازمتهم، وتصبير النفس في صحبتهم، ووصفهم بأنهم يريدون وجهه عز وجل، ثم قال: ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا، فبان بذلك أن حقيقة الإرادة وجه الله عز وجل فحسب دون زينة الدنيا، وزينة الأخرى، فأما المريد والمراد، فالمريد هو من كان فيه هذه الجملة، واتصف بهذه الصفة، فهو أبداً مقبل على الله عز وجل، وطاعته، مولى عن غيره وإجابته، يسمع من ربه عز وجل، فيعمل بما في الكتاب والسنة، ويصم عما سوى ذلك، ويبصر بنور الله سبحانه فلا يرى إلا فعله فيه وفي غيره من سائر الخلائق، ويعمى عن غيره فلا يرى فاعلاً على الحقيقة غيره جل وعز، بل يرى آلة وسبباً محركاً مدبراً مراداً مسخراً، قال النبي ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم»، أي يعميك عن غير محبوبك، ويصمك عنه لاشتغالك بمحبوبك، فما أحب حتى أراد، وما أراد حتى تجردت إرادته، وما تجردت إرادته حتى قذفت في قلبه جمرة الخشية، فأحرقت كل ما هناك.

قال الله عز وجل: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ [النمل:٣٤]، كما قيل: إنها لوعة تهون كل روعة، فنومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة، تصيح نفسه فلا يجيبها أبداً إلى محبوبها ولذاتها، وينصح عباد الله، ويأنس بالخلوة مع الله، ويصبر عن معاصي الله، ويرضى بقضاء الله، ويختار أمر الله، ويستحي من نظر الله، ويبذل مجهوده في محاب الله، ويتعرض أبداً لكل سبب يوصله إلى الله، ويقنع بالخمول والاختفاء، ولا يختار حمد عباد الله، ويتحبب إلى ربه عز وجل بكثرة النوافل، مخلصاً لله عز وجل حتى يصل إلى الله سبحانه، فيحصل في زمرة أحباب الله ومراديه، فحينئذٍ يسمى مراد الله، فيحط عنه أثقال سالكي طريق الله، ويغتسل بماء رحمة الله ورأفته ولطفه، فيُبنى له بيت في جوار الله، فيخلع عليه أنواع الخلع وهي المعرفة بالله والأنس به والسكون والطمأنينة إلى الله، فينطق بحكمة الله وأسرار الله بعد الإذن الصريح، بل الخبر عن الله عز وجل، ويلقب بألقاب يتميز بين أحباب الله، فيدخل في خواص الله ويسمى بأسماء لا يعلمها إلا الله، ويطلع على أسرار تخصه، فلا يبوح بها عند غير الله فيسمع من الله ويبصر بالله وينطق ويبطش بقوة الله، ويسعى في طاعة الله ويسكن إلى الله، وينام مع طاعة الله، وذكر الله في كلام الله، وحرز الله فيكون من أمناء الله وشهدائه وأوتاد أرضه وسجن عباده وبلاده وأحبابه وأخلائه.

قال النبي ﷺ حاكياً عن الله عز وجل: «لا يزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده، فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يعقل وبي يبطش»، فهذا عبد حمل عقله العقل الأكبر وسكنت حركاته الشهوانية لقبضة الحق عز وجل، فصار قلبه خزانة أسرار الله عز وجل، فهذا مراد الله عز وجل إن أردت أن تعرفه ياعبد الله المريد المبتدي، والمراد المنتهي: المريد الذي نصب بعين التعبد، وألقي في مقاساة المشاق، والمراد الذي كفي الأمر من غير مشقة، المريد متعب، والمراد مرفوق به ربه، فالأغلب في حق القاصدين المبتدئين في سنة الله ما قد تم وجرى من توفيق الله عز وجل للمجاهدات، ثم إيصالهم إليه، وحط الأثقال عنهم والتخفيف عنهم في كثير من النوافل، وترك الشهوات والاقتصار على القيام بالفرائض والسنن في جميع العبادات، وحفظ القلوب ومحافظة الحدود والمقام والانقطاع عما سوى الحق عز وجل بالقلوب، فتكون ظواهرهم مع خلق الله، وبواطنهم مع الله عز وجل، وألسنتهم لحكم الله، وقلوبهم لعلم الله، وألسنتهم لنصح عباد الله، وأسرارهم

لحفظ ودائع اللّه، فعليهم سلام اللّه وتحياته وبركاته ورحمته ما دامت أرضه وسماؤه وقام العباد بطاعته وحفظ حقه وحدوده.

المريد تتولاه سياسة العلم، والمراد تتولاه رعاية الحق، لأن المريد يسير والمراد يطير، فمتى يلحق السائر الطائر وينكشف لك ذلك بموسى ونبينا محمد صلوات اللّه عليهما، كان موسى مريداً ونبينا مراداً. انتهى سير موسى ﷺ إلى جبل طور سيناء، وطار نبينا محمد ﷺ إلى العرش واللوح المسطور، فالمريد طالب والمراد مطلوب، وعبادة المريد مجاهدة، وعبادة المراد موهبة، المريد موجود والمراد فان، المريد يعمل للعوض، والمراد لا يرى العمل بل يرى التوفيق والمنن، المريد يعدو في سلوك السبيل والمراد قائم على مجمع كل سبيل، المريد ينظر بنور اللّه، والمراد ينظر باللّه عز وجل، المريد قائم بأمر اللّه والمراد قائم بفعل اللّه، المريد يخالف هواه والمراد يتبرأ من إرادته ومناه، المريد يتقرب والمراد يتقرب به، المريد يحمي والمراد يدلل، وينعم ويغذى ويشهى، المريد يحفظ والمراد يحفظ به، المريد في الترقي والمراد قد وصل وبلغ إلى الرب الذي هو المرقى ونال عنده كل طريف.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي منصور الداري، وأبو زيد عبد الرحمن بن سالم القرشي، وأبو عبد اللّه محمد بن عبادة الأنصاري بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قالوا: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الحسن علي القرشي رضي اللّه عنه بجبل قاسيون، سنة ثماني عشرة وستمائة، قال: كنت أنا والشيخ أبو الحسن علي بن الهيتي عند الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه بمدرسته بباب الأزج سنة تسع وأربعين وخمسمائة، فجاءه أبو غالب فضل اللّه بن إسماعيل البغدادي الأزجي التاجر، فقال له: يا سيدي قال جدك رسول اللّه ﷺ: من دعي فليجب، وها أنا ذا قد دعوتك إلى منزلي، فقال: إن أذن لي أجبت، ثم أطرق ملياً ثم قال: نعم، فركب بغلته وأخذ الشيخ علي بزكابه الأيمن وأخذت أنا بالأيسر فأتينا داره، وإذا فيها مشايخ بغداد وعلماؤها وأعيانها، فمد سماطاً فيه من كل حلو وحامض، وأتى بسلة كبيرة مختومة يحملها اثنان وضعت آخر السماط، فقال أبو غالب: الصلاة والشيخ مطرق فلم يأكل ولا أذن في الأكل ولا أكل أحد وأهل المجلس كأن على رؤوسهم الطير من هيبته، فأشار إلي وإلى الشيخ علي بن الهيتي أن قدما إلي تلك السلة، فقمنا نحملها وهي ثقيلة حتى وضعناها بين يديه، فأمرنا بفتحها

ففتحناها فإذا فيها ولد لأبي غالب أكمه مقعد مجذوم مفلوج، فقال له الشيخ: قم بإذن الله معافى، فإذا الصبي يعدو وهو يبصر ولا به عاهة، فضج الحاضرون وخرج الشيخ في غفلات الناس، ولم يأكل شيئاً، فجئت إلى سيدي الشيخ أبي سعد القيلوي وأخبرته بذلك، فقال: الشيخ عبد القادر يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله.

قال: ولقد شهدت مجلسه مرة في سنة تسع وخمسين وخمسمائة، فأتاه جمع من الرافضة بقفتين مخيطتين مختومتين، وقالوا له: قل لنا ما في هاتين القفتين، فنزل من على الكرسي ووضع يده على إحداهما وقال: في هذه صبي مقعد، وأمر ابنه عبد الرزاق بفتحها فإذا فيها صبي مقعد، فأمسك بيده وقال له: قم فقام يعدو، ثم وضع يده على الأخرى وقال: وفي هذه صبي لا عاهة به وأمر ابنه بفتحها ففتحها، وإذا فيها صبي يمشي فأمسك بناصيته وقال له: اقعد فأقعد، فتابوا عن الرفض على يده، ومات في المجلس يومئذ ثلاثة، ولقد أدركت المشايخ من صدر القرن الماضي يقولون أربعة هم الذين يبرئون الأكمه والأبرص الشيخ عبد القادر، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبو سعد القيلوي، والشيخ علي ابن الهيتي رضي الله عنهم، ولقد رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء، الشيخ عبد القادر، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيل المنجبي، والشيخ حيا بن قيس الحراني رضي الله عنهم، ولقد حضرت عنده يوماً فاستقضاني حاجة، فأسرعت في قضائها، فقال لي تمن ما تريد، قلت أريد كذا وكذا وذكرت أمراً من أمور الباطن، فقال: خذه إليك فوجدته في ساعتي رضي الله عنه.)

وقال رضي الله عنه في المتصوف والصوفي: المتصوف المبتدئ والصوفي المنتهي، المتصوف الشارع في طريق الوصل، والصوفي من قطع الطريق ووصل إلى من إليه القطع والوصل، المتصوف محمل والصوفي محمول، حمل المتصوف كل ثقيل وخفيف فحمل حتى ذابت نفسه وزال هواه، وتلاشت إرادته وأمانيه، فصار صافياً فسمي صوفياً، فحمل فصار محمول، القدر كرة المشيئة مربي القدس منبع العلوم، والحكم بيت الأمر، والنور كهف الأولياء والأبدال وموئلهم ومرجعهم ومستراحهم ومتنفسهم ومسرتهم، إذ هو عين القلادة، درة التاج منظر الرب المتوصف مكابد لنفسه وهواه وإرادته وشيطانه ودنياه وأخراه، متعبد لربه عز وجل بمفارقة هذه الجهات الست، والأشياء وترك العمل لها وموافقتها، والقبول منها

وتصفية باطنه من الميل إليها، والاشتغال بها، فيخالف شيطانه ويترك دنياه ويفارق أقرانه، وسائر خلق ربه بحكمه عز وجل لطلب أخراه، ثم يجاهد نفسه وهواه بأمر اللّه عز وجل، فيفارق أخراه، وما أعده اللّه عز وجل لأوليائه فيها في جنته لرغبته في مولاه، فيخرج من الأكوان، فيتصفى من الأحداث، ويتجوهر لرب الأنام، فتنقطع عنه العلائق والأسباب والأهل والأولاد، فتنسد عنه الجهات وتنفتح في وجهه جهة الجهات، وباب الأبواب، وهو الرضا بقضاء رب الأنام ورب الأرباب، ويفعل فيه فعال العالم بما مضى وما هو آت، والخبير بالسرائر والخفيات، وما يتحرك به الجوارح، وما تضمره القلوب والنيات، ثم يفتح تجاه هذا الباب باب يسمى باب القرب إلى الملك الديان، ثم يرفع منه إلى مجالس الأنس، ثم يجلس على كرسي التوحيد، ثم ترفع عنه الحجب، ويدخل دار الفردانية ويكشف عنه الجلال والعظمة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو، فانياً عن نفسه وصفاته، وعن حوله وقوته، وحركته وإرادته، ومناه ودنياه وأخراه، فيصير كإناء بلور مملوء ماء صافياً تبين فيه الأشباح، فلا يحكم عليه إلا القدر ولايوجده غير الأمر، فهو فان عنه وعن حظه، موجود لمولاه وأمره لايطلب خلوة، لأن الخلوة للموجود، فهو كالطفل لايأكل حتى يطعم، ولا يلبس حتى يلبس، فهو مسترسل مفوض، ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ [الكهف:١٨] الآية، هوكائن بائن، كائن بين الخليقة بالجثمان، بائن عنهم بالأفعال، والأعمال والسرائر والضمائر والنيات، فحينئذٍ يسمى صوفياً على معني أنه تصفى من التكدر بالخليقة والبريات، وإن شئت سميته بدلاً من الأبدال وعيناً من الأعيان، عارفاً بنفسه وربه الذي هو محيي الأموات، المخرج أولياءه من ظلمات النفوس والطبائع والأهوية والضلالات إلى ساحة الذكر، والمعارف والعلوم والأسرار ونور القربة، ثم إلى نوره عز وجل، قال تعالى: ﴿اللّه نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ [النور: ٣٥]، ﴿اللّه ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة:٢٥٧]، فاللّه عز وجل تولى إخراجهم من الظلمات، وأطلعهم على ما أضمرت قلوب العباد، وانطوت عليه النيات، إذ جعلهم جواسيس القلوب، والأمناء على السر والخفيات والخطرات، لا شيطان مضل، ولا هوى متبع، ولا نفس أمارة بالسوء، ولا شهوة غالبة متبعة تدعوه إلى اللذات المردية في الدركات المخرجة من أهل السنة والجماعات، قال عز من قائل: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف:٢٤]، فحرسهم ربي وقمع رعونات نفوسهم، وضراواتها

بسلطان الجبروت، فثبتهم في مراتبهم، ووفقهم للوفاء بالصدق في سرهم، وبالصبر في محل انقطاعهم، واضطرارهم، قادوا الفرائض وحفظوا الحدود، والأوامر، وألزموا المراتب حتى قوموا وهذبوا ونقوا وأدبوا، وطهروا وطيبوا ووسعوا وزكوا وشجعوا وعودوا، فتمت لهم ولاية اللّه عز وجل، وتوليت اللّه ولي الذين آمنوا، وقوله وهو يتولى الصالحين، فنقلوا من مراتبهم إلى مالك الملك، فرتب لهم ذلك بين يديه، وصار نجواهم كفاحاً، يناجونه بقلوبهم وأسرارهم، فاشتغلوا به عمن سواه، ولهوا به عن نفوسهم وعن كل شيء، هو رب كل شيء ومولاه، يصيرهم في قبضته، وقيدهم بعقولهم، وجعلهم أمناء، فهم في قبضته وحصنه وحراسته، يشتمون روح القرب ويعيشون في فسحة التوحيد والرحمة، ولا يشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم من الأعمال، فإذا جاء وقت عمل أبدانهم دون قلوبهم تحصنوا بصوامع الحرس في تلك الأعمال، كيلا تضرهم شياطينهم ونفوسهم وأهويتهم، فتسلم أعمالهم من حظ الشياطين، وسمات النفوس من الرياء والنفاق والعجب، وطلب الأعواض والشرك بشيء من الأشياء، والحول والقوة، بل يرون جميع ذلك فضلاً من اللّه وتوفيقاً منه عز وجل خلقاً، ومنه بتوفيقه كسباً، كي لا يخرجوا بغير هذه العقيدة من سنن الهدى، ثم يردون بعد أداء الأوامر، وفراغ تلك الأمثال إلى مراتبهم التي ألزموها، فوقفوا معها وحفظوها بالقلوب والضمائر، وقد ينقلون إلى حالة بعد أن جعلوا الأمناء، وخوطبوا كل واحد منهم على الانفراد في حالته، إنك اليوم لدينا مكين أمين، فلا يحتاجون فيها إلى إذن لأنهم صاروا كالمفوض إليهم أمرهم، فهم في قبضته حيث ما ذهبوا في شيء من أمورهم، فيمتلىء قلب هذا العبد بحب ربه عز وجل، ونوره وعلمه والمعرفة به، فلا يسمع غير ذلك، وذلك أنه عز وجل أقامه في هذه المرتبة على شريطة اللزوم لها، فلما وفى له بالشروط، ولم يبغ عملاً وحركة غير ذلك، وحفظه ولم يتجاوزه، نقله منها إلى ملك الجبروت، فجبر نفسه وقمعها بسلطان الجبروت حتى ذلت، وخضعت، ثم نقله منها إلى ملك السلطان ليذهب تلك العدد التي في نفسه، وهي أصول تلك الشهوات، قد صارت عدة ثابتة فيها، ثم نقله منها إلى الجلال فادب، ثم نقله منها إلى ملك الجمال فنقي، ثم إلى ملك العظمة فصبر، ثم إلى ملك البهاء فطيب، ثم إلى ملك البهجة فوسع، ثم إلى ملك الهيبة فربي، ثم إلى ملك الرحمة فخوطب وقوي وشجع، ثم إلى ملك الفردية فعود، فاللطف يغذيه، والآفة تجمعه، فكيف به والمحبة تقربه، والشوق يدنيه، والمشيئة تؤديه إليه والجواد العزيز يقبله، فيقربه ثم يدنيه، ثم يمهله، ثم يؤويه،

ثم يناجيه، ثم يبسطه منه ثم يقبض عليه، فأين ما صار وكل مكان حال، وفي كل حال لديه فهو في قبضته، وأمين من أمنائه على أسراره، وما يؤديه من ربه عز وجل إلى خلقه، فإذا صار إلى هذا المحل فقد انقطعت الصفات، وانقطع الكلام والعبارات، فهذا هو منتهى القلوب والعقول، وغاية ما يبلغ حال الأولياء إليه، ويؤذن وما وراء ذلك مختص بالأنبياء والرسل عليهم السلام، لأن نهاية الولي بداية النبي على الجميع صلوات الله وتحياته، ورأفته ورحمته، والفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام ينفصل من الله عز وجل وحياً معه روح من الله تعالى، فينقضي الوحي ويختمه بالروح فيه قبوله، فهذا الذي يلزم تصديقه، ومن رده فهو كافر لأنه راد لكلام الله عز وجل، وأما الولاية فهي لمن ولي الله حديثه على طريق الإلهام، فاوصله إليه، فله فيه الحديث ويتفصل ذلك الحديث من الله تعالى على لسان الحق، ما جاءت به محبة الله تعالى من علم الله في نفسه، فأودعه الحق معه السكينة التي في قلب المجذوب فيقبله فيسكن، فالكلام للأنبياء والحديث للأولياء، فمن رد الكلام كفر لأنه رد على الله عز وجل كلامه، ووحيه وروحه، ومن رد الحديث لم يكفر بل يخيب ويصير وبالاً عليه، وينهب قلبه لأنه رد على الحق، وجعله مؤدياً إلى القلب، لأن الحديث ما ظهر من علمه الذي برز في وقت المشيئة، فيصير حديثاً في النفس كالسر، وإنما يرتفع ذلك الحديث محبة من الله لهذا العبد فيمضي مع الحق إلى قلبه فيقبله القلب بالسكينة.

أخبرنا أبو محمد عبد الواحد بن صالح بن يحيى بن محمد القرشي البغدادي بالقاهرة سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان البغدادي المعروف بالخباز ببغداد سنة إحدى وأربعين وستمائة.

قال: أخبرنا العمران الكيماتي والبزار، وأخبرنا أبو الفتوح محمد بن عبد الله بن أبي المحاسن إسماعيل القرشي التميمي القطفني بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ أبي المجد بن المبارك بن الظاهري الحريمي، به سنة خمس عشرة وستمائة، والشيخ أبو الحسن المعروف بالخفاف البغدادي بها سنة عشرين وستمائة.

قالا: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو السعود المعروف بالمدلل ببغداد سنة تسع وسبعين وخمسمائة ح.

وأخبرنا أبو الحسن علي بن عبد اللّه بن أبي بكر الأبهري، ثم البغدادي بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قالا: أخبرنا أبو طاهر الخليل بن الشيخ أبي العباس أحمد بن علي الصرصري بها سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي، وأخبرنا أبو الحسن علي بن زكريا بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان؛ قاضي القضاة أبو صالح نصر بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق، والشيخ أبو الفضل إسحاق بن أحمد العلثي ببغداد سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

قالا: أخبرنا الحافظ أبو بكر عبد الرزاق ببغداد سنة إحدى وستمائة، وأخبرنا الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن الشيخ العلامة عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي بالقاهرة سنة أربع وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو القاسم هبة اللّه بن عبد اللّه المعروف بابن المنصوري ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو عبد اللّه محمد بن أبي المعالي بن قائد الأواني بها سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

قالوا: جاءت امرأة إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه بولد لها، وقالت له: إني رأيت قلب ابني هذا شديد التعلق بك، وقد خرجت عن حقي فيه لله عز وجل ولك، فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك طريق السلف، فدخلت أمه عليه يوماً فوجدته نحيلاً مصفراً من آثار الجوع والسهر، ووجدته يأكل في قرص من شعير، فدخلت إلى الشيخ فوجدت بين يديه إناءٍ فيه عظام دجاجة مسلوقة قد أكلها، فقالت: يا سيدي تأكل الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير، فوضع يده على تلك العظام **وقال**: قومي بإذن اللّه الذي يحيي العظام وهي رميم، فقامت دجاجة سوية فصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل مهما شاء.

قالوا: ومرت على مجلسه حدأة طائرة في يوم شديد الريح، فصاحت فشوشت على الحاضرين، **فقال**: يا ريح خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها بناحية ورأسها في ناحية، فنزل الشيخ من على الكرسي وأخذها في يده وأمر يده

الأخرى عليها، وقال: بسم اللّه الرحمن الرحيم، فحيت بإذن اللّه، وطارت والناس يشاهدون ذلك.

وقال رضي اللّه عنه في التقوى: التقوى على وجوه؛ تقوى العامة، ترك الشرك بالحق، وتقوى الخاصة ترك الهوى والمعاصي ومخالفة النفس في سائر الأحوال، وتقوى خاصة الخاصة من الأولياء بترك الإرادات في الأشياه والتخير في النوافل من العبادات، والتعلق بالأسباب والركون إلى ما سوى المولى، بل لزوم الحال والمقام، وامتثال الأمر في جميع ذلك مع إحكام الفرائض، وتقوى الأنبياء عليهم السلام لا يتجاوزهم غيب في شيء، فهم من اللّه، وإلى اللّه يأمرهم وينهاهم، ويوفقهم ويؤدبهم، ويطيبهم ويطهرهم، ويكلمهم، ويحدثهم ويرشدهم، ويهديهم، ويعافيهم، ويعطيهم ويهنيهم ويطلعهم وينصرهم، لا مجال للعقل في ذلك فهم في معزل عن البشر، بل عن الملائكة أجمع إلا فيما يتعلق بالحكم الظاهر والأمر البيِّن الموضوع للأمة وعوام المؤمنين، فإنهم يشاركون الخلق في ذلك وينفردون عنهم فيما سوى ذلك، وقد يعطى بعض ذلك الكرام من الأبدال، والخاصة من الأولياء، فتقصر عبارتهم عن ذكر ذلك، فلا يظهر إلى الوجود، ولا يدرك بالسمع والحس، ويستدل على التقوى بثلاث؛ بحسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضى فيما قد نال، وحسن الصبر على ما قد فات، ومن لم يحكم بينه وبين اللّه تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة، فالمتقي من لم يدنس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالعلات، ويكون واقفاً مع اللّه تعالى موقف الاتفاق، فظاهره محافظة الحدود، وباطنه النية والإخلاص، وطريق التقوى أولاً التخلص من مظالم العباد وحقوقهم، ثم من المعاصي الكبائر منها والصغائر، ثم الاشتغال بترك ذنوب القلب التي هي أمهات الذنوب وأصولها، منها تتفرع ذنوب الجوارح من الرياء والنفاق، والعجب والكبر، والحرص والطمع، والخوف من الخلق والرجاء لهم، وطلب الجاه والرياسة، والتقدم على أبناء جنسه، وغير ذلك مما يطول شرحه، وإنما يقوى على جميع ذلك بمخالفة الهوى، ثم الاشتغال بتلك الإرادة، ولا يختار مع اللّه تعالى شيئاً، ولا يدبر مع تدبيره، ولا يتخير عليه، ولا ينص على جهة وسبب في رزقه، ولا يعترض عليه عز وجل في حكمه، في خلقه، بل يسلم الكل إليه، ويستسلم بين يديه، ويطرح نفسه لديه فيصير في يد قدرته كالطفل الرضيع في يد ظئره ودايته، والميت في يد غاسله، مسلوب اختياره، منزوع عن إرادته، والنجاة النجاة في ذلك، فإن قال قائل: كيف الطريق إلى ذلك؟ قيل له:

الطريق إلى ذلك بصدق اللجأ إلى اللّه عز وجل، والانقطاع إليه ولزوم طاعته، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتسليم لقدره، وحفظ الحال وصيانة حدودها أبداً، وما نجا من نجا إلا بمراعاة الوفاء، وتحقيق الحياء، وتخليص الرضى، وصدق الإعراض عن الدنيا وهي الحجاب العظيم، وبها يتبين الخالص من المبهرج.

أخبرنا قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد المقدسي الحنبلي سنة أربع وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم هبة اللّه بن المنصوري ببغداد سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد القرشي البغدادي ركيب دار الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، **قال**: ركب الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، وأتى إلى جامع المنصور، ثم رجع إلى المدرسة، وكشف الطرحة عن وجهه المبارك، وألقى بيده من على جبينه عقرباً، فسعت على الأرض، فقال لها: موتي، فماتت مكانها، ثم قال لي: يا أحمد إن هذه ضربتني من الجامع إلى هنا ستين مرة.

قال: وشكوت إليه الفاقة، وكثرة العيال في غلاء نزل ببغداد، فأخرج إليَّ ويبة من بر، وقال لي: ضعه في كوارة، وسد رأسها وافتح في جنبها فتحاً، وأخرجوا منه واطحنوا ولا تغيروه.

قال: فاكلنا منه خمس سنين، ثم فتحته زوجتي فوجدته على حاله أول مرة، ونفد في سبعة أيام، فقلت ذلك للشيخ فقال: لو تركتموه لأكلتم منه إلى أن تموتوا.

وقال رضي اللّه عنه في الورع: الورع إشارة إلى التوقف في كل شيء، وترك الإقدام عليه إلا بإذن الشرع، فإن وجد للشرع فيه فعلاً ولتناوله فيه مساغاً وإلا تركه، والورع ملاك الأمور كلها، والورع ثلاث درجات؛ ورع العوام؛ وهو ورع عن الحرام والشبهة، وورع الخواص، وهو ورع عن كل ما للنفس والهوى فيه شهوة، وورع خواص الخواص وهو ورع عن كل ما لهم فيه إرادة ورؤية، والورع ورعان: ظاهر: وهو أن لا يتحرك إلا اللّه، وباطن وهو أن لا يدخل قلبك سوى اللّه تعالى، ومن لم ينظر في دقائق الورع لم يحصل له نفائس العطاء، والورع في النطق أشد، والزهد في الرئاسة أصعب، والزهد أول الورع كما أن القناعة طرف الرضى، ومن قواعد الورع؛ الورع في الطعام واللباس، فطعام المتقي ما ليس للخلق عليه تبعة، ولا للشرع عليه مطالبة، وطعام الولي ما ليس فيه هوى بل مجرد بالأمر، وطعام

البدل ما ليس فيه إرادة، بل فضل من اللّه تعالى، فمن لم يتحقق له الوصف الأول لم يصل إلى ما بعده على الترتيب، والحلال المطلق هو الذي لا يعصي اللّه تعالى به، ولا بشيء فيه، والناس في اللباس على ثلاثة أضرب: فلباس الأتقياء هو الحلال المتقدم ذكره، سواء كان كتاناً أو قطناً أو صوفاً، أو غير ذلك، ولباس الأولياء ما وقع به الأمر وهو أدنى ما تستر به العورة، وتدعو إليه الضرورة ليتحقق بذلك زوال أهويتهم، ولباس البدلاء ما جاء به القدر مع حفظ الحدود، إما قميص بقيراط، أو حلة بمائة دينار، فلا إرادة تسمو إلى الأعلى، ولا هوى يكسر بالأدنى، بل ما تفضل به المولى، ولا يتم الورع إلا أن يرى عشر خصال، فريضة على نفسه.

أولها: حفظ اللسان عن الغيبة لقوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾ [الحجرات:١٢].

والثاني: الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات:١٢]، ولقول النبي ﷺ: «إياكم والظن فإنه أكذب الحديث».

والثالث: الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم﴾ [الحجرات:١١].

والرابع: غض البصر عن المحارم لقوله تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ [النور:٣٠].

والخامس: صدق اللسان لقوله تعالى: ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، يعني فاصدقوا.

والسادس: أن يعرف منة اللّه تعالى عليه لكيلا يعجب بنفسه لقوله تعالى: ﴿بل اللّه يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾ [الحجرات:١٧].

والسابع: أن ينفق ماله في الحق، ولا ينفقه في الباطل لقوله تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا﴾ [الفرقان:٦٧]، يعني لم ينفقوا في المعصية، ولم يمنعوا من الطاعة.

الثامن: أن لا يطلب لنفسه العلو والكبر لقوله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً﴾ [القصص:٨٣].

والتاسع: المحافظة على الصلوات الخمس في مواقيتها، وإتمام ركوعها وسجودها لقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة:٢٣٨].

والعاشر: الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ [الأنعام:١٥٣].

أخبرنا أبو العفاف موسى ابن الشيخ العارف أبي المعالي عثمان بن موسى البقاعي، بالقاهرة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي بدمشق سنة أربع عشرة وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ أبو عمرو عثمان الصريفيني، والشيخ أبو محمد عبد الحق الحريمي ببغداد سنة تسع وستين وخمسمائة.

قالا: كنا بين يدي شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه بمدرسته يوم الأحد ثالث صفر من سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فقام وتوضأ في قبقاب له، وصلى ركعتين، فلما سلم منهما صرخ صرخة عظيمة، وأخذ فردة من قبقابه ذلك، ورمى بها في الهواء، فغابت عن أبصارنا، ثم صرخ أخرى ورمى بالفردة الأخرى، فغابت عن أبصارنا أيضاً، ثم جلس ولم يتجاسر أحد على سؤاله، ثم بعد ثلاثة وعشرين يوماً قدمت قافلة من بلاد العجم وقالت: إن معنا للشيخ نذراً فاستأذناه فقال: خذوه منهم، فأعطونا مناً من حرير، وثياباً من خزٍّ، وذهباً، وقبقاب الشيخ الذي رمى به في ذلك اليوم، فقلنا لهم: من أين لكم هذا القبقاب، قالوا: بينما نحن سائرون يوم الأحد ثالث صفر إذ خرجت علينا عرب لهم مقدمان، فانتهبوا أموالنا وقتلوا منا، ونزلوا وادياً يقتسمون أموالنا، ونزلنا على شفير الوادي، فقلنا: لو ذكرنا الشيخ عبد القادر في هذا الوقت، ونذرنا له شيئاً من أموالنا إن سلمنا، فبينما ذكرناه سمعنا صرختين عظيمتين ملأتا الوادي، ورأيناهم مذعورين، فظننا أن قد جاءهم عرب آخرون، فجاء إلينا بعضهم وقالوا: تعالوا خذوا أموالكم، وانظروا ما قد دهمنا، فأتوا بنا إلى مقدميهم، فوجدناهما ميتين وعند كل واحد منهما فردة من هذا القبقاب مبتلة بماء، فردوا علينا أموالنا، وقالوا: إن لهذا الأمر نبأً عظيماً.

وقال رضي الله عنه في خواطر القلب: في القلب خواطر ستة: أحدها خاطر النفس، والثاني: خاطر الشيطان، والثالث: خاطر الروح، والرابع: خاطر الملك، والخامس: خاطر العقل، والسادس: خاطر اليقين، فخاطر النفس يأمر بتناول الشهوات ومتابعة الهوى المباح منه والجناح، وخاطر الشيطان يأمر في الأصل بالكفر والشرك والشك والتهمة لله تعالى في وعده، وفي الفرح بالمعاصي، والتسويف بالتوبة، وما فيه هلاك النفس في الدنيا والآخرة، فالخاطران مذمومان

محكوم لهما بالسوء، وهما لعموم المؤمنين، وخاطر الروح وخاطر الملك يردان بالحق والطاعة لله عز وجل، وما عاقبته السلامة في الدنيا والآخرة، وما يوافق العلم، فهما محمودان لا يعدمهما خصوص الناس، وأما خاطر العقل فتارة يأمر بما تأمر به النفس والشيطان، وأخرى بما يأمر به الروح والملك، وذلك حكمة من الله تعالى، وإتقان لصنعه ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود، وتمييز فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائداً له وعليه، لأن الله تعالى جعل الجسم مكاناً لجريان أحكامه، ومحلاً لنفاذ مشيئته في مباني حكمته، كذلك جعل العقل مطية الخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم، إذ كان مكاناً للتكليف، وموضعاً للتصريف، وسبباً للتعريف، فله أقل لذة النعيم من الله عز وجل، أو عذاب أليم، وأما خاطر اليقين وهو روح الإيمان، ومزيد العلم يردان إليه، ويصدران عنه، وهو مخصوص بخواص من الأولياء الموقنين الصديقين الشهداء الأبدال لا يرد إلا بحق، وإن خفي وروده ودق مجيئه، ولا يقدح إلا بعلم لدني، وأخبار الغيوب وأسرار الأمور، فهو للمحبوبين، والمرادين المختارين الغائبين عنهم، المفعول فيهم الغائبين عن ظواهرهم، الذين انقلبت عبادتهم الظاهرة إلى الباطنة ما خلا الفرائض والسنن المؤكدة، فهم أبداً في مراقبة بواطنهم والله تعالى يتولى تربية ظواهرهم، كما قال جل اسمه في كتابه العزيز: ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦]، تولاهم وكفاهم، وأشغل قلوبهم بمطالعة أسرار الغيوب، ونورها بالتجلي في كل قريب، فاصطفاهم لمحادثته، واختصهم بالأنس به، وبالسكون إليه والطمأنينة لديه، فهم في كل يوم في مزيد علم ونمو معرفة، وتوفير نور، وقرب من محبوبهم ومعبودهم، في نعيم لا نفاد له، وآلاء لا انقطاع لها، وسرور لا غاية له، ولا منتهى، فإذا بلغ الكتاب أجله، وانتهى إلى ما قدره من البقاء في دار الفناء نقلهم منها أحسن انتقال، كما تنقل العروس من حجرة إلى دار من الأدنى إلى الأعلى، فالدنيا في حقهم جنة، وفي الآخرة لأعينهم قرة، وهو النظر إلى وجه الله الكريم من غير حجاب، ولا باب، ولا حاجب ولا بواب، ولا مانع ولا ضيم ولا إضرار، ولا انقطاع ولا نفاد، كما قال عز من قائل: ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥]، كما قال تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس: ٢٦]، والنفس والروح مكانان لإلقاء الملك والشيطان، فالملك يلقى التقوى إلى القلب، والشيطان يلقى الفجور إلى النفس، فتطالب القلب باستعمال الجوارح بالفجور،

وفي مكانين من البنية العقل والهوى، يتصرفان بمشيئة حاكم، وهو التوفيق أو الغرور، وفي القلب نوران ساطعان؛ وهما العلم والإيمان، فجميع ذلك أدوات القلب وحواسه، وآلاته، والقلب في وسط هذه الآلات كالملك وهذه جنوده، تؤدي إليه، أو كالمرآة المجلوة، وهذه الآلات حوله تظهر فيراها وتقدح فيه فيجدها، والخواطر خطاب يرد على الضمائر، فإذا كان من قبل الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس، وإذا كان من قبل النفس فهو الهاجس، وإذا كان من قبل الله تعالى وإلقائه في القلب فهو خاطر حق، فعلامة الإلهام أنه يرد بموافقة العلم، فكل إلهام لا يشهد له ظاهر فهو باطل، وعلامة الهواجس اللجاج في طلب وصف من خصائص صفات النفس، ولا يزال يعاود ولو بعد حين، حتى يأتي الرجل ذلك الوصف، وعلامة الوسواس أنه إذا دعى إلى زلة فخولف فيها وسوس بزلة أخرى، لأن جميع المخالفات عنده سواء، كما قال تعالى: ﴿إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ [فاطر:٦]، وعلامة الخاطر الحق أنه لا يؤدي إلى حيرة، ولا يجذب إلى سوء، بل يرد بزيادة علم وبيان، يعرف بنعته عند وجدانه، وإذا ورد على القلب خاطر حق بعده خاطر حق.

قال الجنيد: الأول أقوى لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل، وهذا مكان العلم.

وقال ابن عطاء: الثاني أقوى لأنه ازداد بالأول قوة.

وقال ابن خفيف: هما سواء لأن كليهما من الحق، ولا مزية لأحدهما إلا بمرجع بوصف خاص، وإذا اختلفت الخواطر على القلب فقل: سبحان الملك الخلاق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز.

وأجمعوا على أنه من كان أكله الحرام لم يستطع أن يفرق بين الخواطر.

أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن القاسم بن يوسف الهاشمي سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان الخباز ببغداد سنة ثلاثين وستمائة، قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا حفص عمر الكيماتي رضي الله عنه يقول: كنت في خلوتي ليلة فانشق الحائط ودخل شخص كريه المنظر، فقلت له: من أنت؟ قال: إبليس، وقد جئت لأنصحك، قلت: وما نصحك لي؟ قال: أعلمك جلسة المراقبة، ثم جلس القرفصاء ورأسه منتكس، قال: فلما أصبحت أتيت سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه لأذكر له ذلك، فلما

صافحته أمسك بيدي قبل أن أذكر له شيئاً من ذلك، وقال: يا عمر صدقك وهو كذوب، فلا تقبلن منه بعد هذا أبداً، قال الشيخ أبو الحسن: فكانت هذه الجلسة جلسة الشيخ عمر رضي الله عنه أربعين سنة.

وقال رضي الله عنه: اسم الله الأعظم هو الله، وإنما يستجاب لك إذا قلت: الله، وليس في قلبك غيره، (بسم الله من العارف ككن من الله عز وجل) هذه كلمة تزيل الهم، هذه كلمة تكشف الغم، هذه كلمة تبطل السم، هذه كلمة نورها يعم، الله يغلب كل غالب، الله مظهر العجائب، الله سبحانه رفيع، الله جنابه منيع، الله مطلع على العباد، رقيب على القلب والفؤاد، الله قاهر الجبابرة، الله قاصر الأكاسرة، الله عالم السر والعلانية، الله لا تخفى عليه خافية، من كان في حفظ الله، من أحب الله لا يرى غير الله، من سلك طريق الله وصل إلى الله، ومن وصل إلى الله عاش في كنف الله، ومن اشتاق إلى الله أنس بالله، من ترك الأغيار صفا وقته مع الله، اقرع باب الله الجأ إلى الله، توكل على الله، يا معرضاً ارجع إلى الله، هذا سماع اسمي في دار الشقاء فكيف عند اللقاء؟ هذا في دار المحنة، فكيف في دار النعمة؟ هذا اسمي وأنت على الباب، فكيف إذا كشف الحجاب؟ هذا وقد ناديت فكيف إذا تجليت؟ القوم في المشاهدة وأنجز الفضل إليهم واردة، المحب كالطير لا ينام في الأشجار يناجي حبيبه في خلوات الأسحار، تهب رائحة القرب على قلوبهم فيشتاقون إلى ربهم، اذكروني بالتسليم والتفويض أذكركم بأصلح الاختيار، بيانه قوله تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣]، اذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقرابة، اذكروني بالحمد والثناء، أذكركم بالمن والجزاء، اذكروني بالتوبة أذكركم بغفران الحوبة، اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء، اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال، اذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، اذكروني بالندم أذكركم بالكرم، اذكروني بالمعذرة أذكركم بالمغفرة، اذكروني بالإرادة أذكركم بالإفادة، اذكروني بالتفضل أذكركم بالتفضيل، اذكروني بالإخلاص أذكركم بالخلاص، اذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب، اذكروني باللسان أذكركم بالأمان، اذكروني بالافتقار أذكركم بالاقتدار، اذكروني بالاعتذار والاستغفار أذكركم بالرحمة والاستغفار، اذكروني بالإيمان أذكركم بالجنان، اذكروني بالإسلام أذكركم بالإكرام، اذكروني بالقلب أذكركم بكشف الحجاب، اذكروني ذكراً فانياً أذكركم ذكراً باقياً، اذكروني بالابتهال أذكركم بالإفضال، اذكروني بالتذلل أذكركم بغفران الزلل، اذكروني

بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف، اذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر، اذكروني بالصدق أذكركم بالرفق، اذكروني بالصفو أذكركم بالعفو، اذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم، اذكروني بالتكبير أذكركم بالنجاة من السعير، اذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، اذكروني بترك الخطاء أذكركم بأنواع العطاء، اذكروني بالجهد في الخدمة أذكركم بإتمام النعمة، اذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا، ولذكر اللّه أكبر.

أخبرنا الشيخ العالم جمال الدين أبو عمرو عثمان ابن الشيخ أبي الحرم مكي ابن الإمام أبي عمرو عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم السعدي الشارعي الشافعي الواعظ في يوم عاشوراء من سنة تسع وخمسين وستمائة.

قال: أخبرنا شيخنا بقية السلف شيخ المشايخ زين العلماء بديع الدين أبو القاسم خلف بن عياش الشارعي الشافعي سنة خمس وستمائة، **قال**: بعثني الشيخ شافعي زمانه أبو عمرو عثمان إسماعيل السعدي إلى بغداد لأحصل له نسخة بمسند الإمام أحمد رضي اللّه عنه، فلما قدمت بغداد وجدت الناس يلهجون بذكر الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، فقلت في نفسي: إن كان هذا الرجل كما يقال فهو يكاشفني بما أصوره في نفسي، ثم رتبت صورة لا توافق العادة، وقلت في نفسي: إذا دخلت إليه وسلمت عليه لا يرد عليَّ ويعرض بوجهه عني، ويقول لخادمه: ائتني بقطعة من تمر على قدر قرعة هذا الرجل الداخل، وعسل بدانق لا يزيد حبة، ولا ينقص حبة، فإذا أتاه بذلك ألبسني الطاقية قبل أن أسأله ويرد عليَّ السلام، ثم قمت على الفور وأتيت مدرسته فوافيته جالساً في المحراب، فنظر إليَّ نظرة فهمت منها أنه علم بجميع ما في نفسي، فسلمت عليه فلم يرد علي السلام، وحوَّل وجهه عني، وقال لخادمه ائتني بقطعة من تمر على قدر قرعة هذا الداخل، وعسل بدانق لا يزيد حبة، ولا ينقص دبة، فواللّه لقد أتى بالألفاظ التي أضمرتها، وما أخل منها بشيء، فلما جاء خادمه، وأخذ طاقيتي وجعل فيها قطعة التمر، فكأنها قالب لها، وقدم إلي النعل، ثم ألبسني الشيخ طاقية كانت على رأسه، وردَّ عليَّ السلام وقال لي: يا خلف أنت أردت هذه كله فاقمت عنده، وتحملت عنه العلم، وسمعت عليه الحديث وهذا الشيخ بديع الدين كان من العلماء الصلحاء المحدثين، سكن مصر وألبس أعيان أهلها يومئذٍ الخرقة القادرية، وعمرو لا زال يسمع الحديث، ويفيد العلم إلى أن علت سنه، ومات بالشارع الأعظم ظاهر القاهرة رضي اللّه عنه.

وقال رضي اللّه عنه: برقت بارقة من جناب الأزل في سماء قلوب العارفين، هب نسيم من رياض الديمومية على مشام أرواح المكاشفين، تنوعت أرانيج زهر القدس على زهر أسرار المشاهدين، سافرت تلك العقول في بحر بسم اللّه ليصل غاياتها إلى ساحة ساحل جناب الرحمن الرحيم، فترجع غنية بجواهر فرائد الألوهية، فائزة بتحف خزائن الأزلية، ظافرة بنيل سؤل موسى ليلة أرني، ناظرة على طور طلبها إلى نور سبحات تجلي معاشر العارفين، الموت في حرب حبه كل الحياة، الحياة مع غيره ولو لحظة حقيقة، الموت إن أعمى عين عقلك عن نظر غيره في الدنيا جعل جزاءها في الآخرة وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، إن قتلك بسيف حبه في العاجل جعل ديتك في الآجل أحياءً عند ربهم يرزقون، طافت سقاة القوم على أرواح بعض بني آدم بكؤوس شراب ألست في خلوة مجلس، وإذ أخذ ربهم أسكرهم الساقي لا الشراب، سكنت تلك النشوات في ذرات تلك الذوات حتى انفلق صبح شرع أحمد ﷺ من مشرق سماء رسالته، وجاءته من جناب الأزل لطائف أسرار الغيب، فنبه سكارى العشق، وأيقظ نوام القول لتذكر عهدها معه في خلوة ليلة ألست، فطارت إليه بجناح، وعجلت إليك ربٍّ لترضى، كاشف الأرواح بقوله: هو اللّه سكن القلوب بقوله الذي لا إله إلا هو، خوف الأسرار بقوله: عالم الغيب والشهادة، لاطف العقول بقوله: الرحمن الرحيم، الهوية بحر يغرق فيه سابح كل عقل، وينكسر في طلب علمه كل سفينة، فكر إن سار العقل على مطية الفكر إلى ساحل هذا البحر بدليل الإيقان، قذفت إليه أمواجه جواهر أسرار الأزل، وأتحفته بلطائف أنباء الغيب، وأراه نور الهداية حق اليقين، وسارت به نجائب العناية إلى جبل قاف القرب، وغسل خضر سره في عين ماء الحياة، وأخرجه من الظلمات إلى النور، فهنالك يرى شرع سيد الكونين سراج عيون عقول العارفين، يكاد يخطف بلوامع بروق أنواره أبصار الواصلين، وتنقش أيدي مواشط اتباعه وجوه عرائس مقامات المقربين، ويدبج صناع أديم إدامة التأدب به وشي حلل المشاهدين، يا هذا قلبك موضع نظرات القدم، وفي فضاء صدرك تضرب خيمة القرب، لأجلك خلق الجنة والنار، وبسبب معصيتك **قال**: وإني لغفار لمن تاب وآمن.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي زكرياء يحيى بن أبي القاسم البغدادي الأزجي بالقاهرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر، وأبو المحاسن فضل اللّه أبناء

الإمام أبي بكر عبد الرزاق بن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قالا: أخبرنا والدنا سنة إحدى وستمائة، **قال**: أخبرنا الشيخ أبو الحسن بن الطنطنة البغدادي صبيحة دفن والدي رضي اللّه عنه.

قال: كنت أشتغل بالعلم على سيدي محيي الدين عبد القادر، وكنت أسهر أكثر الليل أترقب حاجة له، فخرج من داره ليلة في صفر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، فناولته إبريقاً فلم يأخذه، وقصد باب المدرسة، فانفتح له الباب، وخرج وخرجت خلفه، وأنا أقول: إنه لا يشعر بي، ومشى إلى أن قرب من باب بغداد، فانفتح له الباب، وخرج وخرجت خلفه، ثم عاد الباب مغلقاً، ومشى غير بعيد، فإذا نحن في بلد لا أعرفه، فدخل مكاناً شبيهاً بالرباط، وإذا فيه ستة نفر، فبادروا بالسلام عليه، والتجأت إلى سارية هناك، وسمعت في جانب ذلك المكان أنيناً فلم نلبث إلا يسيراً حتى سكن الأنين، ودخل رجل وذهب إلى الجهة التي سمعت منها الأنين، ثم خرج يحمل شخصاً على عاتقه، ودخل آخر مكشوف الرأس، طويل شعر الشارب، وجلس بين يدي الشيخ، فأخذ عليه الشيخ الشهادتين، وقص شعر رأسه وشاربه، وألبسه طاقية، وسماه محمداً، وقال لأولئك النفر: قد أمرت أن يكون هذا بدلاً عن الميت، قالوا: سمعاً وطاعة، ثم خرج الشيخ وتركهم، وخرجت خلفه، ومشينا غير بعيد، وإذا نحن عند باب بغداد فانفتح كأول مرة، ثم أتى إلى المدرسة، فانفتح بابها أيضاً، ودخل داره، فلما كان الغد جلست بين يديه أقرأ على عادتي، فلم أستطع من هيبته، **فقال**: أي بني اقرأ ولا عليك، فأقسمت عليه أن يبين لي ما رأيت، **فقال**: أما البلد فنهاوند، وأما الستة الذين رأيتهم فهم الأبدال النجباء، وصاحب الأنين الذي سمعته هو سابعهم كان مريضاً فلما حضرت وفاته جئت أحضره، وأما الرجل الذي خرج يحمل شخصاً على عاتقه فأبو العباس الخضر ذهب به ليتولى أمره، وأما الرجل الذي أخذت عليه الشهادتين فرجل من أهل القسطنطينية كان نصرانياً، وأمرت أن يكون بدلاً عن المتوفى، فأتي به وأسلم على يدي، وهو الآن منهم، وأخذ علي أن لا أحدث بذلك أحداً وهو حي.

وقال رضي اللّه عنه: الخرقة عبارة عن تلهب قلب عرف وما انحرف، وعلى قدم الإخلاص وقف سرير الأسرار لا ينصب إلا في سرادق حق اليقين، وحق اليقين نقطة دائرة التوحيد، والتوحيد قاعدة بناء الوجود، الهوية الأحدية مغناطيس

حديد قلوب العارفين، والروضة الأبدية مراتع أسرار المكاشفين، كاشف الأرواح ليلة ألست، بأسرار قدمه لاطف العقول في مقام وإذ أخذ بألطاف تقرير عهده باسط الخواطر في حضرة السرمدية بمباسطة، وأشهدهم تقرب إلى الأسرار في جناب الأزل بمخاطبة ألست، سقاهم كأس محبته بأيدي سقاة قربه، خرجوا إلى الدنيا وفي رؤوسهم نشوات ذلك الخمار، وفي عيون عقولهم بقايا رسوم ذلك الجمال، وفي أحداق قلوبهم برقان ذلك الجناب، واحرقتاه عليكم كيف تموتون، وما عرفتم ربكم، الشجاعة صبر ساعة، يا أعجمي، الفطنة سافر إلى بلاد العرب يا موتى الطبيعة سافروا إلى بلاد هند الهداية، سقي بعض العارفين من هذا الشراب قطرة، وأفرغ ما في القدر له منه نغة، فقامت روحه ترقص طرباً بين ندمائه، واهتز جبل موسى شوقاً عند لمع برق التجلي، فنظر سر المحبوب، فقال من غلبة طفحات عشقه: أنا الحق، سكر نديمه الآخر، فقال: سبحاني، فارقت جماعة من طيور الأرواح أقفاص الأشباح، وطارت بأجنحة الشوق في فضاء الغرام، وأمت من نجد الوجد وادي منادي الأزل، وطمعت أن ترعى من طور القدم حب المشاهدة، فانقضت على حمائم طلبها بزاة العظمة، فصعق من في السماوات، ومن في الأرض إلا من شاء الله، لاحت لأسرار العالمين بهجة جلال الديموية، وأشرق لعيون العارفين نور كمال الأحدية من مشكاة نور غيب القدم، وسقطت قوادم أقدام الخلائق في مفاوز ما قدروا الله حق قدره، وانقطع العاصون في تيه، نسوا الله شر معاشر المريدين، لقد أودعت صورة الآدمي سراً من الغيب، ودفن في ترابها كنز من العلى، فرامت السبب إلى معرفته، والاطلاع على دفينه، فمنعها حاجز النفوس وما وجدت سبيلاً لترد سلسبيلاً.

معاشر العارفين احذروا من سرادق الأماني، وخدع لصوص الأمل، وجدوا فإن الأمر جد، ليس المحبوب غائباً عنكم إلا بحجاب الهوية، والله إن هوى النفوس قيد أرجل العقول، وإن مواطىء الشهوات مزالق أقدام الأفهام.

يا إخواني سافروا بالهمم إلى المحبوب، اخرجوا من جيوش الصور إلى طلب نظر المصور، واطلبوا حياة الأبد تحت جبل قاف القرب، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى.

أخبرنا الفقيه أبو الفتح نصر الله بن القاسم بن يوسف بن خليل بن أحمد الهاشمي البغدادي الكرخي بالقاهرة سنة تسع وستين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو عبد الرزاق، وعمي عبد الوهاب، والعمران الكيماتي، والبزار سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ح.

وأخبرنا الشيخ أبو الفتوح محمد بن أبي المحاسن يوسف بن إسماعيل بن أحمد بن علي القرشي التميمي البكري البغدادي القطفني بالقاهرة سنة ثمان وستين وستمائة.

قال: أخبرنا الشريف أبو جعفر محمد بن أبي القاسم لبيب بن النفيس بن يحيى العلوي الحسيني ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو الخير بشير بن محفوظ بن غنيمة ببغداد بمنزله بباب الأزج، سنة أربع وتسعين وخمسمائة.

قال: أخبرنا أبو سعد عبد اللّه بن أحمد بن علي بن محمد البغدادي الأزجي ببغداد سنة أربع وخمسين وخمسمائة، قال: صعدت ابنة لي اسمها فاطمة إلى سطح دارنا في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، فاختطفت وكانت بكراً، وسنها يومئذٍ ست عشرة سنة، فأتيت الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، وذكرت له ذلك، فقال: اذهب الليلة إلى خراب الكرخ، واجلس عند التل الخامس وخط عليك دارة في الأرض، وقل وأنت تخطها: بسم اللّه على نية عبد القادر، فإذا كانت فحمة الليل مرت بك طوائف من الجن على صور شتى، فلا يروعنك منظرهم، فإذا كان السحر مر بك ملكهم في جحفل منهم، فيسألك عن حاجتك فقل له: قد بعثني عبد القادر إليك، واذكر له شأن ابنتك، فذهبت وفعلت ما أمرني به، فمر بي منهم صور مزعجة المنظر، ولم يقدر منهم أحد أن يدنو من الدارة التي أنا فيها، وما زالوا يعبرون زمراً إلى أن جاء ملكهم راكباً فرساً، وبين يديه أمم منهم، فوقف بإزاء الدارة، وقال: يا إنسي ما حاجتك؟ قلت: قد بعثني الشيخ عبد القادر إليك، فنزل من على فرسه، وقبل الأرض، وجلس خارج الدارة، وجلس من معه، وقال: ما شأنك؟ فذكرت له قصة ابنتي، فقال لمن معه: من فعل هذا؟ فلم يعلموا من فعله، ثم بعد ساعة أتي بمارد وهي معه وقيل له: هذا من مردة الصين، فقال له: ما حملك على أن اختطفت من تحت ركاب القطب؟ قال: إنها وقعت في نفسي وأحببتها، فامر بضرب عنقه، وأعطاني ابنتي، فقلت له: ما رأيت كالليلة في امتثالك أمر الشيخ عبد القادر، قال: نعم إنه لينظر من داره إلى المردة منا وهم بأقصى الأرض، فيفرون من هيبته إلى مساكنهم، وإن اللّه تعالى إذا أقام قطباً مكنه من الجن والإنس.

قالوا: وأتى الشيخ رضي اللّه عنه رجل وقال له: أنا من أصبهان، ولي زوجة تصرع كثيراً، وقد أعيى أمرها المعزمين، فقال الشيخ: هذا مارد من مردة وادي سرنديب اسمه خانس، فإذا صرعت زوجتك فقل لها في أذنيها: يا خانس يقول

لك عبد القادر المقيم ببغداد: لا تعد، وإن عدت هلكت، فذهب الرجل وغاب عشر سنين، ثم جاء فسألناه فقال: فعلت ما قال الشيخ فلم يعد إليها الصرع إلى الآن.

قالوا: وقال رؤساء صناعة التعزيم: إن بغداد مكثت في حياة الشيخ عبد القادر أربعين سنة لا يصرع فيها أحد، فلما مات وقع الصرع فيها رضي الله عنه.

وقال رضي الله عنه في جسد النبي ﷺ: جسد النبي ﷺ مشكاة روحه، في المشكاة زجاجة إشراق الوحي مصباح الزجاجة إبلاغ ما يوحى إليه، نور على نور إذا سطع نور النبوة في زجاجة مشكاة القلب، جليت مرآة فؤاده فأبصر بها غائب الغيب، خوطب بلسان بلغ انخرق لعين عقله منفذ إلى الملأ الأعلى، عرضت عليه مخبآت لطائف الأزل صار ترجماناً بين الحادث والقديم، السير إلى الله عز وجل على قدر نور المعرفة، والمعرفة على قدر قوة العقل، والعقل على مقدار ما سبق في ديوان نحن قسمنا.

الولي: من اقتفى مواطىء أقدام النبي، النبوة والولاية نتائج تختص برحمته.

وقال رضي الله عنه.في العقل والشرع: العقل والشرع نوران دخلا بإشراقهما منافذ قلب المؤمن، امتزجا فيه امتزاج الماء بالراح واللطافة بالرياح، انطبعت أشخاص النبوة في صفاء مرآة العقل كانطباع نور الروح في ظلمة الجسد، العقول أشراك نصبت على مجاري مياه الأرواح في حدائق أسرار القلوب لاصطياد طيور الحكم من جو الغيب بصياد الفكر.

النبوة: نور إلهي أشرق على عين العقل المضاف إلى اليقين إشراقاً معنوياً صادف منها استعداد الشروق أشعته، ولألاء نوره، انفعل لوقوعه عليها انفعال الظلام للصباح، والأجسام للأرواح، ما أفاضه جود الإلهية على بواطن الصور وأسرار الهياكل، من إشراق لطفه، وإضاءة أنوار سعة رحمته، أكسبها علماً ضرورياً باستحالة وجود جسم واحد في محلين، وتعلق عرض منفرد بجوهرين بأحسن الحسنيين، وأقبح القبحين.

شمس النبوة لا تلقي أنوارها، وتفيض أسرارها إلا على شرف مدائن العقول المهيأ لذلك بالأوامر الإلهية.

النبوة هداية غيبية تسري في طرق إرادة القدم إلى بعض بني آدم على نجائب وربك يخلق ما يشاء ويختار.

أخبرنا الشريف أبو العباس أحمد ابن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي الغنائم الحسيني الدمشقي، ثم البغدادي بالقاهرة سنة أربع وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي بدمشق سنة أربع وسبعين وستمائة، قال: دخل الشيخ أبو الحسن علي بن الهيتي يوماً إلى دار سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه وأنا معه، فوجدنا في الدهليز شاباً ملقى على قفاه، فقال للشيخ علي: اشفع فيَّ عند الشيخ عبد القادر، فلما دخلنا على الشيخ ذكره له ابن الهيتي، فقال الشيخ: قد وهبته لك، فخرج إليه الشيخ وأنا معه، فقال له: قد شفعنا فيك عند الشيخ، فقام وخرج من كوة الدهليز، وطار في الهواء وأنا أنظر، فدخلنا إلى الشيخ وقلت له: ما هذا؟ قال: إنه عبر ماراً في الهواء وقال في نفسه: ما في بغداد رجل، سلبته حاله، ولولا الشيخ علي ما رددته عليه.

وكنت ملقى على ظهري فوق سطح المدرسة بين المغرب والعشاء في ليلة السبت التاسع من ربيع الآخر من سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة والوقت صائف، وسيدي محيي الدين عبد القادر قدامي مستقبل القبلة، فرأيت في الجو رجلاً ماراً في الهواء مر السهم، على رأسه عمامة لطيفة لها عذبة بين كتفيه، وعليه ثوب أبيض، وفي وسطه فوطة، فلما قارب سمت رأس الشيخ نزل كالعقاب المنقض على الصيد حتى جلس بين يديه، وسلم عليه، ثم ذهب في الهواء حتى غاب عن بصري، فقمت إلى الشيخ، وسألته عنه، فقال: أو رأيته قلت: نعم، قال: هو من رجال الغيب السيارة عليهم سلام اللّه.

قال: واجتمع يوماً في شهر المحرم من سنة تسع وخمسين وخمسمائة في رواق رباطة بالحلية من الزوار له نحو ثلاثمائة رجل، فخرج من داخل الدار عجلاً، وصاح بالناس: أسرعوا إليَّ، فاسرعوا إليه حتى لم يبقَ في الرواق أحد، سقط السقف، وسلم الناس، فقال: إني كنت في الدار، فقيل لي: إنه سيقع السقف الآن، فاشفقت عليكم.

وقال رضي اللّه عنه في الحلاج أيضاً رضي اللّه عنه: طار واحد من العارفين إلى أفق الدعوى بأجنحة أنا الحق، رأى روض الأبدية خالياً من الحسيس، والأنيس، صفر بغير لغته تعريضاً لحتفه، ظهر عليه عقاب الملك من مكمن إن اللّه لغني عن العالمين، أنشب في إهابه مخلب كل نفس ذائقة الموت، قال له شرع سليمان الزمان: لمَ تكلمت بغير لغتك، لم ترنمت بلحن غير معهود من مثلك، ادخل الآن إلى قفص وجودك، ارجع من طريق عزة القدم إلى مضيق ذلة الحدوث، قل بلسان اعترافك ليسمعك أرباب الدعاوى حسب الواجد، إفراد الواحد مناط حفظ الطريق إقامة وظائف خدمة الشرع.

أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن الكتاني بالمقسم سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا جدي منظور، والشيخ موفق الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبي الحرم مكي ابن الإمام أبي عمرو عثمان السعدي الشارعي الشافعي سنة أربع عشرة وستمائة.

قالا: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أبي ظاهر إبراهيم بن نجا بن غنائم الأنصاري الدمشقي، الفقيه الحنبلي الواعظ، نزيل مصر بالشارع سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

قال: حججت مرة وأتيت بغداد، أنا ورفيق لي، وما كنا دخلناها قبل ولا نعرف فيها أحداً، ولم يكن معنا إلا مدية فبعناها واشترينا بثمنها أرزاً فأكلناه فلم يطب لنا، ولم نشبع وأتينا مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر، فلما جلسنا قطع كلامه وقال: مساكين الغرباء جاؤوا من الحجاز ولم يكن معهم إلا مدية فباعوها واشتروا بثمنها أرزاً، وأكلوه فلم يطب لهم، ولم يشبعوا، فأعجبت به إعجاباً شديداً، فلما انقضى كلامه أمر بمد السماط، فقلت لرفيقي سراً: ما تشتهي؟ قال: كشكاً بدراج، وقلت أنا في نفسي أشتهي شهداً، فقال الشيخ للخادم: أحضر كشكاً بدراج، وشهدا على الفور، فأحضرهما، فقال: ضعهما بين يدي ذينك الرجلين، وأشار إلينا فأحضرهما ووضع الكشك قدامي، والشهد قدام رفيقي، فقال له الشيخ: اعكس تصب، فلم أتمالك نفسي أن صرخت وسعيت إليه أتخطى رقاب الناس، فقال لي: أهلاً وسهلاً بواعظ الديار المصرية، فقلت: يا سيدي فكيف وأنا لا أحسن أصحح الفاتحة، فقال: قد أمرت أن أقول لك هذا القول.

قال: فاشتغلت عليه بالعلم، ففتح اللّه عليَّ بالعلم في سنة بما لم يفتحه على غيري في عشرين سنة، وتكمت ببغداد، ثم استأذنته في السفر إلى مصر، فقال لي: إنك ستصل إلى دمشق وتجد بها الغز متأهبين للدخول إلى مصر، ليملكوها، فقل لهم: إنكم لن تنالوا ما تريدون من مصر في هذه المرة، بل ترجعون وتعودون إليها مرة أخرى، وتملكونها، قال: فلما أتيت دمشق، وجدت الأمر كما قال لي الشيخ، وقلت لهم ما قال لي، فلم يقبلوا مني، ودخلت إلى مصر فوجدت الخليفة بها متأهباً للقائهم، فقلت له: لا بأس، إنهم ينقلبون خائبين، وترجعون ظافرين، فلما وصل الغز إلى مصر كسروا فاتخذني الخليفة جليساً، وأطلعني على أسراره، ثم جاء الغز في الثانية، فملكوها، وأكرموني إكراماً عظيماً بالكلام الذي قلت لهم بدمشق، وحصل لي من الدولتين مائة ألف وخمسون ديناراً بكلمة واحدة من الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه.

وهذا الشيخ زين الدين قدم إلى مصر قديماً يقال عنه أنه كان يحفظ غير ما

كتاب في التفسير، وحصل له القبول التام من الخاص والعام، وكان أحد العلماء المحدثين، وعقد بها مجلس الواعظ، وانتفع الناس به، وتوفي بها شهر رمضان سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ومولده بدمشق سنة ثمان وخمسمائة.

وقال رضي اللّه عنه: انفرادك في طريق طلبه أمارة صحة المحبة، لفتة عين قلبك إلى سواه علامة البعد، نطقك بغير ذكره رين على صفاء مرآة قلبك، ما ذاق حلاوة وصله من اشتغل بغيره، ما قرب من جناب رحمته من مال إلى سواه طرفة عين، للطريق ثلاثة أركان؛ الحق والصدق والعدل.

فالعدل على الجوارح، والحق على العقول، والصدق على القلوب، من طلب ربه بحقيقة صدق قلبه صار صدقه في قلبه مرآة عجائب الدنيا والآخرة، حفظ قوانين الحياة السرمدية خير من حفظ قوانين الحياة الفانية، الوحدة باب الفكرة، وكثرة الفكرة علامة حضور القلب مع اللّه تعالى، علامة التوفيق، وحصول التوفيق دليل إلى حضرة القدس أكل الشبه كدر عليك، صفاء منبع الطاعة إعراضك عن إقامة وظائف الخدمة، سبب إعراضه عنك يا غلام، لا تكن كبلبل يهوى صوته وقت الربيع، يقف مع ترجيع أشجانه، يقضي وقته بالتذاذ صوته، لا يحصل إلا على مجرد شكاية الجوى، لكن كن كباز لا يلتفت إلى خفارة أصوات البلابل في رياضها، ولا يطرب على لذة نغمات الهواتف، تعويلاً على علو عزة العقل طلب موسى ﷺ عين الحياة الحقيقية في أرض أرني، قيل له: إنها من وراء جبل لن، ويحتاج إسكندر طالبها أن يقطع إليها سد يأجوج، ويخرق ردم مأجوج، وجوده بصحة التوحيد الذي هو محو كل متلوح لعين العقل في الأكوان، ويخرج بخضر عقله إلى حيز الآخرة من دائرة الدنيا، فإنه يجدها تحت ظل شجرة وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة، تلك الشجرة تنبت في جناب القدس في مقعد صدق عند مليك مقتدر، لا شرقية فتطلع من مشرق أفق الدنيا إلا في مشارق سماوات الأسرار، ولا غربية فتلوح من مغرب جو الكون إلا في مغارب معالي القلوب، وطلب عيسى صلوات اللّه على نبينا، وعليه عين الحياة الحقيقية في الأرض، قيل له: لا تجدها إلا بعد تعب إني متوفيك، تحت ظل أرائك مقام، ورافعك إليّ، المحبوب الكلي أحمد ﷺ وجد عين الحياة الحقيقية في معارج وما طغى ليلة أسرى بعبده، في مجلس ما زاغ البصر، قيل له: اغتسل منها بماء ما كذب الفؤاد، وخذ من دررها عقداً ينظمه لك ناظم الشوق في سلك القدر، آي من آيات ربه الكبرى، هذا معنى ذاتك لا تموت بعده، بدليل قوله ﷺ: «تعرض على أعمال أمتي».

أخبرنا أبو محمد عبد الغالب بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمن

التميمي الواسطي الأصل، البغدادي المولد والدار بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد اللطيف ابن الشيخ أبي النجاة سالم بن أحمد البغدادي المعروف بالخطاب، خادم الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ببغداد سنة ثلاثين وستمائة.

قال: أخبرنا أبي سنة تسع وسبعين وخمسمائة، قال: اجتمع على سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه في وقت مائتان وخمسون ديناراً ديناً لأرباب أصناف، فجاء شخص لا أعرفه، فدخل عليه بلا استئذان، وجلس يحدثه طويلاً، وأخرج له ذهباً، وقال: هذا وفاء الدين، وانصرف فأمرني الشيخ أن أوصل إلى كل ذي حق حقه، وقال: هذا صيرفي القدر، قلت: وما صيرفي القدر، قال: ملك يرسله الله تعالى إلى من عليه دين من الأولياء، فهو يوفيه عنه.

قال: وكان يوماً يتكلم فخطا في الهواء خطوات، وقال: يا إسرائيل قف، واسمع كلام المحمدي، ثم رجع إلى مكانه فقيل له في ذلك، فقال: مر أبو العباس الخضر على مجلسنا عجلاً، فخطوت ألبسه، وقلت له ما سمعتم فوقف.

وقال رضي الله عنه في خلق الآدمي: ما أعجب خلق هذا البشري، وما أغرب حكماً دفنها الصانع، تبارك وتعالى، فيه ملك بعقله لولا اتباع هواه، لطيف المعنى لولا كثافة طبعه، كنز استودع غرائب أسرار الغيب، وجوامع أصناف العلم، وعاء ملئ نوراً وظلمة إهاب ستر عروس الروح فيه بأستار الصور عن عيون الأغيار، عجيبة جلا جمالها القدر على عيون الملائكة، في حلل، ولقد كرمنا بني آدم في مجلس وفضلناهم، العقل فيه إشارة إلى كونه من عالم الشهادة، حملت أصداف الهياكل درر الأرواح في بحر الوجود على سفن العلم ليكمل به ضياء نور اليقين، فسارت بريح الروح إلى جزائر المشاهدة، ووقف سلطان العقل فيه بإزاء سلطان الهوى، وتقابلا وتقاتلا في سعة فضاء صدره، وكانت النفس من أخص جنود سلطان الهوى، والروح من أشرف جنود سلطان العقل، فأذن مؤذن الحكم بينهم: يا خيل الله اركبي، ويا كتائب الحق ابرزي، ويا جنود الهوى تقدمي، فكل يريد نصرة حزبه، وكل يحاول قهر خصمه، فقال: التوفيق لهما بلسان سابق الغيب من نصرته كانت الغلبة معقودة براياته، ومن أعنته، كان السعيد في الدنيا والآخرة، ومن كنت معه لم أفارقه حتى أوصله إلى مقعد صدق، التوفيق هو حسن نظر الحق سبحانه لوليه بعين رعايته، يا غلام اتبع العقل وقد وقف بك على محجة طريق

السعادة الكبرى، وفارق نفسك وهواك، وقد رأيت العجب، الروح سماوية غيبية، والنفس ترابية أرضية، طار طائر اللطيف من وكر الكثيف بجناح العناية إلى شجرة العلى، وأوكر في غصن القرب، وغرد بتلحين لسان الشوق، وناغاه نديم الأنس، والتقط جواهر الحقائق من بين أكناف المعارف، وبقي الكثيف محصوراً في قفص ظلمة وجوده، إذا فنيت القوالب بقيت أسرار القلوب، إن نظر إلى قلبك نظرة أقامه مقام عرشه، وأودعه حقائق العلوم، وجعله خزانة أسرار المعرفة، فحينئذٍ يترآى لعين عقلك جمال الأزل، وتعرض عن كل شيء متصف بصفات الحدوث، وتقابل بصيرة سرك أشخاص عوالم الملكوت في مرآة القلب، وتجلى عن عين سريرتك عرائس الفتح في مجلس الكشف عن حقائق الآيات، فإذا آثار متلوحات الأكوان ممحوة من لوح همتك.

يا هذا: العقول المنورة سرج الفحول في كل ظلمة، الأفكار الصافية أدلة أرباب المعارف، والعناية السابقة تكشف عن وجه خود اليقين نقاب الشك إذا تزاحمت الظنون، والإرادة اللاحقة تقطع أفكار الباطل بيد الحق إذا تقاصرت الأدلة.

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي بن عبد الله الدمياطي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا أبو الحسن الخفاف ببغداد سنة أربع وعشرين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ أبو السعود المدلل الحريمي به سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عبد الله القطامي الزبيدي الأصل البغدادي المولد والدار بالقاهرة، سنة سبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي الخباز ببغداد سنة ثلاث وأربعين وستمائة. قال: أخبرنا العمران الكيماتي، والبزار سنة إحدى وتسعين وخمسمائة. وأخبرنا أبو علي الحسن بن نجيم الحوراني، وأبو القاسم محمد بن عبادة بن محمد الأنصاري بالقاهرة سنة سبعين وستمائة.

قال أبو علي: أخبرنا الشيخ أبو محمد علي بن إدريس اليعقوبي بها سنة سبع عشرة وستمائة.

وقال أبو القاسم: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي القرشي بدمشق سنة ثمان عشرة وستمائة.

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين علي بن حسين الدمشقي، ثم

الموصلي بالقاهرة سنة اثنتين وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ عدي بالموصل سنة عشرين وستمائة. قال: أخبرنا أبي أبو البركات، قال: أخبرنا عمي القدوة الشيخ عدي بن مسافر رضي اللّه عنه. قالوا: أمطرت السماء مرة والشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه يتكلم، فتفرق بعض أهل المجلس، فرفع رأسه نحو السماء، وقال: أنا أجمع وأنت تفرق، فسكنت المطر عن المجلس، وبقي على حاله يقع خارج المدرسة، ولا يقطر على المجلس قطرة. قال: وازدادت الدجلة في بعض السنين حتى أشرفت بغداد على الغرق، فأتى الناس إلى الشيخ عبد القادر يستغيثون به، فأخذ عكازه، وأتى إلى الشط، وركزه عند حد الماء، وقال: إلى هنا فنقص الماء من وقته.

وأخبرنا قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد ابن الشيخ الإمام عماد الدين إبراهيم المقدسي الحنبلي بالقاهرة سنة أربع وسبعين وستمائة.

قال: أخبرنا الشيخ ضياء الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي، قال: سمعت الشيخ أبا بكر بن أحمد بن محمد الطحان يقول: حدثني الشيخ حماد أن الشيخ عبد القادر كان يعظ تحت السماء، فجاء المطر، فرفع رأسه وقال: أنا أجمع، وأنت تفرق، قال: فسكن المطر عن المجلس بإذن اللّه تعالى.

قال: كنت يوماً قد خرجت من الطاحونة، وأنا في الطريق، فجاء المطر، فقلت: يا رب قد أخبرني ثقة عن ثقة كذا عن كذا، فبحرمتهما عندك إلا أسكنت المطر عني، فسكن حتى وصلت إلى البيت، فلما وصلت جاء المطر.

وأخبرنا أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد القرشي سنة إحدى وسبعين وستمائة، قال: كنت عند الشيخ العالم أبي إسحاق بن سعيد الداري الثعلبي بدمشق سنة تسع عشرة وستمائة، وعنده الملك المعظم، والملك الأمجد، والملك الصالح إسماعيل، وتقي الدين، ومجير الدين بنو أيوب، فجاء المطر وكنا تحت السماء، فقال لهم: كان سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه يوماً يتكلم على الكرسي، فوقع المطر، فقال: أنا أجمع وأنت تفرق، فتفرق السحاب عن المجلس وبقي المطر يقع خارج المجلس، قال: فواللّه ما تم كلام الشيخ إبراهيم حتى تفرق المطر عنا، وصار يقع عن يميننا وشمالنا، ولا يقع علينا.

وقال رضي اللّه عنه: يا غلام عليك بالصدق والصفاء، فلولاهما لم يتقرب بشر إلى اللّه عز وجل. يا غلام لو ضرب حجر قلبك بعصا موسى الإخلاص لتفجرت

منه ينابيع الحكم، فبجناح الإخلاص يطير العارف من ظلمة قفص الكون إلى فسحة نور القدس، وينزل بعد الطيران في ظل روض مقعد صدق. يا غلام؛ ما أشرق نور اليقين في قلب عبد إلا ظهر على أسارير وجه صاحبه ضياء نور رضا الله عنه، ونوهت الملائكة باسمه في الملكوت الأعلى، وجاء يوم القيامة في زمرة الصديقين. يا غلام؛ الإعراض عن مشتهيات النفوس تجريد بل توحيد، هو صفاء بوارق شوق عشقه لخواطر العارفين حتى لا يتلذذوا بوصل غيره، هو هيم قلوب الوالهين حتى وقعت في أودية حبه الطريق إلى الله عز وجل، لا يسافر فيها بغير زاد الصدق، الحضور معه لا يحصل بغير تجريب القوالب، والإفطار في الآخرة على شراب النظر لا يوصل إليه إلا بعد الصيام عن الدنيا وما فيها، ما نظرة منه إليك غالية بترك الوجود، وما لحظة منه لك كثيرة بالخروج عن الأكوان، إذا صفت النفوس من الأكدار البشرية امتثلت الأوامر، وإذا قوي نظر عقل الطرف سطعت على سره أنوار بارئه، الأولياء: هم خواص حضرة السلطان، العارفون: ندماء مجلس الملك، وذوق حلاوة شهد الولاية يحسم مرارة صبر البلاء. يا غلام: عيون عقول الفحول لم تلتفت إلى الدنيا، ولم يخدعهم خلب برقها اللامع، بل فهموا قول المحبوب عنها، إنما الحياة الدنيا لعب ولهو. يا غلام: من لثم اللذات يدخل الشيطان إلى القلوب، ومن منافذ الشهوات يعبر إلى الصدور، وبخدع حب الدنيا يزرع في النفوس بغض الآخرة، فطوبى لمن تنبه من رقدة غفلة عقله، وصفا مورد حاله بطلب قرب مولاه، وبادر بالخروج إلى ما لا بدَّ منه، وحاسب نفسه قبل محاسبة أسرع الحاسبين، وشمر للسباق إلى الآخرة، فإن الدنيا ميدان المسابقين، والأعمال جلباب سبق الفائزين، وعلى جسر القيامة الممر والساعة أدهى وأمر.

أخبرنا الشيخ أبو محمد القاسم ابن الشيخ أبي القاسم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن علي القرشي الهاشمي البغدادي الحرمي الحنبلي بالقاهرة سنة إحدى وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان البغدادي المعروف بالخباز ببغداد سنة ثمان وثلاثين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم عمر بن مسعود البزار ببغداد سنة أربع وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ بقا بن بطو النهر ملكي رضي الله عنه، قال: جاء شيخ ومعه شاب إلى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وقال له: ادعُ له فإنه ولدي، ولم يكن ولده بل كان على سريرة غير صالحة، فغضب الشيخ وقال: بلغ من أمركم معي إلى هذا الحد، ودخل داره فوقع الحريق في أرجاء بغداد من وقته، وكلما أطفؤوا مكاناً اشتعلت النار في مكان

آخر، قال: ورأيت البلاء نازلاً على بغداد كقطع الغمام بسبب غضب الشيخ عبد القادر، فأسرعت في الدخول إليه فوجدته على حاله مغضباً، فجلست إلى جانبه وجعلت أقول له: يا سيدي ارحم الخلق، قد هلك الناس، حتى سكن غضبه، فرأيت البلاء قد انكشف وانطفأ الحريق كله، وبهذا الإسناد إلى الشيخ عمر البزار، قال: خرجت مع سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه إلى الجامع يوم الجمعة الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ست وخمسين، فلم يسلم أحد عليه، فقلت: يا عجباً نحن كل جمعة لا نصل إلى الجامع إلا بمشقة من ازدحام الناس على الشيخ، فلم يتم ما بخاطري حتى نظر إلي الشيخ متبسماً، وأهرع الناس للسلام عليه حتى حالوا بيني وبينه، فقلت في نفسي ذلك الحال خير من هذا، فالتفت إليَّ مبتسماً مسابقاً لخاطري، وقال: يا عمر أنت الذي أردت هذا، أو ما علمت أن قلوب الناس بيدي إن شئت صرفتها عني، وإن شئت أقبلت بها إليَّ.

وقال رضي اللّه عنه في الفناء: افن عن الخلق، الحكم اللّه عز وجل، وعن هواك بأمر اللّه، وعن إرادتك بفعل اللّه، فحينئذٍ تصلح أن تكون وعاء لعلم اللّه، فعلامة فنائك عن خلق اللّه تعالى انقطاعك عنهم، والإياس مما في أيديهم، وعلامة فنائك عنك، وعن هواك ترك التعلق بالتسبب في جلب النفع، ودفع الضر، فلا تتحرك فيك بك، ولا تعتمد عليك لك، ولا تذب عنك ولا تنصر لنفسك، بل تكل ذلك كله إلى من تولاه أولاً فيتولاه آخراً، وعلامة فنائك عن إرادتك أن لا تريد مع إرادة اللّه عز وجل سواه، بل يجري فعله فيك وأنت ساكن الجوارح، مطمئن الجنان، مشروح الصدر، عامر الباطن، غني عن الأشياء بخالقها، تقلبك يد القدرة ويدعوك لسان الأزل، ويعلمك رب الملك، ويكسوك من نوره حللاً، وينزلك منازل من مغيب من أولي العلم الأول، فتكون أبداً منكسراً لا تثبت فيك إرادة غير إرادة اللّه سبحانه، فحينئذ يضاف إليك التكوين وخرق العادات فيرى ذلك منك في الحكم، وهو فعل اللّه عز وجل حقاً في العلم، وهذه نشأة أخرى، فإذا وجدت فيك إرادة كسرت لوجودك فيها إلى أن يبلغ الكتاب أجله فيحصل اللقاء، فالفناء هو حد ومرد، وهو أن يبقى اللّه عز وجل تعالى وحده كما كان قبل أن يخلق الخلق، وهذه حالة الفناء فإذا مت عن الخلق قيل لك رحمك اللّه وأماتك عن هواك، وإذا مت عن هواك قيل لك رحمك اللّه وأماتك عن إرادتك، ومناك، وإذا مت عن الإرادة قيل لك: رحمك اللّه وأحياك، فحينئذٍ تحيا حياة لا موت بعدها، وتغنى غنى لا فقر بعده، وتعطى عطاء لا منع بعده، وتعلم علماً لا جهل

بعده، وتأمن أمناً لا خوف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتعز فلا تذل، وتقرب فلا تبعد، وتعظم فلا تحقر، وتطهر فلا تدنس. يا هذا كن مع اللّه تعالى كأن لا خلق، ومع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع اللّه تعالى كأن لا خلق وجدت، وعن الكل فنيت، وإذا كنت مع الخلق كأن لا نفس عدلت وأبقيت، اترك الكل على باب خلوتك، وادخل وحدك تزي مؤنسك في خلوتك بعين سرك، وتشاهد ما وراء العيان، وتزول النفس ويأتي مكانها أمر اللّه تعالى وقربه، فإذا جهلك علم وبعدك قرب، وصمتك ذكر ووحشتك أنس. يا هذا: ما ثم إلا خلق وخالق، فإن اخترت الخالق عز وجل فقل: إنهم عدو لي إلا رب العالمين، ثم قال: من ذاقه فقد عرفه، قيل له: من غلبت عليه مرارة الصفراء كيف يجد حلاوة الذوق، فقال: يتعمد فناء الشهوات من قلبه. يا هذا: المؤمن إذا عمل صالحاً انقلبت نفسه قلباً، ثم انقلب قلبه سراً، ثم انقلب السر فصار فناء، ثم انقلب الفناء فصار وجوداً، ثم قال: ليس كل الأحباب يسعهم كل باب، يا هذا الفناء إعدام الخلائق وانقلاب طبعك إلى طبع الملائكة، ثم الفناء عن طبع الملائكة ولحوقك بالمنهاج الأول، فحينئذ يسقيك بك ما يسقيك، ويزرع فيك ما يزرع، إن أردت هذا فعليك بالإسلام، ثم الاستسلام، ثم العلم باللّه عز وجل، ثم المعرفة به ثم الوجود به، فإذا كان وجودك به كان كلك له، الزهد عمل ساعة، والورع عمل ساعتين، والمعرفة عمل الأبد.

أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد القرشي المقدسي سنة اثنتين وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الملك ابن الشيخ أبي عبد الملك ذيال سنة إحدى وثلاثين وستمائة. قال: أخبرنا أبي سنة ثلاث عشرة وستمائة، قال: كنت قائماً بمدرسة الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه في سنة ستين وخمسمائة، فخرج من داره، وبيده عكازة، فخطر لي لو أراني الشيخ ما في هذه العكازة كرامة، فنظر إليَّ متبسماً، وركزها في الأرض، فإذا هي نور يتلألأ متصاعداً نحو السماء، وأشرق به الجو، وبقيت كذلك ساعة، ثم أخذها فعادت عكازة كحالها أول مرة، وقال لي: يا ذيال أنت أردت هذا.

وقال رضي اللّه عنه: أول ما يطلع في قلب المؤمن نجم الحكم، ثم قمر العلم، ثم شمس المعرفة، فبضوء نجم الحكم ينظر إلى الدنيا، وبضوء قمر العلم ينظر إلى الآخرة، وبضوء شمس المعرفة ينظر إلى المولى، النفس المطمئنة نجم، والقلب السليم قمر، والسر الصافي شمس، مقام النفس في الباب، ومقام القلب في الحضرة، ومقام السر في المخدع قائم بين يدي الحق سبحانه يلقن القلب،

والقلب يلقن النفس المطمئنة، والنفس تملي على اللسان، واللسان يملي على الخلق، وجود النفس مظنة التهمة، ووجود القلب مقام الشبهة، وعند صفاء السر تأتي العجائب، ما دمت تأخذ بالنفس فأنت تأكل الحرام، وما دمت تأخذ بقلب متقلب فأنت تأكل الشبهة، فإذا صفا سرك أكلت الحلال المطلق، الرضاء بالقضاء سبب تقريب القلب، ودخوله دار الفضل، وأكله من طعام الفتح، وشرابه من شراب الأنس، أسرار القوم رواسي الأرض، وأوتاد الوجود، يناجيهم منادم الأنس بأحاديث أحلى في النفوس من المنى، يقول لهم يكون بعد هذا الضيق سعة، وبعد هذا التشتت جمع، وبعد هذه المرارة حلاوة، وبعد هذا الذل عز، وبعد هذا الفناء وجود، فحينئذٍ يستقبل وجه القرب صاحب هذا المقام، ويجعل بينه، وبين الخلق حاجزاً، ويجمعُ في قلبه بين الحكم والعلم والقرب نور صنعه، وخرق عادة قلوب القوم تنظر بنور اللّه إلى ما سواه، يدخلهم جنة النظر إليه، فإذا نظروا إلى الأكوان صاحوا: يا دليل الحائرين دلنا إلى أقرب الطرق إليك، فيهيمون ولا يصغون إلى زجل مسبحها، ولا يلتفتون إلى عوالمها، فتأتيهم يد الرأفة والمحبة، فتأخذ بأيدي قلوبهم، وتضعها في حجر اللطف، وكنف الأنس ولذة القرب، وتنزع عنها ثياب السفر وتنزلها منازلها وتمكنها من حضرته، وتجعل لقلبه أبواباً يرى من كلها ملكه، وسلطانه وجلاله، وجماله، فقلوبهم مجاري إرادته وخزائن علمه، وصور سره، كلما دارت أسرارهم في مناكب دار القلب، ألقيت العلوم والأسرار، فصاروا جلساء ذلك البيت، ورأوا ما تم[1] من الخزائن والمرافق، وجاءهم البسط من كل جانب، وقوي جناحهم، فطاروا إلى سرادقات ذلك الجناب، وصارت بربهم، وإن سقطوا؛ سقطوا في صحن الدار يتقلبون بين يدي رب الملك، دعاة مجابون محبوبون مجذوبون، فالقلب مع الرب، والسر مع السر، إذا انفتح القلب رأى بعين السر جمال الرب عز وجل، وقطع الحجب. يا هذا: صدور الصدِّيقين قبور أسرار رب العالمين فيها نجوم العلم وشموس المعارف، وبهذه الأنوار تستضيء الملائكة.

أخبرنا أبو الفضل منصور بن أحمد بن أبي الفرج العراقي الدوري سنة خمس وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا شيخنا كمال الدين أبو العباس؛ أحمد بن محمد بن سمدويه الصريفيني ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة. قال: أخبرنا

---

(١) أي: ما هناك.

الشيخ أبو التقى محمد بن الأزهر الصريفيني، قال: مكثت مدة أسأل الله عز وجل أن يريني أحد رجال الغيب، فرأيت ليلة في المنام أني أزور قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وعند قبره رجل فوقع في نفسي أنه من رجال الغيب، فاستيقظت ورجوت أن أراه في اليقظة، فأتيت قبر الإمام أحمد في وقتي، فوجدت الرجل الذي رأيته في المنام بعينه، فتعجل في الزيارة وخرج قدامي، وتبعته إلى أن وصل إلى دجلة، فالتقى له طرفاها حتى صارت قدر خطوة الرجل، فعبرها إلى الجانب الآخر، فاقسمت عليه أن يقف ليكلمني، فوقف فقلت له: ما مذهبك؟ فقال: حنفي مسلم، وما أنا من المشركين، فوقع عندي أنه حنفي المذهب وانصرف، فقلت في نفسي: آتي الشيخ عبد القادر، واذكر له ما رأيت، فأتيت مدرسته، وقمت على بابه، فناداني من داخل داره: يا محمد ما في الأرض من المشرق إلى المغرب في هذا الوقت ولي لله عز وجل حنفي سواه، قال: ولم يفتح لي بابه.

وقال رضي الله عنه: من عامل مولاه بالصدق والنصاح استوحش ممن سواه في المساء والصباح، يا قوم: لا تدعوا ما ليس لكم ووحدوا، ولا تشركوا، وتهدفوا لسهام القدر تصبكم خدشاً لا قتلاً، ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه، واعلموا رحمكم الله أنكم إن لم توافقوا مجاري الأقضية، وإلا قصمتكم، فإنه لا يصطفى القلب حتى تصطفى النفس وتصير مثل كلب أهل الكهف، رابضة على الباب، وتنادى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾ [الفجر:٢٧] فحينئذٍ يدخل القلب إلى الحضرة ويصير كعبة لنظرات الرب تعالى، ويكشف له على جلال الملك، وكمال الملك، ويستوطن خيمة القرب، ويغرس في جوار الملك، وتظهر نجابته، وتخر للقائه، وتسلم إليه وراثته، ويسمع النداء من الرفيق الأعلى يا عبدي: كن عندي، أنت لي، وأنا لك، فإذا طالت صحبته صار بطانة للملك وخليفته على رعيته، وأمينه على أسراره، وأرسله إلى البحر لينقذ الغرقى، وإلى البر ليهدي الضال، فإن مر على ميت أحياه، أو على عاص ذكره، أو على بعيد قربه، أو على شقي أسعده.

الولي غلام البدل، والبدل غلام النبي، والنبي غلام الرسول صلى الله عليه وعليهم أجمعين، مثل الولاية مثل مسامر الملك، ومباطن حضرته لا يزال في صحبته إلا إذا أدرك، الخلوة منصة عروسهم، والليل سرير ملكهم، والنهار يقربهم، يا بني: لا تقصص رؤياك على إخوتك.

أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن الخضري الحسيني الموصلي سنة سبعين وستمائة. قال: أخبرنا أبي سنة اثنتين وعشرين وستمائة، قال: خدمت سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه ثلاث عشرة سنة، وشهدت له خارقات، منها أنه كان إذا أعي الأطباء دواء مريض أتي به إليه، فيدعو له، ويمر يده عليه، فيقوم بين يديه، وقد برىء بإذن اللّه، ولا يزال يسري عنه حتى يصح في أسرع وقت، وأتي إليه مرة بمستسق من أقارب الإمام المستنجد، وقد علت بطنه فأمرّ يده عليها، فقام بإذن اللّه ضامر البطن كأن لم يكن به شيء. وأتاه أبو المعالي أحمد بن مظفر بن يونس البغدادي الحنبلي، وقال له: إن ابني محمداً منذ خمسة عشر شهراً لم تفارقه الحمى، وقد زادت به، فقال له: اذهب وقل في أذنه: يا أم ملدم يقول لك عبد القادر: ارتحلي عن ولدي إلى الحلة، ثم سألنا أبا المعالي فقال: ذهبت، وفعلت مثل ما أمرني به الشيخ، فلم تعد إلى ولدي إلى الآن، وسألناه بعد سنين فقال: ما رجعت إليه بعد ذلك اليوم، وجاء الخبر أن أهل الحلة يحمون كثيراً. وأتاه أبو حفص عمر بن صالح الحدادي يقود ناقة له، وقال له: إني أريد الحج، وهذه ناقتي وقفت، وليس لي غيرها، فوكزها الشيخ برجله، ووضع يده على ناصيتها، قال: فصارت تسبق الرواحل بعد أن كانت في أخرياتهن.

ومرض الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن وهب الأزجي، فعاده الشيخ ورأى في بيته راعبياً وقمرياً، فقال له: يا سيدي هذا الراعبي ما يبيض منذ ستة أشهر، وهذا القمري ما يصيح منذ تسعة أشهر، فوقف الشيخ عبد القادر على الراعبي وقال له: متع مالكك، ووقف على القمري وقال له: سبح خالقك، قال فصاح القمري من وقته حتى كان أهل بغداد يجتمعون ليسمعوه، وأفرخ الراعبي، وما قطع إلى أن مات. وقال لي في سنة ستين وخمسمائة: يا خضر اذهب إلى الموصل ففي ظهرك ذرية تظهر بها، وأولها ولد ذكر اسمه محمد يلقنه القرآن رجل بغدادي أعمى اسمه علي في سبعة أشهر، ويستكمل حفظه وهو ابن سبع سنين، وتعيش أنت أربعاً وتسعين سنة، وشهراً وسبعة أيام، وتموت بأربل صحيح السمع والبصر والقوة.

قال أبو عبد اللّه: فسكن والدي الموصل، وولدت مستهل صفر سنة إحدى وستمائة، وأحضر لي والدي رجلاً أعمى يلقنني القرآن، فعندما بلغت سني ست سنين، وخمسة أشهر، فما استكملت سبعاً حتى ختمت القرآن حفظاً، فسأله والدي عن اسمه وبلده، فقال: اسمي علي، وبلدي بغداد، فذكر كلام الشيخ

رضي اللّه عنه، ومات والدي بأربل في تاسع صفر سنة خمس وعشرين وستمائة، وقد استكمل أربعاً وتسعين سنة وشهراً، وسبعة أيام وحفظ اللّه عز وجل عليه حواسه، وقوته إلى حين وفاته.

وقال رضي اللّه عنه في المعرفة: المعرفة على ثلاث درجات:

الأولى: معرفة الصفات والنعوت، وردت أساميها بالرسالة فظهرت شواهدها في الصنعة، وبهاء طيب حياة العقل بتبصر النور القائم الدائم في سر الوجود، ودوام سرور القلب بحسن النظر بين التعظيم وحسن الاعتبار، وهي معرفة العامة التي لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها، وهي على ثلاثة أركان؛ إثبات الصفة باسمها من غير تشبيه، ونفي التشبيه من غير تعطيل، والإياس من إدراك كنهها وابتغاء تأويلها.

والثانية: معرفة الذات مع إسقاط التفريق بين الذات والصفات، وهي تثبيت بعلم الجمع، وتصفو في ميدان الصفاء، وتستكمل بعلم البقاء، وتشارف عين الجمع، وهي على ثلاثة أركان؛ إرسال الصفات على الشواهد، وإرسال الوسائط على المدار، وإرسال العبارات على المعالم، وهي معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة.

والثالثة: معرفة مستغرقة في محض التعريف، لا يوصل إليها بالاستبدال ولا يدل عليها شاهد، ولا تستحقها وسيلة، وهي على ثلاثة أركان؛ مشاهد القرب، والصعود على العلم، ومطالعة الجمع من أفق الأول، وهي معرفة خاص الخواص، والمعرفة بطريق التوحيد هي الصعود على منازعات العقول، والتجاوز عن التعلق بالشواهد، وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكل سبباً، فيكون مشاهد أسبق الحق بحكمه، وعلمه ووضعه الأشياء مواضعها، وإخفائه إياها في رسومها، وهذا يصح بعلم التحقيق، ويصفو في عين الشهود، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع، وهو توحيد اختصه اللّه عز وجل لنفسه واستحقه بقدرته، ولاح منه لائح لأسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثه، وقطب الإشارة إليه إسقاط الحدوث، وإثبات القدم، على أن هذه الإشارة في هذا التوحيد علة لا يصح تحقيقه إلا بإسقاطها، وهذا التوحيد وراء ما يشير إليه مكون، أو يتعاطاه حين، أو يقله سبب، ولا تصح هذه الدرجة لعبد إلا أن يكون كالميت بين يدي غاسله تجري عليه تصاريف تدبير ربه عز وجل في مجاري أحكام قدره، في لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه، وعن استجابته لدواعي وجوده لقيام أمر الحق فيما أراد منه، وذلك أن يرجع آخر العبد إلى أوليته، فيكون كما كان قبل أن

يكون، ويبقى اللّه عز وجل كما لم يزل مع العلم بانه غير مشبه للذوات، ولا منفي الصفات، واستقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل، وإنكار التشبيه، وهذا الأمر حقيقة الوجد للواجد، والمعرفة بطريق الاتصال هي الخلاص من الاعتلال، والغنى عن الاستدلال، وسقوط شتات الأسرار، والخوض في بحر عين الوجود، وهذا لا يدرك منه نعت ولا مقدار، والمعرفة بطريق الأنس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة، وشرور القلب بحلاوة الخطاب، وارتياح الروح بمشاهدة المحبوب، ومحادثة الأسرار للمحبوب على بساط الأنوار في مجالس القرب، وهو أتم من البسط كما أن الهيبة غيبة، فكل مستأنس صاح، وكل هائب غائب، فإذا قذف بالعباد في عش الأنس فكلهم في الجنة مخاطبون بلسان النور، وإذا قذف لهم في بحر الهيبة كأنهم في جهنم مخاطبون بلسان النار، ثم يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في التعظيم، ويتباينون في الأنس على حسب تباينهم في الشوق، فإن عصفت عليهم عواصف الهيبة طاشوا، وإن هبت عليهم نسمات الأنس عاشوا، فتلك قلوب المحبين، وهذه أسرار الصديقين، يتقلبون بين نسيم أنسه ورياض قدسه، وينادون بالسن أحوالهم، والمعرفة بطريق الولاية هي الفناء المجرد في حالة الباقي في مشاهدة الحق بتولية سياسته، ورعايته، فتتوالى عليه أنوار المولى، فإذا تولاه والاه، وإذا والاه ما اصطفاه، وإذا اصطفاه صفاه، وإذا صفاه ناجاه، وأعانته الروح في المجاهدة، وسربله الأنس في المكابدة، ثم فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الفتح، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب، ثم كشف له عن الجلال والعظمة، فيبقى هو بلا هو، فالولي ريحانة اللّه في الأرض يشبه الصديقين، فتصل رائحته إلى قلوبهم، فيشتاقون إلى ربهم على تفاوت منازلهم، فالأولياء عرائس اللّه تعالى؛ لا يراهم إلا ذو محرم، مخدرون عنده في حجاب الغيرة، لا يطلع عليهم إلا محبوب، والمعرفة بطريق التجريد هي تجريد للقلوب بشواهد الإلهية عن رؤية أكدار صفات الحدوث مع سقوط رؤيتك عنك، فلا يبقى لك معه نظر، فحينئذٍ تنظر إلى ما هنالك من الكرامات، وتشاهد ما ذكر لك من خفيات الغيوب، وهي على ثلاثة أركان: تجريد عن الكشف عن كسب اليقين، وتجريد عن الجمع عن درك العلم، وتجريد الخلاص من شهود التجريد، وهو انخلاع عن شهود الشهود، والمعرفة بطريق التفريد: هي إفراد القديم برفع لفظ المحدث، ووجود فرائد حقائق الفردية، وتخليص الإشارة إلى الحق، ثم بالحق عن الحق فيصير فرد الفرد، وهي على ثلاثة أركان: تفريد القصد عطشاً، ثم تفريد المحبة تلفاً، ثم

تفريد الشهود اتصالاً، ولها ثلاث إشارات: تفريد الإشارة بالافتخار، وتفريد الإشارة بالسكون، وتفريد السكون بالقبض، وهي ترد ببسط ظاهر يتضمن قبضاً خالصاً للهداية إلى الحق والمعرفة بطريق الجمع والتفرقة، فالتفرقة شهود الأغيار لله، والجمع شهود الأغيار بالله، وجمع الجمع استهلاك بالكلية عند غلبات الحقائق، وهي على ثلاثة أركان: جمع علم، وهو تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدني صرفاً، وجمع وجود وهو تلاشي نهاية الاتصال في عين الوجود محقاً، وجمع عين وهو تلاشي كل ما نقلته الإشارة إلى ذات الحق في اختطاف الشهود إلى ما استولى من سلطان حقيقة وجود المشهود حقاً بنعت المحاضرة، وهي حضور القلب في سر البيان، ووصف المكاشفة وهي المقابلة لحقائق الآيات من غير احتياج في هذه الحال، وإلى تأمل دليل وقانون المحادثة، وهي لا تكون بما يظهر الأغيار، إنما يظهر منها النطق بالأخبار، وتستتر المحادثة في الأسرار، فالمحاضرة بالبرهان، والمكاشفة بالحقائق، والمشاهدة بالأنوار، والمحادثة بالأسرار، والمعرفة بطريق البقاء: هي أن يفنى عن كل شيء حتى يثبت مع الله، ويبرز لله الواحد القهار، ثم بدت عليهم حقائق من الله عز وجل، فأفنتهم من رؤية بقائهم بشاهد بقاء الله تعالى لهم، وبدت عليهم حقائق من سلطان الهيبة والجلال، ففنوا عن رؤية البقاء بمشاهدة علم الفناء، ثم بدت عليهم حقائق التحقيق حيث لا حقائق موجودة غير أنها حقائق محت آثار رؤية العلم فيهم، ثم يفنون عن الفناء بالفناء، حتى لا يشهدوا فناءً ولا بقاء، فيكلؤهم الله عز وجل كلاءة الطفل الوليد، وهي على ثلاثة أركان: بقاء المعلوم بعد سقوط العلم عيناً لا علماً، وبقاء المشهود بعد سقوط الشهود وجوداً لا نعتاً، وبقاء ما لم يزل حقاً بإسقاط ما لم يكن محواً، ولا يصح هذا الوصف لأحد إلا بعد فناء نفسه عن المألوفات، ونزول التبعات، وملازمة آداب العبودية، والاستقامة على القيام بأوامر الشريعة، فكل جمع بلا تفرقة زندقة، وكل تفرقة بلا جمع تعطيل، ومن لم يصبه سهم الفقد فإن البغايا ترده، ومن شاهد سره ما لا يتسلط عليه التغيير، ولا يحويه الفهم، فقد شاهد صفة قديمة، وإلا فهو وارد استدلال لا وارد جلال، وصفات العارف أن يعرف الله تعالى بوحدانيته، وكمال صفاته، وأن يصدق في معاملته، ويخلص له كليته بدوام الوقوف على امتثال أوامره، ويصير عن الأغيار أجنبياً، ومن آفات نفسه بريأً، ويصفي قلبه عن كدر بشريته، ويفارق بسره ملاحظة الخلق.

أخبرنا الشيخ الفقيه أبو الحسن علي ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن المبارك

ابن أسباط البغدادي الحرمي الشافعي، بالقاهرة سنة سبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمد ابن الشيخ أبي عبد الله عمر بن محمد بن عبد الله ابن عمرويه السهروردي البغدادي الصوفي ببغداد سنة ثلاث وأربعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن يحيى بن بركة البغدادي البزار المعروف بابن الديبقي ببغداد سنة إحدى عشرة وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو الرضى محمد بن أحمد بن داود البغدادي المؤدب الحاسب المعروف بالمفيد ببغداد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

قال: كنت كثيراً ما أتوقع ممن أسأله عن شيء من صفات القطب، فدخلت أنا والشيخ أبو الخليل أحمد بن أسعد بن وهب بن علي المقري البغدادي، ثم الهروي في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة إلى جامع الرصافة، فوجدنا فيه الشيخ أبا سعد القيلوي، والشيخ أبا الحسن علي بن الهيتي رضي الله عنهما، فسألت الشيخ أبا سعد عن ذلك، فقال إلى القطب انتهت رئاسة هذا الأمر في وقته، وعنده تحط رحال جلالة هذا الشأن، وإليه يلقى أمر هذا الكون وأهله في عصره، قلت: فمن هو في وقتنا هذا، قال: هو الشيخ محيي الدين عبد القادر، فلم أتمالك أن وثبت ووثبوا كلهم لنحضر مجلس الشيخ عبد القادر، وما تقدم منا أحد، ولا تأخر، ولا تفرقنا، وما منا إلا من يشتهي يسمع منه شيئاً في هذا المعنى، فوافيناه يتكلم، فلما استقر بنا المجلس قطع كلامه وقال: آن للواصف أن يبلغ وصف القطبية، ولا مسلك في الحقيقة إلا وله فيه مأخذ مكين، ولا درجة في الولاية إلا وله فيها موطن ثابت، ولا مقام في النهاية إلا وله فيه قدم راسخ، ولا منازلة في المشاهدة إلا وله منها مشرب هنيء، ولا معراج إلى مراقي الحضرة إلا وله فيه مسرى علي، ولا أمر في كوني الملك والملكوت إلا وله فيه كشف خارق، ولا سر في عالمي الغيب والشهادة إلا وله إليه مطالعة، ولا مظهر وجود إلا وله فيه مشاركة، ولا فعل لقوي إلا وله فيه مباطنة، ولا نور إلا وله منه قبس، ولا معرفة إلا وله فيها نفس، ولا مجرى لسابق إلا وهو آخذ بغايته، ولا مدى لواصل إلا وهو مالك لنهايته، ولا مكرمة إلا وهو لها مخطوب، ولا مرتبة إلا وهو إليها مجذوب، ولا نفس إلا وهو فيه محبوب، وهو حامل لواء العز ومنتضي سيف القدرة، وحاكم دست الوقت، وسلطان جيوش الحب، وولي عهد التولية والعزل، لا يشقى به جليسه، ولا يغيب عنه مشهوده، ولا يتوارى عنه حاله، لا مرمى فوق مرماه، ولا مغشى فوق مغشاه، ولا وجود أتم من وجوده، ولا شهود أظهر من شهوده، ولا

اقتفاء للشرع أشد من اقتفائه، إلا أنه كائن بائن، متصل منفصل، أرضي سماوي، قدسي غيبي، واسطة خالصة، بشر نافع له حد لينتهي إليه ووصف ينحصر فيه، وتكليف يجب عليه، إلا أنه مستقر باتصاله عند جمعه في مواقع نظرات الأزل عن عين التفرقة بين الهيبة والأنس، بارز بانفصاله عند تفرقته في شعاب المشاهدات لتباين الصفات بين أضعاف الجلال وإنعاش الجمال، مع لزوم وصف المقام، وزوال نعت الحال، فحاجب انفراده بالأسرار نادى على عزة ظهوره بالآيات في خفاء اقتران حكمه بالأمر، وإلا لما استطاع ظهوره بالبسط منزلاً في حيز الأين من بطش القبض، ولولا أن عالم الملك والحكمة لا يظهر فيه شيء من عالم الغيب والقدرة إلا في قشرة الحجاب، وإشارة الرمز، وقيد الحصر لمشاهد أهل الكون من هذا الأمر عجباً، ولولا أن جملته وتفصيله وأوله وآخره منطوٍ في حواشي تمكين المصطفى ﷺ، وممزوج رحيقه بتنسيم نسمات رعايته، ومحصول محصله في قبضة أمره إقبالاً وإدباراً وجمعاً وتفرقة لخرق سهم القدر سياج الحكم، ولو خلق لهذا الأمر الذي أشير إليه لسان لسمعتم ورأيتم عجائب، ثم أنشد من غير ترنم ولا ألحان:

ما في الصبابة منهل مستعذب ... إلا ولي فيه الألذ الأطيب
أو في الوصال مكانة مخصوصة ... إلا ومنزلتي أعز وأقرب
وهبت لي الأيام رونق صفوها ... فحلت مناهلها وطاب المشرب
وغدوت مخطوباً لكل كريمة ... لا يهتدي فيها اللبيب ويخطب
أنا من رجال لا يخاف جليسهم ... ريب الزمان، ولا يرى ما يرهب
قوم لهم في كل مجد رتبة ... علوية وبكل جيش كوكب
أنا بلبل الأفراح أملأ دوحها ... طرباً، وفي العلياء باز أشهب
أضحت جيوش الحب تحت مشيئتي ... طوعاً، ومهما رمته لا يعزب
أصبحت لا أملاً ولا أمنية ... أرجو ولا موعودة أترقب
ما زلت أرتع في ميادين الرضا ... حتى وهبت مكانة لا توهب
أضحى الزمان كحلة مرقومة ... تزهو ونحن لها الطراز المذهب
أفلت شموس الأولين، وشمسنا ... أبداً على فلك العلى لا تغرب

ثم قال: كل الطيور تقول ولا تفعل، والباز يفعل ولا يقول، ولأجل هذا صار كف الملوك سدته، فقام إليه الشيخ أبو المظفر منصور بن المبارك الواعظ المعروف بجرادة، وأنشد يقول:

بك الشهور تهنا والمواقيت ... يا من بألفاظه تغلو اليواقيت

الباز أنت فإن تفخر فلا عجب وسائر الناس في عيني فواخيت
أشم من قدميك الصدق مجتهداً لأنه قدم في نعله الصيت

فقام الشيخ علي بن الهيتي، وقبل قدم الشيخ عبد القادر رضي الله عنهما.

قال: فكتبنا هذا المجلس عندنا، وحفظنا ما وقع فيه، قال ابن الديبقي: فاتيت الشيخ أبا الخليل الهروي وسالته عن هذه القصة، فأخبرني بها كذلك.

وقال رضي الله عنه في الشهود: إن الله عز وجل لا يتجلى لعبد في صفتين، ولا في صفة لعبدين، ما دام الخير باقياً، والوقت موجوداً، والجمع ملحوظاً، والطبع مالوفاً، والحد قائماً، وإلا فقد يكون ولكل عبد حد، ولكل حد وصف، ولكل وصف طور ولكل طور تجلٍ، ولكل تجلٍ منازلة، ولكل منازلة سر، ولكل سر معراج، ولكل معراجٍ غاية، ولكل غاية مستقر بين يدي الله عز وجل، ومستودع من علمه، وإذا كان العبد في حده أو دونه فشهوده مقيد بانتهاء، وملازم لاستتار لأنه من حيث الشاهد وهذا موضع جواز ظهور صفة قديمة في مثال مخالفها، لأن حد الخير مرد الوسع، ووسع الرد خير الحد، ولا يسع الحد وجوداً مطلقاً، ولا يحمل الوسع حقيقة ما استقرت به قوته، وإذا كان العبد من وراء حده فشهوده مطلق في وصف الوجود الكلي القائم بنفسه لأنه من حيث المشهود، وهذا وصف لا يقوم له مثال، ولا يثبت معه قوة غيره، ولا يبدو إلا في حقيقة، وإذا كان الشهود مشهوداً فلا بد من خفاء معنى من معانيه في سمت ما قام من وجوده، ولا يصح الشهود المطلق إلا عند تجريد الشهود من شهوده، وانخلاعه عن استتارات المركبات، ومتواريات المؤتلفات، فإنه بين كل مركبين مخالفة توجب التباساً، وفي كل مؤتلفين تغاير يورث اشتباهاً، وعند قيامه بصفة واحدة في محض التوحيد، وجمع الجمع يتحد ظاهر الشهود وباطنه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي سنة إحدى وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة. قال: أخبرنا والدي عبد الرزاق، وعمي عبد الوهاب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة.

وأخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الأبهري، ثم البغدادي سنة اثنتين وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ أبو طاهر الخليل ابن الشيخ أبي العباس أحمد الصرصري، والشيخ أبو الحسن علي بن سليمان الخباز ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة.

قال الصرصري: أخبرنا أبي رحمه الله، وقال الخباز: أخبرنا العمران الكيماتي والبزار سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة.

وأخبرنا أبو محمد رجب الداري سنة إحدى وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ أبو الحسن الخفاف، والشيخ أبو البدر بن سعيد ببغداد سنة سبع عشرة وستمائة. قالا: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو السعود الحريمي المعروف بالمدلل سنة ثمانين وخمسمائة. قال: وأخبرنا الشيخ أبو الحسنٰ علي بن نجيم الحوراني سنة أربع وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن إدريس اليعقوبي بها سنة خمس عشرة وستمائة. قال: وأخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي سنة ثلاث وسبعين وستمائة. قال: أخبرنا الشيخ الإمام شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي ببغداد سنة خمس وعشرين وستمائة.

قالوا: كان الشيخ عباد، والشيخ أبو بكر الحمامي رحمهما الله تعالى من ذوي الأحوال السنية، وكان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يقول لأبي بكر: يا أبا بكر الشريعة المحمدية المطهرة تشكو إليَّ منك، وكان ينهاه عن أمور ولا ينتهي عنها، فدخل الشيخ إلى جامع الرصافة، فوجده فمر بيده على صدره، وقال: انزع أبا بكر واخرج من بغداد، ففقد جميع أحواله ومعاملاته، وتوارت عنه منازلاته، وخرج إلى الفرق، وبقي كلما أتى إلى بغداد وهم أن يدخلها سقط على وجهه، وإن حمله أحد ليدخل به سقطا جميعاً، وجاءت أمه باكية إلى الشيخ تذكر شوقها إلى ولدها، وتشكو العجز عن المسير إليه، فأطرق ثم قال: قد أذنا له أن يأتي من الفرق إلى بغداد من تحت الأرض يكلمك من بئر دارك، قالوا: فكان يأتي كل أسبوع مرة من الفرق إلى دار أمه من تحت الأرض، ويجتمع بها، وبعث الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه قضيب البان إلى الشيخ ليشفع عنده فيه، فوعده فيه بخير، وكان بين مظفر الجمال وأبا بكر رحمهما الله أنس وود، فرأى مظفر في الواقعة رب العزة تبارك وتعالى، وقال له: يا عبدي تمنً، قال: يا رب أتمنى أن يرد حال أخي أبي بكر عليه فقال له: لك ذلك في حضرة ولي في الدنيا والآخرة عبد القادر، اذهب إليه وقل له: يقول لك ربك بأمارة أني أردت أن أنزل بالخلق نازلة فشفعت فيهم، وشفعتك، وبأمارة ما سألتني أن أرحم بجودي، وأعم بفضلي من رآك من المؤمنين، ففعلت، وقد رضيت عن أبي بكر فارضَ عنه، وإذا رسول الله ﷺ يقول: يا مظفر، قل لنائبي في الأرض، ووارثي:

الشيخ عبد القادر يقول لك جدك رسول اللّه: رد على أبي بكر حاله، فإنك لم تغضب إلا لشريعتي، والآن فقد وهبته، فلما اسري عن مظفر من واقعته ذهب مسروراً إلى أبي بكر ليبشره، وكان قد كوشف بجميع ما جرى في الواقعة، وكان لم يكاشف بعد فقد حاله بشيء قبلها، فتلاقيا في نصف الطريق، وأتيا إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر، فقال: يا مظفر بلغ رسالتك، فذكر له ما وجد في واقعته ونسي منه شيئاً، فذكره الشيخ، ثم استتاب أبا بكر عما كان يكرهه منه، وضمه إلى صدره فوجد في الحال جميع ما كان فقده بزيادة، قالوا: وكان مظفر يحكي ما رآه وسمعه في واقعته، وقلنا لأبي بكر: كيف كنت تأتي إلى أمك؟ قال: كنت إذا أردت زيارتها حملت، ولا أزال ماراً تحت الأرض حتى آتي البئر، فأجتمع معها، ثم أحمل من حيث أتي بي إلى أن أرد إلى مكاني،قالوا: وقال عباد أنا أعيش بعد وفاة الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، وأرث حاله فأمسك الشيخ بيده، وقال: يا عباد لأرمين بينك وبين زيفك، ولأجعلن خيول هجري تجول في حمى صفائك، ولا أفلت يده من يده إلا وقد سلبه حاله كله، وفقد جميع معاملاته، وبقي على ذلك مدة، فبينما الشيخ جميل البدوي رحمه اللّه تعالى ليلة في خلوته إذ ورد عليه وارد فهزه، وألقيت جبته عنه بمعزل، وظهر له نور لطيف شديد الإشراق، يسمع ويبصر ويدرك، فاختطف إلى عالم الملكوت، وانتهي به إلى مجلس فيه جمع من المشايخ منهم من يعرفه ومنهم من لا يعرفه، فهبت عليهم نسمة أسكرتهم، فقالوا: هذا من طيب مقام الشيخ عبد القادر، وألقي في سمعه هذا علم لا يدرك بوصف محجوب، ووصف لا يحد بعلم غائب، ونطق فيه ناطق يقول: يا رب أسالك أخي عباداً، فالقي في سمعه أنه لا يرد عليه حاله إلا من سلبه، ثم عاد جميل إلى بشريته، وأتى إلى الشيخ وقال له: يا جميل سألت فيَّ عباد؟ قال: نعم، قال: ائتني به، فلما حضر قال له: يا عباد سر مع الحاج خفيراً له، قال: نعم، وذلك حين خروج ركب العراق من بغداد، فسار معهم إلى فيد فرأى بها شجرة، فتداخله منها وجد، فصاح ودار في السماع حتى غاب في وجده عن وجوده، وانفتحت مشامه،وخرج منها الدم، حتى جرى تحت قدميه، ثم أفاق وقد رجع إليه حاله كله، ومثله معه.

قال الشيخ محيي الدين عبد القادر في ذلك الوقت الجميل: إن اللّه عز وجل قد رد على عباد حاله، ومثله معه، وكنت أقسمت على اللّه تعالى أن لا يرد عليه حاله حتى يخوض في دم الهجر، وقد خاض فيه اليوم، قالوا: وسار عباد مع الحاج

إلى فيد، فخرجت عليهم بها عرب، وكان عباد إذا أراد أمراً صرخ فينفعل له ما يريد بصرخته، فصرخ يريد هزيمة العرب، فردت عليه صرخته، فمات مكانه، واشتهر موته بين الحاج بفيد ودفن بها.

وأخبر الشيخ عبد القادر جميلاً بموته في يومه، قالوا: وكان الشيخ جميل إذا حكى هذه القصة، وذكر ما شاهده وسمعه في واقعته ينشد في معنى ذلك النور الذي ظهر منه فيها: [من البسيط]

صفني ووحدتني أنت واحد بي ... وإن تعددت فيمن أكثر العددا

لك اصطفيت لمعنى فيك أعرفه ... وإن عرفت عرفت الواحد الصمدا

فانت مشكاة نور في غياهبه ... وكوكب في دياجي العزقد وقدا

فاستوقفي الركب ركب الحب ... تحت اللواء الذي بالملك قد عقدا

وعاهديني أن لا تهجري وصلي ... حتى تريني بكل الكل منفردا

تشعشعي في رياض القدس وابتهجي ... من بعد عز مدى الأحيان والأمدا

قال: وكان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يقول بعد هاتين الواقعتين: نازعني في حالي اثنان، فضربت أعنقيهما في حضرة الله عز وجل.

أخبرنا بجميع هذه الفصول من كلام شيخنا الشيخ محيي الدين رضي الله عنه: الشيخان؛ الفقيه العالم الناسك جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن علي بن جعفر بن جرادة القرشي، والشيخ الجليل أبو محمد الحسن بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن أبي القاسم دلف بن أحمد بن محمد البغدادي الحريمي، المعروف بابن قوقا، بقراءتي عليهم مجتمعين.

قال القرشي: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي الفتح المفرج بن علي ابن عبد العزيز بن المفرج بن مسلمة الدمشقي، في كتابه إليَّ من دمشق سنة ثمان وأربعين وستمائة.

وقال ابن قوقا: أخبرنا الشيخ الشريف أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد بن هبة الله بن عبد القادر بن الحسين الخطيب، المعروف بابن المنصوري.

قالا: أخبرنا شيخ الإسلام مفتي الأنام محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي رضي الله عنه إجازة.

ذكر طريقه رضي الله عنه

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الهلالي الأزجي، قال: أخبرنا الشيخ علي بن إدريس اليعقوبي، قال: سئل سيدي الشيخ أبو الحسن علي بن الهيتي رضي الله عنه، وأنا أسمع عن طريق الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، فقال: كان طريقه التفويض والموافقة مع التبري من الحول والقوة، وتجريد التوحيد، وتوحيد التفريد مع الحضور في موقف العبودية بسر قائم في مقام العبودية لا بشيء ولا لشيء، وكانت عبوديته صحيحة مستمدة من لحظ كمال الربوبية، فهو عبد سما عن مصاحبة التفرقة إلى مطالعة الجمع مع لزوم أحكام الشريعة.

أخبرنا أبو محمد عبد الغالب بن عبد الباقي بن عبد الصمد القرشي الموصلي. قال: أخبرنا الشيخ أبو المفاخر عدي، قال: سمعت أبا البركات بن صخر يقول لعمي الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه، وأنا أسمع: ما طريق الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه؟ قال: الذبول تحت مجاري الأقدار بموافقة القلب، والروح، واتحاد الباطن والظاهر، وانسلاخه من صفات النفس مع الغيب عن رؤية النفع والضر والقرب والبعد.

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي بكر الأبهري، قال: أخبرنا الشيخ أبو طاهر الخليلي بن أحمد الصرصري، قال: سمعت الشيخ القدوة بقا بن بطو رضي الله عنه يقول: طريق الشيخ محيي الدين عبد القادر اتحاد القول والفعل، واتحاد النفس والقلب، ومعانقة الإخلاص والتسليم، وتحكيم الكتاب والسنة في كل خطوة ولحظة، ونفس ووارد وحال، والثبوت مع الله عز وجل على ما قر عند الأجلاء المتثبتين، قال: وسمعت الشيخ القدوة أبا سعد القيلوي رضي الله عنه يقول: قوة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه مع الله، وفي الله، وبالله، ضعفت عندها قوة الصناديد، ولقد سبق كثيراً من المتقدمين بتمسكه بعروة من طريقة لا انفصام لهما، ولقد رفعه الله تعالى إلى مقام عزيز بتدقيقه في الحقيقة.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن كامل بن أبي المعالي الحسيني النيساني. قال: أخبرنا الشيخ العارف نجم الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ القدوة أبي الحسن علي البطايحي الرفاعي، قال: سمعت عمي الشيخ أبا الفرج عبد الرحمن يقول: قدمت بغداد وحضرت الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه،

فرأيت من حاله وفراغ قلبه، وخلو سره ما أذهلني، فلما رجعت إلى أم عبيدة أخبرت خالي الشيخ أحمد رضي الله عنه بذلك، فقال: يا ولدي، ومن يطيق مثل قوة الشيخ عبد القادر، وما هو عليه، وما وصل إليه.

أخبرنا الفقيه الصالح أبو محمد الحسن ابن القاضي أبي عمران موسى بن أحمد القرشي الصوفي، قال: سمعت الشيخ العارف أبا الحسن القرشي رضي الله عنه، يقول لرجل: لو رأيت الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، لرأيت رجلاً فاقت قوته في طريقه إلى ربه عز وجل؛ قوى أهل الطرائق شدةً ولزوماً، كانت طريقته التوحيد وصفاً وحكماً وحالاً، وتحقيقه الشرع ظاهراً وباطناً، ووصفه قلب فارغ وكون غائب، ومشاهدة رب حاضر بسريرة لا تتجاذبها الشكوك، وسر لا تتنازعه الأغيار، وقلب لا يفرقه التفات، فجعل الملكوت الأكبر من ورائه، والملك الأعظم تحت قدمه رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور الكناني، قال: سمعت الشيخ العارف أبا عبد الله محمد بن أبي الفتح الهروي يقول: خدمت سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه أربعين سنة، فكان في مدتها يصلي الصبح بوضوء العشاء، وكان إذا أحدث جدد في وقته وضوءه وصلى ركعتين، وكان يصلي العشاء، ويدخل خلوته ولا يدخلها أحد معه، ولا يخرج منها إلا عند طلوع الفجر، ولقد أتانا الخليفة بالليل مراراً يقصد الاجتماع به، ولا يقدر على ذلك إلى الفجر، وبت عنده ليال فكان يصلي أول الليل يسيراً ثم يذكر إلى أن يمضي الثلث الأول، يقول المحيط الرب الشهيد الحسيب الفعال الخالق البارىء، المصور، فتتضاءل جثته مرة، وتعظم مرة، ويرتفع في الهواء مرة، إلى أن يغيب عن نظري، ثم يصلي قائماً على قدميه يتلو القرآن إلى أن يذهب الثلث الثاني، وكان يطيل في سجوده جداً، يباشر بوجهه الأرض، ثم يجلس متوجهاً، مراقباً، مشاهداً إلى قرب طلوع الفجر، ثم يأخذ في الدعاء والابتهال والتذلل، ويغشاه نور يكاد يخطف الأبصار إلى أن يغيب فيه عن النظر، وكنت أسمع عنده سلام عليكم وهو يرد السلام إلى أن يخرج إلى صلاة الصبح.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي المنصور الداري، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن عمر النخال المقري، قال: سمعت الشيخ القدوة أبا السعود أحمد ابن أبي بكر الحريمي يقول: سمعت الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يقول: أقمت في صحارى العراق، وخرابه خمساً وعشرين سنة مجرداً سائحاً

لا أعرف الخلق، ولا يعرفوني، تأتيني طوائف من رجال أهل الغيب والجان أعلمهم الطريق إلى اللّه عز وجل، ورافقني الخضر عليه السلام في أول دخولي إلى العراق، وما كنت عرفته قبل، وشرط عليَّ أن لا أخالفه، وقال لي: اقعد هنا، فجلست في المكان الذي أقعدني فيه ثلاث سنين يأتيني في كل سنة مرة ويقول: مكانك حتى آتيك، وكانت الدنيا وزخارفها وشهواتها تأتيني في صور شتى عجيبة، فيحميني اللّه تعالى من الالتفات إليها، وتأتيني الشياطين في صور شتى مزعجة، ويقاتلونني، فيقويني اللّه تعالى عليهم، وتبرز إليَّ نفسي في صورة فتارة تتضرع إليَّ فيما تريده، وتارة تحاربني فينصرني اللّه عز وجل عليها، وما أخذت نفسي في حال البداية بطريق المجاهدة إلا ولازمته، واعتنقته نفسي، وأجذبه بكل يد، وأقمت زماناً في خراب المدائن آخذ نفسي بطريق المجاهدات، فمكثت سنة آكل المنبوذ ولا أشرب الماء، وسنة أشرب الماء ولا آكل المنبوذ، وسنة لا آكل، ولا أشرب، ولا أنام، ونمت بإيوان كسرى في ليلة شديدة البرد فاحتلمت، فقمت وذهبت إلى الشط واغتسلت، ثم نمت فاحتلمت فقمت وذهبت، إلى الشط واغتسلت، هكذا أربعين مرة، فنمت في تلك الليلة أربعين مرة، واحتلمت أربعين مرة، واغتسلت أربعين مرة، ثم صعدت على الإيوان خوف النوم، وأقمت في خراب الكرخ سنين لا أقتات فيها إلا بالبردي، ويأتيني رجل في رأس كل سنة بجبة صوف ألبسها، ودخلت في ألف فن حتى أستريح من دنياكم، وما كنت أعرف إلا بالتخارس والبله والجنون، وكنت أمشي حافياً في الشوك وغيره، وما هالني شيء إلا سلكته، ولا غلبتني نفسي فيما تريده قط، ولا أعجبني شيء من زينة الدنيا قط، فقلت له، ولا حين كنت صغيراً قال: ولا حين كنت صغيراً.

أخبرنا أبو العفاف موسى ابن الشيخ أبي المعالي عثمان بن موسى البقاعي، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو محمد عثمان الصريفيني بها، قال: سمعت الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه يقول: كنت أجلس في الحرب بالليل والنهار، ولا آوي إلى بغداد، وكانت الشياطين تأتيني صفوفاً؛ صفوفاً، وركباناً بأنواع السلاح، وأزعج الصور، يقاتلونني ويرمونني بشهب النار، فأجد في قلبي تثبيتاً لا يعبر عنه، وأسمع مخاطباً من باطني يقول لي: قم إليهم يا عبد القادر، فقد ثبتناك، وأيدناك بنصرنا، فما هو إلا أن أنهض إليهم فيفرون مني يميناً وشمالاً، ويذهبون من حيث أتوا، وكان يأتيني الشيطان منهم وحده، ويقول لي: اذهب من هنا، وإلا فعلت وفعلت، بل يحذرني تحذيراً

كثيراً، فألطمه بيدي فيفر مني، فاقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فيحترق وأنا أنظر، وأتاني مرة شخص كريه المنظر منتن الرائحة، وقال لي: أنا إبليس أتيتك أخدمك فقد أعييتني، وأعييت أتباعي، فقلت له: اذهب، فأبى فجاءته يد من فوقه، وضربت أم رأسه فغاص في الأرض، ثم أتاني ثانية وبيده شهاب من نار يقاتلني به، فأتاني رجل متلثم راكب فرساً أشهب، وناولني سيفاً فنكص إبليس على عقبه، ثم رأيته مرة ثالثة جالساً بالبعد مني وهو يبكي ويحثو التراب على رأسه، ويقول: قد أيست منك يا عبد القادر، فقلت اخسأ يا لعين، فإني لا أزال حذراً منك، فقال: هذه أشد، ثم كشف لي عن أشراك كثيرة، ومصائد ومكائد حولي، فقلت: ما هذا؟ قيل لي: هذه أشراك الدنيا التي نصيد بها مثلك، فتوجهت في أمرها سنة حتى تقطعت كلها، ثم كشف لي عن أسباب كثيرة متصلة بي من كل جهة، فقلت: ما هذا؟ فقيل لي: أسباب الخلق متصلة بك، فتوجهت في أمرها سنة أخرى، تقطعت كلها، وانفردت عنها، ثم كشف لي عن باطني، فرأيت قلبي مناطاً بعلائق كثيرة، فقلت: ما هذا؟ فقيل لي: هذه إرادتك واختياراتك، فتوجهت في أمرها سنة أخرى حتى تقطعت جميعها، وتخلص منها قلبي، ثم كشف لي عن نفسي فرأيت أدواها باقية، وهواها حي وشيطانها مارد، فتوجهت في ذلك سنة أخرى فبرئت أدواء النفس، ومات الهوى، وأسلم الشيطان، وصار الأمر كله لله، فبقيت وحدي والوجود كله من خلفي، وما وصلت إلى مطلوبي بعد فاجتذبت إلى باب التوكل لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب الشكر لأدخل منه على مطلوبي فإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب التسليم لأدخل منه على مطلوبي فإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب القرب لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب المشاهدة لأدخل منه على مطلوبي، فإذا عنده زحمة فجزته، ثم اجتذبت إلى باب الفقر، فإذا هو خالي، فدخلت منه فرأيت فيه كل ما تركته، وفتح لي منه الكنز الأكبر، وأوتيت فيه العز الأعظم، والغنى السرمدي، والحرية الخالصة، ومحقت البقايا، ونسخت الصفات، وجاء الوجود الثاني.

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن مزاحم الدنيسري، قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو عبد الرحيم النصيبيني بها، قال: سمعت الشيخ أبا القاسم عمر بن مسعود البزار يقول: سمعت الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يقول: كانت الأحوال تطرقني في بدايتي في السياحة، فاقاومها فاملكها، فاغيب فيها عن

وجودي، وأغدو وأنا لا أدري، فإذا سري عني من ذلك وجدت نفسي بعيداً عن المكان الذي كنت فيه، وطرقني الحال مرة في خراب بغداد، وغدوت قدر ساعة، وأنا لا أدري، ثم سري عني، وأنا في بلاد ششتر بينها، وبين بغداد اثنا عشر يوماً، فبقيت مفكراً في أمري، فإذا امرأة تقول لي: أتعجب من هذا الأمر، وأنت الشيخ عبد القادر.

أخبرنا الشريف أبو عبد اللّه محمد بن الخضر بن عبد اللّه الحسيني الموصلي. قال: أخبرنا أبي قال: خدمت سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه ثلاث عشرة سنة فما رأيته فيها يتمخط ولا يتنخم، ولا قعدت عليه ذبابة، ولا قام لأحد من العظماء، ولا ألم بباب ذي سلطان، ولا جلس على بساطه، ولا أكل من طعامه إلا مرة واحدة، وكان يرى الجلوس على بساط الملوك، ومن يليهم من العقوبات المعجلة، وكان يأتيه الخليفة أو الوزراء أو من له الحرمة الوافرة، وهو جالس فيقوم، ويدخل داره، فإذا تبعه خرج الشيخ من الدار لئلا يقوم لهم، وكان يكلمهم الكلام الخشن، ويبالغ لهم في الموعظة، وهم يقبلون يده ويجلسون بين يديه متواضعين متصاغرين، وكان إذا كاتب الخليفة يكتب إليه عبد القادر يأمرك بكذا وكذا، وأمره نافذ فيك، وطاعته واجبة عليك، وهو لك قدوة، وعليك حجة، فإذا وقف الخليفة على ورقته قبلها، وقال: صدق الشيخ عبد القادر.

أخبرنا الشيخ الإمام العالم نجم الدين، قال: أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد المقدسي، قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو القاسم هبة اللّه بن عبد اللّه بن المنصوري، قال: سمعت شيخ القدوة أبا عبد اللّه محمد بن قائد الأواني يقول: كنت عند الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، فسأله سائل: علامَ بنيت أمرك؟ قال: على الصدق، ما كذبت قط، ولا لما كنت في المكتب، ثم قال رضي اللّه عنه: كنت صغيراً في بلدنا، فخرجت إلى السواد في يوم عرفة، وتبعت بقر حرث، فالتفتتْ إليَّ بقرة وقالت لي: يا عبد القادر ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فرجعت فزعاً إلى دارنا، وصعدت إلى سطح الدار، فرأيت الناسَ واقفين بعرفات، فجئتُ إلى أمي وقلت لها: هبيني للّه عز وجل، وأذني لي بالمسير إلى بغداد؛ أشتغل بالعلم وأزور الصالحين، فسألتني عن سبب ذلك، فأخبرتها خبري، فبكت وقدمت إليَّ ثمانين ديناراً ركنية خلفها أبي، فتركت لأخي أربعين ديناراً، وخاطت في دلقي تحت إبطي أربعين ديناراً، وأذنت

لي بالمسير وعاهدتني على الصدق في كل أحوالي، وخرجت مودعة لي، وقالت: يا ولدي اذهب فقد خرجت عنك لله عز وجل، فهذا وجه لا أراه إلى يوم القيامة، فسرت مع قافلة صغيرة تطلب بغداد، فلما تجاوزنا همذان، وكنا بأرض ترنتك خرج علينا ستون فارساً من الأودية، فأخذوا القافلة، ولم يتعرض لي أحد، فاجتاز بي أحدهم وقال لي: يا فقير ما معك؟ فقلت: أربعين ديناراً، فقال: وأين هي؟ فقلت: مخاطة في دلقي تحت إبطي، فظنني أستهزىء به فتركني وانصرف، ومر بي آخر فقال لي مثل ما قال الأول، فأجبته كما أجبت الأول، فتركني وانصرف، وتوافيا عند مقدمهم فأخبراه بما سمعاه مني، فقال: عليَّ بهِ، فأُتيَ بي إليه، وإذا هم على تل يقتسمون أموال القافلة، فقال لي: ما معك؟ قلت أربعون ديناراً، قال: وأين هي؟ قلت: مخاطة في دلقي تحت إبطي، فأمر بدلقي، ففتق فوجد فيه الأربعين ديناراً، فقال لي: ما حملك على الاعتراف؟ قلت: إن أمي عاهدتني على الصدق، وإني لا أخون عهدها، فبكى المقدم وقال: أنت لم تخن عهد أمك، وأنا لي كذا وكذا سنة أخون عهد ربي، فتاب على يدي فقال له أصحابه: أنت كنت مقدمنا في قطع الطريق، وأنت الآن مقدمنا في التوبة، فتابوا كلهم على يدي، وردوا على القافلة ما أخذوا منهم، فهم أول من تاب على يدي.

أخبرنا أبو محمد الحسن المعروف جده بابن قوقا، قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو هريرة محمد بن الليث المعروف بابن الوسطاني، فقال: سمعت الشيخ الفقيه أبا الفضل أحمد بن صالح بن شافع الجيلي يقول: كنت مع الشيخ عبد القادر بالمدرسة النظامية، واجتمع إليه الفقهاء والفقراء، فتكلم عليهم في القضاء والقدر، فبينما هو يتكلم إذ سقطت حية عظيمة في حجره من السقف، ففر منها كل من كان حاضراً عنده، ولم يبق إلا هو، فدخلت الحية تحت ثيابه، ومرت على جسده، وخرجت من طوقه، والتفت على عنقه، ومع ذلك ما قطع كلامه، ولا غيَّر جلسته، ثم نزلت إلى الأرض وقامت على ذنبها بين يديه، وصوتت، ثم كلمها وكلمته بكلام لم يفهمه أحد منا، ثم ذهبت فجاء الناس إليه وسألوه عما قالت له وقال لها، فقال: قالت لي: لقد اختبرت كثيراً من الأولياء فلم أرَ مثل ثباتك، فقلت لها: لقد سقطت عليَّ،وأنا أتكلم في القضاء والقدر، وهل أنت إلا دويدة يحركك القضاء، ويسكنك القدر، فأردت أن لا يناقض فعلي قولي.

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أزدمر المحمدي، قال: أخبرنا الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي التوحيدي، قال: أخبرنا خالي أبو صالح

نصر الله، قال: سمعت والدي أبا بكر عبد الرزاق يقول: سمعت والدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي عنه يقول: كنت ليلة في جامع المنصور أصلي، فسمعت حسً مشي على السواري، فجاءت حية عظيمة وفتحت فاها موضع سجودي، فلما أردت السجود دفعتها بيدي وسجدت، فلما جلست للتشهد مشت على فخذي، وطلعت على عنقي والتفت عليه، فلما سلمت لم أرها، فلما كان الغد دخلت خرابة بظاهر الجامع، فرأيت شخصاً عيناه مشقوقتان طولاً فعلمت أنه جني، فقال لي: أنا الحية التي رأيتها البارحة، ولقد اختبرت كثيراً من الأولياء بما اختبرتك به، فما ثبت أحد منهم لي كثباتك، وكان منهم من اضطرب ظاهراً وباطناً، ومنهم من اضطرب باطنه وثبت ظاهره، ومنهم من اضطرب ظاهره وثبت باطنه، ورأيتك لم تضطرب باطناً ولا ظاهراً، وسألني أن يتوب على يدي فتوبته.

أخبرنا أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر القرشي، قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي، قال: كتب إليَّ عبد الله بن الحسين، ونقلته من خطه، قال: يعني الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، كان إذا ولد لي ولد، أخذته على يدي وقلت هذا ميت، فأخرجه من قلبي، فإذا مات لم يؤثر موته عندي شيئاً لأني قد أخرجته من قلبي أول ما يولد، قال: وكان يموت له من أولاده الذكور والإناث ليلة مجلسه، فلا يقطع المجلس، ويصعد على الكرسي ويعظ الناس والغاسل يغسل الميت، فإذا فرغوا من غسله جاؤوا به المجلس، فينزل الشيخ ويصلي عليه، وبهذا الإسناد إلى ابن النجار قال: سمعت الحافظ أبا محمد الأخضر يقول: كنت أدخل على الشيخ عبد القادر رضي الله عنه في وسط الشتاء وقوة برده وعليه قميص واحد، وعلى رأسه طاقية، والعرق يخرج من جسده، وحوله من يروحه بالمروحة كما يكون في شدة الحر.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن الزراد، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن النحال المصري، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر عبد الله الصديق، قال: قال الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه: ضاقت بي الحال يوماً، فتحركت نفسي تحت حملها، وطلبت الراحة والفرح، فقيل لي: ماذا تريد؟ فقلت: أريد موتاً لا حياة فيه، وحياة لا موت فيها، فقيل لي: ما الموت الذي لا حياة فيه، والحياة التي لا موت فيها، قلت: أما الموت الذي لا حياة فيه، فموتي عن جنسي من الخلق، فلا أراهم في الضر والنفع، وموتي عن نفسي وهواي، و إرادتي ومناي في دنياي

وأخراي، فلا أحيا في جميع ذلك ولا أوجد، وأما الحياة التي لا موت فيها فحياتي بفعل ربي عز وجل، بلا وجود لي فيه، والموت في ذلك وجودي معه عز وجل، وهذه أنفس إرادتي مذ عقلت، قال لي أبو الحسن بن الزراد إن أبا بكر بن النحال قال: إنه سأل الشيخ العارف ناصر الدين بن قائد الأواني رضي اللّه عنه عن قول الشيخ محيي الدين رضي اللّه عنه: وهذه أنفس إرادتي مذ عقلت، فقال لي: هي أنفس إرادته ما دام موصوفاً بأن له إرادة، وإلا فقد قطع حال اختياره لنفسه بوصف الإرادة، وكان حاله مع اللّه عز وجل ترك الاختيار، وسلب الإرادة رضي اللّه عنه وأرضاه.

ذكر نسبه وصفته رضي اللّه عنه

أخبرنا الفقيه العالم أبو المعالي أحمد ابن الشيخ المحقق أبي الحسن علي ابن أحمد بن عبد الرزاق بن عيسى الهلالي البغدادي. قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر، قال: أخبرنا والدي عبد الرزاق، قال: سألت والدي الشيخ محيي الدين عن نسبه، قال: عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبد اللّه بن يحيى الزاهد، بن محمد بن داود بن موسى بن عبد اللّه بن موسى الجون ابن عبد اللّه المحض، ويلقب أيضاً بالمجل ابن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهم، سبط أبي عبد اللّه الصومعي الزاهد وبه كان يعرف، حيث كان بجيلان، فسئل عن مولده، فقال: لا أعلمه حقيقة لكني قدمت بغداد في السنة التي مات فيها التميمي،وعمري إذ ذاك ثماني عشرة سنة، قلت: والتميمي هذا هو أبو محمد رزق اللّه بن عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد، توفي سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، فيكون مولده رضي اللّه عنه على هذا البيان سنة سبعين وأربعمائة.

وأخبرنا الفقيه أبو عبد اللّه محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الواسع بن أميركاه بن شافع الجيلي الحنبلي. قال: أخبرنا جدي عبد الواسع، قال: ذكر أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع الجيلي الحنبلي رحمه اللّه تعالى أن مولد الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه سنة إحدى وسبعين وأربعمائة بجيلان، وأنه دخل بغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وعمره ثماني عشرة سنة، قلت: وهو رضي اللّه عنه منسوب إلى جيْل بكسر الجيم وسكون الياء، وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، وبها ولد في نيف قصبة منها، ويقال فيها أيضاً جيلان وكيلان، وكيل أيضاً قرية بشاطىء الدجلة على مسيرة يوم من بغداد مما يلي طريق واسط، ويقال أيضاً: جيل بالجيم، ومن ثم يقال: كيل العجم وكيل العراق، وجيل العجم وجيل العراق، وأبو العير ثابت بن منصور الكيلي من كيل العراق، والجيل أيضاً قرية تحت المدائن، وفي رواية أيضاً جيلاني منسوب إلى جده جيلان، وأبو عبد اللّه الصومعي من جملة مشايخ جيلان ورؤساء زهادهم، له الأحوال السنية والكرامات الجلية مع جماعة من عظماء مشايخ العجم رضي اللّه عنهم.

أخبرنا عنه الفقيه أبو سعد عبد اللّه بن علي بن أحمد بن إبراهيم القرشي.

قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو العباس أحمد بن إسحاق بن علي بن عبد الرحمن الهاشمي القزويني. قال: أخبرنا الشيخ القدوة نور الدين أبو عبد الله محمد الجيلي، قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو محمد الدارباني القزويني، قال: الشيخ أبو عبد الله الصومعي هو أحد من أدركت بالعجم من المشايخ، وكان مجاب الدعوى، وإذا غضب انتقم الله عز وجل له سريعاً، وإذا أحب أمراً فعله الله تعالى له كما يختاره، وكان مع ضعف قوته وكبر سنه كثير النوافل دائم الذكر، ظاهر الخشوع، صابراً على حفظ حاله، ومراعاة أوقاته، ولقد كان يخبر بالأمر قبل وقوعه، فيقع كما أخبر به. قال: وحكى لنا بعض أصحابنا أنهم خرجوا تجاراً في قافلة فخرجت عليهم خيل في صحراء سمرقند، قال: فصحنا بالشيخ أبي عبد الله الصومعي، فإذا هو قائم بيننا، ونادى: سبوح قدوس ربنا الله، تفرقي يا خيل الله عنا، قال: فوالله ما كان الراكب يقدر على رد فرسه، وفرت بهم في رؤوس الجبال، وبطون الأودية، ولم يجتمع منهم اثنان، وسلمنا الله منهم، وطلبنا الشيخ من بيننا، فلم نره، ولم ندرِ أين ذهب، فلما رجعنا إلى جيلان، وأخبرنا الناس بذلك قالوا: والله ما غاب الشيخ عنا، وأمه أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبد الله الصومعي المذكور، وكان لها حظ وافر من الخير والصلاح.

أخبرنا عنها الفقيه أبو علي إسحاق بن علي بن عبد الله الهمداني الصوفي. قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو عبد الله محمد بن عبد اللطيف ابن الشيخ القدوة أبي النجيب عبد القادر السهروردي. قال: أخبرنا الشيخ أبو خليل أحمد بن أسعد ابن وهب بن علي المقري البغدادي ثم الهروي. قال: أخبرنا الزوجان الصالحان؛ الإمام الورع أبو سعد عبد الله بن سليمان بن جعران الهاشمي الجيلي، وأم أحمد الجيلية بها، قالا: كانا لأم الخير أمة الجبار فاطمة أم الشيخ عبد القادر رضي الله عنه قدم في هذا الأمر، وسمعناها تقول غير مرة: لما وضعت ابني عبد القادر كان لا يرضع ثدييَّ في نهار رمضان، وغم على الناس هلال رمضان فأتوني وسألوني عنه، فقلت: لم يلتقم اليوم ثدياً، ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان، واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنه ولد للأشراف ولد لا يرضع في نهار رمضان.

قال أبو علي الهمذاني: سمعت قاضي القضاة أبا صالح نصراً ببغداد، يقول: سمعت عمي عبد الوهاب يقول: لأكابر من مشايخ العجم وعلمائها في رحلتي إليها يروون عن أكابرهم أنه كان لا يرضع في نهار رمضان، يعني والده الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، وأخوه الشيخ أبو أحمد عبد الله

سنه دون سنه نشأ نشأة صالحة في العلم والخير، ومات بجيلان شاباً، وعمته المرأة الصالحة أم محمد عائشة بنت عبد اللّه ذات الكرامات الظاهرة، أخبرنا عنها الشيخ أبو عبد اللّه محمد قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بخوي، قال: أخبرنا أبي أبو إسحاق إبراهيم بن علي الطبري، قال: أخبرنا الشيخ أبو صالح عبد اللّه بن عبد اللّه الطبقي بخوي قدما علينا سنة أربع وستين وخمسمائة، قال: أجدبت جيلان مرة، واستسقى أهلها، فلم يسقوا، فأتى المشايخ إلى دار الشيخة أم محمد عائشة عمة الشيخ عبد القادر رضي اللّه عنه، وسألوها الاستسقاء لهم، فقامت إلى رحبة بيتها وكنست الأرض وقالت: يا رب أنا كنست فرش أنت، قال: فلم يلبثوا أن مطرت السماء كأفواه القرب، ورجعوا إلى بيوتهم يخوضون في الماء، وعمرت وماتت بجيلان رضي اللّه عنها.

قوله في النسب: الجون هو لقب لموسى وهو من أسماء الأضداد يطلق على الأبيض والأسود، وهو الأكثر في استعماله، وهو المراد به هنا لأن موسى كان آدم اللون، وتقول له أم هند بنت أبي عبيدة:

إنك إن تكون جوناً انزعا احذر أن تضرهم أو تنفعا

وحملت به وهي بنت ستين سنة، ويقال: لا تحمل لستين سنة إلا قرشية، ولا لخمسين إلا عربية، وأم أبيه عبد اللّه هي أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه، وقوله فيه المحض هو لقب لعبد اللّه، وهو من كل شيء الخالص، ولقب به عبد اللّه لأن أباه الحسن ابن الحسن بن علي، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي، فنسبه من أبويه خالص لسلامته من الموالي وانتهائه إلى علي كرم اللّه وجهه، ومن لقبه بالمجل أخذه من الإجلال لهذا المعنى، وهو بضم الميم وفتح الجيم اسم مفعول من أجله، وفاطمة هذه خلف عليها بعد الحسن بن الحسين، عبد اللّه المطرف بن عمرو بن عثمان ابن عفان رضي اللّه عنه، ولدت له محمد الديباج لقب به لحسنه، ولقب أبوه عبد اللّه بالمطرف لجماله، ولما نشأ عبد اللّه بن عمر قال الناس: هذا حسن مطرف بعد عبد اللّه بن الزبير، وكان عبد اللّه بن الزبير فائق الجمال، وأم المطرف ابن حفصة بنت عبد اللّه بن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنهما، والمطرف بضم الميم وفتح الراء اسم مفعول من أطرفته بكذا.

وقوله فيه المثنى: هو نعت للحسن لأنه الحسن بن الحسن، وهو بضم الميم وفتح النون اسم مفعول من ثنيته إذا صيرت له ثانياً واللّه أعلم.

أخبرنا قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد اللّه محمد ابن الإمام عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي.

قال: أخبرنا شيخنا الإمام العالم الرباني موفق الدين أبو محمد عبد اللّه بن أحمد ابن محمد بن قدامة المقدسي، قال: كان شيخنا شيخ الإسلام محيي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلي نحيف البدن، ربع القامة، عريض الصدر، عريض اللحية، طويلها، أسمر مقرون الحاجبين، أدعج العينين، ذا صوت جوهري، وسمت بهي، وقدر علي، وعلم وفي، رضي اللّه عنه. قال: أخبرنا أبو حفص عمر ابن مزاحم الدنيسري، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن المعروف بالخفاف، قال: أخبرنا الشيخ أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي، قال: كان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه آدم اللون، نحيف البدن، ربع القامة.

ذكر وعظه رضي اللّه عنه

اعلم كتبك اللّه من ذوي السعادة، وجعلك ممن فاز بالحسنى وزيادة، أن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه لما تحلى بحلل العلم الشرعية، ونال لطائفها وتجمل بتيجان الفنون الدينية، وحاز شرائفها، وهجر بمهاجرته إلى الحق كل الخلائق، وتزود في سفره إلى ربه عز وجل أحسن الآداب، وأشرف الحقائق، وعقدت له ألوية ولاية فوق العلى ذوائبها، ورفعت له منازل جلى له في سماء القرب كواكبها، ونظر قلبه إلى رقوم الفتح في ذيول الكشف عن الأسرار، وشخص سره إلى شموس المعارف من مطالع الأنوار، وأشهدت بصيرته عرائس الحقائق في مقاصير الغيوب، وأسكنت سريرته حضرة القدس في خلوة وصل المحب بالمحبوب، ورفعت أسراره إلى مشاهد المجد والكمال، ودوام إحضاره في معالم العز والجلال، هنالك انكشف له علم السر المصون، واتضح له حقيقة الحق المكنون، واطلع على معاني خفايا مكامن المكنونات، وشاهد مجاري القدر في تصاريف المشيئات، واخترع الحكم من معادنها، وأظهر التحف من مكامنها، وأتاه الأمر النقي من تدنيس التلبيس بالجلوس للوعظ، والتصدر للتدريس، وكان أول جلوسه للوعظ في الحلبة البرانية في شوال سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، لله در مجلس تجلله الهيبة والبهاء، وتحف به الملائكة والأولياء، فقام بنص الكتاب والسنة خطيباً على الأشهاد، ودعا الخلق إلى اللّه عز وجل فأسرعوا إلى الانقياد، يا له من داعٍ أجابته أرواح المشتاقين، ومن مناد لبته

قلوب العارفين، ومن حادٍ هيم ركائب النفوس في فلوات الشوق، ومن هادٍ ساق نجائب القلوب إلى حمى الوصال، ومن ساقٍ روى عطاش العقول من شراب الأُنس فكشف براقع اللبس عن وجوه المعارف ورفع أغطية الغين عن عين شرائف اللطائف، وهز أعطاف القلوب بوصف جمال القدم، وأرقص أشباح الأرواح بسماع نعت كمال الكرم، وناغى أطيار الأسرار في صوامع قدسها بألحان من لذيذ أنسها، فطارت من أوكار أطوارها في حسها إلى أنوار أنوارها مع جنسها، وجلى عرائس المواعظ فدهش لبهجة حسنها العشاق، وزف مخدرات المواهب، فصبا لمعنى جمالها كل مشتاق، ونطق بنفائس الحكم في رياض أنس أينعت مروجها، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها، يرى معانيها من مغانيها دراً وياقوتاً، ويجد من درها دواء، ومن ياقوتها قوتاً، ودبج روض الحقائق بحدائق ذات بهجة، فيها للسالكين إلى اللّه عز وجل محجة وحجة، وبث لآليء الفتح على بسط الأفهام فتسابق لالتقاطها ذوو الألباب والأقلام، فتنضدت منها فرائد هدي في أعناق ذوي الهمم العلية، يصل العامل بها إن شاء اللّه تعالى إلى المقامات السنية، فجال في النفوس مجال الأنفاس في الصدور، وعبق بالقلوب عبق الروض الممطور، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها، فما سمعه إلا من أوضح بالتوبة دجونه، أو من بخل بالبكاء جفونه، فكم رد إلى اللّه عز وجل عاصياً، وكم ثبت اللّه به واهياً، وكم أصحى من خمر الهوى سكارى، وكم فكَّ من قيود النفوس أسارى، وكم اصطفى اللّه عز وجل به أوتاداً، وأبدالاً، وكم وهب اللّه سبحانه به مقاماً وحالاً رحمة اللّه عليه: [من الكامل]

عبد لـه فوق المعالي رتبة ... ولـه المماجد والفخار الأفخر
وله الحقائق والطرائق في الهدى ... ولـه المعارف كالكواكب تزهر
ولـه الفضائل والمكارم والندى ... ولـه المناقب في المحافل تنشر
ولـه التقدم والتعالي في العلى ... ولـه المراتب في النهاية تكبر
غوث الورى غيث الندى نور الهدى ... بدر الدجى شمس الضحى بل أنور
قطع العلوم مع العقول فأصبحت ... أطوارها من دونه تتحير
ما في علاه مقالة لمخالف ... فمسائل الإجماع فيه تسطر

أخبرنا أبو محمد الحسن ابن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن الزراد، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن عمر بن النحال المقري، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر عبد اللّه بن نصر البكري، قال: حدثني الشريف أبو الفتح مسعود بن عمر الهاشمي الأحمدي، قال: حضر مجلس الشيخ في بعض الأيام نائب الوزارة عز

الدين أبو عبد الله محمد ابن الوزير عون الدين أبي المظفر بن هبيرة، وأستاذ الدار عز الدين أبو الفتوح عبد الله بن هبة الله، وحاجب الباب مجد الدين أبو القاسم علي بن محمد الصاحب، وأمين الدين أبو القاسم علي بن ثابت بن المسحل رحمهم الله تعالى في آخرين، فخاطبهم الشيخ رضي الله تعالى عنه بمكنون سرائرهم، وتكلم على خواطرهم، وهتك بمكاشفته أستارهم، وأذهب بما سلط الله عز وجل عليهم من خوف الله تعالى سكونهم ووقارهم، حتى غدت دموعهم سائلة، ورؤوسهم من شدة الوجل مائلة، كأنما أحضرهم بالساهرة، وأراهم أعمالهم السالفة كالحاضرة، فهم منها وجلون، ومن المؤاخذة عليها مشفقون، درى أنهم سكرى النفوس بحمره، فصال عليهم صولة الأسد الوارد قال: فلما نزل الشيخ لم يلم بأحد منهم، ولم يلتفت إلى جمعهم، قال: الشريف، فقلت: يا سيدي ما كان ثمَّ عبارة ألين من تلك العبارة فقد قتلتهم، فقال: أي ولدي؛ كيف القيم متى لم تكن خشنة لم تخرج الوسخ، وقتلي لهم اليوم حياة لهم غداً.

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي الخباز، قال: أخبرنا أبو الفتوح نصر الله بن أبي المحاسن يوسف بن خليل الأزجي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي الخباز، قال: أخبرنا الشيخ عمر الكيماتي، قال: حضر يوماً مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، نقيب النقباء؛ ابن الأتقى، ولم يكن حضره قبل ذلك، فقال الشيخ مشيراً إليه: ليتك لم تخلق، وليتك إذ خلقت علمت لماذا خلقت، يا نائم انتبه، افتح عينيك، وانظر ما أمامك، فقد أتتك جنود العذاب، يا راحل، يا زائل، يا منتقل، سافر ألف عام لتسمع مني كلمة واحدة، لتبلغ عندك كم سمت الدنيا مثلك بالجاه والكثرة، ثم قتلته أنا إذ أثار طبع إخلاصي، وطبع سري، لا أزول خطوتان، وقد وصلت إلى الله عز وجل، النفس والخلق، وأنت يا مريد خطوتان، وقد وصلت الدنيا والآخرة، ألا إلى الله تصير الأمور، فلما نزل عن الكرسي قال له بعض تلاميذه: يا سيدي، لقد بالغت في القول له، فقال: إنما هو نور جلى ظلمته، قال: فلم يزل بعد ذلك يحضر مجلسه، ويأتيه في غير وقت المجلس، ويجلس بين يديه متواضعاً متصاغراً رحمه الله تعالى.

فكان رضي الله عنه إذا قام إليه شاب ليتوب، يقول: يا هذا ما قمت حتى أقاموك، ولا أقبلت حتى قبلوك، ولا جئت حتى طلبوك، ولا قدمت من سفر الجفاء حتى استحضروك، يا هذا ما تركناك لما تركتنا، ولا قاطعناك لما قاطعتنا، ولا هجرناك لما هجرتنا، ولا نسيناك لما نسيتنا، أنت في إعراضك ورعايتنا

تحفظك، وأنت في جفاك وعنايتنا تلحظك، ثم حركناك لقربنا، وأزعجناك لوصلنا، وقربناك لأنسنا، وخطبناك بإشارتنا. وكان إذا قام إليه شيخ ليتوب يقول: يا هذا أخطأت، وأبطأت، وأسأت وأنسأت، كلما فسحنا لك المهل أطلت الأمل وأسأت العمل، كلما كبر سنك تمرد جنك، هجرتنا في الصبى وعذرناك، وبارزتنا في الشباب، وأمهلناك، فلما قاطعتنا في المشيب مقتناك، أقبح منظر يرى يوم القيامة ذو شيبة بيضاء بيده صحيفة سوداء.

أخبرنا أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر القرشي، قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار البغدادي، قال: كتب إلي عبد الله بن الجبائي ونقلته من خطه. قال: قال لي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، كنت أؤمر وأنهى في النوم واليقظة، وكان يغلب عليَّ الكلام، ويزدحم على قلبي، فإن لم أتكلم أكاد أختنق، ولا أقدر أن أسكت، وكان يجلس عندي رجلان وثلاثة يسمعون كلامي، ثم تسامع الناس بي، وازدحم الخلق عليَّ، فكنت أجلس في المصلى بباب الحلبة، ثم ضاق على الناس الموضع فحمل الكرسي إلى خارج البلد، وجعل في المصلى، وكان الناس يجيئون على الخيل، والبغال والحمير، والجمال، ويقفون على دائر المجلس كالسور، وكان يحضر نحو السبعين ألفاً.

أخبرنا أبو الخير سعد الله بن أبي غالب أحمد بن علي الأزجي، قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن حمزة الطفال الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو الفرج عبد الجبار ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، قال: سمعت والدي غير مرة يقول: وعزة العزيز ما ثنيت، ما قلت قط، وما تكلمت إلا بالفتح، قال: وكانت خطبته في مجالس وعظه، الحمد لله رب العالمين ويسكت، ثم يقول: الحمد لله رب العالمين ويسكت، ثم يقول: الحمد لله رب العالمين ويسكت، ثم يقول: عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضى نفسه، ومداد كلماته، ومنتهى علمه، وجميع ما شاء، وخلق وذرأ وبرأ، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، الملك القدوس العزيز الحكيم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي، ويميت بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، اللّهم أصلح الإمام والأمة، والراعي والرعية، وألف بين قلوبهم في الخيرات، وادفع شر بعضهم عن بعض، اللّهم أنت العالم بسرائرنا فأصلحها، وأنت العالم بذنوبنا فاغفرها، وأنت

العالم بعيوبنا فاسترها، وأنت العالم بحوائجنا فاقضها، لا ترنا حيث نهيتنا، ولا تفقدنا من حيث أمرتنا، لا تنسنا ذكرك ، ولا تؤمنا مكرك، ولا تحوجنا إلى غيرك، ولا تجعلنا من الغافلين، اللّهم ألهمنا رشدنا، وأعذنا من شرور أنفسنا، أعزنا بالطاعة، ولاتذلنا بالمعصية، وأشغلنا بك عمن سواك، اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك، ألهمنا ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك، ثم يلتفت عن يمينه ويقول: لا إله إلا اللّه، ما شاء اللّه كان، لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، ثم يشير تلقاء وجهه بأصبعه ويقول: لا إله إلا اللّه ما شاء اللّه كان، لا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم، ثم يلتفت عن يساره ويقول هكذا، ثم يقول: لا تبدِ أخبارنا، ولا تهتك أستارنا، لا تؤاخذنا بسوء أعمالنا، لا تحينا في غفلة، ولا تأخذنا على غرة، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، ثم يتكلم رضي اللّه عنه. وكان إذا قام من مجلسه ناقص إيمان أو ناقص توبة يقول: يا هذا ناديناك وما أجبت، وكم ردعناك وما التفت، وكم استعجلناك وما عجلت، وكم وبخناك وما خجلت، وكم كاشفناك وأنت تعلم أنا نراك، أمهلناك أياماً وشهوراً، وسترناك أعواماً ودهوراً، وأنت لا تزداد إلا نفوراً، ولا ترقى إلا فجوراً، كم نقضت العهود، وأخلفت الوعود، وعدت بعدما عاهدتنا أن لا تعود، أما صحبتنا على المجلس فلا تدوم، وإنما أنذرناك حتى تقوم، فكيف بك إن رددناك وما أردناك أو طردناك، وما أعدناك، أو محونا ربوعك، ولم نقبل رجوعك، ألم تعلم أنك جئتنا خاشعاً، ووقفت بأبوابنا خاضعاً، ثم انحرفت عنا راجعاً، عجباً لمن يدعينا كيف لا يسمح بكله فينا، عجباً لمن وجد نسيم قربنا وذاق شربة من حبنا، كيف ينفر من حزبنا، لو كنت صادقاً لكنت موافقاً، لو كنت آنفاً لم تكن مخالفاً، لو كنت من أحبابنا لم تبرح من بابنا، لو كنت من أحبابنا لتلذذت بعتابنا، لو كنت من أحبابنا لما حرمت لذة شرابنا، يا صنيعة اليد يا تربية الإحسان، يا غذي الجود يا ربي الكرم، كم أصل وتجفو، كم مزقت ثوب الوداد وأرفو، كم تكذب عليَّ وأعفو.

أخبرنا أبو موسى عيسى بن يحيى بن إسحاق المقدمي الأواني، قال: أخبرنا الشيخ الأصيل عبد الرحمن بن عبد اللّه ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه. قال: أخبرنا عمي الإمام أبو بكر عبد العزيز، قال: قال الشيخ القدوة أبو الحسن علي بن الهيتي رضي اللّه عنه، إذا صعد والدي الكرسي فقال: الحمد

للّه أنصت له كل ولي في الأرض سواء كان حاضراً بمجلسه، أو غائباً عنه، وكذلك يكررها ويسكت بعدها، وإن الأولياء والملائكة ليزدحمون في مجلسه، وإن من لا يرى فيه أكثر ممن يرى، وإن الرحمة لتصب على حاضريه صباً.

أخبرنا أبو سعد عبد الغالب بن أحمد بن علي الهاشمي، قال: أخبرنا الشيخ محيي الدين أبو عبد اللّه محمد، قال: أخبرنا والدي أبو صالح نصر، قال: أخبرنا والدي أبو بكر عبد الرزاق، قال: كان من أدعية والدي رضي اللّه عنه في مجالس وعظه؛ اللّهم إنا نسألك إيماناً يصلح للعرض عليك، وإيقاناً نقف به يوم القيامة بين يديك، وعصمة تنقذنا بها من ورطات الذنوب، ورحمة تطهرنا بها من دنس العيوب، وعلماً نفقه به أوامرك ونواهيك، وفهماً نعلم به كيف نناجيك، واجعلنا في الدنيا والآخرة من أهل ولايتك، واملأ قلوبنا بنور معرفتك، وكحل عيون عقولنا بأثمد هدايتك، واحرس أقدام أفكارنا من مزالق مواطىء الشبهات، وامنع طيور نفوسنا من الوقوع في شباك موبقات الشهوات، وأعنا في إقام الصلوات على ترك الشهوات، وامح سطور سيئاتنا من جرائد أعمالنا بأيدي الحسنات، كن لنا حيث ينقطع الرجاء معنا إذا أعرض أهل الوجود بوجوههم عنا، حتى نحصل في ظلم اللحود رهائن أعمالنا، إلى اليوم المشهود، أجبر عبدك الضعيف على ما ألف من العصمة من الزلل، ووفقه والحاضرين لصالح القول والعمل، وأجر على لسانه ما ينتفع به السامع، وتذرف له المدامع، ويلين له القلب الخاشع، واغفر له وللحاضرين ولجميع المسلمين. قال: وكان من أدعيته أيضاً في مجالسه اللّهم إنا نعوذ بوصلك من صدك، وبقربك من طردك، وبقبولك من ردك، واجعلنا من أهل طاعتك وودك، وأهلنا لشكرك وحمدك. قال: وكان يختتم مجلسه بأن يقول: جعلنا اللّه وإياكم ممن تنبه لخلاصه، وتنزه عن الدنيا، وتذكر يوم حشره، واقتفى آثار الصالحين إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أخبرنا أبو الفتح أحمد بن علي بن حسن بن أحمد بن محمد الهاشمي القطفني، قال: أخبرنا الشيخ أبو سليمان داود، قال: أخبرنا أبي أبو الفتح سليمان، قال: أخبرنا أبو عبد اللّه عبد الوهاب، قال: كان مما يقول والدي رضي اللّه عنه على الكرسي في مجالس وعظه: ورضي اللّه عن الرفيع العماد، الطويل النجاد، المؤيد بالتحقيق، المكنى بعتيق الخليفة، الشفيق المستخرج من أطهر اصل عريق، الذي اسمه مع اسمه مقرون، وجسمه مع جسمه مدفون، الذي قال في حقه سيد كل فريق: لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر الصديق

رضي الله عنه، وعن القصير الأمل الكثير العمل الذي لا يتداخل أفعاله زلل، المؤيد بالصواب، الملهم فصل الخطاب، المنصور يوم الأحزاب؛ عمر بن الخطاب، وعن مشيِّد الإيمان ومرتِّل القرآن، ومشتت الفرسان، ومضعضع الطغيان، عثمان ابن عفان أفضل الشهداء، وأكرم الكرماء، ذو النورين، وعن البطل المهول، وزوج البتول، وسيف الله المسلول، وابن عم الرسول، مظهر العجائب ليث بني غالب، علي بن أبي طالب، وعن السبطين السيدين الشهيدين أبي محمد الحسن، وأبي عبد الله الحسين، وعن العمين الشريفين حمزة والعباس، وعن الأنصار والمهاجرين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين آمين.

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الأبهري، قال: أخبرنا الشيخ أبو زكريا يحيى بن أبي نصر بن عمر البغدادي المنشأ، المعروف بالصحراوي، قال: سمعت أبي يقول: استدعيت الجان مرة بالعزائم، وأبطأت على إجابتهم أكثر من عادتي، ثم أتوني وقالوا لي: لا تعد تستدعينا إذا كان الشيخ عبد القادر يتكلم على الناس، فقلت: ولم؟ قالوا: إنا نحضره، قلت: وأنتم أيضاً؟ قالوا: نعم إن ازدحامنا بمجلسه أشد من ازدحام الإنس، وإن منا طوائف كثيرة أسلمت وتابت على يديه.

أخبرنا الشيخ أبو محمد الحسن بن الزراد، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن النحال المقري، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر عبد الله التميمي، قال: حدثني أبو حفص عمر بن حصين بن خليل الطيبي، قال: قال لي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه في بعض الأيام أي عمر لا تنقطع عن مجلسي فإن فيه تفرق الخلع والويل لمن يفوته.

قال الشيخ أبو حفص ومضى على ذلك مدة فبينا أنا في بعض الأيام في المجلس إذ غشيني النوم فغفت عيني، فرأيت خلعاً تنزل من السماء حمراً وخضراً، فتقع على أهل المجلس، ففتحت عيني منزعجاً وثبت لأقول للناس: فناداني الشيخ رحمه الله تعالى: أي بني اسكت، فليس الخبر كالمعاينة.

أخبرنا أبو المعالي عبد الرحمن القرشي، قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار، قال: أخبرني محمد بن أبي المعالي بن الطيبي عن الإمام أبي عبد الله عبد الوهاب ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، قال: سمعت الشيخ أبا حفص عمر بن حسين بن خليل الطيبي.

وأخبرنا أيضاً عالياً أبو محمد الحسن بن الزراد، قال: أخبرنا أبو بكر محمد ابن النحال، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر عبد الله التميمي، قال: حدثنا الشيخ أبو

حفص عمر بن حسين بن خليل الطيبي، قال: حضرت مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وكنت قاعداً محاذي وجهه، فرأيت شيئاً على هيئة القنديل البلور نزل من السماء إلى أن قارب فم الشيخ، ثم عاد وصعد سريعاً هكذا ثلاث مرات، فما تمالكت أن قمت لأقول للناس لفرط تعجبي، فبادرني الشيخ وقال لي: اقعد فإن المجالس بالأمانة، قال: فجلست ولم أتكلم به إلا بعد موته رضي الله عنه، وبالإسناد المتقدم إلى ابن النجار، قال: أنبأنا أبو البقاء عبد الله بن الحسين الحنبلي العكبري، قال: سمعت يحيى بن نجاح الأديب، يقول: قلت في نفسي: أريد أن أحصي كم يقص الشيخ محيي الدين عبد القادر شعراً في مجلس وعظه، فحضرت المجلس ومعي خيط، فكلما قص شعراً عقدت عقدة تحت ثيابي من الخيط وأنا في آخر الناس، وإذا به يقول: أنا أحل، وأنت تعقد.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الخضر الحسيني الموصلي، قال: سمعت أبي يقول: كان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يتكلم في أول مجلسه بأنواع العلوم، ولا يبث ما يقول، وكان إذا صعد الكرسي لا يبصق أحد، ولا يتمخط، ولا يتنحنح، ولا يتكلم، ولا يقوم هيبة له إلى وسط المجلس، فيقول الشيخ: مضى الفال، وعظنا بالحال، فيضطرب الناس اضطراباً شديداً، ويتداخلهم الحال والوجد، وكان يعد من كراماته أنَّ أقصى الناس في مجلسه يسمع صوته، كما يسمعه أدناهم على كثرتهم، وكان يتكلم على خواطر أهل المجلس، ويوجههم بالكشف وكان إذا قام فوق الكرسي يقوم الناس لجلالته، وإذا قال لهم: اسكتوا؛ سكتوا حتى لم يسمع لهم سوى أنفاسهم هيبة له، وكان الناس يضعون أيديهم في مجلسه، فتقع على رجال بينهم يدركونهم باللمس، ولا يرونهم، ويسمعون وقت كلامه في الفضاء حساً وصياحاً، وربما سمعوا وجبة ساقطة من الجو إلى المجلس، وذلك رجال الغيب وغيرهم.

أخبرنا أبو سعد عبد الغالب بن أحمد بن علي الهاشمي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن الخباز، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم عمر البزار، قال: سمعت الشيخ العالم الزاهد أبا الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل بن سعد الأنصاري الأندلسي، قال: حضرت مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، في سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وكنت في أخيريات الناس، وكان يتكلم في الزهد، قلت في نفسي: أريد أن يتكلم في المعرفة، فقطع كلامه من الزهد وتكلم في المعرفة كلاماً ما سمعت مثله، فقلت في نفسي: أريد أن يتكلم في الشوق، فقطع كلامه من المعرفة وتكلم في الشوق كلاماً ما سمعت مثله، فقلت في

نفسي: أريد أن يتكلم في علم الفناء والبقاء، فقطع كلامه من الشوق وتكلم في علم الفناء والبقاء كلاماً ما سمعت مثله، فقلت في نفسي: أريد أن يتكلم في علم الغيبة والحضور، فقطع كلامه من الفناء والبقاء وتكلم في علم الغيبة والحضور كلاماً ما سمعت مثله، ثم قال: حسبك يا أبا الحسن فلم أتمالك أن مزقت ثيابي.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد الحسين علي بن يوسف بن غسان التميمي البغدادي، قال: أخبرنا الشريف أبو هاشم أكمل بن مسعود بن عمر الهاشمي، قال: سمعت الشيخ الجليل أبا محمد عفيف بن المبارك بن الحسين بن محمود الجيلي، قال: سمعت الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه، يقول على الكرسي: يا غلام تب عن قعودك عني عند قعودي، هنا الولايات هاهنا الدرجات، هاهنا يا مشتري التوبة باسم اللّه تقدم، يا مشتري العفو باسم اللّه تقدم، يا مشتري الإخلاص باسم اللّه تقدم، ائتني في كل أسبوع مرة، أو في كل شهر مرة، أو في كل عام مرة أو كل دهرك مرة، وخذ ألف ألف شيء، سافر ألف عام لتسمع مني كلمة واحدة، إذا دخلت هنا فاخلع عنك رؤية علمك وزهدك وورعك وأحوالك، تأخذ ما عندي لك، تحضر عندي بطائن الملك وخواصه والأولياء والمغيبون يتعلمون مني التواضع للجناب المنزه، وما من شيء خلقه اللّه عز وجل من الأولياء إلا وقد حضر مجلسي: الأحياء بأجسامهم، والأموات بأرواحهم.

أخبرنا الفقيه الصالح أبو محمد الحسن بن الحسن بن أحمد بن علي القرشي الدقوقي، قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو بكر محمد بن عمر بن أبي بكر ابن النجال البغدادي المقري، قال: سمعت الحافظ أبا زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي الداربي، يقول: حضرت مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي اللّه عنه ببغداد سنة سبع وخمسين وخمسمائة، فسمعته يقول: إنما كلامي على رجال يحضرون مجلسي من وراء جبل قاف، أقدامهم في الهواء وقلوبهم في حضرة القدس، تكاد قلانسهم وطواقيهم تحترق من شدة شوقهم إلى ربهم عز وجل، وكان ابنه عبد الرزاق إذ ذاك جالساً على المنبر تحت رجل أبيه، فرفع رأسه إلى الهواء فشخص ساعة ثم غشي عليه، واحترقت طاقيته وزيقه، فنزل الشيخ وطفاها، قال أيضاً: وأنت يا عبد الرزاق منهم، قال: فسألت عبد الرزاق عما أغشاه، فقال: لما نظرت إلى الهواء رأيت رجالاً واقفين مطرقين منصتين لكلامه، وقد ملأوا الأفق، وفي لباسهم وثيابهم النار، ومنهم من يصيح ويعدو في الهواء،

ومنهم من يسقط إلى الأرض، ومنهم من يرعد في مكانه، قال: وكان يسمع عند كلامه في الفضاء صياح وجبة ساقطة من العلو إلى الأرض.

وأخبرنا أبو محمد عبد المحسن بن عبد المجيد بن عبد الجبار الحسيني الأربلي، قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو الفلاح منجح ابن الشيخ الجليل أبي الخير كرم بن الشيخ القدوة أبي محمد مطر البادراني، قال: سمعت أبي يقول: لما حضرت الشيخ مطر البادراني رضي الله عنه الوفاة قلت له: أوصني بمن أقتدي به بعدك، قال: بالشيخ عبد القادر، فظننته في غلبة مرضه فتركته ساعة، ثم قلت له: أوصني بمن أقتدي به بعدك، قال: بالشيخ عبد القادر فتركته ساعة، ثم أعدت عليه القول، فقال: يا بني زمان يكون فيه الشيخ عبد القادر لا يقتدى إلا به، فلما مات أتيت بغداد وحضرت مجلس الشيخ عبد القادر، وإذا فيه الشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبو سعد القيلوي، والشيخ علي بن الهيتي، وغيرهم من أعيان المشايخ رضي الله عنهم، فسمعته يقول: لست كوعاظكم إنما أنا بأمر الله، إنما كلامي على رجال في الهواء، وجعل يرفع رأسه إلى الهواء فرفعت رأسي إلى الفضاء، فإذا بإزائه صفوف رجال من نور على خيل من نور قد حالوا بين نظري وبين السماء من كثرتهم، وهم مطرقون فمنهم من يبكي، ومنهم من يرعد، ومنهم من في ثيابه نار، فأغشي علي، ثم قمت أعدو وأشق الناس حتى طلعت إليه فوق الكرسي، فامسك بأذني وقال: يا كرم أما اكتفيت بأول مرة من وصية أبيك؟ فأطرقت من هيبته.

أخبرنا أبو سعد عبد الغالب بن أحمد الهاشمي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان الخباز، قال: أخبرنا الشيخان العمران الكمياتي والبزار، قالا: سمعنا الشيخ القدوة أبا سعد القيلوي رضي الله عنه يقول: رأيت رسول الله ﷺ وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في مجلس الشيخ عبد القادر غير مرة، وإن السيد ليشرف عبده، وإن أرواح الأنبياء لتجول في السماوات والأرض، جولان الرياح في الآفاق، ورأيت الملائكة عليهم السلام يحضرونه طوائف، ورأيت رجال الغيب والجان يتسابقون إلى مجلسه، ورأيت أبا العباس الخضر يكثر من حضوره، فسألته، فقال: من أراد الفلاح فعليه بملازمة هذا المجلس.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن وهب بن إسحاق بن إبراهيم الربعي البصري، قال: أخبرنا الشيخ أبو سليمان داود، قال: أخبرنا أبي أبو الفتح، سليمان، قال: سمعت أبي أبا عبد الله عبد الوهاب ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر

الجيلي رضي الله عنه يقول: كان والدي رحمه الله تعالى يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات، بالمدرسة بكرة الجمعة، وعشية الثلاثاء، وبالرباط بكرة الأحد، وكان يحضره العلماء والفقهاء، والمشايخ وغيرهم، ومدة كلامه على الناس أربعون سنة، أولها سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، وآخرها سنة إحدى وستين وخمسمائة، ومدة تصدره للتدريس والفتوى بمدرسته ثلاث وثلاثون سنة أولها سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وآخرها سنة إحدى وستين وخسمائة. وكان يقرأ في مجلسه مقرئان أخوان بغير ألحان، ولكن قراءة مرتلة مجودة، وكان يقرأ في مجلسه أيضاً الشريف أبو الفتح مسعود بن عمر الهاشمي المقري، وكان يموت في مجلسه الرجلان والثلاثة، وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة عالم وغيره، وكان كثيراً ما يخطو في الهواء في مجلسه على رؤوس الناس خطوات ثم يرجع إلى الكرسي.

أخبرنا أبو محمد الحسن عبد الرحمن بن الزراد، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن النحال، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر عبد الله بن نصر التميمي، قال: حدثني الشريف أبو الفتح الهاشمي المقري، قال: استدعاني الشيخ يعني الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه للقراءة، فلمّا قرأت بكى، وقال لي والله لا طلبتك من الله تعالى، قال: ثم قام إليه رجل من الأولياء فقال له يا سيدي: رأيت في النوم رب العزة سبحانه وتعالى، وقد فتحت أبواب الجنة، وقد نصب لك الكرسي، وقيل لك: تكلم، فقلت: إذا حضر الشريف المقري، فقيل: قد حضر، فقلت: الآن أتكلم.

أخبرنا أبو المعالي عبد الرحيم بن المظفر القرشي، قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله بن النجار، قال: كتب إلي عبد الله الجاني ونقلته من خطه، قال لي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه: أتمنى أن أكون في الصحارى والبراري، كما كنت في الأول، لا أرى الخلق ولا يروني، ثم قال: أراد الله عز وجل مني منفعة الخلق، فإنه قد أسلم على يدي أكثر من خمسمائة من اليهود والنصارى، وتاب على يدي أكثر من مائة ألف من العيارين، والمشالحة، وهذا خير كثير.

أخبرنا أبو محمد أحمد بن صالح بن الحسن التميمي البادراني، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن البغدادي المعروف بالخفاف، قال: سمعت الشيخ عمر الكيماتي يقول: لم تكن مجالس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه تخلو ممن يسلم من اليهود والنصارى، ولا ممن يتوب عن قطع الطريق وقتل النفس، وغير ذلك من الفساد، ولا ممن يرجع عن معتقد شيء من الرافضة

وغيرهم، وأتاه راهب وأسلم على يديه في المجلس، ثم قال للناس: إني رجل من أهل اليمن، وإن الإسلام وقع في نفسي، وقوي عزمي على أن لا أسلم إلا على يد خير أهل اليمن في ظني، وجلست مفكراً فغلب عليَّ النوم، فرأيت عيسى بن مريم صلوات الله عليه، وهو يقول لي: يا سنان، اذهب إلى بغداد، وأسلم على يد الشيخ عبد القادر الجيلي، فإنه خير أهل الأرض في هذا الوقت.

قال: وأتاه مرة أخرى ثلاثة عشر رجلاً من النصارى أسلموا على يديه في مجلس وعظه، ثم قالوا: نحن من نصارى المغرب، وأردنا الإسلام، وترددنا فيمن نقصده لنسلم على يده، فهتف بنا هاتف نسمع صوته، ولا نرى شخصه، يقول: أيها الركب ذوو الفلاح ائتوا إلى بغداد، وأسلموا على يد الشيخ عبد القادر، فإنه يوضع في قلوبكم من الإيمان عنده ببركته ما لم يوضع فيها عند غيره من سائر الناس.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن كامل بن أبي المعالي بن محمد الحسيني البيساني، قال: سمعت الشيخ العارف أبا محمد مفرجة بن نبهان بن ركاف الشيباني، يقول: لما اشتهر أمر الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، اجتمع مائة فقيه من أعيان بغداد وأذكيائهم على أن يسأله كل واحد منهم مسألة في فن من العلوم غير مسألة صاحبه ليقطعوه بها، وأتوا مجلس وعظه، وكنت يوم إذن فيه، فلما استقر بهم المجلس أطرق الشيخ وظهرت من صدره بارقة من نور لا يراها إلا من شاء الله تعالى، ومرت على صدور المائة، ولم تمر على أحد منهم إلا ويبهت ويضطرب، ثم صاحوا صيحة واحدة، ومزقوا ثيابهم، وكشفوا رؤوسهم، وصعدوا إليه فوق الكرسي، ووضعوا رؤوسهم على رجليه، وضج أهل المجلس ضجة واحدة ظننت أن بغداد رجت بها، فجعل الشيخ يضم إلى صدره واحداً منهم بعد واحد حتى أتى على آخرهم، ثم قال لأحدهم: أما أنت فمسألتك كذا وجوابها كذا، حتى ذكر لكلٍ منهم مسألته وجوابها، قال: فلما انقضى المجلس أتيتهم وقلت لهم: ما شأنكم؟ قالوا: لما جلسنا فقدنا جميع ما نعرفه من العلم حتى كأنه نسخ منا، فلم يمر بنا قط، فلما ضمنا إلى صدره رجع إلى كل منَّا، نزع منه من العلم، ولقد ذكر لنا مسائلنا التي هيئناها له وذكر فيها أجوبة لا نعرفها.

أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن الخضر بن عبد الله الحسيني الموصلي، قال: سمعت الشيخ العارف أبا القاسم محمد بن أحمد بن علي

الجهني، يقول: كنت أجلس تحت كرسي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وكان له نقباء يجلسون على الكرسي على كل مرقاة منهم اثنان، وكان لا يجلس كذلك إلا ولي أو صاحب حال، وكان يجلس تحت كرسيه رجال كأنهم الأسود هيبة، وقد استغرق مرة في كلامه على الكرسي حتى انحلت طية من عمامته، وهو لا يدري، فألقى الحاضرون جميعهم عمائمهم، وطواقيهم تحت الكرسي، فلما فرغ من كلامه ذلك أصلح عمامته وقال لي: يا أبا القاسم ردًّ على الناس عمائمهم وطواقيهم، ففعلت، وتخلفت معي عصابة لا أدري لمن هي، ولا بقي أحد في المجلس، فقال لي الشيخ : أعطينيها، فأعطيته إياها فجعلها على كتفه فإذا هي ليست عليه، فبهت لذلك، فلما نزل الشيخ توكأ على كتفي، أو قال: على يدي، وقال: يا أبا القاسم لما وضع أهل المجلس عمائمهم؛ وضعت أخت لنا بأصبهان عصابتها، فلما رددت على الناس ما لهم، وجعلتها على كتفي مدت يدها من أصبهان وأخذتها.

أخبرنا الشريف أبو العباس أحمد ابن الشيخ أبي عبد الله محمد بن الأزهري الحسيني، قال: أخبرنا أبي، قال: كان يحضر مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، أكابر مشايخ العراق، وأعيان علمائها، وصدور مفتيها، مثل الشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبي سعد القيلوي، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ نجيب الدين عبد القاهر السهروردي، والشيخ أبي حكيم بن دينار، والشيخ ماجد الكردي، والشيخ مطر البادراني، والقاضي أبي يعلى محمد بن الفراء، والقاضي أبي الحسن علي بن الدامغاني، والإمام أبي الفتح بن المثنى وغيرهم، وما دخل أحد من المشايخ والأعيان إلى بغداد إلا وحضر مجلسه، وما علمت أن الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي دخل بغداد، لكنني رأيته غير مرة بطفسونج ينصت طويلاً ويقول: إني لأنصت لأسمع كلام الشيخ عبد القادر، ورأيت الشيخ عدي بن مسافر غير مرة بلالش، يخرج من زاويته إلى الجبل، ويدير دارة بعكازة، ويدخلها، ويقول: من أراد أن يسمع كلام الشيخ عبد القادر فليدخل هذه الدارة، فيدخلها أكابر أصحابه ويسمعون كلامه، وربما كتب بعضهم ما يسمعه، وأرّخ ذلك اليوم، ويأتي بغداد ويقابل ما كتبه بما كتبه أهل بغداد من كلام الشيخ في ذلك اليوم فيتفقان، وكان الشيخ عبد القادر يقول في الوقت الذي يدخل فيه عدي الدارة لأهل مجلسه عين الشيخ عدي بن مسافر فيكم.

قلت: وقد قدّمت في أول الكتاب الذي قال فيه الشيخ رضي الله عنه،

قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، وفي تأمله كفاية، والله تعالى ولي الهداية.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور، قال: سمعت الشيخ أبا عبد الله محمد بن أبي الفتح الهروي يقول: حضرت يوماً مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، فتكلم حتى استغرق في كلامه فقال: لو أراد الله تعالى أن يبعث طيراً أخضر يسمع كلامي لفعل، فلم يتم كلامه حتى جاء طائر أخضر حسن الصورة، ودخل في كمه وما خرج.

قال: وتكلم يوماً آخر في مجلسه، فتداخل بعض الناس فترة، فقال: لو أراد الله سبحانه أن يرسل طيوراً خضراً تسمع كلامي لفعل، فلم يتم كلامي حتى امتلأ المجلس بطيور خضر يراها من حضر.

قال: وتكلم يوماً في قدرة الله تعالى، وغمر الناس من كلامه هيبة وخشوع، فمرَّ بالمجلس طائر عجيب الخلقة، فاشتغل بعض الناس بالنظر عن سماع كلام الشيخ، فقال: وعزة المعبود لو شئت أن أقول لهذا الطائر متْ قطعاً قطعاً لمات، فما تمَّ كلامه حتى وقع الطائر إلى أرض المجلس قطعاً قطعاً.

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي يحيى بن أبي القاسم الأزجي قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر، قال: سمعت عمي أبا عبد الله عبد الوهاب يقول: سافرت إلى بلاد العجم، وتفننت في العلوم، فلما رجعت إلى بغداد قلت لوالدي أريد أن أتكلم على الناس بحضرتك، فأذن لي، فصعدت على الكرسي، وتكلمت بما شاء الله تعالى من العلوم والمواعظ، ووالدي يسمع، فلم يخشع قلب، ولم تجرِ دمعة، فضجٍ أهل المجلس والدي يسألونه أن يتكلم عليهم، فنزلت وصعد، فقال: كنت صائماً أمشي، وقلت لي أم يحيى بويضات، وجعلتها في سكرجة، ووضعت على البستوقة، فجاء السنّور فرمى بها فانكسرت، فضجَّ أهل المجلس بالصراخ، فلما نزل قلت له بذلك، فقال: يا بني أنت مدل بسفرك، أسافرت إلى هنا، وأشار بإصبعه إلى السماء؟ ثم قال رضي الله عنه، يا أبي إني لما صعدت الكرسي، تجلى الحق عز وجل على قلبي، وبسطني، فحدثته بما سمعت بسطاً مقبوضاً بالهيبة، فكان الذي رأيته من الناس، قال: وكنت بعد ذلك ربما أصعد الكرسي، وأتكلم على الناس بفنون العلوم والأصول والفقه والمواعظ، ووالدي يسمع، فلا يتأثر أحد من كلامي، ثم أنزل ويصعد فيقول: يا أبله، الشجاعة صبر ساعة، فيصيح أهل المجلس صيحة واحدة، وكنت أسأله عن ذلك فيقول لي: أنت المتكلم فيك، وأنا المتكلم في غيري، قال: وكان إذا سئل عن مسألة في مجلس

وعظه، ربما يقول: أستأذن في الكلام عليها، وأخلص، ويطرق، وتجلله الهيبة ويعلوه الوقار، ثم يتكلم عليها بما شاء الله تعالى، قال: وكان يقول: وعزة العزيز ما تكلمت حتى قيل لي: بحقي عليك تكلم، فقد أمنتك من الرد، ويقال لي: يا عبد القادر، تكلم يسمع منك.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر، قال: أخبرنا الشيخ الصالح بقية السلف أبو العباس أحمد بن يوسف بن علي اللخمي، النهرملكي، قال: سمعت الشيخ بقا بن بطو رضي الله عنه يقول: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، مرة، فبينا هو يتكلم على المرقاة الثانية، فأشهدت أن المرقاة الأولى قد اتسعت حتى صارت مد البصر، وفرشت من السندس الأخضر، وجلس عليها رسول الله ﷺ، وأبو بكر وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله عنهم، وتجلى الحق سبحانه على قلب الشيخ عبد القادر، فمال حتى كاد يسقط، فأمسكه رسول الله ﷺ، لئلا يقع، ثم تصاك حتى صار كالعصفور، ثم نما حتى صار على صورة هائلة، ثم توارى عني هذا كله، قال: فسأل الشيخ بقا عن رؤيته رسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم، فقال: أرواحهم تشكلت، وإن الله تعالى أيدهم بقوة، يظهرون بها فيراهم من قواه الله تعالى لرؤيتهم في صورة الأجساد، وصفات الأعين، بدليل حديث المعراج، وسئلا عن تضائل الشيخ عبد القادر، ونموه، فقال: كان التجلي الأول بصفة لا يثبت لبدوها بشر، إلا بتأييد نبوي، فلذلك كاد الشيخ يسقط لولا تداركه رسول الله ﷺ، وكان التجلي الثاني بصفة الجلال من حيث موصوفه، فلذلك تضاءل، وكان التجلي الثالث بصفة الجمال من حيث المشاهدة، فلذلك انتعش، ونما، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

أخبرنا أبو المكارم خليفة بن محمد بن علي الحراني، قال: أخبرنا الشيخ أبو طالب عبد اللطيف بن محمد القنيطي الحراني، قال: أخبرنا أبو الفضل أحمد ابن القاسم بن عبدان القرشي البغدادي البزار، قال: كان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يتطيلس، ويلبس لباس العلماء، ويلبس الرفيع من القماش، ولقد أتاني خادمه سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بذهب، وقال: أريد خرقة ذراعها بدينار، لا يزيد حبة ولا ينقص حبة، فأعطيته وقلت: لمن هي؟ فقال: لسيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر، فقلت في نفسي، ما ترك الشيخ للخليفة من اللباس شيئاً، فلم يتم في خاطري حتى وجدت في رجلي مسماراً، وشاهدت من ألمه الموت، واجتمع عليَّ الناس لينزعوه فلم يستطيعوا، فقلت: احملوني إلى

الشيخ، فلما طرحت بين يديه، قال لي: يا أبا الفضل، ولم تعترض علينا بباطنك، وعزة المعبود ما لبست حتى قيل لي: بحقي عليك البس قميصاً ذراعه بدينار، يا أبا الفضل هذا كفن، وكفن الميت يجمِّل، هذا بعد ألف موتة، ثم مرَّ بيده على رجلي، فذهب المسمار، والألم لوقته، والله لا أدري من أين جاء ولا من أين ذهب، ولا رأيته إلا في رجلي، وقمت أعدو، فقال الشيخ: اعتراضه علينا تشكَّل له في صورة مسمار.

وأخبرنا أبو محمد رجب بن أبي المنصور الرازي، وأبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي. قال أبو محمد أخبرنا الشيخان قاضي القضاة أبو صالح نصر، والشيخ أبو الحسن علي الخباز ببغداد، قال أبو صالح، أخبرنا والدي عبد الرزاق، وقال أبو الحسن: أخبرنا الشيخ عمر البزار، وقال أبو زيد: أخبرنا الشيخ العالم أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد الداري الثعلبي الحنبلي بدمشق، قالوا: كان شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يلبس لباس العلماء، ويتطيلس، ويركب البغلة، وترفع بين يديه الغاشية، ويتكلم على كرسي عالٍ، وكان في كلامه سرعة وجهر، وله كلمة مسموعة، إذا قال: انصت له، وإذا أمر ابتدر لأمره، وإذا راه ذو القلب القاسي خشع، وإذا رأيته فقد رأيت الناس كلهم، وإذا مرَّ إلى الجامع يوم الجمعة، وقف الناس في الأسواق يسألون الله تعالى به حوائجهم، وكان له صيت، وصوت وسمت وصمت، ولقد عطس في الجامع يوم الجمعة فشمته الناس حتى سمعت في الجامع ضجة عظيمة يقولون: يرحمك الله ويرحم بك، وكان المستنجد في مقصورة في الجامع فقال: ما هذه الضجة؟ قيل له: قد عطس الشيخ عبد القادر فهاله ذلك.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر المحمدي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد البغدادي الصوفي المعروف بالسقا، قال: كان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ذا هيبة عظيمة، إذا نظر إلى أحد يكاد يرعد من هيبته، وربما ارتعد، وإذا جلس يحدق بهم قوم كأنهم الأسود، وما ترى أسرع امتثالاً لأمره منهم، ولا أشد انقياداً له منهم رضي الله عنهم أجمعين.

ذكر فضل أصحابه وبشراهم

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي بن عبد الله الدمياطي الصوفي. قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن الحمامي ببغداد، والشيخ أبو الحسن علي الخباز، والشيخ أبو عمرو عثمان المعروف بالقصير، حاضران يسمعان، قال: رأيت في المنام سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وأنا صبي نهراً بدمشق قد صار ماءه دماءً وقيحاً، وسمكه حيات وحشرات، وهو ينمو وأنا أهرب منه خوف أن ينالني حتى انتهيت إلى منزلنا، فناولني رجل من داخل المنزل مروحة، وقال: تمسك بها شديداً، قلت: إنها لا تحملني، قال: إيمانك يحملك، فتمسكت بطرفها، فإذا أنا عنده فوق سرير في منزلنا، وقد سكن روعي، فقلت: بالذي من علي بك؛ من أنت؟ فقال: أنا نبيك محمد ﷺ، فارتعدت من هيبته، فقلت: يا رسول الله، ادعِ الله تعالى لي أن أموت على كتابه، وسنتك، قال: نعم، وشيخك الشيخ عبد القادر ثلاثاً، ثم استيقظت، وقصصت الرؤيا على أبي، ومضينا نقصد زيارة الشيخ، وكان ذلك اليوم الذي تكلم فيه في الرباط فوافيناه يتكلم، ولم نقدر على الجلوس بالقرب منه لكثرة الناس، فجلسنا في أخريات الناس، فقطع كلامه وقال: ائتوني بذينكم الرجلين، وأشار إلينا، فحملت أنا وأبي على أعناق الرجال، حتى أوتي بنا إلى الكرسي، فاستدعانا، فطلع أبي إليه، وأنا خلفه، فقال لأبي: يا أبله، ما أتيتنا إلا بدليل، وألبسه قميصه، وألبسني الطاقية التي كانت على رأسه، وجلسنا بين الناس، فإذا القميص الذي ألبسه الشيخ أبي مقلوب، فهمَّ أن يصلحه، فقيل له: اصبر حتى ينقضي الناس، فلما نزل الشيخ أراد أبي أن يصلحه في غلبات الناس، إذا هو غير مقلوب، فغشي عليه، فاضطرب الناس لذلك، فقال الشيخ: ائتوني به، فدخلنا عليه، وإذا هو جالس في قبة الأولياء، وهي قبة بالرباط، سميت بذلك لكثرة ورود الأولياء ورجال الغيب إليها، لزيارة الشيخ، فقال لأبي: من يكون دليله رسول الله ﷺ، وشيخه عبد القادر كيف لا يكون له كرامة، وهذه كرامة لك، واستدعى بدواة وقرطاس وكتب لنا إسناد خرقته، رضي الله عنه.

أخبرنا الشريف، أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي العباس الخضر بن عبد الله الحسيني الموصلي، قال: أخبرنا والدي قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي، ببغداد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة.

وأخبرنا الشيخ الفقيه أبو علي إسحاق بن علي بن عبد الله بن عبد الدائم الهمداني الصوفي، قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو محمد عبد اللطيف ابن الشيخ أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي الفقيه الصوفي، قال: أخبرنا أبي قال: كان الشيخ حمَّاد الدباس رضي الله عنه، يسمع له كل ليلة دوي كدوي النحل، فقال أصحابه للشيخ عبد القادر في سنة ثمان وخمسمائة، وكان في صحبته يومئذ، اساله عن ذلك، فساله، فقال له: إن لي اثني عشر ألف مريد، وأنا أذكر أسماءهم كل ليلة، وأسأل لمن له حاجة إلى الله تعالى، وإذا أصاب مريد لي ذنباً، فلا ينقضي عنه شهره ذلك حتى يموت أو يتوب إشفاقاً عليه أن يتمادى فيه، فقال له الشيخ عبد القادر: لئن أعطاني الله منزلة عنده لآخذن من ربي تبارك وتعالى عهداً لمريدي إلى يوم القيامة أن لا يموت أحدهم إلا على توبة، ولأكونن بذلك ضميناً لهم، فقال الشيخ حماد: أشهدني الله تعالى أنه سيعطيه ذلك، ويبسط ظل جاهه عليهم.

أخبرنا أبو محمد عبد الواحد بن صالح بن يحيى القرشي البغدادي قال: أخبرنا الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بالتوحيدي ببغداد، قال: أخبرنا خالي قاضي القضاة أبو صالح نصر، والشيخ أبو القاسم هبة الله المعروف بابن المنصوري، قال خالي: أخبرنا عبد الرزاق، وعمي عبد الوهاب، وقال القاسم: أخبرنا الأشياخ الثلاثة؛ الشيخ أبو السعود الحريمي، والشيخ أبو عبد الله محمد بن قايد الأواني، والشيخ أبو القاسم عمر البزار، قالوا: ضمن الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، لمريديه إلى يوم القيامة أن لا يموت أحد منهم إلا على توبة، وأعطي أن مريديه ومريدي مريديه إلى سبعة يدخلون الجنة، وقال: أنا كافل المريد إلى سبعة، كل أموره ولو انكشفت عورة مريدي بالمشرق، وأنا بالمغرب لسترتها، وأمرنا من حيث الحال والقدر أن نحفظ بهممنا أصحابنا وطوبى لمن رآني، أو رأى من رآني أو رأى من رأى من رآني، وأنا حسرة على من لم يرني.

أخبرنا أبو العفاف موسى ابن الشيخ أبي المعالي عثمان بن موسى البقاعي، الدمشقي، قال: أخبرنا أبي بدمشق، قال الشيخ الصالح أبو محمد داود بن علي بن أحمد البغدادي، المعروف بالحائك ببغداد، قال: رأيت في منامي في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، الشيخ معروفاً الكرخي رضي الله عنه، تأتيه قصص الناس، وهو يعرضها على الله تعالى، فقال لي: يا شيخ داود، هاتِ قصتك أعرضها

على الله، فقلت: وشيخي عزلوه، أعني الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، قال: لا والله ما عزلوه، ولا يعزلونه، ثم استيقظت، وأتيت في السحر إلى مدرسة الشيخ، وجلست على باب داره لأخبره، فناداني من داخل داره قبل أن أراه وأكلمه: يا داود، شيخك ما عزلوه، ولا يعزلونه، وهات قصتك أعرضها على الله عز وجل، فوعزته ما عرضت قصة لأصحابي ولا لغيرهم، فردت على مسألتي فيها.

أخبرنا أبو الفتوح نصر الله بن أبي المحاسن يوسف بن خليل بن علي البغدادي الأزجي. قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن حمزة الأزجي المعروف بابن الطبال ببغداد، قال أخبرنا الإمام الحافظ تاج الدين أبو بكر عبد الرزاق بن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الجيلي قال: قال والدي لأم ولده يحيى ليلة الأربعاء التاسع من شعبان سنة خمسين وخمسمائة، اطبخي أرزاً، فقامت وطبخت، وملأت سفرته ونامت، فلما كان جوف الليل انشق الجدار، ودخل منه رجل، فأكل ما هنالك كله، ثم نهض ليذهب، فقال لي: الحقه واسأله الدعاء لك، فلحقته خارجاً من الجدار، كهيئته حين جاء، وسألته للدعاء، فقال لي: بدعوة أبيك وبركة خرقته، صرت إلى ما ترى من الخير، فلما أصبحت ذكرت ذلك للشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، فقال لي: ما أعلم خرقة وضعت على رأس بيد أسرع فتحاً لصاحبها، ولا أكثر بركة عليه من خرقة أبيك، ولقد فتح الله تعالى على سبعين رجلاً ممن لبس منه في وقت واحد، في عشية اليوم الذي لبسوا فيه فتحاً عظيماً، وأعطوا عطاءً جزيلاً ببركة وضع يده على رؤوسهم، وما رأيت يوماً أكثر بركة من اليوم الذي أرى فيه أباك.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور الكتاني، قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح الهروي بدمشق، قال: سمعت الشيخ القدوة أبا الحسن علي بن الهيتي رضي الله عنه ببغداد، لا مريدين أسعدوا بشيخهم من مريدي الشيخ عبد القادر به، قال: وسمعت الشيخ القدوة أبا سعد القيلوي رضي الله عنه بها يقول، ما رجع الشيخ عبد القادر إلى العالم إلا على الأعلى أنَّ من تمسك به نجا، قال: وسمعت الشيخ القدوة بقا بن بطو يقول: رأيت أصحاب الشيخ عبد القادر كلهم غرافي جحفل السعداء.

أخبرنا أبو البركات يونس بن سالم بن علي بن محمد التميمي البكري الموصلي المقري، وأبو عبد الله محمد بن علي بن حسين بن محمد الدمشقي، قالا: أخبرنا شيخنا أبو المفاخر عدي بن الشيخ أبي البركات بالموصل، قال:

أخبرنا أبي قال: سمعت عمي الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه سنة أربع وخمسين وخمسمائة، بزاويته بالجبل يقول: من سألني من أصحاب المشايخ أن البسه خرقة فعلت ذلك له إلا أصحاب الشيخ عبد القادر، فإنهم منغمسون في الرحمة، وهل يترك أحد البحر ويأتي الساقية؟

أخبرنا أبو الحسن علي بن الشيخ أبي المجد المبارك بن يوسف البطايحي الحدادي الشافعي. قال: أخبرنا القضاة أبو صالح نصر ببغداد، قال: أخبرنا أبي عبد الرزاق، وأخبرنا أيضاً عالياً الشيخان أبو محمد الحسن بن أبي عمران، موسى ابن أحمد القرشي الخالدي، وأبو القاسم محمد بن عبادة الأنصاري الحلبي، قالا: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الحسن علي القرشي بدمشق، قال: قال الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، أعطيت سجلاً مد البصر فيه أسماء أصابي ومريدي إلى يوم القيامة، وقيل لي: قد وهبوا لك، وسألت مالكاً خازن النار، هل عندك من أصحابي أحد فقال: لا. وعزة ربي وجلاله إن يدي على مريدي كالسماء على الأرض، إن لم يكن مريدي جيداً فأنا جيد وعزة ربي وجلاله، لا برحتْ قدماي من بين يدي ربي حتى ينطلق بي وبكم إلي الجنة.

أخبرنا الشريف أبو العباس أحمد ابن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي الغنائم محمد الحسيني الدمشقي. قال: أخبرنا أبي بدمشق، قال: أذنب خادم شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه سبعين مرة في ليلة واحدة، يرى في كل مرة أنه واقع امرأة غير التي قبلها، منهن من تعرفه، ومنهن من لا تعرفه، فلما أصبح أتى إلى الشيخ ليشكو إليه فقال له قبل أن يذكر له شيئاً لا تكره جنابتك البارحة، فإني نظرت إلى اسمك في اللوح المحفوظ، فرأيت فيه أنك تزني سبعين مرة بفلانة وفلانة، وذكر له أسماء من يعرف منهن، وصفاتهن فسألت الله تعالى حتى حوَّل عنك ذلك من اليقظة إلى النوم.

أخبرنا أبو الفضل منصور بن أحمد بن عطاء الله بن عبد الجبار بن علي القرشي الهاشمي. قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان الخباز ببغداد. قال أخبرنا العمران الكيماتي والبزار ببغداد سنة اثنتي وتسعين وخمسمائة، قالا: قيل للشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه أن تسمي لك شخص، ولم يأخذ يدك ولم يلبس لك خرقة، هل يعد من أصحابك؟ فقال: من انتمى إليَّ وتسمى لي قبله الله تعالى وتاب عليه، وإن كان على سبيل مكروه وهو من جملة أصحابي، وأنا ربي عز وجل وعدني أن يدخل أصحابي، وأن مذهبي وكل محب لي الجنة.

أخبرنا أبو محمد رجب بن المنصور الدراري، قال: أخبرنا الشيخان؛ الشيخ القدوة أبو عبد الرحيم عسكر بن عبد الرحيم النصيبيني بها، والشيخ أبو الحسن المعروف بخفاف البغدادي بها.

قال أبو عبد الرحيم: أخبرنا الأشياخ الثلاثة؛ الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، والإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن قدامة المقدسي بدمشق، والشيخ الصالح أبو عبد الله الملك ذيال بن أبي المعالي ابن راشد العراقي بالبيت المقدس. قالوا: سمعنا شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه يقول ببغداد على الكرسي في شهور سنة إحدى وستين وخمسمائة، وقد سئل عن فضل من انتمى إليه البيضة منا بألف، والفرخ ما يقوم.

/٢٢ **أخبرنا** أبو عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الله بن قيمان بن علي الأرزني، الرومي الحنفي، قال: أخبرنا الشيخ الجليل ابن الشيخ أبي العباس أحمد ابن علي الصرصري بها سنة تسع وعشرين وستمائة، قال: أخبرنا أبي قال: سمعت الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يقول: أيما امرىء مسلم عبر على باب مدرستي، فإن عذاب يوم القيامة يخفف عنه، وجاءه شاب إلى بغداد وقال له: إن أبي قد مات ورأيته البارحة في المنام، وذكر أنه معذب في قبره، وقال لي: اذهب إلى الشيخ عبد القادر وسله لي الدعاء، فقال له: اعبر على مدرستي، قال: نعم، فسكت فعاد ولده من الغد وقال: قد رأيته البارحة مستبشراً، وعليه حلة خضراء، فقال لي: قد رفع عني العذاب، وكسيت ما ترى ببركة الشيخ عبد القادر، فعليك يا ولدي بملازمته، فقال الشيخ: إن ربي وعدني أن يخفف العذاب عمن عبر على مدرستي من المسلمين.

قال: وحضرت يوماً، وقد قيل له أنه سمع صراخ ميت من قبره، قد دفن من أيام في مقبرة باب الأزج، فقال: ألبس مني خرقة؟ قالوا: ما نعلم ذلك، قال: احضر مجلسي؟ قالوا: ما نعلم ذلك، قال: أأكل من طعامي؟ قالوا: ما نعلم ذلك، قال: أصلي خلفي؟ قالوا: ما نعلم ذلك، فقال: المفرط أولى بالخسارة، وأطرق ساعة تجلله الهيبة ويعلوه الوقار، ثم قال: إن الملائكة قالت لي: إنه رأى وجهك وأحسن بك الظن، وإن الله تعالى قد رحمه بذلك، قالوا: فلقد تكرر الناس إلى قبره بعد ذلك زماناً فما سمعوا له صراخاً بعدها أبداً.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عبد الله القطاي الزبيدي الأصل، البغدادي المولد والدار. قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن

سليمان الخباز البغدادي، قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الحسن الجوسقي رضي الله عنه، قال: حضرت عند الشيخ محيي الدين عبد القادر، وعنده الشيخ علي ابن الهيتي، والشيخ بقا بنا بطو رضي الله عنهم، فقال الشيخ عبد القادر: لي من كل طويلة فحل لا يقاوم، ولي في كل أرض خيل لا تسبق، ولي في كل جيش سلطان لا يخالف، ولي في كل منصب خليفة لا يعزل.

أخبرنا أبو محمد القاسم ابن الشيخ أبي أحمد بن عبد الله بن أحمد بن علي الهاشمي البغدادي الحرمي الحنبلي. قال: أخبرنا الأشياخ الصلحاء؛ الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن منصور بن أبي بكر البغدادي المحدث المعروف بالأثري، والشيخ أبو زكرياء يحيى بن يوسف الأنصاري الصرصري، والشيخ أبو الفرج الحسن بن محمد بن أحمد بن الدويرة البصري المقري، والشيخ كمال الدين أبو الحسن علي بن محمد بن وضاح الشهرياني ببغداد بجامع المنصور، قالوا: كنا عند الشيخ القدوة أبي محمد علي بن إدريس اليعقوبي، بها سنة عشرين وستمائة، فجاء الشيخ الصالح أبو حفص عمر المعروف بثريدة، فقال له الشيخ علي: اقصص عليهم رؤياك، فقال: رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، والأنبياء وأممهم قادمون الموقف، ويتبع الأنبياء الرجلان والرجل الواحد، ثم أقبل رسول الله ﷺ تقدمه أمته كالسيل وكالليل، وفيهم المشايخ، ومع كل شيخ أصحابه يتفاوتون عدداً وأنواراً، وبهجة، وأقبل رجل في عداد المشايخ معه خلق كثير يفضلون غيرهم، فسألت عنهم، فقيل: هذا الشيخ عبد القادر وأصحابه، فتقدمت إليه وقلت: ياسيدي ما رأيت في المشايخ أبهى منك، ولا في أتباعهم أحسن من أتباعك فأنشدني: [من الطويل]

إذا كان منا سيد في عشيرة ... علاها وإن ضاق الخناق حماها
وما اختبرت إلا وأصبح شيخها ... وما افتخرت إلا وكان فتاها
وما ضربت بالأبرقين خيامنا ... فأصبح مأوى الطارقين سواها

قال: فاستيقظت وأنا أحفظهن. قال: كان الشيخ محمد الواعظ الخياط حاضراً يومئذٍ، فقال له الشيخ علي بن إدريس: يا محمد أنشدنا شيئاً في المعنى على لسان الشيخ عبد القادر رضي الله عنه فقال:

هنيئاً لصحبي أنني قائد الركب ... أسير بهم قصداً إلى المنزل الرحب
وأكنفهم والكل في شغل أمره ... وأنزله في حضرة القدس من قرب
ولي معهد كل الطوائف دونه ... ولي منهل عذب المشارب والشرب

وأهل الصفا يسعون خلفي وكلهم له همة أمضى من الصارم العضب

فقال له الشيخ علي: أحسنت أحسنت، ولقد صدقت فيما قلت.

أخبرنا أبو حفص عمر ابن الشيخ أبي المجد المبارك بن أحمد بن علي النصيبيني. قال: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحيم عسكر النصيبيني بها، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الجبار ابن شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ببغداد، قال: كانت أمي إذا دخلت مكاناً مظلماً أضاءت عليها شمعتاً، فتستضيء بها فيه، فدخل عليها والدي مرة، فرأى الشمعة، فحين وقع نظره عليها خمدت، فقال لها: إن هذا النور الذي رأيته شيطان كان يخدمك، وقد صرفته عنك، وأبدلتك منه نوراً رحمانياً، وكذلك أصنع بكلِ من انتمى إليَّ لك أو كانت لي به عناية، قال: فكانت بعد ذلك إذا دخلت مكاناً مظلماً رأت فيه نوراً مثل نور القمر يملأ جوانب ذلك المكان.

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي بكر الأبهري، ثم البغدادي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي الخباز، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم عمر البزار ببغداد، قال: سمعت سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، يقول غير مرة، عثر أخي حسين الحلاج، فلم يكن في زمانه من يأخذ بيده، ولو كنت في زمانه لأخذت بيده، وأنا لكل من عثر به مركوبه من أصحابي ومريدي، ومحبي إلى يوم القيامة آخذ بيده.

أخبرنا أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر بن مهذب القرشي، قال: أخبرنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود ابن النجار البغدادي قراءة عليه، وأنا أسمع ببغداد، قال: كتب لي عبد الله الجبائي، ونقلته من خطة، قال: لقيت بهمذان رجلاً من أهل دمشق يقال له ظريف، قال لي: لقيت بشراً القرظي في طريق نيسابور، أو قال: خوارزم، ومعه أربعة عشر جملاً سكراً، فقال لي: نزلنا في برية مخوفة لا يقف فيها الأخ مع أخيه، من الخوف، فلما حملنا الأحمال من أوائل الليل فقدنا أربعة جمال محملة فطلبتها، فلم أجدها، ورحلت القافلة، وانقطعت عنها أطلب الجمال، فتعصب لي الجمال، ووقف معي، وطلبناها فلم نجدها، فلما انشق الفجر ذكرت قول الشيخ يعني الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، إن وقعت في شدة فنادني، فإنها تنكشف عنك، فقلت: يا شيخ عبد القادر جمالي مرت، يا شيخ عبد القادر جمالي مرّت، ثم التفت إلى مطلع الفجر، فرأيت في ضوء الفجر أول ما انشق رجلاً على رابية عليه ثياب شديدة البياض،

وهو يشير إليَّ بكمه، أي تعال، قال: فلما صعدنا على الرابية لم نرَ أحداً، ثم رأينا الأربعة جمال تحت الرابية باركة في الوادي، فأخذناها ولحقنا القافلة، قال أبو المعالي: فأتيت الشيخ أبا الحسن علياً الخباز رحمه الله تعالى، وحدثته بهذه الحكاية، فقال: سمعت الشيخ أبا القاسم عمر البزار يقول: سمعت سيدي الشيخ محيي الدين رضي الله عنه، يقول: من استغاث بي في كربة، كشفت عنه، ومن ناداني باسمي في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي إلي الله عز وجل في حاجة، قضيت له، ومن صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة الإخلاص إحدى عشرة مرة يصلي على رسول الله ﷺ بعد السلام، ويسلم عليه، ويذكرني، ثم يخطو إلى جهة العراق إحدى عشرة خطوة، ويذكر اسمي حاجته فإنها تقض بإذن الله.

ذكر شيء من شرائف أخلاقه رضي الله عنه

أخبرنا أبو الفتوح نصر الله بن أبي المحاسن يوسف بن خليل بن علي البغدادي الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن حمزة البغدادي الأزجي المعروف بابن البطال ببغداد. قال: أخبرنا الشيخ أبو المعمر المظفر منصور بن المبارك بن الفضل الواسطي الواعظ المعروف بجرادة. قال: ما رأت عيناي أحسن خلقاً، ولا أوسع صدراً، ولا أكرم نفساً، ولا أعطف قلباً، ولا أحفظ عهداً وودأ من الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ولقد كان مع جلالة قدره، وعلو منزلته، وسعة علمه، يقف مع الصغير، ويوقر الكبير، ويبدأ بالسلام، ويجالس الضعفاء، ويتواضع للفقراء، وما قام لأحد من العظماء والأعيان، ولا ألمَّ بباب وزير قط، ولا سلطان، ولقد كنت عنده يوماً في داره ، وهو جالس ينسخ، فسقط عليه من السقف تراب، فنفضه ثلاث مرات، وهو يسقط عليه، وهو ينفضه، ثم رفع رأسه في الرابعة إلى السقف، فرأى فأرة تبعثر فقال: طار رأسك، فسقطت جثتها ناحية، ورأسها ناحية، فترك النسخ وبكى، فقلت له: يا سيدي ما يبكيك؟ قال: أخشى أن يتأذى قلبي من رجل مسلم، فيصبه مثلما أصاب هذه الفأرة.

أخبرنا أبو الرجا يعقوب بن أيوب بن أحمد بن علي الهاشمي الفارقي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان المعروف بالخباز، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم عمر بن مسعود البزار، قال: كان سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر

رضي الله عنه يوماً يتوضأ في المدرسة، فبال عليه عصفور، فرفع رأسه إليه وهو طائر فسقط ميتاً، فلما أتمَّ وضوءه غسل موضع البول من الثوب وخلعه، وأعطانيه وأمرني أن أبيعه وأتصدق بثمنه، وقال: هذا بهذا.

أخبرنا أبو العفاف موسى ابن الشيخ أبي المعالي عثمان بن موسى البقاعي، قال: أخبرنا أبي بدمشق سنة أربع عشرة وستمائة. قال: أخبرنا الشيخان أبو عمر عثمان الصريفيني، وأبو محمد عبد الحق الحريمي ببغداد، قالا: كان شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يبكي ويقول: يا رب كيف أهدي لك الروح؟ وقد صحَّ بالبرهان القاطع أن الكل لك، وربما كان ينشد: [من الطويل]

وما ينفع الإعراب إن لم يكن تقىً ... وما ضرَّ ذا تقوى لسان معجم

أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي، قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر، قال: أخبرنا والدي عبد الرزاق، قال: لم يحج والدي رضي الله عنه بعد أن اشتهر أمره، إلا حجة واحدة، وكنت فيها قائد زمام، راحلته في الطلعة والرجعة، فلما كنا بالحلة، قال لنا: انظروا أفقر بيت هنا، فوجدنا خربة فيها بيت من شعر فيه شخ وعجوز وصبية، فستأذنه والدي في النزول عنده، فأذن له فنزل هو ومن معه في تلك الخربة، وجاء مشايخ الحلة يومئذٍ، ورؤساؤها وأعيانها إليه وسألوه أن يتحول إلى منازلهم أو إلى غيرها فأبى، وساق أهل البلد إليه من الغنم والبقر، والطعام والذهب والفضة والقماش شيئاً كثيراً، ورحلوا له رواحل لأجل السفر، وأهرع الناس إليه من كل جانب فقال الشيخ لمن معه: أنا قد خرجت عن نصيبي من جميع ما هنالك لأهل هذا البيت، فقالوا له: ونحن كذلك، فأمر بجميع ما هناك، فأعطي لذلك الشيخ والعجوز والصبية، وبات ورحل في السحر، قال: فاجتزت في الحلة بعد سنين، فإذا ذلك الشيخ أكثر أهلها مالاً، فقال لي: جميع ما ترى هو من بركة تلك الليلة، وإن تلك الماشية نتجت ونمت وهذا كله منها.

أخبرنا الفقيه أبو علي إسحاق بن علي بن عبد الله الهمداني الصوفي، قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو الفضل إسحاق بن أحمد العلثي بها. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد طلحة بن مظفر، قال: قال شيخنا محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه: أقمت ببغداد في بدء أمري عشرين يوماً ما أجد ما أقتات به، ولا أجد مباحاً، فخرجت إلى خراب إيوان كسرى أطلب مباحاً، فوجدت هناك سبعين

رجلاً من الأولياء كلهم يطلب ما أطلب، فقلت: ليس من المروءة أن أزاحمهم فرجعت إلى بغداد فلقيني رجل أعرفه من بلد أهلي، فأعطاني قراضة، وقال: هذه بعثت بها إليك أمك معي، فأخذت منها قطعة تركتها لنفسي، وأسرعت بالباقي إلى خراب الإيوان، وفرقت القراض كلها على أولئك السبعين، فقالوا لي: ما هذا؟ فقلت: إنه قد جاءني هذا من عند أمي، وما رأيت أن أتخصص به دونكم، ثم رجعت إلى بغداد، واشتريت بالقطعة التي معي طعاماً، وناديت فقراء، فأكلنا جميعاً، ولم يبت معي من القراضة شيء.

أخبرنا أبو الفتوح نصر الله بن يوسف بن خليل بن علي الأزجي، قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن حمزة الأزجي المعروف بابن الطبال. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن الحسين بن أبي الفضل، قال: كان شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه إذا جاءه أحد بذهب، يقول له: ضعه تحت السجادة ولا يمسه بيده، فإذا جاءه خادمه قال له: خذ ما تحت السجادة وأعطه الخباز والبقال، وكان غلامه مظفر يقف عند باب دار الشيخ بالطبق فيه الخبز، وكان إذا جاءه خلعة من الخليفة يقول: أعطوها لأبي الفتح الطحان، وكان يأخذ منه الدقيق بالقرض لأجل خبز الفقهاء والأضياف، وكان له حنطية مرباة من الحلال بيد بعض أصحابه من الرسناقية يزرعها له كل سنة، وكان له بعض أصحابه يطحنها ويخبز له كل يوم أربعة أرغفة أو خمسة، ويأتي بها في آخر النهار إلى الشيخ، فكان الشيخ يفرق منها على من حضره كسرة كسرة والباقي يدخره لنفسه، وكان إن أهديت له هدية يفرق منها على كل من حضره في ذلك الوقت، وكان يقبل الهدية ويكافئ عليها، ويقبل النذور ويأكل منها رضي الله عنه.

أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن الخضر الحسيني، قال: أخبرنا أبي قال: كنت مع سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه في الجامع يوم الجمعة، فأتاه تاجر فقال: إن معي ما لا أريد أن أعطيه الفقراءوالمساكين من غير الزكاة، وما وجدت له مستحقاً فمرني أن أعطيه لمن تريد، فقال له الشيخ: أعطه لمن يستحق ولمن لا يستحق، قال: ورأى فقيراً مكسور القلب، فقال له: ما شأنك؟ قال: مررت اليوم بالشط وسألت ملاحاً أن يحملني إلى الجانب الآخر فأبى وانكسر قلبي لفقري، فلم يتم كلام الفقير حتى دخل رجل معه صرة فيها ثلاثون ديناراً نذراً للشيخ، فقال الشيخ لذلك الفقير: خذ هذه الصرة واذهب بها إلى

الملاح وأعطها له، وقل له لاترد فقيراً أبداً، وخلع الشيخ قميصه وأعطاه للفقير فاشترى منه بعشرين ديناراً.

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن بدران بن علي البغدادي، قال: أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد القادر عثمان التميمي البرداني. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد اللطيف بن أحمد القرشي، قال: كان شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يوماً يتكلم، فتداخل الناس فترة فنظر إلى السماء وقال: [من الكامل]

لا تسقني وحدي فما عودتني ... أني أشح بها على جلاسي
أنت الكريم وهل يليق تكرماً ... أن يعبر الندماء دور الكاسي

قال: فاضطرب الناس اضطراباً شديداً، وتداخلهم أمر جليل، ومات في المجلس واحد أو قال: اثنان، الشك من التميمي.

أخبرنا أبو غالب فضل الله بن أحمد بيان بن مرتضى بن شكر الله الهاشم البغدادي الكرخي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن سليمان الخباز، قال: سمعت الشيخ أبا القاسم عمر البزار يقول: كانت الأوقات التي جالسنا فيها الشيخ عبد القادر رضي الله عنه كأنها المنام، فلما استيقظنا فقدناها، كانت أخلاقه رضية وأوصافه زكية ونفسه أبية وكفه سخية، وكان يأمر كل ليلة بمد السماط ويأكل مع الأضياف، ويجالس الضعفاء، ويعود المرضى، ويصبر على طلبة العلم، لا يظن جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، ويتفقد من غاب من أصحابه ويسأل عن شؤونهم ويحفظ ودهم ويعفو عن سيئاتهم، ويصدق من حلف له، ويخفي علمه فيه، وما رأيت أشد حياء منه. قال: وكان الشيخ عمر إذا ذكر الشيخ عبد القادر رضي الله ينشد: [من البسيط]

الحمد لله أني في جوار فتى ... حامي الحقيقة نفاع وضرار
لا يرفع الطرف إلا عند مكرمة ... من الحياء ولا يغضي على عار

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي عمران موسى بن أحمد بن الحسين المخزومي الخالدي الشافعي، قال: سئل الشيخ أبو الحسن على القرشي رضي الله عنه، وأنا حاضر عنده بجبل قاسيون عن صفات الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، فقال: كان ظاهر الوضاءة دائم البشر كثير البهاء، شديد الحياء رحب الجناب، سهل القياد، كريم الأخلاق طيب الأعراق، عطوفاً رؤفاً شفوقاً، يكرم الجليس، ويباسطه، إذا رآه مغموماً زال غمه، وما رأيت أنزه لساناً، ولا أطهر لفظاً منه.

أنبأنا أبو الحسن علي بن أزدمر المحمد، قال: كتبت عن الشيخ الإمام مفتي العراق محيي الدين، أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن احد البغدادي، التوحيدي من كلامه، بإملائه، في سنة ست وثلاثين وستمائة. قال: كان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، سريع الدمعة، شديد الخشية، كثير الهيبة، مجاب الدعوة، كريم الأخلاق، طيب الأعراق، أبعد الناس عن الفحش، أقرب الناس إلى الحق، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله عز وجل، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لغير ربه، لا يرد سائله، ولو بأحد ثوبيه، كان التوفيق رائده، والتأييد معاضده، والعلم مهذبه، والقرب مؤدبه، والمحاضرة كنزه، والمعرفة حرزه، والخطاب مشيره، واللحظ سفيره، والأنس نديمه، والبسط نسيمه، والصدق رايته، والفتح بضاعته، والحلم صناعته، والذكر وزيره، والفكر سميره، والمكاشفة غذاءه، والمشاهدة شفاءه، وآداب الشريعة ظاهره، وأوصاف الحقيقة سرائره، وأنشد: [من الكامل]

لله أنت لقد رحبت جناباً ... وشرفت أصلاً طاهراً ونصابا
وعظمت قدراً شامخاً حتى اغتدى ... قوس الغمام لأخمصيك ركابا
وبنيت بيتاً في المعالي أصبحت ... زهر الكواكب حوله أطنابا
يا ملبس الدنيا برونق مجده ... بعد المشيب نظارة وشبابا
طلبتك أبكار العلى نجم الهدى ... وهي التي قد أعيت الطلابا
لما رأتك حسانها كفؤاً لها ... خطبت إليك وردت الخطابا
وأتتك مسمحة القياد مناقب ... كانت على من أمهن صعابا
رجل يروقك منظراً وجلالة ... ومكارماً وخلائقاً وخطابا
ويرى عليه من المحاسن ملبساً ... ومن المهابة والعلى جلبابا

ذكر علمه وتسمية بعض شيوخه رضي الله عنه

اعلم أمدك الله برفده وجعلك من جنده، أن يد القدرة استخرجت من البحر النبوي درة يتيمة عقدها، وفريدة مجدها، ونسيجة وحدها، ووحيدة فردها، واستخلصها مالكها لنفسه، وطهرها بجوار قدسه، ونورها ببهجة أنسه، وصفاها بحبه، واصطفاها لقربه، واصطنعها لحضرته، وجذبها لرحمته، وناداها بفضله، وباداها بوصله، وأودعها من علمه وسره معادن، وألبسها من نوره، وخيره محاسن، فبرزت طلائعها في مواكب المعالي والمفاخر، وأسفرت عن صبح طلعة الشيخ

محيي الدين عبد القادر، فتلقته أيدي الكرامة والتوفيق خلفه وأمامه، ولم يزل مربي في حجر الكرم، مغذى بلبان النعم، محفوفاً بالرعاية، محفوظاً بالحماية، ملحوظاً بالعناية. وقدم رضي الله عنه، إلى بغداد في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، فيا له من قادم، تواترت بقدومه مقدمات السعادة لأرض نزل بلادها، وترادفت عليها سحائب الرحمة، فعمّت طارفها، وتلادها، وتضاعفت بها بروق الهدى، فأضاءت أبدالها وأوتادها، وتتابعت إليها وفود التهاني، فأصبحت كل أحيانها أعيادها، واتضحت بمعاهدها معالم الطريق، فضلت طلابها وأفرادها، فنازلته المعالي، وفي جيد منازلها من مجده مقلائد، وساكنته الفضائل، وفي تاج رأس مراتبها من علاه فرائد، فقلب العراق بورود صدره بالبشر متواجد، ولسان ثغره بإقبال وجهه، ينطق لله بالمجاهد: [من الطويل]

بمقدمه أنهل السحاب وأعشب العر اقُ وزال الغي واتضح الرشـد
فعيدانـه رنـد وصحراؤه حمـى وحصـباؤه در وأمواهـه شـهد
يميس بـه صـدر العراق صبابة وفي القلب نجد من محاسنه وجد
وفي الشرق برق من محاسن نوره وفي الغرب من ذكرى جلالته رعد

ولما علم أن طلب العلم فريضة وشفاء الأنفس المريضة، إذ هو أوضح مناهج التقوى وأبلغها حجة، وأظهرها دليلاً، وأرفع معارج اليقين، وأعلى مدارج المتقين، وأعظم مناصب الدين، وأفخر مراتب المهتدين، وهو المرقاة إلى مقامات القرب والمعرفة، والوسيلة إلى المتولي بالحضرة المشرفة، شمَّر عن ساق الاجتهاد في تحصيله، وسارع في طلب فروعه وأصوله، وقصد الأشياخ الأئمة أعلام الهدى علماء الأمة، فاشتغل بالقرآن العظيم حتى أتقنه، وعمَّ بدرايته سره وعلنه، وتفقه بأبي الوفاءعلي بن عقيل، وأبي الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوداني، وأبي الحسن محمد بن القاضي بن يعلى بن الحسين، بن محمد الفراء، وأبي سعد المبارك بن علي المخزومي رضي الله عنهم، مذهباً وخلافاً وفروعاً وأصولاً، وسمع الحديث عن جماعة، منهم: أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن الباقلاني، وأبو سعد محمد بن عبد الكريم بن خنيش، وأبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون الرسي، وأبو بكر أحمد بن المظفر بن سوس التمَّار، وأبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين القاري، السراج، وأبو القاسم علي بن أحمد بن بيان الكرخي، وأبو عثمان إسماعيل بن محمد بن أحمد بن جعفر بن ملة الأصبهاني، وأبو طالب عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف، وابن عمه

أبو طاهر عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن يوسف، وأبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى السقطي، وأبو العز محمد بن المختار الهاشمي، وأبو نصر محمد، وأبو غالب أحمد، وأبو عبد الله يحيى أبناء الإمام أبي علي الحسن بن البنا، وأبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي، المعروف بابن الطيوري، وأبو منصور عبد الرحمن بن أبي غالب محمد ابن عبد الواحد بن الحسن القزاز، وأبو البركات طلحة بن أحمد العاقولي، وغيرهم رضي الله عنهم.

وقرأ الأدب على أبي زكرياء يحيى بن علي التبريزي رحمه الله تعالى. وصحب الشيخ العارف قدوة المحققين أبا الخير حماد بن مسلم الدباس. وأخذ عنه علم الطريقة، وتأدب به، وأخذ الخرقة الشريفة من يد القاضي أبي سعد المبارك المخزومي، ولقي جماعة من أعيان زهاد الزمان، وعظماء العارفين بالعجم والعراق، أكرم بهم مجداً وسؤدداً، وعزاً وفخراً، ومؤيداً، فهم حماة الملة ودواها، وأنصار الشريعة وأعضادها، وأعلام الإسلام وأركانه، وسيوف الحق وسنانه. فقام رضي الله عنه، في أخذ العلوم الشرعية عنهم دائباً، وفي تلقي الفنون الدينية منهم واصباً، حتى فاق أهل زمانه، وتميز من بين أقرانه، ثم إن الله تعالى أظهره للخلق، وأوقع له القبول العظيم عند الخاص والعام، والهيبة الوافرة عند العلماء، وأظهره لله عز وجل الحكم من قلبه على لسانه، وظهرت علامات قدرته من الله تعالى، وأمارات ولايته، وشواهد تخصيصه، مع قدم راسخ في المجاهدة، وتجرد خالص من دواعي الهوى، ومقاطعة دائمة لجميع الخلائق، وصبر جميل في طلب مولاه سبحانه على مر الشدائد، والبلوى، ورفض كلي لكل الأشغال، ثم أضيف إلى مدرسة أستاذه أبي سعد المخزومي، وما حولها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها، وبذل الأغنياء في عمارتها أموالهم، وعمل الفقراء فيها بأنفسهم، فتكملت المدرسة المنسوبة إليه الآن، وكان الفراغ منها في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وتصدر بها للتدريس والفتوى، وجلس بها للوعظ، وقصدت بالزيارات والنذور، واجتمع عنده بها من العلماء والفقهاء والصلحاء جماعة كثيرة ينتفعون بكلامه وصحبته، وقصد إليه طلبة العلم من الآفاق فحملوا عنه وسمعوا منه، وانتهت إليه تربية المريدين بالعراق، وأتى مقاليد الحقائق، وسلمت إليه أزمة العارفين والمعارف، فأصبح قطب الوقت حكماً وعلماً، وقام بالنظر والفتوى نقضاً وبرماً، وبرهن على العلم فرعاً وأصلاً، وبين الحكم نقلاً وعقلاً، وانتصر للحق قولاً وفعلاً،

وصنف كتباً مفيدة، وأملى فوائد فريدة، فحدثت بذكره الرفاق، وانتشرت أخباره في الآفاق، والتَوتْ نحوه الأعناق، وتنزهت في حدائق محاسنه الأعين، واختلفت ببدائع أوصافه الألسن، فمن واصف له بذي البيانين واللسانين، ومن ناعت له بكريم الجدين والطرفين، ومن ملقب له بصاحب البرهانين والسلطانين، ومن داع له بإمام الفريقين والطريقين، ومن مسمٍ له بذي السراجين والمنهاجين، فأضحى الزمان مشرقة به مناكبه، والدين مشرفة به مناصبه، والعلم عالية به مراتبه، والشرع منصورة به كتائبه، ولذلك انتمى إليه جمع عظيم من العلماء، وتلمذ له خلق كثير من الفقهاء، من انتمى إليه من العلماء وأخذ عنه شيئاً من العلوم الشرعية، وسمع منه شيئاً السنة النبوية فيما بلغني الشيخ الإمام القدوة أبو عمرو عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلامة القرشي نزيل مصر، جمال المشايخ زين العلماء.

أخبرني أبو سعد عبد الغالب بن أحمد بن علي الهاشمي، قال: أخبرنا الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد، قال: أخبرنا أبي أبو صالح نصر، قال: سمعت أبي عبد الرزاق يقول: لما حجَّ والدي في السنة التي كنت فيها معه، اجتمع به في عرفات الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق، والشيخ أبو مدين، ولبسا منه خرقة بركة، وسمعا عليه جزءً من مروياته، وجلسا بين يديه، وبهذا الإسناد، إلى أبي صالح. قال: قال لي الشيخ أبو الخير سعد، ابن الشيخ أبي عمرو عثمان بن مرزوق: كان أبي رحمه الله تعالى يقول: قال شيخنا الشيخ عبد القادر كذا وكذا، ورأيت سيدنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يفعل كذا، وكذا، وسمعت أستاذنا الشيخ أبا محمد عبد القادر يقول كذا، كان إمامنا وقدوتنا الشيخ عبد القادر يفعل كذا، والقاضي أبو يعلي محمد أبو محمد بن الفراء، جمال الإسلام فخر الفقهاء، أخبرني أبو محمد سعد الله بن علي بن أحمد الربعي الفارقي. قال: أخبرنا أبو منصور عبد الله بن الوليد الحافظ، قال: أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر الحافظ، قال: سمعت القاضي أبو يعلى محمد بن الفراء يقول: جالست الشيخ محيي الدين عبد القادر كثيراً، وقلت بإرادته، والشيخ الفقيه أبو الفتح نصر بن فتيان بن مطهر بن المثنى علم الزهَّاد وأوحد الفقهاء، أخبرني الشيخ أبو بكر بن الشيخ أبي محمد عبد الحق بن مكي بن صالح القرشي المصري. قال: أخبرني أبي قال: سمعت الشيخ الوجيه داود بن صالح المقري الضرير، يقول: كنت ببغداد أتردد إلى الشيخ الإمام الزاهد أبي الفتح بن المثنى، وسمعته يقول: وقد ذكر الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، شيخنا وشيخ

الإسلام، وبركتنا وقدرتنا وانتفعنا به، والشيخ الإمام أبو محمد محمود بن عثمان النعال زين الفقهاء والمحدثين والزهاد، والإمام أبو حفص عمر بن أبي نصر بن علي الغزال حافظ، وقته ووحيد عصره، والشيخ أبو محمد الحسن الفارسي زين العلماء والزهاد.

أخبرني أبو غالب محمد بن الحسن بن علي اللخمي البغدادي. قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو سليمان داود بن الشيخ أبي الفتح سليمان ابن الشيخ أبي عبد الله عبد الوهاب عن أبيه. قال: سمعت أبي عبد الوهاب يقول: سمعت الشيخ محمود النعال والشيخ عمر الغزال، والشيخ أبا الحسن الفارسي، والشيخ عبد الكريم الفارسي، والشيخ أبو الفضل أحمد بن صالح بن شافع الجيلي الحافظ، من مريدي والدي، وأخذوا عنه، وسمعوا منه، وذكروا كراماته، والشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب أوحد النحويين واللغويين.

أخبرنا أبو غالب أحمد بن أبي جعفر بن أبي الرضا محمد بن أحمد المعروف جده بالمفيد. قال: أخبرنا أبي عن أبيه قال: كان أبو محمد بن الخشاب النحوي ينتسب إلى الشيخ محي الدين عبد القادر ويروي عنه، والحافظ أبو العز عبد المغيث بن زهر بن الزراد بن علوي الحريمي، حافظ العراق في وقته.

أخبرني أبو الزارد، قال: أخبرنا الفقيه الفاضل محيي الدين يوسف ابن الإمام أبي الفرج بن الجوزي. قال: أخبرنا أبو هريرة محمد بن الليث الديناري الضرير، قال: كان الحافظ أبو العز عبد المغيث ينتمي إلى الشيخ عبد القادر ويلهج بذكره، والإمام الأوحد أبو عمرو عثمان بن إسماعيل بن إبراهيم السعدي الملقب بشافعي زمانه.

أخبرنا الشيخ الأصيل أبو عبد الله محمد، قال: أخبرنا أبو عمرو عثمان، قال: أخبرنا أبي أبو الحريم مكي قال: أخذ والدي رحمه الله تعالى الخرقة للشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وتلمذ له وكان داعية له، والشيخ خليل أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت المعروف بابن الكيزاني، جمال القراء والزهاد، والشيخ الفقيه أبو محمد رسلان بن عبد الله بن شعبان شيخ الفقهاء والقراء والزهاد.

أخبرني أبو طالب عبد العزيز بن سالم بن خلف المصري المقري. قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله التمار، المحدث، عرف بالحكمة. قال: أخبرنا الشيخان، الشيخ أبو الفضل عمر بن عبد العزيز هبة

الله العسقلاني العدل، والشيخ أبو منصور ظافر بن طرخان بن جواب الغساني بمصر. قالا: أخذ الشيخ أبو عبد الله بن الكيزاني، والفقيه رسلان رحمهما الله تعالى خرقة التصوف للشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ورويا كراماته، وكانا إذا ألبسا أحداً يقولان له: شيخنا وشيخك الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، والشيخ القدوة أبو السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي العطار سراج الأولياء، صحبه وتخرج به، وسمع منه، وذلك أشهر من أن يبين، والشيخ القدوة أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي، قائد الأواني الشهيد، جمال العلماء والمشايخ، فخر المتكلمين، وشهرة انتسابه إليه تغني عن البرهنة عليه، وفي ترجمته تذكر قصته إن شاء الله تعالى، والشيخ أبو عبد الله بن سنان المعروف بالرديني، شيخ الفقهاء والزهاد.

أخبرني الفقيه أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن علي القرشي المصري المؤدب. قال: أخبرنا الشيخ أبو الربيع سليمان بن أحمد بن علي السعدي المعروف بابن المغربل. قال: كان شيخنا الشيخ الرديني ينتمي إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ويعظم أمره، وينشد إذا ذكرت مناقبه:

حسنك لا تنقضي عجائبه   كالبحر حدث عنه ولا حرج

والشيخ الجليل أبو علي الحسن بن عبد الله بن رافع الأنصاري الدمياطي المعروف بالقصار، مفتي الثغر سيد المدرسين والأولياء.

أخبرني أبو محمد طلحة بن وزين بن عبد الرحيم الجزري المصري. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ أبي محمد عبد الكريم بن محمد المقري، المعروف بابن الياسميني. قال: كان أبو علي القصار ينتسب إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر، يدعو إلى الانتساب إليه، وسمعته غير مرة يقول: الحمد لله على الإيمان والإسلام والكتاب والسنة، وأنه كنا من محبي الشيخ محيي الدين عبدد القادر، والشيخ محمد أبو طلحة بن مظفر بن غانم العلثي، شيخ الفقهاء والمحدثين والزهاد، ركن الإسلام.

أخبرني أبو علي الحسين بن سليمان التميمي الحريمي، قال: أخبرنا أبو محمد يوسف بن الحسن العلثي المقري، كان الشيخ طلحة العلثي، تلميذاً للشيخ عبد القادر، ويميزه على غيره من المشايخ في عصره، والشيخ أبو الخليل أحمد بن أسعد بن وهب بن علي البغدادي الهروي، جمال الفراء، انتسب إليه، وأخذ عنه العلم.

أخبرني الفقيه أبو الفضل أحمد بن يوسف بن محمد الأزجي، قال: أخبرنا

عمي الشيخ أبو الغنائم رزق الله بن محمد بن أحمد بن علي. قال: سمعت الإمام المنصور عبد السلام ابن الإمام أبي عبد الله بن عبد الوهاب، يقول: قال لي الشيخ الجليل أحمد بن أسعد أنه مما من الله عز وجل عليٍّ به صحبني لجدك رضي الله عنه، وأخذي منه الخرقة، والعلم، ومحبتي له، والشيخ الفاضل أبو البقاء محمد الأزهري الصريفيني، تاج العلماء، والشيخ الجليل أبو أحمد يحيى بن بركة، بن محفوظ الديباقي، البابصري جمال العراق، انتميا إليه وتحملا عنه العلم، وسمعا منه فيما أخبرني به الفقيه أبو نصر غانم بن غنائم بن فتح بن يوسف الهاشمي الكرخي. قال: أخبرنا الشريف أبو القاسم هبة الله بن المنصوري الخطيب، فذكر ذلك، والشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن وهب الأزجي رئيس الأصحاب، صحبه واشتغل عليه وسمع منه، فيما أخبرني به أبو المحسن يوسف ابن شعبان بن مضر بن علي الهلالي المارديني. قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر، فذكر ذلك، وقاضي القضاة أبو الحسن علي، وأخوه القاضي الأجل أبو محمد الحسن أبناء القاضي أبي الحسن علي بن قاضي القضاة أبي عبد الله محمد ابن علي بن الدامغاني تاج الأئمة، سراج الأحكام والعلماء.

أخبرنا أبو أحمد عبد الملك بن فتيان بن عيسى القرشي الأزجي. قال: أخبرنا أبوالحسن لي بن النفيس بن نور الدين بن بوردمر، الماموتي، قال: كان القاضيان؛ أبو الحسن علي، وأخوه أبو محمد الحسن، أولاد الدامغاني، خلفاً عن سلف، يذكرون نسبتهم إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ويذكرون صحبتهم له، وقاضي القضاة أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماريني الشافعي، جلال القضاة، جمال الإسلام، وأخوه الإمام أبو عمرو عثمان شرف الإسلام فخر العلماء، وولده القاضي الأجل أبو طالب عبد الرحمن مفتي العراق قدوة العلماء.

أخبرنا أبو طالب عبد العزيز بن سالم المصري المقري، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم التمار المحدث، قال: أخبرنا الشيخ أبو الفضل أحمد بن عبد العزيز العسقلاني العدل بمصر، قال: كان القاضي أبو القاسم بن درباس، وولده ينتميان إليه يعني إلى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وكتبا من كراماته، والشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن مربيل بن نصر المخزومي الضرير، تاج القراء والفقهاء والزهاد، صدر المدرسين، وولده الشيخ أبو محمد عبد الله شيخ العدول، والفقهاء، والشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام رسلان بن

عبد الله الفقيه، الشافعي، زين القراء والصلحاء، وولده الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن الفقيه المقري الزاهد، كلهم انتموا إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وأخذوا له الخرقة خلفاً عن سلف، فيما أخبرني به الشيخ الصالح أبو محمد إسماعيل بن علي بن يوسف بن شبيب الخزرجي، المصري المؤدب. قال: أخبرنا الفقيه المقري أبو المهند صارم بن خلف بن علي الأنصاري، قال: سمعت الشيخ أبا الثناء أحمد بن ميسرة، بن أحمد المصري، فذكر ذلك، والشيخ الحبر أبو بكر عبد الله بن نصر بن حمزة التميمي البكري، الصنديقي البغدادي، مفتي العراق، قدوة السالكين، أخذ منه الخرقة، والعلم، وصحبه وتخرج به وسمع منه، قرأت ذلك في كتابه المسمى بأنوار الناظر في معرفة أخبار الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، والشيخ أبو محمد عبد الجبار بن أبي الفضل بن الفرج بن حمزة الأزجي الثقفي الحصري الشهيد، جمال القراء والفقهاء، أخذ عنه العلم، وسمع منه، وانتسب إليه، فيما أخبرني به أبو الفضل منصور بن أحمد الدوري. قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن سمدويه الصريفيني، فذكر مثل ذلك، والفاضل الفقيه أبو الحسن علي بن أبي طاهر، ابن أبي طاهر بن إبراهيم بن نجا الأنصاري الواعظ المفسر، فخر الفقهاء، حكى عنه الحافظ أبو طاهر السلفي في معجم شيوخ بغداد، وهو سبط الإمام أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي، أخذ منه الخرقة، وقرأ عليه الفقه، وسمع عنه، وقد قدمنا قصة لبسه منه، والشيخ الإمام أبو عبد الله عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، المدعو بأمير المؤمنين في الحديث، جمال الحفّاظ، سيد العلماء، أوحد المشايخ، سلطان الزهاد، والشيخ الإمام أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي، أوحد العلماء وجمال الفقهاء علم الزهاد، والشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي سيد الفقهاء والقراء، والمحدثين والزهاد، والشيخ الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، أوحد الأئمة، سراج العلماء والقراء، والمحدثين والفرضيين والأولياء.

أخبرني قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي رحمه الله تعالى، قال: سمعت شيخنا العالم الرباني موفق الدين بن قدامة، يقول: لبست أنا والحافظ عبد الغني الخرقة من يد شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، في وقت واحد، واشتغلنا عليه بالفقه، وسمعنا منه وانتفعنا بصحبته، ولم

ندرك من حياته إلا خمسين ليلة. قال قاضي القضاة: ولا أعلم أن والدي والشيخ أبا عمرو ينسبان إلا إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، والقاضي الأجل أبو الفتح محمد بن القاضي الأجل أبي العباس أحمد بن بختيار بن علي الواسطي، المعروف بابن المنداي، بقية السلف شيخ القضاة، جمال العلماء، سيد الزهاد.

أخبرني أبو الجعد نصر بن مفتاح بن صخر بن مسدد العلوي الكرخي. قال: أخبرنا أبو طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد بن عبد السميع الهاشمي الواسطي العدل. قال: سمعت القاضي أبا الفتح بن المنداي، يقول: الشيخ محيي الدين عبد القادر سيدنا وشيخنا، وشيخ من أخذ نفسه هذا الأمر في عصرنا هذا، وكان يروى عنه والشيخ الجليل أبو محمد عبد الله بن الحسين بن أبي الفضل الجبائي، شيخ المسندين والفقهاء، صحبه وتلمذ له وسمع منه، وقرأ عليه الفقه. فيما أخبرني به الفقيه أبو الفرج عبد الصمد بن أحمد علي القطفني البزار. قال: أخبرنا الشيخ أبو الفتح نصر بن رضوان بن ثروان الداراني، المقري، فذكر ذلك، والشيخ الفقيه أبو القاسم خلف بن عياش بن عبد العزيز المصري، فخر الفقهاء والقراء والمحدثين، بقية السلف أخذ منه الخرقة وتحمل عنه، وقد قدمنا قصة لبسه منه، والشيخ الإمام نجم الدين أبو الفرج عبد المنعم بن علي بن نصير بن الصقيل الحراني، أوحد العلماء، زين الفضلاء والمتكلمين، انتسب إليه، وقال بمشيخته. فيما أخبرني به ولده شيخنا نجيب الدين أبو الفتوح عبد اللطيف رحمه الله تعالى، فذكر ذلك، والشيخ القدوة أبو الحسن علي بن إبراهيم بن الحداد اليمنيي، أستاذ مشايخ اليمن، فخر الفقهاء والمحدثين، والشيخ الجليل أبو محمد عبد الله الأسدي، بقية السلف، سراج اليمن، شيخ الفقهاء والمحدثين.

أخبرني الفقيه أبو اليمن بركات ابن الشيخ العارف أبي محمد عطيف بن زياد المقري اليمني.

قال: سمعت أبي يقول: قال لي الشيخ عبد الله الأسدي أنه لما اشتهر أمر سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، باليمن، أخذت له الخرقة من الشيخ علي بن الحداد، وكان هو قد أخذها من يده، وتخرج به، ودعا أهل اليمن إلى الانتماء إليه، ثم جاء الخبر إلى اليمن أن الشيخ محيي الدين عبد القادر حاجٌّ في تلك السنة، فحججت لأراه، فوافيته بعرفات، فأخذت منه الخرقة، وسمعت عليه شيئاً من الحديث النبوي، وتعرفت به ذلك اليوم رضي الله عنه،

والشيخ أبو حفص عمر بن أحمد اليمني الملقب بالبحر، جلال العلماء والصلحاء، والشيخ أبو محمد مدافع بن أحمد جمال الفقهاء والزهاد، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن بشارة بن يعقوب المدني، الفقيه المقري المحدث، بقية السلف كلهم، أخذوا له الخرقة وانتسبوا إليه فيما أخبرني به الفقيه أبو علي الحسن بن عرفة بن الحسين الزبيدي. قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو محمد عبد الله بن المبارك الكرماني، قال: سمعت الفقيه الصالح أبا عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف، فذكر ذلك، والشيخ القدوة أبو القاسم عمر بن مسعود ابن أبي العز البغدادي، المعروف بالبزار، قدوة الأولياء، عمدة الفقهاء، تفقه عليه وتخرج به.

أخبرني الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله المقدسي رحمه الله تعالى أنه رأى فتاوى الشيخ عمر البزار ببغداد، واشتهار نسبته إليه مغنٍ عن البرهنة عليه، والشيخ الصالح أبو عبد الله الشاه مير بن محمد بن نعمان الجيلاني، الفقيه الزاهد، تفقه عليه وأخذ عنه، وانتسب إليه. فيما أخبرني به أبو موسى عيسى بن يحيى بن إسحاق القرشي ابن قائد الأواني. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله ابن محمد الحسن البادراني، قاضي القضاة، فذكر ذلك رحمه الله، والشيخ القدوة أبو عبد الله محمد البطايحي، نزيل بعلبك، جمال المشايخ، قدوة الأولياء فخر الفقهاء، أخذ منه الخرقة والعلم، وألبس مشايخ الشام له، وهو شيخ أسد الشام سلطان العارفين، أبي محمد عبد الله بن عثمان البونيني، وشيخ الشيخ الإمام أبي محمد إبراهيم بن محمود البعلبكي، المعروف بالبطايحي، شيخ القراء، جمال الفقهاء والمحدثين، وشهرة انتسابه إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، أشهر من أن تبين، والشيخ الإمام أبو الحرم مكي، ابن الإمام أبي عمرو عثمان ابن إسماعيل بن إبراهيم السعدي، جمال العلماء والمحدثين والزهاد، وولده الشيخ موفق الدين أبو القاسم عبد الرحمن سيد العلماء والأولياء، صاحب التصانيف المشهورة نظماً ونثراً، وأبو البقاء صالح بهاء الدين نور الإسلام زين العلماء.

أخبرني الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن منظور الكتاني، أن الشيخ أبا الحرم وولده الموفق، كانا إذا أخذا على أحد العهد بالتصوف يقولان: وقدوتنا وقدوتك الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه. قلت: وشاهدت خطهما في موضعين بنسبتهما في الخرقة والصحبة إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، والشيخ الإمام الأوحد أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد اللّ العكبري

البصري الضرير، سيد الفقهاء والنحاة، والفرضيين واللغويين، والأصوليين، كان رحمه الله تعالى إماماً في علوم شتى، وصنَّف تصانيف مفيدة.

أخبرني الفقيه أبو الفضل منصور بن أحمد الدوري قال: أخبرنا شيخنا الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن سمدويه الصريفيني، وأخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر، قال: أخبرنا زين الدين عبد الله البغدادي، المعروف بابن المعالج، قالا: سمعنا شيخنا الشيخ أبا البقاء الكعبري، رحمه الله تعالى يقول: مررت يوما بمجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وما كنت اجتمعت به، ولا سمعت كلامه، فقلت في نفسي: أحضر هذا المجلس وأسمع كلام هذا العجمي، ودخلت المدرسة فوافيته يتكلم، فقطع كلامه، وقال: أعمى العين والقلب، ما تصنع بكلام هذا العجمي، فلم أتمالك أن صعدت إليه فوق الكرسي، وكشفت رأسي، وسألته أن يلبسني الخرقة، ففعل، وقال لي: يا عبد الله لولا أن الله تعالى، أطلعني على عاقبة أمرك، لهلكت، والشيخ الجليل أبو محمد عبد الرحمن ابن الإمام أبي حفص عمر بن الغزال الواعظ، زين الفقراء والمحدثين، والشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام أبي محمد محمود النعال، جمال الفقهاء والمحدثين، والشيخ أبو القاسم بن أبي بكر أحمد بن أبي السعادات، أحمد بن كرم بن غالب زين الإسلام، فخر المحدثين، وأخوه الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي بكر أحمد، عمدة الحفاظ، والشيخ أبو بكر عتيق، ويعرف بمعتوق ابن أبي الفضل، رئيس الأصحاب والفقهاء البنديجيون الأزجيون كلهم، انتسبوا إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وسمعوا منه، فيما أخبرني به أبو الخير سعد الله بن أبي غالب، أحمد بن علي الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن التوحيدي، قال: أخبرنا الحافظ أبو العباس، أحمد بن أبي بكر المتديلجي، فذكر ذلك، والإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن أبي نصر محمود بن المبارك الجنابذي، المعروف بابن الأخضر، تاج الحافظ، حدث نحواً من ستين سنة، وصنف تصانيف مفيدة، وكان له حلقة بجامع القصر، وكان حافظ العراق في وقته.

أخبرني الفقيه أبو الحسن علي بن ثابت بن قاسم المصري المؤدب، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن علي بن إبراهيم الزراد، البغدادي، ابن أخت الحافظ أبي بكر محمد، بن قدوة العارفين أبي محمد عبد الغني بن أبي بكر شجاع بن نقطة. قال: أخبرنا خالي أبو بكر، قال: سمعت الحافظ أبا محمد بن

الأخضر رحمه الله تعالى يقول: كان شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، سلطان العارفين، وسيد الزهاد، وإمام هذا الشأن في وقته مع ما شرفه الله عز وجل به من العلوم الشرعية، الدينية، والتسديد في الفتاوى، ولقد تعرفنا بركته، وانتفعنا بصحبته، والشيخ أبو عبد الله محمد ابن أبي المكارم الفضل ابن بختيار، بن أبي نصر اليعقوبي، الحافظ الواعظ الخطيب المعروف، بالحجة، لسان المتكلمين، شيخ المحدثين، انتمى إليه، وسمع منه فيما أخبرني أبو الجعد نصر ابن مفتاح بن صخر العلوي الكرخي. قال: أخبرنا الشيخ أبو جعفر محمد ابن الشيخ أبي عبد الله عمر، بن محمد بن عبد الله السهروردي، فذكر ذلك، والشيخ العارف الفاضل أبو عبد الملك ذيال بن أبي المعالي، بن راشد بن نبهان العراق، نزيل الأرض المقدسة، وجمال المشايخ والزهاد والعلماء، ولده أبو الفرج عبد الملك، قدوة الفقهاء، والمحدثين والزهاد، والشيخ الإمام أبو أحمد المعروف بالفضيلة، له التصانيف والفضل واليد العليا في العلوم الشرعية، انتسبوا إليه وحكوا عنه، ودخل إليه ذيال إلى بغداد، وشاهد شيئاً من كراماته رضي الله عنه.

أخبرني أبو القاسم محمد بن عبادة بن محمد الأنصاري، قال: سمعت الشيخ عبد الملك ابن الشيخ ذيال رحمه الله يقول: كان والدي رحمه الله تعالى الشيخ أبو أحمد المعروف بالفضيلة، يعظمان أمر الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ويقولان بالاقتداء به، ويدعوان إلى ذلك، وأنا تبع لهما، والشيخ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ أبي العلى نجم بن شرف الإسلام أبي البركات عبد الوهاب، ابن الإمام أبي الفرج عبد الواحد بن محمد بن علي الأنصاري، الخزرجي، السعدي، المعروف بابن الحنبلي، جمال الإسلام، فخر المدرسين، سيد الفقهاء، والمحدثين، لسان المتكلمين والمتقين، ووالده أبو علي مفتي الأنام، سراج الأئمة، جمال الأمة.

أخبرني الفقيه البارع أبو محمد الحسن بن أبي عمران موسى بن أحمد القرشي الخالدي، قال: سمعت شيخنا أبا الفرج الحنبلي بحلب في مجلس حفل بالعلماء يومئذ، فيه الشيخ القدوة العالم الرباني شهاب الدين أبو عبد الله عمر السهروردي، وشيخنا قاضي القضاة جمال الحكام بهاء الدين أبو الحسن يوسف ابن رافع بن تميم، وغيرهم، يقول: وقد جرى ذكر المشايخ أوصاني والدي باتباع طريق محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، واستمساك بعقد محبته، وقال: إنه على مثال ذلك، و الشيخ أبو المجد عيسى ابن الإمام موفق الدين أبي محمد عبد

الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، شيخ المحدثين والفقهاء، و الشيخ أبو موسى عبد الله بن الحافظ أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، جمال الحفاظ، والحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن عبد الرحمن المقدسي، فخر الحفاظ أوحد الزمان، شرف العلماء.

أخبرني قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي، إملاءً بسؤالي إياه ذلك، قال: قال والدي العماد وعمي الحافظ، وشيخنا الموفق وأبو عمرو، وأولادهم وعصباتهم وذرياتهم، وشيخنا ضياء الدين محمد، وضياء الدين محاسن، والقاضي نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن خلف المقدسي، صاحب التصانيف، والده الإمام شهاب الدين، وأبو الفرج عبد الرحمن ابن عبد المنعم بن يعمر بن سلطان بن سرور المقدسي، والشيخ العالم أبو محمد عبد الحميد ابن الشيخ أبي أحمد عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي، وأخوه الشيخ العالم المسند أبو عبد الله محمد، وكل من انتمى إليه متنسبون إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ومتخرجون بآدابه يعتقدون تعظيمه، ويضمرون محبته، ويتواصون باتباع وصاياه في الطريقة، فمن أدركه منهم واجتمع به فقد أخذ عنه، ومن لم يجتمع به منهم فأخذ عمن أخذ عنه خلفاً بعد سلف، والشيخ أبو الفتوح يحيى ابن الشيخ أبي السعادات سعد الله ابن الحسين بن محمد بن يحيى بن السري التكرني، جمال المحدثين انتمى إليه وسمع منه وخرج وصنف وأفاد.

أخبرني أبو محمد عبد الملك بن صالح بن أبي بكر التكرني، قال: أخبرنا عمي الشيخ الفقيه أبو الفتح محمد بن أبي بكر بن علي بن أحمد التكرني، فذكر ذلك والشيخ أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج محمد بن علي البغدادي، المعروف بابن الحصري، فخر القراء زين العلماء، أتقن القرآن العظيم بالقراءات السبع، وكتب الكثير، ولم يزل يسمع ويقيد إلى أن علت سنه، انتمى إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر وسمع منه، واشتغل عليه بالعلم، فيما أخبرني به أبو المعالي هلال ابن الفقيه الجليل أبو العلاء أمية ابن النابغة بن أسد الهلالي العدل. قال: أخبرنا والدي فذكر مثل ذلك، والشيخ أبو محمد يوسف بن المظفر بن شجاع العاقولي الأزجي الصهار، بقية المشايخ فخر الفقهاء، انتمى إليه وسمع منه، وكان ممن يتبرك به، وله كلام حسن على لسان أهل الحقيقة.

أخبرني بذلك كله أبو الحسن علي بن ثابت بن قاسم المؤدب، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن علي بن الزراد، ابن أخت الحافظ أبي بكر

محمد ابن الشيخ أبي محمد عبد الغني بن نقطة. قال: أخبرنا خالي أبو بكر، وذكر ذلك، والشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن أبي البركات المبارك، بن حمزة ابن عثمان بن حسين الأزجي، المعروف بابن الطبال، شيخ الفقهاء والمحدثين، انتمى إليه وسمع منه، وولده الفقيه المحدث الصالح أبو الرضى حمزة، وأخوه أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن حمزة، بقية السلف زين الأصحاب، انتميا إليه وحدثا عنه، وهم في بيت فقه وحديث وصلاح، فيما أخبرني به أبو موسى بن يحيى بن إسحاق المقدسي، ابن الأواني. قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن حمزة بن المبارك الأزجي، المعروف بابن الطبال، فذكر مثل ذلك كله، والشيخ الفقيه العالم أبو الفضل إسحاق بن أحمد بن غانم العلثي، ركن الإسلام، جمال المشايخ، قدوة العلماء والمحدثين، والشيخ الإمام أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن هبة الله بن عبد القادر ابن الحسين، المعروف بابن المنصور، جلال العلماء وزين الخطباء والنقباء، والفقهاء والمحدثين، والشيخ الفاضل أبو عبد الله محمد بن سمدويه الصريفيني، سراج العراق، مفتي الفرق، وولده الشيخ أبو العباس أحمد، تاج الفقهاء والمحدثين والزهاد. أخبرني قاضي القضاة شمس الدين المقدسي، قال: سمعت الشيخ إسحاق العلثي، يذكر نسبته إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وسمعت الشيخ أبا القاسم المنصوري، يقول: أتي بي وأنا ابن سنة إلى شيخنا سيدي عبد القادر رضي الله عنه، فألبسني الخرقة، وأجاز لي جمع مروياته ومصنفاته، وسمعت الشيخ كمال الدين أحمد بن سمدويه الصريفيني، يذكر انتماءه وانتماء أبيه إلى الشيخ محيي عبد القادر رضي الله عنه.

قال الشيخ الإمام شمس الدين: وكان الشيخ الفقيه الفاضل أبو مرو عثمان الياسري، والشيخ الإمام الزاهد أبو الفرج عبد الرحمن بن بقا المعروف بابن الإسكاف، والشيخ الإمام الفقيه المسند أبو عبد الله محمد بن طالب البغدادي، الواعظ والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد الواعظ الخياط، والشيخ الجليل تاج الدين بن بط البغداديين، والشيخ الفاضل العالم النبيل، ركن الدين المراتبي البغدادي الحنبلي، كلهم قارئين يعظمون شانه، ويقرون بقدره العالي وفضله الوافي، وينتسبون إليه، والشيخ العالم الفاضل إسحاق بن إبراهيم بن سعيد الداري العلثي الحنبلي، لسان الفقهاء، فخر الفصحاء والمحدثين.

أخبرني أبو زيد عبد الرحمن بن سالم القرشي، قال: سمعت الشيخ إبراهيم يقول: لبست من يد سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، على

أعواد منبره وعمري سبع سنين، والشيخ الجليل أبو طاهر ابن الشيخ القدوة أبي العباس أحمد بن علي بن خليل بن إبراهيم بن خليل الجوسقي الصرصري الخطيب، جمال المشايخ، عمدة القراء، سراج الأولياء، أخذ عنه الخرقة والعلم، وسمع منه، وتأدب به.

أخبرني أبو الحسن علي بن أبي بكر الأبهري، وأبو محمد سالم بن علي الدمياطي، قالا: سمعنا الشيخ الجليل الصرصري، ذكر مثل ذلك، وقد قمنا شيئاً من أخباره معه رضي الله عنه، والشيخ العالم الفاضل أبو بكر محمد بن عمر بن أبي بكر بن عبد الله الأزجي، المعروف بابن النحال، شيخ القراء والزهاد، أخذ منه الخرقة، وربما سمع منه.

أخبرني أبو محمد رجب بن أبي المنصوري الداري، قال: سمعت الشيخ أبا بكر محمد بن النحال، يقول: لبست من سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه الخرقة وأنا ابن سبع سنين، والشيخ الرئيس أبو محمد عبد القادر بن عثمان بن أبي البركات بن علي بن أبي رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي البرداني، بقية السلف، جمال الفقهاء والمحدثين، انتسب إليه وسمع منه،وأخذ عنه العلم والفقه، وروى كثيراً من كراماته.

أخبرني بذلك كله أبو محمد الحسن بن بدران بن علي الأزجي رحمه الله، قال: سمعت الفقيه الإمام أبا محمد عبد القادر التميمي، يقول: فذكر مثل ذلك، والشيخ النبيل أبو محمد عبد العزيز بن دلف بن أبي طالب البغدادي، العدل الناسخ، فخر المحدثين، قدوة العلماء والزهاد، قرأ على الشيخ فأكثر، وقد كتب كثيراً وحدث وانتفع به.

أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن سليمان التميمي الحزي، قال: كان الشيخ عبد العزيز الناسخ داعية إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، والشيخ الفاضل أبو محمد عبد العظيم ابن الشيخ أبي محمد عبد الكريم بن محمد المصري، المعروف بابن الياسميني، جمال القراء والفقهاء، وهو من بيت المشيخة والعلم والصلاح، انتمى هو وأبوه إلى الشيخ. أخبرني بذلك عنه أبو الفرج عبد الرحيم بن وزير بن حسن بن قاسم القرشي المصري المؤدب، فذكر ذلك كله، والشيخ الإمام الحافظ أبو منصور عبد الله بن محمد بن الوليد البغدادي، زين الحفاظ، سراج العراق، والشيخ الجليل أبو الفرج عبد المحسن، ويسمى حسيناً بن محمد بن أحمد بن الدويرة البصري، جمال القراء والفقهاء،

والزهاد والمحدثين، انتسبا إليه ودعوا الناس إلى الانتماء إليه، وكتبا مناقبه وحدثا به، فيما أخبرني به الفقيه الصالح أبو الثناء حامد بن أحمد بن محمد بن علي الثقفي الأزجي المقري، فذكر ذلك عنهما، والشيخ الإمام أبو محمد إبراهيم بن محمرد بن جوهر البعلبكي المعروف بالبطايحي، قدوة المشايخ، عمدة الفقهاء والقراء، علم الأولياء.

أخبرنا الفقيه أبو القاسم محمد بن عبادة بن محمد الأنصاري، قال: سمعت الشيخ الحبر القدوة أبا محمد إبراهيم البعلبكي يقول: وقد جرى ذكر المشايخ شيخي وقدوتي إلى الله عز وجل، عند الله تعالى بعد رسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنه، الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وانتسابه إلى الشيخ أشهر من أن يبين، والشيخ الفاضل الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسين بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال اليونيني، البعلبكي، زين الحفاظ، شيخ العلماء، أوحد الفقهاء.

أخبرنا الفقيه أبو محمد الحسين ابن الفقيه الفاضل أبي عمران موسى الخالدي، قال: كان الشيخ الفقيه تقي الدين محمد اليونيني الحافظ رحمه الله، لهاجاً بذكر الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وحاكياً عنه وداعية إليه، يفتخر بانتسابه إليه، كثير التعظيم له، ولأمره جداً، والشيخ الجليل أبو عبد الله محمد بن عبد الصمد بن أبي عبد الله بن حمائل بن خليل بن راشد الأنصاري السعدي الصوفي، نزيل مصر، زين الفقهاء والمحدثين والزهاد، انتمى إليه واعتمد في سلوك الطريق بعد الله ورسوله عليه، فيما أخبرني عنه ولده الجليل النبيل أبو عبد الله محمد، فذكر ذلك عنه، رضي الله عنهم أجمعين، وممن سمع منهم أيضاً رضي الله عنه، الشيخ أبو القاسم دلف بن أحمد بن محمد البغدادي الحريمي، المعروف بابن قوقا، والشيخ أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم هبة الله بن محمود بن الطفيل الدمشقي الصوفي الحرضي، والشيخ أبو الرضا محمد بن أحمد بن داود المؤدب، الحاسب، المعروف بالمفيد، والشيخ أبو طالب عبد الرحمن بن أبي الفرج محمد بن أبي المظفر عبد السميع بن عبد الله بن عبد السميع القرشي الهاشمي، الواسطي المقري، العدل، والشيخ أبو العباس أحمد بن مطيع الباجسراوي، والشيخ الحافظ أبو الحسن علي بن النفيس ابن أبو زيدان بن الحسام، البغدادي المأموني، تفقه عليه أيضاً، والشيخ أبو هريرة محمد بن أبي الفتوح الليث بن شجاع بن مسعود البغدادي الأزجي الديناري،

الضرير، المعروف بابن الوسطاني، والشريف أبو هاشم أكمل بن مسعود بن عمر ابن عمار الهاشمي، والشيخ القدوة أبو محمد علي بن أبي بكر بن إدريس الإدريسي الروحاني اليعقوبي، والشيخ أبو بكر محمد بن نصر بن نصار بن منصور البغدادي الأزجي المقري، والشيخ الفاضل أبو طالب عبد اللطيف ابن الشيخ أبي الفرج محمد ابن الشيخ أبي الحسن علي بن حمزة بن فارس بن محمد الحراني، ثم البغدادي، التاجر الجوهري، المعروف بابن السقطي، وهو آخر من حدث عن الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، بالسماع فيما نعلم، رضي الله عنهم أجمعين، وممن تفقه عليه وسمع منه من أولاده وذريته رضي الله عنهم، وكان حبراً فاضلاً جليلاً معظماً لأهل العلم والخير، له العقل الرضي، والتقوى والتمكين، والفضل المبين، وممن كان منهم عالماً الشيخ الإمام سيف الدين أبو عبد الله عبد الوهاب، جمال الإسلام، قدوة العلماء، فخر المتكلمين، تفقه على والده وسمع منه، ومن أبي غالب أحمد بن الحسن بن البنى، وأبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد، وأبي الحسن محمد بن أحمد بن صرمي، وأبي الفضل محمد بن عمر الأموي، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى الشحري، وغيرهم، ورحل إلى بلاد العجم في طلب العلم، ودرس بعد والده بمدرسته، وحدث ووعظ، وأفتى، وتخرج به غير واحد منهم: الشريف أبو جعفر بن أبي القاسم، لبيب بن النفيس بن أبي الكريم يحيى الحسيني البغدادي، والشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن عبد الواسع بن أمير كاه،بن شافع الجيلي، وغيرهما، توفي ببغداد ليلة الخميس الخامس والعشرين من شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، ودفن من الغد بمقبرة الحلبة، ومولده في شعبان من سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، رضي الله عنه، والشيخ الإمام الأوحد شرف الدين أبو محمد، ويكنى أيضاً بأبي عبد الرحمن عيسى، شرف الإسلام، جمال العلماء، سراج العراق ومصر، ذو اللسانين، والبيانين، لسان المتكلمين، تفقه على والده وسمع منه، ومن أبي الحسن محمد بن صرمي، وأبي الوقت عبد الأول الصخري وغيرهم، ودرس وحدث، ووعظ وأفتى، وصنف الكتاب المسمى بجواهر الأسرار، ولطائف الأنوار في علوم الصوفية، فأفصح فيه عن فصاحة، وكشف فيه عن قناع الحقائق، وقدم مصر، وحدث بها ووعظ، تتخرج به من أهلها غير واحد منهم: أبو نزار ربيعة بن الحسن بن علي بن عبد الله الحضرمي الصنعاني الشافعي الحافظ، والشيخ أبو الغنايم مسافر بن يعمر بن مسافر المصري المؤتلفي الحنبلي المؤدب،

والشيخ أبو الثناء أحمد بن ميسرة، بن أحمد بن موسى بن غنايم العدواني ثم المصري الخلال الحنبلي، والشيخ أبو الثناء حامد ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن حامد بن مفرج بن غياث الأرتاجي، المصري الفقيه المقري، وعمه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد الفقيه المحدث، والشيخ أبو المنصور ظافر ابن طرخان بن جواب الغساني الشافعي، والشيخ أبو محمد عبد الخالق بن أبي البقاء صالح بن علي بن زيدان بن أحمد بن مفرج القرشي الأموي المصري الشافعي المقري، النحوي اللغوي وغيرهم، وكان فصيحاً، لوذعياً، وتوفي بمصر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، ودفن بقرافتها، واسع العلم عزيز الفضل، كامل العقل، متواضعاً مع جلالة قدره، وعلو منزلته، وإقباله على أمر الآخرة، والإمام الجليل شمس الدين أبو محمد، ويكنى أيضاً بأبي بكر عبد العزيز، جمال العراق، فخر العلماء، تفقه على والده، وسمع منه، ومن أبي منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز، وأبي الفضل أحمد بن طاهر المهني، ومحمد بن ناصر السلامي، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى الشجري، وغيرهم، وحدث ووعظ ودرس وتخرج به غير واحد، وكان بهياً ثقة، متحرياً سخياً، وافر العقل غزير العلم متواضعاً، حسن الأخلاق، رحل إلى جبال قرية من قرى سنجار، واستوطنها رضي الله عنه، والشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الرحمن، ويكنى أيضاً بأبي الفرج عبد الجبار، سراج العلماء، مفتي العراق، تفقه على والده، وسمع منه، ومن أبي منصور عبد الرحمن القزاز، وأبي الحسن محمد بن أحمد بن الصرمي، وأبي بكر محمد بن عبد الله بن الزعفراني، وأبي الوقت الشجري، وحدث ووعظ، ودرس وانتفع به، وكان حسن السمت واسع الصدر، غزير العقل، سهل القياد إلى الحق، ومتثبتاً في روايته، محباً لأهل الفضل، له اليد البيضاء في العلم، رضي الله عنه، والشيخ الإمام الأوحد الحافظ تاج الدين أبو بكر عبد الرزاق، سراج العراق، جمال الأئمة، فخر الحفاظ، شرف الإسلام، قدوة الأولياء، تفقه على والده، وسمع منه، ومن أبي محمد الحسن بن أحمد بن صرمي، وأبي الفضل محمد بن عمر الأموي، وأحمد بن طاهر المهني، ومحمد بن ناصر السلامي، وأبي بكر محمد بن عبد الله بن الزعفراني، وأبي الكرم المبارك، بن الحسن السهروردي، وأبي الوقت عبد الأول الشجري، والشريف أبي جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي، وأبي القاسم سعيد بن أحمد بن البنا، وجماعة كثيرة، وحدث وأملى، ودرس وخرّج، وأفتى، وتخرج به غير واحد منهم:

الشيخ الإمام الجليل مهذب الدين أبو الفضل إسحاق بن أحمد بن غانم العلثي، والشيخ الفاضل العارف تقي الدين أبو عبد الله محمد بن جميل البغدادي، والشيخ الفاضل العارف الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بالمعمم، والشيخ الفاضل الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بخطيب روياً، وكان من أجمل الناس خلقاً، وأسلمهم صدراً، وأوسعهم ذرعاً، وأغزرهم علماً، وأوفرهم عقلاً، وكان دائم الفكر، كثير الصمت، صحيح الزهد، مقبلاً على العلم مكرماً لأهله، متحرياً في روايته، عدلاً في أفعاله وأقواله، وحدث عنه أنه مكث ثلاثين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياء من ربه عز وجل، فما أخبرني به أبو الفرج أحمد بن محمد بن صالح الأزجي، وأبو محمد عبد الله بن إسماعيل ابن يوسف بن قاسم الحنبلي. قالا: أخبرنا الشيخ الإمام محيي الدين، أبو عبد الله محمد، وأخوه الشيخ سيف الدين أبو زكريا يحيى. قالا: أخبرنا والدنا أبو صالح نصر قاضي القضاة بمدينة السلام، فذكر ذلك، وتوفي ببغداد، في السادس من شوال سنة ثلاث وستمائة، ودفن من الغد بباب حرب، ومولده في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، رضي الله عنه، والشيخ الجليل أبو إسحاق إبراهيم، زين الفقهاء، جمال المسندين، تفقه على والده، وسمع منه، ومن الشيخ أبي القاسم سعيد بن أبي غالب أحمد بن الحسن بن البنا، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى ومن في طبقتهما، وحدَّث وكان ثقة متواضعاً، كريم الأخلاق، مكرماً لأهل العلم، ورحل إلى واسط، وتوفي بها سنة ثنتين وتسعين وخمسمائة، رضي الله عنه، والشيخ النبيل الفاضل أبو الفضل محمد ابن رئيس الأصحاب، جمال المسندين، تفقه على والده جمال المسندين، وسمع منه، ومن أبي القاسم سعيد ابن أحمد بن البنا، وأبي الوقت السحري، وغيرهم، وحدث وكان ثقة متعففاً، توفي ببغداد في الخامس والعشرين من ذي القعدة، من سنة ستمائة، ودفن في يومه بمقبرة الحلبة رضي الله عنه، والشيخ الأصيل أبو عبد الله عبد الرحمن، بقية السلف سمع من أبيه بإفادته من صغره، ومن أبي القاسم بن الحسين، وأبي غالب أحمد بن الحسن بن البنا، ويقال إنه حدَّث وتوفي ببغداد في السابع والعشرين من صفر سنة سبع وثمانين وخمسمائة، ومولده في سنة ثمان وخمسمائة، وهو أسن أولاده رضي الله عنه، والشيخ الفاضل الفقيه العالم الجليل أبو زكرياء يحيى، تفقه على والده وسمع منه، ومن أبي الفتح محمد بن عبد الباقي وغيرهما، وحدث وانتفع به، وقدم مصر، وكان فقيهاً عالماً، رضيّ الأخلاق، بهي الوجه،

مقبلاً على العلم وأهله، وتوفي ببغداد في النصف من شعبان سنة ستمائة، ودفن عند أخيه عبد الوهاب، ومولده في السادس من ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة، وهو أصغر أولاده رضي الله عنه، والشيخ الإمام ضياء الدين أبو نصر موسى، سراج الفقهاء، زين المحدثين بقية السلف، تفقه على والده، وسمع منه، ومن أبي القاسم سعيد ابن أحمد بن البنا، وأبي الفضل محمد بن ناصر الحافظ، وأبي الوقت عبد الأول عيسى السجري، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد وغيرهم، وحدث بدمشق، وعمر وانتفع به، ودخل مصر، وكان فاضلاً أديباً، ورعاً متعففاً، تفقه بالعقيبة على بقية السلف، واستوطن دمشق، وتوفي بها في ليلة مستهل جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وستمائة، ودفن بسفح جبل قاسيون، ومولده في سلخ ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، ويقال سنة سبع، وهو آخر من مات من أولاده رضي الله عنه، والشيخ الإمام العالم الفاضل عفيف الدين بن المبارك البغدادي، وسبط جمال الفقهاء، فخر المحدثين، تفقه على جده وغيره، وسمع منه، ومن أبي زرعة طاهر بن الحسين الزراد الرزاي، وأبي بكر أحمد بن المقرب بن الحسين الفقيه، الكرخي ، وأبي القاسم يحيى بن ثابت ابن بدران بن إبراهيم الدينوري، والقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد البيضاويي، وأبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجري، وغيرهم، وكان ثقة صالحاً فقيهاً فاضلاً، وافر العقل، محباً لأهل العلم، مقبلاً على ما يعنيه، موصوفاً بجودة الخط، وسرعته رضي الله عنه، والشيخ الإمام أبو منصور عبد السلام ابن الإمام سيف الدين أبي عبد الله، عبد الوهاب، جمال الفقهاء، زين العلماء والمحدثين، تفقه على جده وأبيه، وسمع من جده، ومن أبي الحسن محمد بن إسحاق بن الصابي، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي ابن أحمد وغيرهم، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه، ودرس بمدرسة جده وغيرها، وحدث وأفتى وتولى عدة ولايات، وتخرج به جماعة من أهل بغداد، وكان حسن السمت، غزير العلم كثير الحلم، رضي الأخلاق، مكرماً لأهل العلم والخير، ثقة في قوله وفعله، وتوفي ببعداد في الثالث من رجب سنة إحدى عشرة وستمائة، دفن في يومه بمقبرة الحلبة، ومولده في ليلة الثامن من ذي الحجة، سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وأخوه الشيخ الفقيه أبو الفتح سليمان بقية السلف، زين العراق، سمع من غير واحد، وحدّث، وكان له اليد البيضاء في العلم والحلم، والسخاء، والشيخ الإمام قاضي القضاة عماد الدين، أبو صالح نصر ابن الإمام الحافظ، تاج الدين أبي بكر

عبد الرازق، سراج العلماء، فخر الفضلاء، قدوة المشايخ، مفتي العراق، تفقه على والده، وغيره، وسمع من والده، ومن عمه أبي عبد الله عبد الوهاب، وسمع بإفادة أبيه من أبي هاشم عيسى بن أحمد الروشاني، وأبي شجاع سعيد بن سامي بن عبد الله الجمالي، وأبي أحمد الأسعد بن بلدرك الحبوبلي، وأبي العباس أحمد بن المبارك المرفغاني، وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي عبد الله مسلم بن ثابت بن النحاس، وأبي الفضل عبد المحسن بن بريك، والكاتبة شهدة بنت أبي نصر الأبري، وفخر النساء خديجة ابنة أحمد النهرواني، وغيرهم، وأجاز له الحافظان: أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني، وأبو طاهر أحمد بن محمد الأصفهاني، وغيرهما، وشهد عند قاضي القضاة أبي القاسم عبد الله بن الحسين الدامغاني وغيره، ودرس وحدث، وأملى، ووعظ، وأفتى، وتولى قاضي القضاة بمدينة السلام، وتخرج به في علمي الشريعة، والحقيقة غير واحد من أهل بغداد، ولقد لقيت منهم بمصر غير واحد، وكان فقيهاً، عالماً، فاضلاً عارفاً، زاهداً غزير الفضل، كامل العقل، واسع الصدر، حسن الأخلاق، مقبلاً على ما يعنيه، محباً للعلم مكرماً لأهله، متواضعاً صدوقاً، ثقة متحرياً في روايته، وشهرة فضله تغنى عن الإطناب في وصفه، وتوفي ببغداد في السادس عشر من شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، ودفن بباب حرب، ومولده في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخرة، سنة أربع وستين وخمسمائة، وأمه أم الكرم، تاج النساء، بنت فضائل بن علي التكريتي، سمعت من زوجها الحافظ أبي بكر عبد الرزاق، ومن والده، وسمعت أيضاً من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد، وحدثت، ولها حظ وافر من الخير والصلاح، وتوفيت ببغداد في الثاني عشر من شهر رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة، ودفنت بباب حرب، وإخوته الشيخ الجليل أبو القاسم عبد الرحيم بن عبد الرزاق، فخر الفضلاء، جلال الأصحاب، سمع من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد، وخديجة بنت أحمد الأبري وغيرهم، وحدّث وكان جليلاً جميلاً بهياً كيساً، متواضعاً، وتوفي ببغداد في سابع ربيع الأول سنة ست وستمائة، ودفن من يومه بباب حرب، والشيخ الفقيه أبو محمد إسماعيل زين الرؤساء فخر الفضلاء، سمع من غير واحد وتفقه وحدّث، وكان جميل السمت، كثير الصمت، رضي الأخلاق، توفي ببغداد في الثالث عشر من المحرم، سنة ستمائة، ودفن بمقبرة الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه، والشيخ الفقيه النبيل أبو المحاسن فضل الله زين المسندين، بقية السلف، تفقه على

والده، وغيره، وسمع منه ومن عمه، الإمام أبي عبد الله عبد الوهاب، وأبي الفتح عبيد الله بن محمد بن نجا بن شانيل الدباس، وأبي الفضل مسعود بن علي بن أحمد بن الحسن، أبي علي بن عبيد الله بن الناصر الصفار العدل، وبن يونس، وبن كليب، وهبة الله بن رمضان، وعبد الله بن حميد، ويوسف العاقولي، وأبي السعادات المبارك، ويدعى نصر الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز، ويعرف بابن رزيق وغيرهم، وأجاز له عبد الحق بن يوسف ومحمد بن جعفر بن عقيل، وأبو موسى الأصبهاني، وغيرهم، وحدَّث وكان حسن السمت جميل الأخلاق، لطيف الشمائل، ثقة متعففاً فاضلاً، وتوفي شهيداً بأيدي التتر ببغداد رحمه الله في صفر من سنة ست وخمسين وستمائة، ومولده سنة أربع وسبعين وخمسمائة، ببغداد، وأختاه الشيخة الصالحة، سعادة، سمعت من أبي الخير عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وأبي علي الحسن بن علي ابن الحسين الخباز، المعروف بابن شيرويه، وغيرهم، وحدثت وكانت صالحة، تقية صدوقة، توفيت ببغداد رحمهما الله في السابع عشر من جمادى الأخرى، سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وصلى عليها أخوها قاضي القضاة أبو صالح، والشيخة أم محمد عائشة، سمعت من أبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد وغيرهم، وحدثت وكانت خيرة صالحة زاهدة، توفيت ببغداد، رحمها الله في ليلة الثالث عشر من ربيع الأول، سنة ثمان وعشرين وستمائة، ودفنت من الغد بباب حرب، والشيخ الجليل النبيل أبو محمد عبد الرحمن ابن الشيخ عبد الله، جمال المشايخ، شيخ العدول والزهاد والمسندين، حدث عن جده، وعن أبوى القاسم نصر بن العكبري، وسعيد بن أحمد بن الحسن بن البنا، وأبي المظفر هبة الله بن أحمد بن الشنبكي، وكان ثقة صدوقاً جميلاً متواضعاً، وتوفي ببغداد في السادس والعشرين من المحرم سنة أربع عشرة وستمائة رحمه الله، وأخوه الشيخ الأصيل أبو محمد عبد القادر، بهاء العراق، جلال الشرف، بقية السلف، تفقه على عمه الحافظ تاج الدين، أبي بكر عبد الرزاق، وغيره، وسمع منه ومن أبي الحسن عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف، وحدث وكان ذا علم وعقل وسمت وصمت، وتوفي بقرية من سواد بغداد في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وثلاثين وستمائة، ودفن هنالك رحمه الله تعالى، والشيخ الإمام الجليل القدوة أبو محمد عبد الله ابن الشيخ أبي محمد عبد العزيز، جمال الأولياء، شرف المشايخ، سمع من غير واحد، وأظنه رحمه الله حدث، وكان من أجل أهل

زمانه قدراً، وأكثرهم كشفاً، وأغزرهم فضلاً، وأحسنهم صمتاً، كتبت من كراماته كثيراً، سوف أذكر بعضها في ترجمته إن شاء الله تعالى، وكانت الجبال تربته وداره رضي الله عنه، وأخته أم أحمد زهرة، أجاز لها أبو الحسن عبد الحق، وأبو نصر عبد الرحيم ابنا عبد الخالق ابن أحمد بن يوسف، والأسعد بن بلدرك، وغيرهم، وحدثت وكانت بقية السلف، خيرة عفيفة، لها حظ حسن من الدين والخير، وتوفيت ببغداد سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، رحمهما الله تعالى، والشيخ الأصيل أبو سليمان داود ابن الشيخ الجليل أبي الفتح سليمان بن عبد الوهاب، جمال الإسلام وتفقه وسمع وحدث، وكان بقية السلف، وشيخ المريدين، وتوفي ببغداد في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة، ودفن من الغد بمقبرة الحلبة عند أبيه وجده رحمهما الله تعالى، والشيخ الفقيه العالم محيي الدين أبو عبد الله محمد ابن قاضي القضاة أبي صالح نصر، سراج العلماء، فتى العراق، تفقه على والده وغيره، وسمع منه ومن غير واحد منهم: أبو إسحاق يوسف بن أبي حامد، بن أبي الفضل محمد بن عمر بن يوسف الأرموي، وحدث ودرس وأفتى، وكان بهي السمت جليل القدر، غزير العلم كثير الحلم، وافر العقل، ثقة متحرياً، وأمره كله جد، وحكي لي أنه كان يشبه جد أبيه شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وتوفي ببغداد سنة ست وخمسين وستمائة رحمه الله، وأخوه الشيخ الإمام سيف الدين أبو زكرياء يحيى، بهاء العراق، جمال العلماء، فخر المتكلمين، تفقه على والده وغيره، وسمع منه، ومن غير واحد رحمه الله، ومنهم أبو العباس أحمد بن أبي الفتح يوسف بن أبي الحسن بن أبي الغنائم الدقاق، حدث ووعظ، وكان فقيهاً، عالماً فاضلاً، فصيحاً لوذعياً، حسن الأخلاق متواضعاً، له كلام حسن على لسان أهل الحقيقة، وله شعر بديع، وبديهة سليمة. أنشدني الفقيه الإمام الورع عفيف الدين رحمه الله تعالى. وأخبرني أبو الحسن علي بن أزدمر البغدادي، قال: حضرت ببغداد الشيخ سيف الدين قاضي القضاة أبا صالح، فسئل عن التمكين فأنشد مرتجلاً رحمه الله تعالى:

يسقي ويشرب لا تلهيه سكرته ... عن النديم ولا يلهو عن الكاس
أطاعه سكره حتى تحكم في ... حال الصحاة وذا من أعجب الناس

ثم تلاعب فيه، بالعبارة فقال:

ويشرب ثم يسقيها الندامة ولا تلهيه كاس عن نديم
له مع سكره تأييد صالح ونشوة شارب وندى كريم

وتوفي ببغداد شهيداً بأيدي التتار، خذلهم الله تعالى، في شهر صفر سنة ست وخمسين وستمائة، والشيخ الفقيه العالم البارع محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن حامد البغدادي، المعروف بالتوحيدي، سبط الحافظ أبي بكر عبد الرزاق، جمال العراق، فخر القضاة والفقهاء، والعلماء والقراء، والمحدثين، والنحاة، زين الأولياء، تفقه على خاله قاضي القضاة أبي صالح، وتخرج وسمع منه ومن القدوة أبي محمد علي بن أبي بكر بن إدريس اليعقوبي، رحمه الله تعالى، والشيخ القدوة شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي رضي الله عنه، وأبي الفضل إسحاق بن أحمد العلثي، وأبي القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد بن المنصور الخطيب وغيرهم، وحدث ووعظ، وتخرج به غير واحد من أهل بغداد، وله كلام عالٍ، وشعر حسن، كتبنا منه، وسأذكر بعضه في ترجمته، إن شاء الله تعالى، وكان جليلاً، جميلاً، بهياً، رضياً متواضعاً، مقبلاً على العلم وأهله، لطيف الأخلاق، شريف الصفات، ثقة صدوقاً، توفي ببغداد شهيداً، بأيدي التتار خذلهم الله تعالى، في صفر سنة ست وخمسين وستمائة، ولو شرعنا نذكر كل الأعيان ممن انتمى إليه وأخذ عنه العلم، أو سمع منه ومن ذريته وغيرهم، لكثر العدد، وقل المدد، وطال الأمد، وقصر الباع، واتسع الخرق، وضاق الذرع، فلما قصرنا اختصرنا وما حصرنا، ووردنا ما أردنا بما ذكرنا، والله عز وجل ولي التوفيق والهداية، والحقيق باللطف والرعاية.

أخبرنا الفقيه أبو الحسن محمد بن أبي الفتح داود بن أحمد القرشي الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ الأصيل محيي الدين أبومحمد يوسف ابن الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. قال: قال لي الحافظ أبو العباس أحمد بن أحمد البغدادي البندلجي: حضرت أنا ووالدك رحمه الله تعالى يوماً مجلس الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، فقرأ القارىء آية فذكر الشيخ في تفسيرها وجهاً فقلت لوالدك: أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم، ثم ذكر وجهاً آخر، فقلت له، أتعلم هذا الوجه؟ قال: نعم، فذكر الشيخ فيها أحد عشر وجهاً، وأنا أقول لوالدك: أتعلم هذا الوجه؟ وهو يقول نعم، ثم ذكر الشيخ وجهاً آخر، فقلت لوالدك: أتعلم هذا الوجه؟ قال: لا، حتى ذكر فيها كمال أربعين وجهاً يعزو كل

وجه إلى قائله، ووالدك يقول: لا أعرف هذا الوجه، واشتد تعجبه من سعة علم الشيخ، ثم قال: نترك القال، ونرجع إلى الحال لا إله إلا الله محمد رسول الله، فاضطرب الناس، اضطراباً شديداً، ومزق والدك ثيابه.

أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن الخضر الحسيني الموصلي، قال: سمعت أبي يقول: كان سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يتكلم في ثلاثة عشر علماً، وكان يذكر في مدرسته درساً من التفسير، ودرساً من الحديث، ودرساً من المذهب، ودرساً من الخلاف، وكان يقرأ عليه طرفي النهار التفسير وعلوم الحديث، والمذهب والخلاف، والأصول، والنحو، كان يُقرئ القرآن بالقراءات بعد الظهر.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن علي بن محمد الهاشمي البغدادي. قال: سمعت الأشياخ الثلاثة: الشيخ محيي الدين محمد، والشيخ سيف الدين يحيى، ابني قاضي القضاة أبي صالح، والشيخ أبا الحسن علياً الخباز. قال محيي الدين وسيف الدين: أخبرنا والدنا، قال: أخبرني والدي عبد الرزاق، وعمي عبد الوهاب، وقال أبو الحسن: أخبرنا أبو القاسم عمر البزار، قالوا: كانت الفتاوى تأتي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، من بلاد العراق، وغيريه، وما رأيناه يبيت عنده فتوى ليطالع عليها، أو يفكر فيها، بل يكتب عليها عقيب قراءتها، وكان يفتي على مذهبي الشافعي، وأحمد، وكانت فتاواه تعرض على علماء العراق، فما كان يعجبهم صوابه فيها أشد من تعجبهم من سرعة جوابه عنها، وكان من اشتغل عليه في فن من الفنون افتقر إليه، وساد أقرانه فيه.

أخبرنا الفقيه البارع أبو محمد الحسن ابن الفقيه الجليل أبي عمران موسى ابن أحمد الخالدي. قال: سمعت شيخنا الإمام أبا الفرج عبد الرحمن ابن الإمام أبي العلي نجم الدين بن الحنبلي. قال: سمعت والدي رحمه الله تعالى يقول: كان الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، ممن سلَّم إليه علم الفتاوى بالعراق في وقته.

أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي رحمه الله تعالى. قال: سمعت شيخنا الإمام موفق الدين بن قدامة رضي الله عنه، يقول: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمسمائة فإذا الشيخ الإمام محيي الدين رضي الله عنه، ممن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً، وحالاً وإفتاءاً، وكان يكفي طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلم والصبر على

المشتغلين وسعة الصدر، وكان مِلْءَ العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة، وأحوالاً عزيزة، وما رأيت بعده مثله، وكل الصيد في جوف الفرا.

أخبرنا الفقيه العالم الناسك عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد ابن مزروع المصري البصري. قال: أخبرنا الشيخ سيف الدين أبو زكرياء يحيى بن قاضي القضاة أبي صالح نصر. قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه عبد الرزاق، قال: جاء فتوى من العجم إلى بغداد بعد أن عرضت على علماء العراقيين؛ عراق العجم، وعراق العرب، فلم يتضح لأحد منهم فيها جواب شافٍ. وصورتها ما تقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بدّ له أنْ يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس، في وقت تلبسه بها فما يفعل من العبادات. قال: فأتى بها إلى والدي، فكتب عليها على الفور: يأتي مكة ويخلي له المطاف، ويطوف إسبوعاً وحده، وتنحل يمينه، قال: فما بات المستفتي ببغداد.

أخبرنا الشريف أبو العباس أحمد ابن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي الغنايم، محمد الأزهري الحسيني. قال: سمعت والدي، والشيخ الصالح بقية السلف أبا الثناء محمود الجيلاني. قال: سمعت الشيخ القدوة أبا الحسن علياً بن الهيتي رضي الله عنه، يقول: زرت مع الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، والشيخ بقا بن بطو، قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، فشهدته خرج من قبره، وضمَّ الشيخ عبد القادر إلى صدره، وألبسه خلعة، وقال له: يا شيخ عبد القادر، قد افتقر إليك في علم الشريعة، وعلم الحقيقة، وعلم الحال، وفعل الحال.

وأخبرنا به عن الشيخ بقا أبو الفتوح محمد أحمد بن أحمد بن علي الصريفيني. قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي الخباز البغدادي، قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم عمر البزار، قال: سمعت الشيخ بقا بن بطو يذكر ذلك، أخبرنا الشيخ الشريف أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس الخضر بن محمد الحسني الموصلي. قال: سمعت أبي يقول: رأيت في النوم ببغداد بمدرسة سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، مكاناً عظيم السعة، وفيه مشايخ البر والبحر، والشيخ محيي الدين عبد القادر في صدرهم، ومن المشايخ من على رأسه عمامة فحسب، ومنهم من فوق عمامته طرحة، ومنهم من فوق عمامته طرحتان، وفوق عمامة الشيخ محيي الدين ثلاث طرحات، فبقيت في النوم مفكراً في تلك الطرحات الثلاث ما هنّ، واستيقظت مفكراً، وإذا به قائم على رأسي، فقال لي: يا خضر، طرحة تشريف علم الشريعة، وطرحة تشريف علم الحقيقة، وطرحة الشرف.

ذكر شيء من أجوبته مما يدل على قدم راسخ في علوم الحقائق

قد تقدم في هذا الكتاب من كلامه رضي الله عنه، في هذا المعنى كثير، فاغنى عن إعادته هنا.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفتح محمد بن أحمد بن علي الصريفيني الحنبلي. قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو الحسن علي بن سليمان الخباز. قال: سمعت الشيخ القدوة أبا القاسم عمر بن مسعود البزار، يقول، ما رأت عيناي أفقه في علوم الحقائق من سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ الناسك أبو بكر محمد بن عبد الحق بن مكي بن صالح القرشي المصري. قال: أخبرنا الشيخ العالم العارف أبو العلم ياسين بن عبد الله المغربي، قال: سمعت الشيخ علم الزهاد بقية السلف، أبا عبد الله محمد بن أحمد البلخي رضي الله عنه، يقول: حكى لي بعض أصحابنا الأكابر من أهل هذا الشأن أنه قدم من العجم إلى بغداد، فوردت عليه حال استولت عليه، وقهرته، وألجأته إلى خربة، وأشكل عليه شيء من أمرها، وأرد من يكشف له ما أشكل عليه منها، فقيل له بلسان الغيب: لا أفقه في هذا الأمر من الشيخ عبد القادر في وقته، ولا أعلم منه بمشكلاته ومختلفاته، فتوجه بقلبه إلى الشيخ عبد القادر يطلبه، فأتاه الشيخ في الوقت الحاضر، وأثبت له من حاله ما أثبت، ونفى عنه منها ما نفي.

أخبرنا الشيخ أبو العفاف موسى بن الشيخ الجليل أبي عمرو عثمان بن موسى البقاعي، قال: أخبرنا والدي، قال: سمعت الشيخين أبا عمرو عثمان الصريفيني، وأبا محمد عبد الخالق الحزيمي.

وأخبرنا أبو محمد الحسن بن علي المعروف جده بابن قوقا. قال: أخبرنا الشيخ أبو القاسم هبة الله بن عبد الله نقيب الهاشميين ببغداد. قال: سمعت الشيخ أبا طلحة بن مظفر بن غانم العلثي، وأخبرنا أبو القاسم عمر بن مسعود البزار، قالوا: قيل للشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه: إن فلاناً وسمُّوا أحد مريديه؛ يقول إنه يرى الله عز وجل بعيني رأسه، فاستدعى به وسأله عن ذلك، فقال: نعم، فانتهره ونهاه عن هذا القول، وأخذ عليه أن لا يعود إليه، فقيل له: أمحق هذا أم مبطل؟ قال: هو محق، ملبس عليه، وذلك أنه شهد ببصيرته نور

الجمال، ثم خرق من بصيرته إلى بصره منفذ، فرأى بصره ببصيرته متصل شعاعها، بنور شهوده، فظن أن بصره رأى ما شاهدته بصيرته، وإنما رأى بصره ببصيرته فحسب، وهو لا يدري، قال الله عز وجل: ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان﴾ [الرحمن:١٩]، وإن الله يبعث بمشيئته على أيدي ألطافه أنوار جماله وجلاله إلى قلوب عباده، فتأخذ منها ما يأخذ المصور من الصور، ولا ضرر، ومن وراء ذلك كبريائه الذي لا سبيل إلى انخراقه. قال: وكان جمع من المشايخ، والعلماء حاضرين هذه الوقعة، فأطربهم سماع هذا الكلام، ودهشوا من حسن إفصاحه عن حال الرجل، وقام بعضهم ومزق ثيابه، وخرج إلى الصحراء عرياناً.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي المنصور الداري، قال: سمعت الشيخ الجليل ضياء الدين، أبا نصر موسى ابن الشيخ محي الدين عبد القادر رضي الله عنه، سنة ست عشرة وستمائة، يقول: سمعت والدي رحمه الله تعالى يقول: خرجت في بعض سياحتي إلى البرية، ومكثت أياماً لا أجد ماءً، فاشتدَّ بي العطش، فظللتني سحابة، ونزل عليَّ منها شيء يشبه الندى، فترويت به، ثم رأيت نوراً أضاء به الأفق، وبدت لي صورة، ونوديت منها: يا عبد القادر، أنا ربك، فقد حللت لك المحرمات، أو قال: ما حرمت على غيرك، فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، اخسأ يا لعين، فإذا ذلك النور ظلام، وتلك الصورة دخان، ثم خاطبني وقال: يا عبد القادر نجوت مني بعلمك، بحكم ربك، وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أظلت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقلت: لربي الفضل والمنة، قال: فقيل له: كيف علمت أنه شيطان؟ قال: بقوله: قد حللت لك المحرمات

وسئل رضي الله عنه عن الفرق بين شهود الذات والصفات، فقال: إذا شهد السر ما يقوم بغيره، ويحتجب بخلافه، ويستتر في معناه، ويبدو مع وجود سواه، فذاك شهود الصفات، لأن قيامها بموصوفها، فلا بد من شهودها، من تواري طرف من أطرافها، لفقد شهود الذات مع ذلك الوصف الجاذب إلى وجوب وجود غيره، ويحتجب بخلافه لأن من شهد الجمال، لا يقوى لظهور الجلال، ومن أنس الكمال والبهاء لا يثبت لبدو العظمة والكبرياء، ولا يحتجب الوصف في حقيقته عند ظهور غيره، وإنما يحتجب عن شهود الشاهد، لقهر الوصف البادي قوة شهود الوصف الخافي، ويستتر في معناه لأن معنى كل وصف قائم بموصوفه، فإذا بدت قوى أفعال معانيها اللازمة لموصوفها في عين الأزل، استترت آثار بواديها في

أفعال معانيها، لتعالي الوحدة عن مجاورة التعدد، فهنالك التقت أطرافها المتفرقة في وصف فرد، ومعنى وتر، ويبدو مع وجود سواه، لأن السر قد شهد الصفات، مع بقاء رسوم البشرية، ويقتحم بحرها في سفينة من لحظ كونه، ولمحة وجوده، وجواذب منازعاته، وعلامة ذلك كله؛ ثلاثة أشياء: شهود البصيرة بقوة كانت لها قبل هذا الشهود، والاستدلال بتعقل المشهود على كنهه بعد فقد شهوده، وشهود مشهورين مختلفين بشهود واحد في وصف واحد، وإذا لاحظ السر موجوداً قائماً بنفسه بوجود مطلق، فذلك شهود الذات، ولا بد في هذا المشهود من سقوط شهودين، ونفي تعلق اللحظ بالحين والوقت والأين، ومحو ثبوت الفرق والجمع والقرب، والبين لرمق العين، ومحق الشهود، وزهق الوجود، وانفراد الشهود بوصف المشهود، وبروزه في عين الأزل لمقابلة الأزل بقوة من لم يزل عند سلب أوصاف الحدوث منه، وخلوه من معانيه، وصفاً وحكماً وعيناً وحالاً، فهنالك رجع أول كل كون إلى آخره، لمحق وصف القبلية في العدم، ومحو نعت البعدية في الأبد، واختفى كل بادٍ في كن عدمه، لهيبة سرمديته، وعلامة هذا الشهود أنه وصف غير مستصحب من قبل وجوده، وغير باقٍ حكمه بعد تواري عين، وغير منعقد به كنه ما شوهد به، ولا مستدل به على حقيقته بعد اتصال الشاهد بطوره، وانفصاله عن هذا الوصف، وهذا الأمر لا يكون مقاماً إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا منازلة إلا للصديقين، ولا حالاً إلا للأولياء، ولا ينال بالمكاسب، بل بالمواهب، ولا يعطي بالوسائل بل بالسوابق.

وسئل رضي الله عنه عن صفات الموارد الإلهية، والطوارق الشيطانية، فقال: المورد الإلهي لا يأتي باستدعاء ولا يذهب بسبب، ولا يأتي على نمط واحد، ولا في وقت مخصوص، والطارق الشيطاني بخلاف ذلك غالباً.

وسئل رضي الله عنه، عن المحبة، فقال: هي تشويش في القلوب يقع من المحبوب، فتصير الدنيا عليه كحلقة خاتم أو مجمع مآتم، والحب سكر، لا صحو معه، وذكر لا محو معه، وقلق لا سكون معه، وخلوص للمحبوب بكل وجه سراً وعلانية، بإيثار اضطرار لا بإيثار اختيار، وبإرادة خلقة لا بإرادة كلفة، والحب العمى عن غير المحبوب، غيرة عليه، والعمى عن المحبوب هيبة، فهو عمى كله، والمحبون سكارى لا يصحون إلا بمشاهدة محبوبهم، مرضى لا يشفون إلا بملاحظة مطلوبهم، حيارى لا يانسون بغير مولاهم، ولا يلهجون بغير ذكره، ولا يجيبون غير داعيه، وفي هذا المعنى يقول مجنون ليلى الأبيات التي أولها: [من الطويل]

لقد لامني في حب ليلى أقاربي ... أخي وابن عمي وابن خالي وخاليا
فلو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصا ... أصم فنادتني أجيب المناديا
وأخرج من بين البيوت لعلني ... أحدث عنك النفس بالليل خاليا
وإني لا أستغشي وما بي غشية ... لعل خيالاً منك يلقى خياليا
معذبتي لولاك ما كنت هائماً ... أدور على الأطلال في البيد عاريا
فإن تمنعوا ليلى وحسن حديثها ... فلم تمنعوا مني البكا والقوافيا
وأشهد عند الله أني أحبها ... وهذا لها عندي فما عندها ليا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها ... وأشبهه أو كان منه مدانيا
يقول أناس علَّ مجنون عامر ... يروم سلواً قلت إني طابيا
عذولي ذا داء الهيام أصابني ... فإياك عني لا يكن بك ما بيا
إذا ما طواكِ الدهر يا أم مالك ... فشأن المنايا القاضيات وشانيا

وسئل رضي الله عنه عن التوحيد، فقال: هو إشارة من الصابر بإخفاء سر السرائر عن ورود الحضرة، ومجاوزة القلب منتهى مقامات الأفكار، وارتفاعه على أعلى درجات الوصال منازل أسرار التعظيم، وتخطيه إلى التقرب بأقدام التجريد، ورقيه إلى التداني، بسعي التفريد، مع تلاشي الكونين، وتعطل الملكين، وخلع النعلين، واقتباس النورين، وفناء العالمين تحت لمعان أنوار بروق الكشف، من غير عزيمة تقدمه.

وسئل رضي الله عنه عن التفريد فقال: هو إشارة من المفرد إلى الفرد عن تفرده عن الكونين، وتعريه عن الملكين، وانخلاعه عن وصف وجوده وحكم ذاته، مطالعاً لما يرد على سره من الخواطر من الحق، تحرياً بالتصحيح، والتفريد، وطلباً لصدقه في وصفه، وذلك أن صفة الفردية تقتضي إشارة منفردة، فيصعد معتصماً بإشارة الفردية إلى نفسه، فإذا قدح في هذا المعنى غيب سبب أو علة كدر انفصل العبد عن معتصمه، وانقطع عن متمسكه، ورجعت الإشارة قهقرة إلى البشر، واحتجبت عن مطالعة الحق وقت هيجان شوق الأرواح عند تلميع برق الشفقة عن حجب طور البشرية، وصفة الفردانية عليه، من وصول إشارات التمويه، ونيل معاني الأرواح، ووصف أعداد الأفراد.

وسئل رضي الله عنه عن التجريد فقال: هو تجريد السر عن التدبر بثبات السكون عن طلب المحبوب، وتعرية عن التزمل بلباس الطمأنينة على مفارقة المحدود، والرجوع عن الخلق إلى الحق، مبيناً.

وسئل رضي الله عنه عن المعرفة فقال: هي الاطلاع على معاني خفايا مكامن المكنونات، وشواهد الحق في جميع المشيئات، بتلميع كل شيء منها على معاني وحدانيته، واستدراك علم الحقيقة في فناء كل فانٍ عند إشارة الباقي إليه، بتلويح هيبة الربوبية، وتأثير أثر البقاء فيما أشار إليه الباقي، بتلميع جلال الألوهية، مع النظر إلى الحق بعين القلب.

وسئل رضي الله عنه ما العذر عن قول الحلاج، وعن قول أبي يزيد سبحاني، فقال رضي الله عنه: الحلاج قطع طريق العشق وأخذ منه جوهرة سر المحبة، وأودعها في أخفى مكامن خزانة قلبه، مشيراً لحاله، فلما قابل بصر بصيرته شعاع نور جمالها عمي عن النظر إلى الموجودات، فظن خلو المكان من الأعيان، فاعترف بالأخذ، فاستحق قطع اليد والقتل، وحياتك من ملك تلك الجوهرة لا يقنع إلا بأوفى درجات المحبة، وهي الفناء، وأبو يزيد دل بتصريحه على محبته، ولا أنبأ عن عشق إنما كان وقع عليه غبار تعب الطريق بعد تحكمه في غابات درجات النهايات، فقال سبحاني شكراً للوصول: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ [الضحى: ١١]، وأيضاً الحلاج لما وصل إلى الباب، وطرقه، نودي: يا حلاج، لا يدخل هذا الباب إلا من تجرد عن صفات البشرية، وفني عن سمات الآدمية، فمات حباً وذاب عشقاً، وسلم روحه لدى الباب، وجاد بنفسه عند الحجاب، فوقف في مقام الدهشة على أقدام الحيرة، فلما أخرسه الفناء أنطقه السكر، فقال: أنا الحق، فأجابه حاجب الهيبة؛ اليوم قطع وقتل، وغداً قرب ووصل، فقال بلسان حاله: (فما غلت نظرة منهم بسفك دمي)، فخرج له أبو يزيد من داخل الباب، وقد طاب منزله، وأخضرَّ مرتعه، وقد ضربت نوبته بالقرب بيد القدرة في ذلك الفناء، ونصبت سرادقات المشاهدة، بسابق العناية في ذلك الحمى، له لسانان ينطقان، ونوران يشرقان، لسان ينطق بطرب التمجيد، ولسان ينطق بحقائق التوحيد، فترنم لسان طرب تمجيده، فقال: ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله قبله، فأجابه لسان حقائق توحيده سبحاني، فصاح نور الوجدان أن القرب أفناني ثم أحياني، ونادى نور الوصل أنا الحق أبقاني، ثم رقاني، فسبحاني لدياني ورحماني.

فبادرها بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

وأيضاً فإن الحلاج لما هاجت بلابل أشواقه، واضطرمت نيران إحراقه، طلب الوصول، فأجلس على بساط الامتحان، وقيل: يا ابن منصور، إن كنت محباً

صادقاً، أو عاشقاً بائعاً، فابذل نفسك النفيسة، وروحك الشريفة في الفناء لتصل إلينا، فقابل الأمر بالطاعة، وقال: أنا الحق ليقبل في هذه الساعة، ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وإبليس لما كان قوله: أنا عصيان ومخالفة للمراسم، قيل: اسجدوا، قال: أنا خير منه، فاستحق البعاد ألا يعلم من خلق، وأيضاً الحلاج غلب على سويداء قلبه شكر المحبة، وقهر سرائره سلطان العشق، فقال من حيرة الطلبة: أنا وإبليس دخلت نخوه الكبر في هامة همته، وجرت خزانة السر مع أنفاس نفسه، فقال: أنا خير منه، فمن غلب عليه سكر حب مولاه، جدير أن يمنح بوصله وقربه، ومن نظر إلى نفسه بعين العجب حقيق أن يقطع رأس كبره بسيف الطرد، فقيل له: فما سر قول هذا أنا الحق، وما حقيقة قول ذلك سبحاني؟ فقال رضي الله عنه: ما أرى كفواً أجلو عليه هذه الأفكار، ولا أميناً أكشف له هذه الأسرار.

وسئل رضي الله عنه عن الهمه: فقال: أن يتعرى بنفسه عن حب الدنيا، وبروحه عن التعلق بالعقبى، وبقلبه عن إرادته مع إرادة المولى، ويتجرد بسره عن الإشارة إلى الكون ولو بلمحة، ولو بطرفة.

وسئل رضي الله عنه عن الحقيقة فقال: هي التي لا ينافيها مضادها، ولا يقوم لها منافيها، بل يبقى عند إشارتها أضدادها، ويبطل عند محاذاتها منافيها.

وسئل رضي الله عنه عن أعلى درجات الذكر، فقال: هو ما تأثر في الفؤاد من إشارة الحق وقت الاختيار إليه ببقاء العناية السابقة له، فهذا ذكر دائم، ثابت راسب، لا يقدح فيه نسيان، ولا تكدره غفلة، وكان السكوت والنفس والحظوة مع هذا الوصف ذكراً، وهو الذكر الكبير الذي أشار إليه الحق تعالى في تنزيله، وأحسن الذكر ما هيجته الأخطار الواردة من الملك الجبار فكمن في محل الأسرار.

وسئل رضي الله عنه عن الشوق فقال: أحسن الأشواق ما كان عن مشاهدة، فهو لا يفتر عن اللقاء، ولا يسكن عن الرؤيا، ولا يذهب عن الدنو، ولا يزول عن الأنس، بل كلما ازداد لقاء، ازداد شوقاً، ولا يصح الشوق حتى يتجرد من علله، وهي موافقة روح، أو متابعة همة، أو حظ نفس، فيكون شوقاً مجرداً عن الأسباب، فلا يدري السبب الذي أوجب له ذلك الشوق، لأنه هو ذا يشاهد ويتشوق إلى المشاهدة، مع المشاهدة.

وسئل رضي الله عنه عن التوكل، فقال: هو اشتغال السر بالله عن غير الله فينسى ما يتوكل عليه لأجله، ويستغني به عمن سواه، فترتفع عنه حشمة الغنى

في التوكل، والتوكل استشراف السر بملاحظة عين المعرفة، إلى خفي غيب المقدورات، واعتقاده حقيقة اليقين، بمعاني مذاهب المعرفة، فإنها محتومة لا يقدح فيها مناقض.

وسئل رضي الله عنه عن الإنابة، فقال: الإنابة طلب مجاوزة المقامات، والحذر من الوقوف على الدرجات، والترقي على أعلى المكنونات، والاعتماد بالهمم على صدور مجالس الحضرة، ثم الرجوع من الكل إلى الحق بعد حضور الحضرة، ومشاهدة هذه المحاضرة، والإنابة والرجوع منه إليه حذراً ومن غيره إليه رعباً، ومن كل تعليق إليه رهباً.

قيل له رضي الله عنه: إبليس يقول: أنا فطرد، والحلاج يقول: أنا فقرب، فقال رضي الله عنه: الحلاج قصد الفناء بقوله: أنا ليبقى هو بلا هو، فأوصل إلى مجلس الوصال، وخلع عليه ثم خلعه البقاء، وإبليس قصد البقاء بقوله: أنا ففنيت ولايته، وسلبت نعمته، وخفضت درجته، ورفعت لعنته.

وسئل رضي الله عنه عن التوبة، فقال التوبة نظر الحق تعالى إلى عنايته السابقة القديمة لعبده، وإشارته له بتلك العناية إلى قلب عبده، وتجريده إياه بالشفقة مجتذباً إليه قابضاً، فإذا كان ذلك كذلك انجذب القلب إليه عن كل همة فاسدة، وتابعه الروح ووافقه العقل، وصحت التوبة، وصار الأمر كله لله.

وسئل رضي الله عنه عن التوكل أيضاً فقال: حقيقته كحقيقة الإخلاص، وحقيقة الإخلاص ارتفاع الهمة عن طلب الأعواض على الأعمال، وكذلك التوكل هو الخروج من الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب تعالى، ثم قال: يا غلام: كم يقال أفلا تسمع، وكم تسمع أفلا تفهم، وكم تفهم أفلا تعمل، وكم تعمل أفلا تخلص، وكم تخلص أفلا تغيب في إخلاصك عن وجودك.

وسئل رضي الله عنه عن البكاء فقال: ابكِ له وابكِ منه، وابكِ عليه.

وسئل رضي الله عنه عن الدنيا فقال: أخرجها من قلبك إلى يدك فإنها لا تضرك.

وسئل رضي الله عنه عن التصوف، فقال: الصوفي من جعل ضالته مراد الحق منه، ورفض الدنيا وراءه، فخدمته ورزقته أقسامه، وحصل له في الدنيا قبل الآخرة مرامه، فعليه من ربه سلامه.

وسئل ضي الله عنه عن الفرق بين التعزز والتكبر، فقال: التعزز ما كان لله، وفي الله، ويفيد ذل النفس، وارتفاع الهمة إلى الله عز وجل، والتكبر ما كان

للنفس، وفي الهوى، ويفيد هيجان بالطبع، وقهره الإرادة عن الله عز وجل، والكبر الطبيعي أسهل من الكبر المكتسب.

وسئل رضي الله عنه عن الشكر، فقال: حقيقة الشكر الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، ومشاهدة المنة، وحفظ الحرمة على وجه معرفة العجز عن الشكر على الشكر، وينقسم أقساماً: شكراً باللسان: وهو الاعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة، وشكراً بالأركان، وهو الاتصاف بالخدمة والوقار، وشكراً بالقلب: وهو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة، ثم الترقي بعد حضور هذه المشاهدة إلى الغيبة في رؤية المنعم عن رؤية النعمة، والشاكر الذي يسكر على الموجود، والشكور الذي يشكر على المفقود، والحامد الذي يشهد المنع عطاء والضر نفعاً، ثم يستوي عنده الوصفان، والحمد الذي يستفيد المحامد بعين المعرفة على بساط القرب.

وسئل رضي الله عنه لما قدم ذكرنا على ذكره في قوله عز وجل ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة:١٥٢]؟ وقدم محبته على محبتنا في قوله: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] فقال: الذكر مقام طلب وقصد، والطلب مقدمة العطاء، فلهذا قدم ذكرنا له، وأما المحبة: فهي تحفة إلهية من محض القدر، ليس للعبد فيها كسب، ولا يصح وجودها في العبد إلا بعد بروزها من جانب الغيب على يد المشيئة، والعبد هناك ساقط الكسب، ممحو السبب، فلهذا قدم محبته لنا، على محبتنا له، فقيل له: فلمَ قدم توبته علينا على توبتنا له في قوله عز وجل: ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ [التوبة:١١٨]؟ وهو أيضاً كسب كالذكر، فقال: لأن التوبة أول مقامات الطلب، ومبدأ منازل السير، فقدم فعله فيها على فعلنا، فإنه لا يفتحه أحد غيره، ولا يقدر أحد يسلكه إلا بتسهيله، إذ هو عز وجل المنفرد بإيقاظ الغافلين، وتنبيه الراقدين، ورد الشاردين إلى طرائق القاصدين، وانزعاج القلوب إلى ذكر المحبوب.

وسئل رضي الله عنه عن الصبر فقال: هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب، والثبات مع الله عز وجل، وتلقي مرّ أقضيته بالرحب والسعة على أحكام الكتاب والسنة، وينقسم أقساماً: صبر لله وهو الثبات على أداء أمره والانتهاء بنهيه، وصبر مع الله عز وجل، وهو السكون تحت جريان قضائه، وفعله فيك، وإظهار الغنى مع حلول الفقر من غير تعبيس، وصبر على الله: وهو الركون إلى وعده في كل شيء والمسير من الدنيا إلى الآخرة سهل على المؤمن، وهجران الخلق، في جنب الحق شديد، والمسير من النفس إلى الله عز وجل أشد، والصبر مع الله تعالى أشد،

والفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر، والفقير الشاكر أفضل منهما، والفقير الصابر الشاكر أفضل منهم، وما خطب البلاء إلا من عرف.

وسئل رضي الله عنه عن حسن الخلق، فقال: هو أن لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق، واستصعاب نفسك، وما فيها معرفة يعتد بها، واستعظام الخلق وما منهم نظراً إلى ما أودعوا من الإيمان والحكم، وهو أفضل مناقب العبد، وبه تظهر جواهر الرجال.

وسئل رضي الله عنه أيضاً عن حسن الخلق، فقال: هو الأخذ مع الصدق، وعدم الهوى، وفاقه إنفاق، وتركه رياء ونفاق.

وسئل رضي الله عنه عن الصدق، فقال: الصدق في الأقول موافقة الضمير القول في وقته، والصدق في الأعمال إقامتها على رؤية الحق سبحانه، ونسيان رؤيتها، والصدق في الأحوال بعضها بإقامة الخاطر الحق، فلا يكدرها مطالعة رقيب ولا منازعة فقيه.

وسئل رضي الله عنه عن الفناء، فقال: هو أن يطالع الحق تعالى سر وليه بأدنى تحيل، فيتلاشى الكون، ويفنى الولي تحت تلك الإشارة، وفناؤه في ذلك الوقت بقاء، لكنه يفنى تحت إشارة الباقي، فإن كان إشارة الحق تفنيه، فإن تجليه يبقيه، فكأنه يفنيه عنه، ثم يبقيه به.

وسئل رضي الله عنه عن البقاء، فقال: البقاء لا يكون إلا مع اللقاء، لأن البقاء الذي ليس معه فناء لا يكون إلا مع اللقاء، الذي ليس معه انقطاع، وهذا لا يكون إلا كلمح البصر، أو هو أقرب، وعلامة أهل البقاء أن لا يصحبهم في وصفهم به شيء فانٍ لأنهما ضدان.

وسئل رضي الله عنه عن الوفاء، فقال: هو الرعاية لحقوق الله تعالى في الحرمات أن لا يطالعها بسر ولانظر، والمحافظة على حدود الله قولاً وفعلاً، والمسارعة إلى مرضاته بالكلية سراً وجهراً.

وسئل رضي الله عنه عن الرضا، فقال: هو ارتفاع التردد، والاكتفاء بما سبق في علم الله عز وجل في أزله، والرضى أن لا يصرف القلب إلى نزول قضاء من الأقضية بعينه، فإذا نزل قضاء فلا يستشرف القلب إلى زواله.

وسئل رضي الله عنه عن الإرادة، فقال: تكرار الفكر في الفؤاد، بمادة من الحرص، فيما جرى فيه من الذكر.

وسئل رضي الله عنه عن العناية، فقال: العناية أزلية، وهي من صفات الله

عز وجل لم يظهرها لأحد، فلا يوصل إليها بوسيلة، ولا يقدح فيها سبب، ولا يفسدها علة، ولا يكدرها شيء، وهو سر الله مع الله، لا يطلع عليه أحد، ولا يجد الكون إليه سبيلاً، والعناية سابقة غير مؤقتة، أهل الله تعالى لها من شاء من خلقه، وجعل التأهل، والمعرفة على رؤية العناية، ثم جعل الاختيار إلى الخلق، ثم جعل العطاء على رؤية الاختيار، ثم جعل التوفيق على رؤية العطاء، ثم جعل القبول على رؤية التوفيق، وجعل الثواب على رؤية القول، وعلامة من له به عناية الأسر، ثم الاستلاب، ثم الحبس، ثم التقييد بأسره عنه، ثم يسلبه من الخلق، ثم يحسبه في حضرة القدس، ثم يقيده بقيد الحرمة، فيبقى عنده مقيداً.

وسئل رضي الله عنه عن الوجود فقال: هو أن تشتغل الروح بحلاوة الذكر، وتشتغل النفس بلذة التطريب، ويبقى السر فارغاً من السوى، والمحب خالياً من الرقيب للحق مع الحق، والوجود شراب يسقيه المولى وليه على منبر كرامته، فإذا شرب طاش، وإذا طاش طار قلبه بأجنحة الأنس في رياض القدس، فيقع في بحور الهيبة، فيصرع، فلذلك يغشى عن الواجد.

وسئل رضي الله عنه عن الخوف، فقال: الخوف على أنواع: فالخوف للمذنبين، والرهبة للعابدين، والخشية للعالمين، والوجد للمحبين، والهيبة للعارفين، فخوف المذنبين من العقوبات، وخوف العابدين من خوف فوات ثواب العبادات، وخوف العالمين من الشرك الخفي في الطاعات، وخوف المحبين فوت اللقاء، وخوف العارفين الهيبة والتعظيم، وهو أشد الخوف لأنه لا يزول أبداً، وسائر هذه الأنواع تسكن إذا قوبلت بالرحمة واللطف.

وسئل رضي الله عنه عن الرجاء فقال: حق الرجاء في حق الأولياء أن يكون حسن الظن بالله تعالى فقط، لأن الرجاء الطمع، وهو تقاضٍ عليه فيما قدره وكتبه على العبد، والتقاضي عليه لأهل الصفوة قبيح، ولا ينبغي أن يكون الولي بلا رجاء، ولا ينبغي أن يكون رجاؤه تقاضياً عليه، فالوجه أن يكون رجاؤه حسن ظنه، لا لطمع في نفع، ولا لدفع سوء، لأن أهل الولاية قد علموا أنه قد فرغ لهم من جميع ما يحتاجون إليه، فاستغنوا بعلمهم عن تجشم العناء في التقاضي عليه، فحسن الظن إذاً أفضل من الرجاء للتقاضي، ولا يكون رجاء إلا بخوف، لأن من رجا أن يصل إلى شيء خاف أن يفوته، وحسن الظن بالله تعالى معرفته بجميع صفاته واصل منه به، لا من حيث العبد علماً منه بان من صفاته أنه محسن كريم، لطيف رؤوف، وحسن الظن بالله عز وجل تعليق الهمم على ما سبق من نظر

العناية، ونظر القلب إلى الرب، بلا تطميع الفؤاد، ولا تمنية الأرواح والنفوس، ورجاء العامة متى هيئت أكثر أسبابه صدق عليه اسم الرجاء، ومتى انخرمت أكثر أسبابه فاسم الطمع أولى بضمن الرجاء، والرجاء بلا خوف أمن، والخوف بلا رجاء قنوط.

وسئل رضي الله عنه عن علم اليقين، فقال: هو جمع بين الخير والمعرفة نظراً، فإذا وقع العلم وقبله القلب بيقين المعرفة، وكشف النظر صار علماً يقينياً.

وسئل رضي الله عنه عن الموافقة فقال: هي موافقة القلب للمحكوم، من قضاء الله تعالى على غير استكانة البشرية، فتصير الإرادة واحدة.

وسئل رضي الله عنه عن الدعاء، فقال: هو على ثلاث درجات: تصريح، وتعريض، وإشارة، فالتصريح ما تلفظ به، والتعريض دعاء في دعاء مضمر، وقول في قول مستور، وإشارة في قول مخفية، فمن التعريض، قول النبي ﷺ: لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ومن الإشارة قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة:٢٦٠]، يشير إلى الرؤية والتصريح قول موسى ﷺ: ﴿رب أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف:١٤٣].

وسئل رضي الله عنه عن الحياء، فقال: هو أن يستحي العبد أن يقول: الله ولم يقم بحقه، وأن يتوجه إليه بما لم يعلم أنه لا يليق به، وأن يتمنى على الله أنه لا يستحقه عليه، وأن يترك المعاصي حياءً لا خوفاً، وأن يقضي الطاعات على رؤية التقصير، وأن يرى الحق مطلعاً على قلبه، فيستحي منه، وقد يتولد الحياء من ارتفاع الحجب بين القلب وبين الهيبة.

وسئل رضي الله عنه عن المشاهدة، فقال: هي العماء عن الكونين بعين الفؤاد، ومطالعة بين المعرفة على غير توهم، استدراك ولا طمع في تصور، ولا تكييف، واطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق به تعالى من الغيوب.

وسئل رضي الله عنه عن معنى القرب فقال: هو طي المسافات بلطف المدناة.

وسئل رضي الله عنه عن السكر فقال: هو غليان القلوب عند معارضة ذكر المحبوب، والخوف اضطراب القلوب مما علمت من سطوة المحبوب، واليقين تحقيق الأسرار بأحكام المغيبات، والوصل الاتصال بالمحبوب، والانقطاع عما سواه، والانبساط سقوط الاحتشام عند السؤال، وإصلاح الحال، والاستئناس بالوحشة، والغيبة في الذكر أن ترى نفسك حال الذكر، فإذا أنت عنه غائب، والغيبة حرام، وترك الحرمة في المشاهدة التواجد في حال الشهود، لأن التواجد

على بساط اللقاء، والمشاهدة على بساط القرب، وترك الحرمة في ذلك المقام حرام، والسكر الحاصل عند المشاهدة يعجز عنه الفهم، والوهم والغيبوبة، مع المحبة لا يتصور، وإذا قويت الإرادة، واتصل بها الذكر، واشتد المرام بالمراد، تولدت منها المحبة، وإذا احتوى المراد على القلب كله ملكه، وإذا ملكه سقطت الإرادة منه لغيره، وكان سقوط ملك الملوك منه حقيقة، وهذه الحالة محبة خالصة، ومتى ذكرته فأنت محب، ومتى سمعت ذكره لك، فأنت محبوب، والخلق حجابك عن نفسك، ونفسك حجابك عن ربك، ما دمت ترى الخلق ما ترى نفسك، وما دمت ترى نفسك ما ترى ربك فالفقر موت والناس يطلبون أن يعيشوا فيه، والقال تقتدي به العوام، والحال تقتدي به الخواص، وهذا بساطك إن بسطت، وتنقلب رخصتك عزيمة، وفي عزيمتك دلالة، فالرخصة لناقص الإيمان، والعزيمة لكامل الإيمان، والملك للفانين، فقرأ القارىء بين يديه رضي الله عنه، ﴿لمن الملك اليوم﴾ [غافر:١٦]، فقام الشيخ، وكان الناس يقومون لجلالته إذا قام، فأشار إليهم أن على حالكم، ثم بقي يقول: من يقول: الملك لي، من يقول الملك لي؟ وكررها مراراً، فقام إليه رجل من كبار الصالحين يعرف بالشيخ أحمد داران، وكان كثير العبادة، وافر المجاهدة، وقال: أنا أقول: الملك لي لأنه لي، ولم يكن له مثلي، فصاح الشيخ عليه صيحة عظيمة، وقال: أحمق، متى كنت له حتى كان لك؟ متى رأيت البلاء يجول حول حماك فطرقت له إليك؟ فصاح الفقير ورمى ثوباً كان عليه من صوف أسود، وخرج إلى الصحراء عرياناً، وقرأ القارىء بين يديه يوماً وهو الشريف مسعود بن عمر الهاشمي المقري، ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ [البقرة: ٣٠]، فقال: يا غلام: اسكت، ثم صرخ صرخة، وقال: إلى كم ونحن نسبح بحمدك، ونقدس لك إلى كم؟ وإنا لنحن المسبحون، أفشيتم أسراركم وكتمنا، فالقرب يفنينا، والرؤيا تميتنا، فمن يعبر عنا، ورفع رأسه وقال: انزلوا يا ملائكة ربي، احضروا، فربما كان جمعنا أكمل من جمعكم.

ذكر سياق بعض ما رويناه عنه بإسناد من مروياته

أخبرنا الشيخ الجليل المسند زين الدين أبو بكر محمد ابن الإمام الحافظ تقي الدين أبي الطاهر، إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنباطي، بقراءتي عليه غير مرة. قلت له: أخبرك الشيخ الإمام العالم موفق الدين أبو محمد عبد الله ابن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، قراءة عليه وأنت تسمع، في

ذي القعدة سنة عشر وستمائة، بجامع دمشق فاقر به، فقال: نعم. قال: أخبرنا الإمام تاج العارفين محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي رضي الله عنه، قراءة عليه وأنا أسمع، في شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وخمسمائة، ببغداد. قال: أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين الباقلاني، ببغداد بجامع القصر. قال: أخبرنا الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن أحمد بن شاذان البزار. قال: أخبرنا عثمان بن أحمد، وميمون بن إسحاق، وأبو سهل بن زياد، قالوا: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا ابن إدريس عن ابن جريج، عن ابن أبي عمار، عن عبد الله بن تاسة، عن يعلى بن أمية. قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم﴾ [النساء: ١٠١]، وقد أمن الناس، فقال: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ، فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته». أخرجه مسلم في صحيحه في الصلاة عن أبي بكر بن أبي شيبة، وأبي كريب محمد بن العلاء، وأبي خيثمة زهير بن حرب، وإسحاق بن إبراهيم، أربعتهم عن عبد الله بن إدريس، وعن محمد المقدسي، عن يحيى بن سعيد كليهما عن ابن جريج، كما أخرجناه، فوقع لنا بدلالة وبالإسناد إلى ابن شاذان.

قال: أخبرنا أحمد بن سليمان، قال: حدثنا الحسن بن مكرم. قال: حدثنا عثمان بن عمر بن يونس بن يزيد، عن الزهري عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه أن رسول الله ﷺ، قال: «إنما نسمة المسلم طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى في جسده يوم يبعثه» أخرجه الأئمة الثلاثة، الترمذي في جامعه، والنسائي وابن ماجه في سننهما، فرواه الترمذي في الجهاد، عن محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، ورواه النسائي في الجنائز عن قتيبة بن سعيد عن مالك، ورواه ابن ماجه في الزهد عن سويد بن سعيد عن مالك، وفي الجنائز عن محمد بن يحيى الذهلي، عن يزيد بن هارون، وعن محمد بن إسماعيل الأحمسي، عن المحاربي، كليهما عن محمد بن إسحاق عن الحارث بن فضيل ثلاثتهم عن الزهري، فباعتبار العدد في طريق ابن ماجه من رواية ابن إسحاق، وقع لنا عالياً بدرجتين، ولله الحمد والمنة، وقال الترمذي: حسن صحيح. وبه إلى ابن شاذان. قال: حدثنا أحمد، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا شعبة عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: عن ربه عز وجل، قال: «لكل عمل

كفارة، والصوم لي وأنا أجزي به ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» هذا حديث شريف أخرجه البخاري في صحيحه في التوحيد، عن آدم ابن أبي إياس، عن أبي بسطام سعيد بن الحجاج بن الورد العتكي، كما أخرجناه فوقع لنا بدلالة.

وبه إلى ابن شاذان. قال: حدثنا عثمان بن أحمد، وعبد الله بن برية، وأحمد بن يحيى الآدمي، وميمون بن إسحاق. قالوا: حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»، أخرجه مسلم في صحيحه في الدعوات عن أبي بكر بن شيبة، وأبي كريب محمد بن العلاء، كليهما عن أبي معاوية، كما أخرجناه فوقع لنا بدلالة.

وبه إلى ابن شاذان. قال: أخبرنا عثمان بن السماك، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» هذا حديث صحيح متفق على صحته، أخرجه الأئمة الستة، البخاري ومسلم في صحيحهما، والترمذي في جامعه، وأبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم، فرواه البخاري في فضل أبي بكر، عن آدم بن أبي إياس، عن شعبة، عن الأعمش، وقال تابعه جرير وعبد الله بن داود، وأبو معاوية ومجاهد عن الأعمش، ورواه مسلم في الفضائل من طرق من حديث الأعمش، ورواه أبو داود في سننه عن مسدد بن مسرهد،.عن أبي معاوية، ورواه الترمذي في المناقب عن الحسن بن علي الخلال، عن أبي معاوية، ومن حديث شعبة عن الأعمش، ورواه ابن ماجه في السنة من طرق منها، عن أبي كريب، عن أبي معاوية، عن الأعمش، ورواه النسائي في المناقب، عن محمد بن هشام، عن خالد بن الحارث، عن شعبة، عن الأعمش، فوقع لنا بدلالة الأئمة الثلاثة، أبي داود والترمذي وابن ماجه، وعالياً من طريق النسائي بدرجتين، ولله المنة.

وبه إلى ابن شاذان. قال: حدثنا أحمد، حدثنا الحسن بن مكرم، حدثنا علي بن عاصم، أخبرنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه حتى تصل

إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر» أخرجه مسلم في صحيحه في الجنائز، عن زهير بن حرب، عن جرير، وعن قتيبة بن سعيد، عن الدراوردي، وعن عمر الناقد، عن أبي أحمد الزبيري، عن سفيان الثوري، ثلاثتهم عن سهيل، وقال: فتخلص إلى جلده، ولم يقل حتى تصل إلى جلده، والباقي مثله سواء، فباعتبار العدد في رواية الثوري وقع لنا عالياً بدرجتين ولله الحمد والمنة.

أخبرنا الشيخ الإمام قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن الإمام العالم عماد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي، بقراءتي عليه. قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو القاسم هبة الله بن المنصوري نقيب الهاشميين، رحمه الله تعالى. قال: أخبرنا الشيخ الإمام شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي رضي الله عنه إجازة. قال: أخبرنا الشيخ نصر أبو محمد بن البنا، عن والده أبي علي الحسن، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقري تابعا أبي الفتح الحافظ.

أخبرنا أبو بكر محمد عبد الله الشافعي، أخبرنا إسحاق بن الحسن، أخبرنا عبد الله بن مسلمة، أخبرنا مالك بن أنس عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صوم شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر من صيامه في شعبان».

أخبرنا عالياً الشيخ الأجَلّ شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ابن محمد الأنصاري بقراءتي عليه. قال: أخبرنا المسند موفق الدين أبو حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد البغدادي. قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد ابن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله الأنصاري قراءة عليه، ونحن نسمع في سنة ست وعشرين وخمسمائة. قال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري، إملاء في يوم الجمعة بعد الصلاة في جامع المنصور ثالث شعبان من سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن المظفر بن موسى الحافظ، حدثنا أحمد بن محمد الطحاوي، حدثنا المزني، حدثنا الشافعي، حدثنا مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبد الله بن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا

يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيت أكثر منه صياماً في شعبان» صحيح متفق على صحته، أخرجه البخاري، ومسلم، في صحيحهما، فرواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، ورواه مسلم عن يحيى بن يحيى، كليهما عن الإمام مالك، فوقع لنا بدلاً لهما.

أخبرنا الشيخ المفيد شرف الدين أبو محمد الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن بن علي اللخمي، بقراءتي عليه. قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي الفتح المفرج بن أبي الحسن علي الدمشقي، عن الشيخ الإمام العارف تاج العارفين أبي محمد محيي الدين عبد القادر بن أبي صالح الجيلي رضي الله عنه.

وأخبرنا عالياً الأشياخ الأجلاء الإمام العالم صفي الدين أبو الصفاء، خليل ابن أبي بكر بن محمد المراغي، والشيخ الصالح بقية السلف أبو محمد عبد الواحد بن علي بن أحمد القرشي، والمسند أبو بكر محمد ابن الإمام الحافظ أبي الظاهر إسماعيل بن عبد الله الأنماطي، قراءة عليه وأنا أسمع. قالوا: أخبرنا الإمام أبو نصر موسى ابن الإمام جمال الإسلام، أوحد الأنام قدوة العارفين محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلي. قال: أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى الهروي قراءة عليه، ونحن نسمع في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة. قال: أخبرنا أبو عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداودي قراءة عليه وأنا أسمع. قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي، قراءة عليه. قال: أخبرنا إبراهيم بن حريم الشاشي، قال: حدثنا عبد بن حميد بن نصر، قال: حدثنا سليمان بن داود، عن زهير بن معاوية. قال: حدثنا سعد أبو مجاهد الطائي، حدثني أبو المدلى مولى بن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه، يقول: قلنا: يا رسول الله إذا كنا عندك أو إنا إذا كنا عندك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك فشممنا النساء والأولاد أعجبتنا الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو كنتم تكونون كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة بأكفكم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون ويستغفرونه فيغفر لهم»، قلنا: يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها، قال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وبلاطها المسك، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبؤس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام، ويفتح لها أبواب السماوات، ويقول

الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» هذا حديث حسن من حديث أبي خيثمة زهير بن معاوية الكوفي، اتفق البخاري ومسلم على الاحتجاج بحديثه، عن أبي مجاهدٍ سعد الطائي، وكان ثقة عن أبي المدلة مولى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان ثقة عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الترمذي في جامعه، وابن ماجه في سننه، فرواه الترمذي مختصراً عن محمد بن العلاء الهمداني، عن عبد الله بن نمير، ورواه ابن ماجه مختصراً أيضاً عن علي بن محمد، عن وكيع عن الجراح كليهما عن سعدان بن بشر، عن سعد الطائي، وقال الترمذي هذا حديث حسن، وأبو مدلة هو مولى أم المؤمنين، إنما نعرفه بهذا الحديث، ويروى عنه هذا الحديث أطول من هذا، ثم يزيد الترمذي هذا الحديث الذي أوردناه هنا بتمامه من رواية زهير بن معاوية، وقد أخرج مسلم في صحيحه طرفاً منه، من رواية حنظلة بن الربيع الأسدي، وقع لنا هذا الحديث عالياً من الطريق الثاني، والحمد لله.

وبالإسناد قال: حدثنا عبد الله بن حميد، أخبرنا جعفر بن عون، أخبرنا أبو عميص، عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب، قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها، إنا معشر اليهود لو أنزلت علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية؟ قال: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة:٣]، فقال عمر: إني لأعلم اليوم الذي نزلتْ فيه، والمكان الذي أنْزِلتْ فيه على رسول الله ﷺ، بعرفات يوم الجمعة، صحيح متفق عليه خرجه الأئمة الثلاثة: البخاري ومسلم في صحيحهما، والنسائي في سننه، فرواه البخاري ومسلم من عدة طرق، منها للبخاري في الإيمان عن أبي علي الحسن بن محمد بن الصباح البغدادي الزعفراني، ومنها لمسلم في آخر الكتاب عن عبد بن حميد، ورواه النسائي في الإيمان عن أبي داود سليمان بن يوسف الحراني، ثلاثتهم عن جعفر بن عون، كما أخرجناه فوقع لنا موافقته لمسلم، وبدله للبخاري والنسائي، ولله الحمد والمنة.

وبه قال: حدثنا عبد بن حميد، حدثني أبو الوليد، حدثنا إسحاق بن سعيد ابن عمرو بن سعيد بن العاص، حدثني أبي عن أبيه، قال: كنت عند عثمان فدعا بطهور وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضؤها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم

يأتِ كبيرة، وذلك الدهر كله» أخرجه مسلم في صحيحه في الطهارة عن عبد بن حميد، كما أخرجناه فوقع لنا موافقته له.

وبه قال: حدثنا عبد بن حميد، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة، عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آيةً فانشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ إلى قوله: ﴿سحر مستمر﴾ [القمر: ١-٢]، يقول ثابت: أخرجه الأئمة الثلاثة: مسلم في صحيحه، والترمذي في جامعه، والنسائي في سننه، فرواه مسلم عن محمد بن رافع، ورواه الترمذي في جامعه في التفسير عن عبد بن حميد، ورواه النسائي فيه عن إسحاق بن إبراهيم، ثلاثتهم عن عبد الرزاق، كما أخرجناه فوقع لنا موافقة للترمذي، وبدلاً لمسلم والنسائي.

أخبرنا الشيخ الإمام العالم الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي بقراءتي عليه، قال: قرأت بدمشق على أبي العباس أحمد بن أبي الفتح المفرج بن علي الدمشقي، عن الشيخ الإمام العارف أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي رضي الله عنه. قال: أخبرنا أبو بكر أحمد ابن المظفر بن الحسين بن سوسن التمار. قال: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان البزار. قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن العباس بن نجيح، قال: حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن يزيد، حدثنا عطاء بن السائب، عن أبيه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، أنه صلى صلاة فخفف فيها فلما صلى الصلاة ذكرت ذلك له، فقال: لقد دعوت بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ، قال: ثم انطلق عمار فقام إليه رجل فاتبعه، قال: وهو أبي، قال: فسأله عن الدعاء، فقال: «اللهم بعلمك الغيب، وبقدرتك على الخلق، أحييني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب، والشهادة، وأسألك كلمة الحكمة في الرضاء والغضب، وأسألك نعيماً لا يبيد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضاء عند القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»، رواه النسائي، عن يحيى بن حبيب بن عربي، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، كما أخرجناه فوقع لنا بدلالة والحمد لله.

أخبرنا الشيخ الفاضل شرف الدين أبو الفضل الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن بقراءتي عليه. قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن أبي الفتح المفرج بن أبي

الحسن علي الدمشقي. قال: أخبرنا الشيخ الإمام العارف جمال الدين قدوة السالكين تاج العارفين محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي الحسيني، رضي الله عنه، ونفعنا بمحبته. قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد القزاز، بقراءة الإمام الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن العطار الهمداني قراءة علي، وأنا أسمع في جمادى الآخرة، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ببغداد، بباب الأزج. قال: أخبرنا الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي قراءة عليه، وأنا أسمع سنة ثلاث وستين وأربعمائة. قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب، أخبرنا أبو بكر الإسماعيلي، حدثنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبد الله الجرجاني، حدثنا محمد بن علي ابن زهير، حدثنا عثمان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمى، حدثنا ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب. قال: قال رسول الله ﷺ: في هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ [يونس:٢٦]، قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة إنَّ لكم عند الله مزيداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار، فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله، فوالله ما أعطاهم الله أحب إليهم، ولا أقر لأعينهم من النظر إليه».

أخبرنا أعلى من هذه بثلاث درجات الشيخ المسند أبو الفضل عبد الرحيم ابن يوسف بن يحيى الدمشقي، قراءة عليه وأنا أسمع. قال: أخبرنا أبو حفص عمر ابن محمد بن معمر بن طبرزاد، الدارقزي، قراءة عليه وأنا حاضر أسمع. قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن الحسين الشيباني، قراءة عليه ونحن نسمع. قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزار، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي. قال: أخبرنا محمد بن مسلم الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ناداهم منادٍ: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً لم تروه، قالوا: وما هو ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، وينجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب عز وجل فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه، ثم تلا هذه الآية: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾، هذا حديث صحيح على شرط مسلم، أخرجه الإمام المبجل أحمد بن

محمد بن حنبل في مسنده عن يزيد بن هارون، وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يزيد بن هارون، كما أخرجناه فوقع لنا موافقة عالية للإمام أحمد، وبدلاً عالياً لمسلم، وباعتبار العدد في الإسناد المتقدم كأنني سمعته من أبي منصور عبد الرحمن بن محمد القزاز، فلله الحمد والمنة. وبالإسناد المتقدم إلى أبي منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا القاضي أبو العلاء محمد بن علي الواسطي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن إبراهيم الحضرمي ببغداد.

أخبرنا أبو حامد أحمد بن قدامة البلخي الوراق سنة ثمان وتسعين ومائتين، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا مالك، عن ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ «دخل مكة وعلى رأسه المغفر فلقي ابن خطل متعلقاً بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه».

أخبرنا أعلى من هذا بدرجتين الشيخ المسند أبو بكر محمد بن الإمام الحافظ أبو طاهر إسماعيل بن عبد الله الأنماطي بقراءتي عليه، قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري، قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن خضر السلمي إجازة. قال: حدثنا أبو القاسم حسين بن محمد بن إبراهيم الحياني، حدثنا أبو الحسن عبد الوهاب ابن الحسن بن الوليد الكلابي.

أخبرنا أبو بكر محمد بن حريم بن محمد العقيلي، حدثنا هشام بن عمار ابن نصر بن ميسرة السلمي، حدثنا مالك بن أنس الأصبحي. قال: حدثني ابن شهاب الزهري، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ «دخل يوم الفتح مكة، وعلى رأسه المغفر»، صحيح متفق على صحته وثبوته، من حديث إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي، عن أبي بكر محمد بن هشام الزهري، ولم يروه عن الزهري أحد الثقاة من وجه يصح غير مالك، وعنه اشتهر، ورواه عن مالك جماعة من الأئمة من أقرانه وأصحابه، وغيرهم، منهم: ابن جريج، ومعمر، وابن عيينه، وغيرهم، وأصحاب الحديث يجمعون طرقه عنه، ويقال: إنه رواه عن مالك قريب من مائتي رجل، وقال الترمذي: لا نعرف كثير أحد رواه غير مالك، أخرجه الأئمة الستة: البخاري ومسلم في صحيحيهما، والترمذي في جامعه، وأبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم، فرواه البخاري في الحج عن عبد الله بن يوسف، وفي الجهاد عن إسماعيل بن أبي أويس، وفي المغازي عن يحيى بن

قزعة، وفي اللباس عن أبي الوليد الطيالسي، ورواه مسلم في المناسك، والترمذي في الجهاد، والنسائي في الحج عن قتيبة بن سعيد، ورواه أيضاً في المناسك عن يحيى بن يحيى، والعقبي، ورواه أبو داود في الجهاد عن العقبي، ورواه ابن ماجه فيه مختصراً عن هشام بن عمار، وسويد بن سعيد، تسعتهم عن مالك، فمن الطريق الأول وقع لنا موافقة لمسلم والترمذي والنسائي، وقتيبة بن سعيد، وبدلاً للبخاري، ومن الطريق الثاني وقع لنا موافقاً عالياً لابن ماجه في هشام بن عمار، وبدلاً عالياً لخمستهم، ورواه أيضاً الترمذي في الشمائل عن أحمد بن عيسى، عن ابن وهب ورواه النسائي أيضاً في السير عن محمد بن مسلم، عن أبي القاسم، وفي الحج مختصراً عن عبد الله بن فضالة، عن الحميدي، عن سفيان بن عيينه، ثلاثتهم عن مالك، فوقع لنا عالياً من حيث العدد في هذه الطرق الثلاثة، ولله الحمد والفضل والمنة. وقد وقع لي في هذا الحديث من طرق مطولاً ومختصراً، تركت إيرادها هنا اختصاراً. وبالإسناد المتقدم إلى أبي منصور القزاز عن أبي بكر الخطيب. قال: أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين النوري.

أخبرنا عمر بن القاسم بن محمد المقري، حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسحاق المعدل المريني بعكة. قال: حدثنا زكرياء بن يحيي المرزوي، قال: وأخبرنا القاضي أبو بكر بن الحسن بن أحمد الحرسي، حدثنا أبو العباس أحمد ابن يعقوب الأصم، حدثنا أبو يحيى زكرياء بن يحيى المرزوي، حدثنا سفيان، وأخبرنا عالياً أبو محمد الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن اللخمي بقراءتي عليه. قال: أخبرنا الأشياخ الأجلاء الإمام العالم العلامة مفتي المسلمين بهاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الفضائل، هبة الله بن سلامة، بن المسلم، أجل الأئمة الشافعية قراءة عليه وأنا أسمع، والمسندان أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر ابن علي، وأبو القاسم عبد الرحمن بن مكي الحاسب الكيان شفاهاً. قالوا: أخبرنا الإمام جمال الإسلام أوحد الأنام الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلمي الأصبهاني، قراءة عليه، ونحن نسمع. قال: أخبرنا الأستاذ الرئيس جمال العراق أبو الحسن مكي بن منصور بن محمد بن علان الكرخي، قدم أصبهان سنة إحدى إحدى وتسعين وأربعمائة، وفيها مات رحمه الله تعالى، قال: أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن الحسن بن أحمد الحرسي الحسري بنيسابور. قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو يحيى زكرياء بن يحيى بن أسد المرزوي ببغداد. قال: حدثنا سفيان عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله

عنه، قال: قال رجل: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: «وماأعددت لها؟ قال: لاشيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: أنت مع من أحببت» صحيح عالٍ من حديث أبي بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، عن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري، عن النبي ﷺ، أخرجه مسلم في صحيحه، فرواه في الأدب عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعمر بن محمد الناقد، وزهير بن حرب، ومحمد بن عبد الله بن نمير، ومحمد بن يحيى بن أبي عمر، خمستهم عن سفيان بن عيينة، فوقع لنا بدلاً عالياً، وأخرجه مسلم أيضاً عن محمد بن نافع، وعبد بن حميد، جميعاً عن عبد الرزاق عن عمر، كلاهما عن الزهري، واتفق البخاري ومسلم على إخراجه في صحيحيهما من حديث سالم بن أبي الجعد، عن أنس، فرواه من حديث جرير، عن منصور، ورواه البخاري في الأدب عن عبدان، عن شعبة، عن عمرو بن مرَّة، ورواه مسلم أيضاً عن محمد بن يحيى اليشكري، عن عبدان، عن أبيه عن شعبة، عن عمرو بن مرة كلاهما عن سالم، فباعتبار هذا العدد إلى أنس وقع لنا عالياً في الطريق الثاني كان شيخي سمعه من الفقيه الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري، صاحب مسلم، وتوفي رحمه الله يوم الإثنين في رجب سنة ثلاثمائة، ولله الحمد والفضل والمنة.

وبالإسناد المتقدم إلى أبي منصور القزاز قال: أخبرنا أبو بكر الخطيب، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد الطاهري، قال: سمعت أبا الخير بن سمعون يذكر أنه خرج من مدينة الرسول ﷺ قاصداً بيت المقدس، وترك التمر مع غيره من الطعام في الموضع الذي كان يأوي إليه، ثم طالبته نفسه بأكل الرطب، فأقبل عليها باللائمة، وقال: من أين لنا في هذا الموضع رطب، فلما كان وقت الإفطار عمد إلى التمر ليأكل منه فوجده رطباً صحانياً، فلم يأكل منه شيئاً، ثم عاد إليه من الغد عشية، فوجده تمراً على حالته الأولى فأكل، أو كما قال: وبالإسناد المتقدم إلى أبي منصور القزاز. قال: أخبرنا الخطيب أبو بكر، قال: أخبرنا أبو نعيم الحافظ. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن مقسم، قال: حدثني أبو بكر الخياط الصوفي، قال: سمعت أبا حمزة يقول: سافرت سفرة على التوكل، فبينما أنا أسير ذات ليلة، والنوم في عيني إذ وقعت في بئر، فرأيتني قد حصلت فيها، فلم أقدر على الخروج لبعد مرتقاها، فجلست فيها، فبينما أنا جالس إذ وقف على رأسها رجلان، فقال أحدهما لصاحبه: نجوز ونترك هذه في طريق السابلة والمارة، فقال الآخر: ما نصنع؟ قال: نطمها، قال: فبدرت نفسي أن أقول: أنا فيها،

فنوديت: تتوكل علينا، وتشكو بلاءنا إلى سوانا، فسكت فمضيا، ثم رجعا ومعهما شيء جعلاه على رأسها، غطوها به، فقالت لي نفسي: أمنت طمها، ولكن حصلت مسجوناً فيها، فمكثت يومي وليلتي، فلما كان الغد، ناداني شيء يهتف بي ولاأراه: تمسك بي شديداً، فمددت يدي فوقعت على شيء خشن، فتمسكت به، فعلاها وطرحني، فتأملته فوق الأرض، فإذا هو سبع، فلما رأيته، لحق نفسي من ذلك ما يلحق من مثله، فهتف بي هاتف: يا أبا حمزة استنقذناك من البلاء بالبلاء، وكفيناك ما تخاف بما تخاف.

وبه إلى الخطيب قال: أخبرنا أبو القاسم رضوان بن محمد بن الحسن الدينوري، قال: سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري، يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الوهاب الحافظ، يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن نعيم يحكي عن أبي حمزة الصوفي الدمشقي، أنه لما خرج من البئر أنشد يقول: [من الطويل]

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى ... وأغنيتني بالقرب منك عن الكشف
تراءيتَ لي بالغيب حتى كأنما ... تبشرني بالغيب إنك في الكف
أراك وبي من هيبتي منك وحشة ... فتؤنسني بالعطف منك وباللطف
ويحيى محب أنت في الحب حتفه ... وذا عجب كون الحياة مع الحتف

وبه إلى الخطيب قال: أخبرني أبو علي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فضالة النيسابوري، بالري، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن أحمد بن الحسن الأزدي الخطيب بسمنان، يقول: قال جعفر بن محمد الخلدي: خرج طائفة من المشايخ الصوفية يستقبلون أبا حمزة الصوفي في قدومه من مكة، فإذا به قد شحب لونه، فقال الحريري: يا سيدي هل تتغير الأسرار إذا تغيرت الصفات؟ قال: معاذ الله لوتغيرت الأسرار لتغيرت الصفات، ولو تغيرت الصفات لهلك العالم، ولكنه ساكن الأسرار فحماها، وأعرض عن الصفات فلاشاها، ثم تركنا وولى، وهو يقول:

كما ترى صيرني. قطع قفار الزمن ... شردني عن وطني كأنني لم أكن
إذا تغيبت بدا. وإن بدا غيبني ... يقول لا تشهد ما تشهدا وتشهدني

ذكر احترام المشايخ والعلماء له وثنائهم عليه

قد تقدم في مواضع هذا الكتاب كثير من هذا المعنى، فأغناني ذكره ثم إعادته هنا، وها أنا أذكر أعيان المشايخ الذين بلغني عنهم شيء من ذلك واحداً بعد واحد، مبيناً بعض فضائلهم، مشيراً إلى شيء من مناقبهم، قاصداً في ذلك

نحو الاختصار، سالكاً فيه سبيل الاقتصار، فلو رام المقتفي أثرها أن ينال طرفها بباع طويل العد، لكف العجز، كف فهم شأوه عن منال مغزاها، أو ظن المقتدر على فرق البلاغة، والمعتصم بعلق الفصاحة أن يملك غايتها بسلطان قوي المدد، لظل بيانه منحصراً، وظل جنانه متحيراً، فلا غرو أن كنت المكتفي بنغبة من بحرها، والراضي بقطرة من قطرها، ثم انثنى بعد ثنائي بأوصافه عليه، وإعزائي بعض كراماته إليه، فاذكر غرراً يتبلج عن وجه معنى، وهو المقصود، وأورد درراً من مورد أردته، فوردته، ونعم الورد المورود، والله عز وجل المستعان ولا بأس أن أعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله المنان.

الشيخ أبو بكر بن هوار البطايحي رضي الله عنه: هذا الشيخ من عظماء مشايخ العراق، وأجلاء العارفين، وصدور المقربين، صاحب الكرامات الظاهرة، والمقامات الفاخرة، والسرائر الزاهرة، والبصائر الباهرة، والجلالات العظيمة، والأحوال الجسيمة، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، والهمم العالية، والرتب السنية. صاحب الإشارات النورانية، والنفحات الروحانية، والأسرار الملكوتية، والمحاضرات القدسية، له المعراج الأعلى في المعارف، والمنهاج الأسنى في الحقائق، والطور الأرفع في المعالي، والتقدم في صدور المراتب، والسبق إلى أسنى المنازل، والقدم الراسخ في أحوال النهايات، واليد البيضاء في علوم الموارد، والباع الطويل في التصريف النافذ، والذراع الرحيب في التمكين الواسع، والكشف الخارق عن حقائق الآيات، والفتح المتضاعف في معاني المشاهدات.

وهو ممن أظهره الله تعالى إلى الوجود، وأبرزه إلى الخلق، وملأ صدورهم من هيبته، وقلوبهم من محبته، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام، وصرفه الله في العالم، ومكنه من أحوال الولاية، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يده العجائب، وأجرى على لسانه الحكم، وأحيا به ما درس من معالم هذا الشأن، ونصبه قدوة للسالكين، وحجة على الصادقين، وإماماً لأهل الطريق.

ويقال: إنه أول من أسس المشيخة بالعراق بعد انقراض مشايخ الرسالة ومن من طبقتهم، ومن يليهم رضي الله عنهم. وأقام منار هذا الشأن، وأوضح طريق السلف بعدما عفا.

فيما أخبرني به قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي. قال: سمعت الشيخ الصالح أبا زكرياء يحيى بن يوسف الصرصري رحمه الله

تعالى. قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة، أبا الحسن علي بن إدريس اليعقوبي، قال: سمعت شيخنا القدوة أبا الحسن علياً بن الهيتي رحمه الله. قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة تاج العارفين أبا الوفاء. قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا محمد الشنبكي فذكر ذلك وهو أول من ألبسه أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخرقة في النوم، فاستيقظ، فوجدها عليه، وسيأتي شرحه إن شاء الله تعالى، وهو الذي قال: من زار قبري أربعين أربعاء، أتى في قبره براءة من النار. وقال: أخذت من ربي عز وجل عهداً أن النار لا تحرق جسداً دخل حرمي هذا يعني ترتبه.

ويقال: إن ما دخلها من الأسماك واللحوم لا تنضجه النار طبخاً، ولا شياً، وهو أحد أركان هذا الطريق، وصدر ساداتها، وأعيان أئمتها، وأكابر القادة الدعاة إليها، وأعلام العلماء بأحكامها علماً وعملاً، وحالاً وقالاً، وزهداً وتمكيناً، وتحقيقاً، وجلالة ومهابة، انتهت إليه رئاسة هذا الأمر في عصره، وبه عرفت تربية المريدين الصادقين بالعراق، وحل مشكلات مواردهم وكشف خفيات أحوالهم، وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر، مثل: الشيخ أبي محمد الشنبكي رضي الله عنه، وإليه ينتمي أكثر أعيان مشايخ العراق، وقال بإرادته جمٌّ غفير من ذوي الأحوال الفاخرة، وتلمذ له خلق لا يحصون كثرة من أرباب المقامات الرفيعة، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والاحترام، والرجوع إلى قوله، والمصير إلى حكمه، وقصد بالزيارة من كل قطر، ورمى بالآمال من كل جهة، وأهرع إليه أهل السلوك من كل فج عميق، وكان جميل الصفات شريف الأخلاق كامل الآداب، كثير التواضع، دائم البشر، وافر العقل، شديد الاقتفاء لأحكام الشرع، معظماً لأهل العلم، مكرماِ لأرباب الدين والسنة، محباً لمريدي الحق مع دوام المجاهدة، ولزوم المراقبة إلى الموت، وكان له كلام عالٍ في علوم المعارف، منه: التوحيد إفراد القدم عن الحدوث، والخروج عن الأكوان، وقطع الحجاب، وترك ما علم وجهل، وأن يكون الحق مكان الجميع وعلم التوحيد مباينٍ لوجوده، ووجوده مفارق لعلمه، وإذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة.

والتصوف: أن يكون مع الله تعالى بلا علاقة، مع ذكر باجتماع، ووجل باستمتاع، وتجمل باتباع.

والزهد: خلو القلب مما خلت منه اليد، واستصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب.

والخوف: يستلزم خشية وقوع البطش مع مجاري الأنفاس.

والخشوع: تذلل القلوب لعلام الغيوب.

والتواضع: خفض الجناح، ولين الجانب.

والنفس الأمارة بالسوء: هي الداعية إلى المهالك، المعينة للأعداء، المتبعة للهوى، المملوءة بأصناف الأسواء.

وكلام الأنبياء صلوات الله عليهم نبأ على حضور.

وكلام الصديقين رضي الله عنهم: إشارات عن مشاهدات، ومنه الحكمة تنطق في قلوب العارفين بلسان التصديق، وفي قلوب العباد بلسان التوفيق، وفي قلوب المريدين بلسان التفكر، وفي قلوب العلماء بلسان التذكر، وفي قلوب المحبين بلسان الشوق.

والصحبة مع الله تعالى: بحسن الأدب، ودوام الهيبة، ولزوم المراقبة.

والصحبة مع رسول الله ﷺ: باتباع سنته، ومعانقة العلم.

والصحبة مع أولياء الله تعالى: بالاحترام والخدمة.

والصحبة مع الأهل: بحسن الخلق.

والصحبة مع الإخوان: بدوام البشر ما لم يكن إثماً.

والصحبة مع الجهّال: بالدعاء لهم والرحمة لهم، والجمع بالحق تفرقة من غيره، والتفرقة من غيره جمع، ومن وصل إلى وده أنس بقربه، ومن توصل بالوداد فقد صح اصطفاؤه من بين العباد، وإذا كان الحق واحداً يكون طالبه وحداني الذات.

والمشتاق: من شاقه آثار محبوبه، وأفتنه مشاهدته، فتبدو له المعاني التي تعزب عن غيرها، فيشير إليهم الأزل بلسان الوداد، إلى إليَّ فيتنعمون بذلك، ثم يقع الحجاب، فيعود ذلك الفرح بكاء.

والخوف: يوصلك إلى الله عز وجل.

والعجب: يقطعك عن الله تعالى.

واحتقارك للناس: مرض عظيم لا يداوى.

أخبرنا قاضي القضاة، شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي. قال: سمعت الأشياخ الثلاثة، الشيخ العارف أبا الحسن علي بن سليمان البغدادي، المعروف بالخباز، والشيخ الصالح أبا زكرياء يحيى بن يوسف ابن يحيى الصرصري، والشيخ العالم كمال الدين أبا الحسن علي بن محمد بن وضاح الشهرياني. قالوا: سمعنا الشيخ الجليل أبا علي بن إدريس اليعقوبي.

يقول: سمعت شيخنا الشيخ علياً بن الهيتي رضي الله عنه، يقول: سمعت شيخنا تاج العارفين أبا الوفاء رضي الله عنه، يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا محمد الشنبكي، يقول: كان شيخنا الشيخ أبو بكر بن هوار رضي الله عنه شاطراً يقطع الطريق بالبطائح، ومعه رفقاء، وكان مقدمهم، يجلسون على تلك المعابر، يقتسمون أموال الناس، فسمع ليلة امرأة تقول لزوجها: انزل هنا لئلا يأخذنا ابن هوار وأصحابه، فاتعظ وبكى، وقال: الناس يخافونني، وأنا لا أخاف الله تعالى، وتاب في وقته ذلك، وتاب معه أصحابه، وانقطع مكانه متوجهاً إلى ربه عز وجل، على قدم الصدق والإخلاص في إرادته، ووقع عنده أن يسلم نفسه إلى من يوصله إلى ربه تعالى، ولم يكن بالعراق يومئذٍ شيخ مشهور من أهل الطريق، فرأى في منامه رسول الله ﷺ، وأبا بكر الصديق رضي الله عنه، فقال له: يا رسول الله البسني خرقة، فقال له: يا ابن هوار، أنا نبيك، وهذا شيخك، وأشار إلى الصديق رضي الله عنه، ثم قال: يا أبا بكر ألبس سميك ابن هوار كما أمرت، فألبسه الصديق رضي الله عنه، ثوباً، وطاقية، ومرَّ بيده على رأسه، ومسح على ناصيته، وقال: بارك الله فيك، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر تحيي سنن أهل الطريق من أمتي بالعراق بعد موتها، ويقوم منار أرباب الحقائق مع أحباب الله تعالى بعد دروسها، وفيك تكون المشيخة بالعراق إلى يوم القيامة، وقد هبت نسمات الله بظهورك، وأرسلت نفحات الله بقيامك، ثم استيقظ، فوجد الثوب والطاقية بعينهما عليه، وكانت على رأسه ثواليل فلم يرها، وكأنه نودي في الآفاق أن ابن هوار وصل إلى الله عز وجل، فأهرع الخلق إليه من كل قطر، وبدت علامات قربه من الله تعالى، وترادفت أخباره عن الله عز وجل، وكنت آتيه، وهو في البطيحة وحده، والأُسد محدقة به، يتمرغ بعضها على قدميه، ورأيت يوماً بين يديه أسداً عظيماً يعفر خديه في التراب، على هيئة المخاطب له، والشيخ كأنه يرد عليه جواباً، ثم انصرف الأسد فقلت له: بالذي أنعم عليك، ما قلت لهذا الأسد، وما قال لك؟ فقال لي: يا شنبكي إنه قال لي ثلاثة أيام ما ذقت فيها طعاماً، وقد أضر بي الجوع، فاستغثت بالله الليلة عند السحر فقيل لي: رزقك بقرة في الهمامية تفترسها، على سوء ينالك، وإني خائف من ذلك السوء، ولا أعلم ما هو، فقلت له: جراحة تصيبك في جنبك الأيمن تتالم منها أسبوعاً ثم يزول ألمها، يا شنبكي، وإني نظرت في اللوح المحفوظ، فإذا البقرة من رزقه ولا بد له منها، وإذا هو يخرج من أهل الهمامية أحد عشر رجلاً يموت منهم ثلاثة، يموت أحدهم قبل الآخر

بساعتين، ويموت ثالثهما بعد ثانيهما بسبع ساعات، ويصيب الأسد من أحدهم جراحة في جنبه الأيمن، ويبرأ بعد أسبوع. قال: فأسرعت إلى الهمامية، فإذا الأسد قد سبقني إليها، وخرج من أهلها أحد عشر رجلاً، وأصابه أحدهم بجراحة وثيقة في جنبه الأيمن، ورأيته يسحب البقرة معه وجراحته تشخب دماً، فبت عندهم تلك الليلة، فمات أحد المجروحين وقت المغرب، ومات الآخر بعد العشاء، ومات الآخر عند السحر، ثم أتيت الشيخ بعد أسبوع فرأيت الأسد بين يديه وقد برأت جراحه.

أخبرنا أبو الفتوح عبد الملك بن محمد بن عبد المحمود الربعي الواسطي. قال: سمعت الشيخ الصالح بقية السلف، أبا العزائم مقدام بن صالح البطائحي ثم البغدادي بها، قال: سمعت شيخنا أبا العباس أحمد بن أبي الحسن الرفاعي رضي الله عنه. قال: سمعت خالي الشيخ منصور رضي الله عنه، يقول: أول من ذلل الأسد والحيات لأهل البطائح الشيخ أبو بكر بن هوار رضي الله عنه، وسبب ذلك أنه أراد أن يرحل من البطائح، ويسكن المدن، فأحدقت به الحيات والأسد والكواسر من الطيور والجن، وسألته بالله العظيم أن لا يرحل عنها، فأخذ عليها أن لا تؤذي له مريداً، ولا محباً إلى يوم القيامة، وأن تطيعهم حيثما كانوا ما دامت الدنيا، قال وأتته امرأة من البطائح وقالت له: إن ابني غرق في الشط، وليس لي سواه، وأنا أقسم بالله أن الله عز وجل أقدرك على رده عليَّ، فإن لم تفعل شكوتك غداً إلى الله ورسوله، أقول يا رب أتيته ملهوفة وكان قادراً على رد لهفي فلم يفعل، فأطرق ثم قال: أرني أين غرق ابنك، فأتت به إلى الشط، فإذا ابنها قد طفى على وجه الماء ميتاً، فسبح الشيخ في الماء حتى وصل إليه وحمله على عاتقه، وأعطاه لأمه وقال: خذيه فقد وجدته حياً، فانصرفت وهو يمشي معها، ويده في يدها كأن لم يكن به شيء قط.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمر الأزدي، قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو طاهر الخليل بن الشيخ القدوة، أبي العباس أحمد بن علي الصرصري. قال: أخبرنا أبي قال: سمعت الشيخ عزاز بن مستودع النفساني الباز الأشهب رضي الله عنه، يقول: الشيخ أبو بكر بن هوار رضي الله عنه، أول المشايخ بالعراق بعد مضي السلف رضي الله عنهم، وكانت ترى الأنوار تخترق البطائح ليلاً من كثرة ما يطرقها رجال الغيب لزيارته، وكان مجاب الدعوة، دعا بالبركة للبطايح، فقال: اللهم بارك لنا في ماشيتنا ونباتنا وأرزاقنا، فالبطايح ببركة دعوته من أخصب بقاع الأرض، وأكثرها خيراً، وأوسعها رزقاً، وأوفرها ماشية.

وكان ظاهر التصريف إذا أجدبت قرية أتاه أهلها يشكون إليه الجدب، ويسألونه الاستسقاء، فيقول لهم: أدركوا أهلكم، فما يلحقون بيوتهم إلا يخوضون في ماء المطر، ولا يعدو المطر تلك القرية، وربما وقع ذلك في غير أوان المطر.

وزلزلت واسط مرة زلزالاً شديداً، رجت منه الجبال، وتساقط البنيان، وضجَّ الناس بالصراخ، فإذا الشيخ أبو بكر بينهم وبينه وبين واسط أيام، فسكن الزلزال، وطلبوا الشيخ فلم يروه، وكان بواسط يومئذٍ رجل صالح، فرأى في منامه تلك الليلة ملكين نازلين من السماء، وأحدهما يقول للآخر: كادت هذه الأرض أن تذهب اليوم، فقال له صاحبه: وما أمسكها: قال: إن الله تعالى نظر إلى ابن هوار فرحم الخلق ورضي عنهم، واستأذن في تسكين الزلزلة فأذن له، فاخترقت الأرضين السبع والثرى، حتى انتهت إلى البهموت، فقال له: اسكن يا عبد الله، فقال له: ومن أنت: فقال: أنا أبو بكر بن هوار، فقال: أمرت أن أطيعك ولا أطيع غيرك من أهل زمانك، وسكن.

قال: وتوضأ يوماً في بئر معطلة بالبطايح، فكثر ماؤها، وعذب رضي الله عنه. وهو رضي الله عنه، من الهواريين، قبيلة من الأكراد، سكن البطايح ومات بها قديماً، وقد علت سنه، وقبره بها ظاهر يزار.

ويقال: إنه لما حضرته الوفاة، غشيته أنوار ساطعة يراها البعيد والقريب من هذا الشأن، واشتم الحاضرون رائحة شديدة الطيب، لم يشم في دار الدنيا أطيب منها، ولما مات سمع في أرجاء البطايح نياحةٌ، وصراخ، تسمع الأصوات ولا ترى الأشخاص، فيقال: إن ذلك من الجان رضي الله عنه.

أخبرني الشيخ الصالح أبو الفضائل عبد الله بن أحمد بن علي بن يوسف الهاشمي القيلوي. قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا جعفر عمر ابن الشيخ أبي الخير سعيد ابن الشيخ القدوة أبي سعيد القيلوي. قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي أبا سعد رضي الله عنه، يقول: سمعت شيخنا الشريف أبا سعد بن ماجس الحامدي رضي الله عنه، يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا محمد الشنبكي رضي الله عنه، يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا بكر بن هوار رضي الله عنه، يقول: أوتاد العراق سبعة: معروف الكرخي، وأحمد بن حنبل، وبشر الحافي، ومنصور بن عمار، والجنيد، والسري، وسهل بن عبد الله التستري، وعبد القادر الجيلي، فقلنا له: ومن عبد القادر. قال: أعجمي شريف يسكن بغداد، يكون ظهوره في القرن الخامس، وهو أحد الصديقين الأوتاد الأفراد، أعيان الدنيا، أقطاب الأرض رضي الله عنهم.

الشيخ أبو محمد الشنبكي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان مشايخ العراق، وأكابر العارفين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الخارقة، والأفعال الظاهرة، والأحوال النفيسة، والمقامات الجليلة، والهمم السامية، والرتب العالية، والإشارات النورانية، والأسرار القدسية، والأنفاس الملكوتية، صاحب الفتح السني، والكشف الجلي، والوصل الهني، والسر المضي، له البصائر المشرقة بأنوار الغيوب، والسرائر المجردة عن علائق الأكوان، والعزائم السامية فوق صدور المراتب، والسبق إلى أعلى أطوار المعارف، والتعالي إلى أرفع مدارج الحقائق، وله التصدير في مراتب القدس، والتقدم في منازل القرب، والترقي في معارج الدنو، والقدم الراسخ في التمكين الموطد، والباع الطويل في التصرف النافذ، واليد البيضاء في أحكام الولاية، والقوة الشديدة في أحوال النهاية، والنظر الخارق في عوالم الغيب، والمظهر العظيم بخرق العوائد مع بداءات في المصافاة، وأحوال في المشاهدة، وثبات في مقام الرضا على أحكام الله تعالى، واسترسال مع تصاريف أقداره.

وهو أحد من أظهره الله إلى الخلق، وصرفه في الوجود، ومكنه من الأحوال، وملكه الأسرار، وخرق له العادات، وقلب له الأعيان، وأظهر على يده العجائب، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه لطائف الأسرار وفنون الحكم، وأوقع له القبول التام في الصدور، والهيبة العظيمة عند الخاص والعام، وجعله إماماً للمتقين، وعلماً للمهتدين.

وهو أحد أركان هذا الطريق، أجل أئمتها البارعين، ورؤساء ساداتها المحققين، وأعلام العلماء بأحكامها، وأولي الأيدي والأبصار بمناهجها علماً وعملاً، وزهداً وتحقيقاً، وتمكيناً، وجلالة، ومهابة. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته، وبه غدق الأمر في تربية السالكين الصادقين بالعراق، وكشف مشكلاتهم وتفصيل أحوالهم.

وتخرج بصحبته غير واحد من العظماء مثل: الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء، والشيخ منصور، والشيخ عزاز، والشيخ أبي سعد بن ماجس، والشيخ موهوب، والشيخ مواهب، والشيخ عثمان بن مروة البطايحيين، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

وقال بإرادته أمم من ذوي الأحوال الفاخرة، وتلمذ له خلق كثير من أرباب المقامات السنية، وانتمى إليه جمٌّ غفير ممن له قدم راسخ في هذا الشأن من

المشايخ. وأظهر الله تعالى من مريديه إلى الوجود، عدة ممن يقتدى بأفعالهم وأقوالهم، وطبق الأرض بمناقبهم واتباعهم شرقاً وغرباً.

وهو الذي قام بعد شيخه الشيخ أبي بكر بن هوار رضي الله عنه، بنشر المشيخة بالعراق، ونهض بما أودعه من أسرار الكون في منهاج الحق، ودعا إلى الله تعالى بلسان الصدق، فأجابته صبابات القلوب، ولبته معاني الأسرار، وانعقد عليه الإجماع بالتبجيل، وأشار إليه المشايخ والعلماء بالاحترام، ورجعوا إلى قوله، وأقروا بمكانته، وبرزوا عدالته، وقصده طالبو طريق الحق من كل قطر، وكان شريف الأخلاق، لطيف الصفات، كامل الآداب، وافر العقل، دائم البشر، مخفض الجناح، كثير التواضع، شديد الحياء، دائباً في اتباع أحكام الشرع، وآداب السنة، محباً لأهل الفضل، مكرماً لأرباب العلم، لم يزل به قدم، ولم يمله هوى متبع إلى أن أتاه اليقين رضي الله عنه، وكان له كلام نفيس على لسان أهل الحقائق، منه أصل الطاعة الورع، وأصل الورع التقوى، ومحاسبة النفس، وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء، وأصل معرفة الخوف والرجاء معرفة الوعد والوعيد، وأصل ذلك الفكرة، وملاكها العبرة، وحسن الخلق احتمال الأذى، وقلة الغضب، وبسط الرحمة، ومن لم يسمع نداء الله فكيف يجيب داعيه، ومن استغنى بشيء دون الله تعالى فقد جهل قدر الله تعالى، ومن زين باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين الله ظاهره، بالمجاهدة، واتباع السنة، والأنس بالله تعالى، من الوحشة من الخلق، وعلامة الوحشة منهم الفرار إلى مواطن الخلوة، والتفرد بعذوبة الذكر، ومن لم يعرف الله تعالى بالقدرة، فإنه لا يعرفه، لأنه إذا عرف أنه قادر على أخذ ما معه، فيعطيه غيره، وأن يعطيه من فضله بعد أن لم يكن، فقد عرف، ومن أراد أن يمتحن يقينه، فلينظر إلى ما وعده الله عز وجل، ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق، ومن استعان بالله عز وجل على أمر الله تعالى وصبر لله تعالى على آداب الله، فهو من أرباب المقامات، ومن قهر نفسه بالأدب، فهو يعبد الله تعالى بالإخلاص، وحجاب الخلق عن الحق تدبيرهم لنفوسهم، ومن نظر إلى أن الله تعالى قريب منه، بعد من قلبه كل شيء سواه، والقوم فقدوا أنفسهم في المجاهدة، وفقدوا أهويتهم في المكابدة، وفقدوا إرادتهم في المراقبة، فصارت شهواتهم في المشاهدة، ومنهم من رأيته يدعي مع الله تعالى حالة تخرجه عن حد علم الشريعة، فلا تقربن منه، ومن رأيته يسكن إلى الرئاسة والتعظيم، فإياك وإياه، ومن رأيته مستغنياً بنفسه، فاعلمنَّ جهله، ومن ادعى سراً مع الله تعالى لا يشهد له

حفظاً ظاهره فاتهمه في دينه، ومن رأيته يرضى عن نفسه، ويسكن إلى وقته فهو مخدوع، ومن رأيته مطمئناً إلى أصدقائه، مدعياً كمال الحال، فاشهد بسخافة عقله، وإذا رأيت مريداً يسمع القصائد، ويميل إلى الرفاهية، فلا ترجُ خيره، وإن متَّ جوعاً فلا ترتفقن من فقير رجع إلى الدنيا، فإن رفقه يقسي القلب أربعين صباحاً، ومن أدى الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتنب النهي في الظاهر والباطن، وصبر على ذلك إلى الموت، فقد بلغ حقيقة الإيمان، وصلاح القلب من ثلاثة أشياء: رفض الدنيا، والرضاء بما قسم الله، والاشتغال بطلب العلم للآخرة، وما أخذ عبد بشهوة من الدنيا بغير العلم إلا أخذ بعقوبة، وملاك السبق إلى المعالي وإصلاح الباطن لمراد الحق، وإسقاط الخلق لرؤية القرب، والاعتماد على الله عز وجل، لرفع الحجب، والولي في ستر حاله أبداً، والكون كله ناطق بولايته، وأقرب القلوب إلى الله تعالى قلب رضي بحصة الفقراء، وآثر الباقي على الفاني، وشهد سوابق القضاء، وآيس من أفعاله، وإذا عجزت عن شيء فلا تعجز عن رؤية ضعفك، والعلماء بالله تعالى هم الواقفون معه على حدود الآداب لا يتجاوزونها إلا بإذن، وأنفع العلوم العلم بالله.

أخبرنا أبو محمد ماجد بن محمد بن خالد العراقي الحلواني. قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو بكر محمد بن الشيخ العارف عوض بن سلامة الغراد البغدادي الصوفي. قال: أخبرنا والدي، قال: سمعت الشيخ القدوة أبا محمد ماجد الكردي رضي الله عنه، يقول: سمعت شيخنا تاج العارفين أبا الوفا رضي الله عنه، يقول: كان شيخنا أبو محمد الشنبكي رضي الله عنه، في بدايته يقطع الطريق على القوافل في البطايح، ومعه رفقة، فاحتبسوا ليلة قافلة في قرية الشيخ أبي بكر بن هوار رضي الله عنه، وقتلوا منها، واقتسموا أموالها، فلما جاوزوا زاوية الشيخ ابن هوار رضي الله عنه، وقت السحر، قال أبو محمد الشنبكي لأصحابه: اذهبوا، فقد أخذ الشيخ بمجامع قلبي، ولا أستطيع العدول عنه يميناً ولا شمالاً، فقالوا له: نكون معك، وألقوا ما معهم، فقال الشيخ أبو بكر لأصحابه: قوموا بنا نتلقى المقبولين، وخرج لهم فلما رأوه قالوا له: يا سيدنا الحرام في بطوننا والدماء في سيوفنا، فقال لهم الشيخ: ذروها فقد قُبلتم على ما فيكم، فتابوا على يديه، وتولى الشيخ أبو بكر مصالح الشيخ أبي محمد ثلاثة أيام، ثم قال له في اليوم الرابع: يا أبا محمد اذهب إلى الحدادية، واجلس بها، وادعُ إلى الله عز وجل، فقد صرت شيخاً مكملاً، فانصرف إلى الحدادية، كما أمره الشيخ، فقال الشيخ أبو

بكر رضي الله عنه: قد وصل أبو محمد إلى الله عز وجل في ثلاثة أيام، فقيل للشيخ أبي محمد: بما وصلت إلى الله تعالى في ثلاثة أيام؟ فقال: تركت الدنيا في اليوم الأول، والآخرة في اليوم الثاني، وطلبت الله في اليوم الثالث طلباً مجرداً عما سواه، فوجدته. واشتهر ذكره في الآفاق، وقصدته الزوار من كل فج عميق، وظهرت أمارة قربه من الله سبحانه، وتتابعت كراماته، فكان يبرىء الله تعالى بدعوته الأكمه والأبرص والمجنون، ويبارك له في اليسير.

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي، قال: أخبرنا الشيخ الإمام العارف عز الدين أبوالعباس أحمد بن الشيخ الجليل أبي إسحاق إبراهيم العراقي التاروني. قال: سمعت شيخنا الشيخ أحمد بن الرفاعي، رضي الله عنه، يقول: سمعت خالي الشيخ منصور يقول: كان الشيخ أبو محمد الشنبكي رضي الله عنه، جالساً في البطيحة وحده، فاجتاز به أكثر من مائة طير، فنزلت حوله واختلطت أصواتها، فقال: يا رب قد شوش عليَّ هؤلاء، فنظر فإذا الكل موتى، فقال: يا رب ما أردت موتهم، فقاموا ينتفضون وطاروا. قال: ومر بجماعة بين أيديهم أواني الخمر، وآلات الطرب، فقال: اللهم طيب عيشهم في الآخرة، فصارت الخمرة ماءً، وألقى الله تعالى عليهم الخشية، فصرخوا ومزقوا ثيابهم، وتهاطلت دموعهم، وكسروا تلك الأواني والآلات، وحسنت توبتهم. قال: وأتى بإهاب من جلود فيها لبن، فعمد إلى إهاب منها، فخرقه وقال: إن الله تعالى قد أحيا إليَّ هذه الشاة التي هذا الإهاب من جلدها، وأخبرتني أنها ميتة، وأنطق لي الجلد أنه لم يدبغ، ففحص عن ذلك، فوجد الأمر كما أخبره رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن أبي يحيى، بن أبي القاسم الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ علي بن سليمان الخباز ببغداد، قال: سمعت الشيخ علي بن إدريس الروحاني، وأخبرنا أبو الفتح عبد الرحمن ابن الشيخ أبي الفرج توبة بن إبراهيم الصديقي البغدادي. قال: أخبرني أبي قال: سمعت الشيخ القدوة مكارماً النهر خالصي، قال: سمعنا شيخنا الشيخ القدوة علي بن الهيتي، قال: قال أصحاب الشيخ عزاز بن مستودع رحمه الله تعالى له: إن قيل لنا من شيخكم؟ قلنا: الشيخ عزاز، فإن قيل: ومن شيخ الشيخ عزاز، فما نقول: قال لهم: فأوحى إلى عبده ما أوحى، فبلغ ذلك شيخه الشيخ أبا محمد الشنبكي رضي الله عنه، فقال لأصحابه قوموا بنا إلى قرية الشيخ عزاز، فلما قربوا من الشط خرج الشيخ عزاز فتلقاهم، وجلس الشيخ أبو محمد عنده أياماً، فغمض الشيخ أبو محمد يوماً عينه وتأوه،

فقال له الشيخ عزاز: ما شأنك يا سيدي؟ فقال: عيني، فقال: أرنيها، ففتح عينه في عينه، فوقع الشيخ عزاز إلى الأرض مغشياً عليه، ورجع أبو محمد إلى الحدادية، فلما أفاق الشيخ عزاز أحضر جميع أصحابه، وقال لهم: إذا قيل لكم: من شيخكم؟ قولوا: الشيخ أبو محمد الشنبكي، وعزاز أخونا. قال الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه: وحكى لي الشريف أبو سعد بن ماجس رضي الله عنه. قال: ما مررت في بدايتي بالحدادية، إلا وسمعت النوب في الجو، تضربها الملائكة بالولاية للشيخ أبي محمد الشنبكي، والشاويش يصيح له في السماء بالسلطان، وأرى الملائكة يسلمون عليه بالاحترام والتبجيل أفواجاً أفواجاً، وأنا الآن أسمع ذلك من جميع آفاق العراق، وما رأيت بلاء الناس نازلاً من السماء ومر على الحدادية إلا تمزق وارتفع.

أخبرنا الشيخ الفقيه أبو القاسم محمد بن عبادة الأنصاري الحلبي، قال: سمعت الشيخ القدوة أبا الحسن علياً القرشي قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا سعد القيلوي رضي الله عنه، يقول: بنى بعض أهل الحدادية، بها داراً وشيدها وغصب على بنائها الصناع، وسخر فيها رجلاً من أصاب الشيخ أبي محمد الشنبكي، وكثرت منه الشكاوى، فاجتاز الشيخ أبو محمد يوماً بها فقال: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها، فسقطت الدار من أعلاها، ودكت قواعدها، فقال الشيخ: لن تعلو أبداً إلا أن يشاء الله، فكانوا كلما أحكموا بناءها وشيدوها سقطت، وما استطاع أصحابها يرفعون جداراً منها قط. قال: وأتاه رجل من أصحابه، وقال له: ابعث إلى السلطان ليعطيني ما أستعين به على ضرورياتي، فلما كان الغد أتاه فقال: يا سيدي أبعثت إلى السلطان، قال الشيخ له، بل قلت أنا له، فقال لي: لا أحوجه إلى أحد من خلقي ما عاش، قال: فكان إذا جاع ساق الله له من يطعمه ما يشتهي، وإذا عري ساق الله تعالى له ما يلبس، وإذا احتاج إلى الفضة، ساقها الله تعالى إليه من غير سؤال، وما زالت حالته هذه إلى أن مات. قال: وقال له رجل: يا سيدي إذا حاضرت الملك، فاسأله عني، فاطرق الشيخ ساعة ثم قال: قد سألته عنك، فقال: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ [ص: ٣٠] وسترى في منامك الليلة رسول الله ﷺ، ويخبرك بذلك، فأخبر الرجل أنه رأى رسول الله ﷺ، تلك الليلة، وقال له: صدق الشيخ أبو محمد الشنبكي، قد قيل في حقك: ﴿نعم العبد إنه أواب﴾. وهو رضي الله عنه، من الشنابكة قبيلة من الكرد، سكن الحدادية قرية من البطايح، وبها مات قديماً مسناً، وقبره بها ظاهر يزار، رحمه الله تعالى.

أخبرنا الفقيه أبو غالب، رزق الله بن محمد بن علي الرقي. قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ القدوة أبو الفتح منصور بن الأقدم، الزقي بها. قال: أخبرنا أبي قال: سمعت الشيخ الجليل القدوة أبا عبد الله محمد ابن ماجد الرقي رضي الله عنه، يقول: سمعت الشيخ العارف أبا عمرو عثمان بن احمد الشوكي ببغداد، وكان يقال أنه من رجال الغيب السيارة. قال: سمعت الشيخ الجليل القدوة أبا العباس أحمد البقلي اليماني. قال: سمعت جدي لأمي الشيخ الجليل القدوة أبا الفتح مواهب بن عبد الوهاب الهاشمي رضي الله عنه. قال: سمعت الشيخ أبا محمد الشنبكي رضي الله عنه، يقول: كان شيخنا الشيخ أبو بكر بن هوار، رضي الله عنه، يذكر الشيخ عبد القادر الذي سوف يظهر بالعراق، في وسط القرن الخامس، وينص على فضله، وما كان علمي به يجاوز مسمعي، ثم كوشفت مقامات الأولياء، فإذا هو في صدورهم. وكوشفت مراتب المقربين بين فإذا هو من أعلاهم، وكوشفت بأطوار المكاشفين، فإذا هو من أجلهم، وسيظهره الله مظهراً لا يظهر فيه إلا الصديقون المريدون، العلماء بالله تعالى، وهو ممن يقتدى بافعاله، وأقواله، وسوف يرفع الله عز وجل ببركته خلقاً من عباده إلى الدرجات العلى، وهو ممن يباهي الله به الأمم يوم القيامة رضي الله عنه، وأرضاه، وجعل الجنة متقلبه ومثواه.

الشيخ عزاز بن مستودع البطايحي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ العراق وأعيان العارفين، وأجلاء المقربين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، والمقامات السنية، والأسرار القدسية، صاحب البصائر المشرقة، والسرائر المونقة، والحقائق اللطيفة، والمعارف الشريفة، والهمم السامية، والرتب العالية، والفتح السني، والكشف الجلي، والقلب المضيء، والقدر العلي، والمشرب الهني، له المعراج الأعلى في مناهج القرب، والمقر الأرفع في محاضر القدس، والطور الأسنى في مراقي الوصل، والتقدم في صدور المراتب، والسبق إلى أسمى المنازل، والقدم الراسخ في التمكين الواسع، والباع الطويل في التصريف النافذ، واليد البيضاء في علوم المنازلات، والذراع الرحب في معاني المشاهدات، والنظر الكاشف عن حقائق الآيات.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، ومكنه من أحوال النهاية، وملكه أسرار الولاية، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأظهر على يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وأوقع له

القبول التام عند الخلق، وملأ صدورهم من هيبته، وعمر قلوبهم بمحبته، ونصبه قدوة لسالكي طرق الحق، وهو أحد أركان هذا الشأن، وسادات أئمته البارعين، وصدور علمائه المحققين، ورؤساء القادة إليه، وأولي الأيدي والأبصار بأحكامه علماً وعملاً، وزهداً وتمكيناً، ومهابة وجلالة.

وهو ممن انتهت إليه رئاسة هذا الأمر في تربية المريدين الصادقين بالبطايح، واجتمع عنده جماعة من الصلحاء وذوي المراتب، وأخذوا عنه علم الطريقة، وآداب الحقيقة، وانتفعوا به، وتخرجوا بصحبته. وقال بإرادته جمع عظيم من أصحاب الأحوال. وتلمذ له خلق كثير ممن له قدم في هذا الشأن.

وأجمع المشايخ والعلماء على تعظيمه واحترامه، واعترفوا بمكانته، وبرزوا عدالته، وانتهوا إلى قوله، ورضوا بحكمه، وقصد بالزيارات من كل أفق، ورمقته الآمال بأبصارها، وأمته الوفود من أقطارها، وكان المشايخ بالبطايح رضي الله عنهم يلقبونه بالباز الأشهب، ويعظمون أمره، ويرفعون قدره، وكان جميل الصفات، لطيفاً كامل الآداب، دائم التوجه، ظاهر الوضاءة، كثير الحياء، وافر العقل، شديداً في اتباع أحكام الشرع، دائباً في اقتفاء آثار السنة، مفوضاً لأحكام الله تعالى، مسترسلاً مع أقدار الله، محباً لأهل الدين، مكرماً لذوي الفضل مع دوام حال المجاهدة، ولزوم مقام المراقبة، ومعانقة طرق السلف، في السر، والجهر. وكان له كلام عالٍ على لسان أهل المعارف، منه: الغفلة غفلتان؛ غفلة رحمة، وغفلة نقمة، فأما التي هي رحمة فكشف الغطاء، لتشاهد القوم العظمة والجلال، فيذهلون عن العبودية إلا الفرائض والسنن، ويغفلون عن مراعاة السر إلا مراقبة واردات الهيبة، وأما التي هي نقمة: فاشتغال العبد عن طاعة الله تعالى، بمعصيته، أو التفاته إلى رؤية الكرامات، غافلاً عن الاستقامة في العبودية.

وبساط المجد: بسط للأولياء، ليأنسوا به، وليرفع عنهم حشمة بديهة المشاهدة.

وبساط السطوة: بسط للأعداء، ليستوحشوا من قبيح أفعالهم، فلا يشاهدون ما ينتهون به، ولا يطمئنون إلى ما يأنسون به، وإذا سلمت منك نفسك، فقد أديت حقها، وإذا سلم منك الخلق فقد أديت حقوقهم.

والعارف: يخاف زوال ما أعطي، والخائف يخاف نزول الوعيد، والخوف ينشأ من لحظ سطوة العدل، والرجاء ينشأ من رمق الفضل، ومنه: الأرواح نطقت بالأشواق، فتعلقت عند لذعات الحقيقة، بأذيال المشاهدة، فلم ترَ غير الحق

معبوداً، فأيقنت أن المحدث لا يدرك القديم بصفات معلومة، فصفات الحق واصلة إليه، فالحق أوصله، ولم يصل هو بنفسه، وقلوب العاشقين طائرة إلى الحق بأجنحة المعرفة، سائرة إليه بموالاة المحبة، مجذوبة بأنوار قدسه إلى أنوار رأسه.

والقلب السليم: من أشار من تحته إلى الوفاء، ومن فوقه إلى الرضا، ومن يمينه إلى العطاء، ومن شماله إلى المنى، ومن أمامه إلى اللقاء، ومن وراءه إلى البقاء.

ومنه: الإرادة تحويل القلب عن الأشياء إلى رب الأشياء.

والتصوف: الجلوس مع الله عز وجل بلا هم، والتجريد برقة تحرق البقايا، وتمحق الرسوم، وتعصم من رؤية الكون.

والوجد: نور يزهو مقرون بنيران الاشتياق، تحرق البقايا، ويلوح على الهياكل آثاره.

والمحبة: كاس له وهج في الأسرار، إذا استقرت في القلوب فنيت، وإذا تمكنت من النفوس تلاشت، وإذا مازجت الأرواح طارت، وإذا خالطت العقول دهشت، وإذا لابست الأفكار حارت.

وتمام العلم: انقطاع الرجاء عن بلوغ كنه صفات الجلال.

ومن رفع ظل نفسه عن قلبه عاش الناس في ظله.

وأفضل أوقاتك: وقت تسلم فيه من هواجس نفسك، ويسلم الناس فيه من سوء ظنك، وكان رحمه الله تعالى، يتمثل بهذه الأبيات:

عودوني الوصال والوصل عذب ورموني بالصد والصد صعب

زعموا حين عتبوا أن جرمي فرط حبي لهم وما ذاك ذنب

لا وحسن الخضوع عند التلاقي ما جزى من يحب إلا بحب

أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن إياس بن رجاء البعلبكي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن عبد اللطيف ابن شيخ الشيوخ أبي البركات إسماعيل بن أبي سعد أحمد بن محمد بن دست زاد النيسابوري البغدادي، بدمشق. قال: سمعت أبي رضي الله عنه، يقول: كان الشيخ عزاز البطايحي رضي الله عنه، يمشي بين النخيل، فاشتهى الرطب، فتدلت له عراجين النخل حتى دنت من الأرض، فأكل منها، ثم عادت إلى حالها كما كانت أولاً. قال: وكانت تكلمه الجن، والأسد تأنس به، والوحوش تألفه، والطيور تأوي إليه. وكان يقول: من أنس بالله أنس به كل شيء، ومن خاطب الله خاطبه كل شيء، ومن هاب الله هابه كل شيء، ومن

وصل إلى الله تأخر عنه كل شيء، إجلالاً له، ومن عرف الله جهله كل شي، لعظم ما أودعه. فكان يقال: إن الشيخ عزاز يخاطبه كل شيء حتى الجمادات، ويهابه كل شيء يراه حتى يكاد يرعد من هيبته، ويأنس به جليسه، أنساً ينسى به من سواه، حتى إن الأماكن التي يجلس فيها، يوجد فيها بعد انفصاله عنها أنس وروح. قال: ومر بأسد قد افترس شاباً بالبطيحة، وقد قصم ساقه نصفين، وكان الأسد قد قطع الطريق وأعيا الرجال، وتضرر منه أهل البطايح، فصاح الشيخ عليه فولى منهزماً ذليلاً، وجعل يمرغ خديه بين يديه، فتناول الشيخ من الأرض حصاة، على قدر الفولة، وحذفه بها فخر ميتاً، ثم جاء الشيخ إلى ذلك الشاب، ووضع ما انكسر في ساقه في موضعه، وأمرَّ عليه يده فإذا هو سوي، فقام يعدو إلى أهله وأخبرهم، وجاء الناس، وأخذوا جلد الأسد، ومات الشيخ رضي الله عنه، بعد ذلك بيسير.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفضائل عثمان بن نصر بن يوسف بن أحمد الحسيني الواسطي، المقري. قال: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد بن عبد السميع الهاشمي، الواسطي المقري العدل بواسط. قال: سمعت جدي أبا المظفر عبد السميع بن عبد الله بن عبد السميع الواسطي يقول: أشخص الخليفة المقتدي بأمر الله الشيخ عزازاً من البطايح إلى بغداد، ليتبرك به، فلما دخل القصر، واخترق الدهاليز، فما نظر إلى ستر مرخي إلا تمزق قطعاً، فلما اجتمع به المقتدي قال له الشيخ: سيقصدك ملك العجم في جيش لا قبل لك به، وقد ملكت جيشك رقاب جيشه، وملكتك من عنقه، فبعد مدة جاء ملك العجم إلى بغداد في عدد عظيم، فوقع الحال كما قال الشيخ، وأسر الملك واعتقل ببغداد أياماً، ثم افتدي بأموال عظيمة. قال: وقيل للشيخ منصور رضي الله عنه، إن الشيخ عزازاً لما نظر إلى الستور تمزقت، فقال: الحجب تمزق بأنفسه، وتطوى بهمته، فكيف لا تمزق الستور بنظره. قال: وقيل للشيخ عزاز وهو تحت جبل: ما القوة في الحال؟ قال: القوي في حاله من لان له كل صم، وذل له كل صعب، ثم أخذ من الجبل حجراً أصم، فصار في يده على هيئة الرمل.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الجعد عبد الرحمن بن أبي السعادات، أحمد بن محمد بن رضوان القرشي البصري. قال: أخبرنا الشيخ العارف بقية السلف أبو الخير مكارم بن خليل بن يعقوب المصري البصري الوراق. قال: سمعت الشيخ الجليل أبا المعمر إسماعيل بن بركات الواسطي، خادم الشيخ عزاز رضي الله عنه،

يقول: سمعت شيخنا الشيخ عزازاً رضي الله عنه، يقول: ورد عليَّ في بدايتي حال استغرقتُ فيه أربعين يوماً، لا آكل ولا أشرب، ولا أميز فيه بين الأمرين، ثم رجعت إلى حسي فذهلت عن نفسي سبعة عشر يوماً، ثم عدت إلى حكم العادة، فتاقت نفسي إلى خبز بر سخن، وسمكة مشوية، وماء عذب في إناء جديد أحمر، وكنت إذ ذاك على الشط، فرأيت في وسط اللجة أشباحاً سوداً، فلما قربت مني إذا ثلاث سمكات يسبحن في الماء على ظهر إحداهن رغيف، وعلى ظهر الأخرى إناء فيه سمكة مشوية، وعلى ظهر الأخرى إناء جديد أحمر، والأمواج تضربهن يميناً وشمالاً، وما زلن حتى انتهين إليَّ، فالقى كل منهن ما عليه بين يدي كأنه إنسان يضع بين يدي إنسان ما يريد، ثم استترن في الماء، فتناولت الرغيف، فإذا هو من خبز البر أبيض كالجمار حار يتصاعد هواؤه، فأكلت منه بالسمكة المشوية، وشربت من الإناء الجديد ماءً لم أذق في دار الدنيا أحلى منه، فامتلأت من الطعام والشراب، وما نقص منه عشره، وتركت الباقي، وانصرفت.

سكن رضي الله عنه من أرض البطايح بشط النفيسات، وبها مات مسناً قديماً، ووفاته قبل وفاة الشيخ منصور فيما بلغني، وقبره هناك ظاهر يزار رضي الله عنه.

أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن إياس البعلبكي، قال: أخبرنا الشيخ أبو الفتح نصر بن رضوان الداراني المقري. قال: أخبرنا شيخ الشيوخ أبو الحسن عبد اللطيف بن شيخ الشيوخ أبي البركات إسماعيل بن أحمد النيسابوري البغدادي.

قال: سمعت أبي يقول: سمعت الشيخ عزاز بن مستودع البطايحي رضي الله عنه، في سنة تسع وثمانين وأربعمائة، يقول: قد دخل بغداد شاب عجمي شريف اسمه عبد القادر، سيسير في هيبة المقامات، ويظهر في جلالة الكرامات، ويسطو بعزة الحال، ويعلو في رفعة المحبة، ويسلم إليه الكون وجميع من فيه من الفاضل والمفضول مدة، وله قدم راسخ في التمكين، تقدم بها في القدم، ويد بيضاء في الحقائق، امتاز بها في الأزل، ولسان بين يدي الله عز وجل في حضرة القدس. وإنه من أرباب المراتب التي فاتت كثيراً من الأولياء رضي اله عنه.

الشيخ منصور البطايحي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ العراق وأجلاء العارفين ونبلاء المحققين، ورؤساء المقربين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الخارقة والأحوال الجليلة، والمقامات السنية، والمراتب العلية، والعزائم الموسوية، والإشارات الملكوتية، والنفحات القدسية، والأنفاس الروحانية، حاحب

الفتح المونق، والكشف المشرق، والبصائر الخارقة، والسرائر الصادقة، والمعارف الباهرة، والحقائق الزاهرة، له المحل الأرفع من مراتب القرب، والمجلس المصدر في منازل القدس، والمورد العذب من مناهل الوصل، والطور الأعلى من معارج الدنو، والقدم الراسخ في التمكين من أحوال النهاية، والباع الطويل في التصريف في أحكام الولاية، واليد البيضاء في العلم بتفاصيل مشاهدات القلوب، في مواطن الغيوب. وله السبق إلى حلبات المفاخرة والمعالي، والسمو على درجات التقدم والتعالي، والاطلاع على خزائن الأسرار، والانغماس في معادن الأنوار.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الخلق، وصرفه في الوجود، ومكنه من الأحوال، وملكه الأسرار، وقلب له الأعيان، وخرق له العوائد، وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه الحكم، وأوقع له القبول التام عند الخاص والعام، وملأ الصدور من هيبته، والقلوب من محبته، ونصبه قدوة للسالكين، وأقامه حجة على الصادقين.

وهو أحد أركان هذا الطريق، وأعيان ساداتها، وأكابر أئمتها، وصدور الدعاة القادة إليها، وأعلام العلماء بأحكامها، وذو السؤدد الأعظم في المعرفة بمناهجها، والحذق في مسالكها. وإليه انتهت رئاستها في وقته، وله سلمت أزمة أمورها في عصره.

وهو خال الشيخ الجليل القدوة أبي الحسن أحمد الرفاعي رضي الله عنه، وبصحبته تخرج وانتمى إليه جماعة كثيرة من ذوي الأحوال الجليلة. وتلمذ له جمٌّ غفير من أرباب المقامات العالية. وقال بإرادته خلق من الصلحاء، وكانت أمه تدخل وهي حامل به على شيخه الشيخ أبي محمد الشنبكي رضي الله عنه، وكان بينها وبينه نسب، فينهض لها قائماً، وتكرر منه ذلك، وسئل عنه فقال: أنا أقوم إجلالاً للجنين الذي في بطنها، فإنه أحد المقربين إلى الله تعالى، من أصحاب المقامات، وله شأن عظيم.

أجمع المشايخ والعلماء على تبجيله واحترامه، وانعقد الإجماع على الإقرار بمكانته، والاعتراف بمنزلته، والرجوع إلى قوله، والإياب إلى حكمه، والاقتداء بآدابه، وتبريز عدالته، وقصد بالزيارت والنذور من كل جهة.

وكان جميلاً بهياً كامل الآداب، جميل الصفات، كريم الأخلاق، دائم البشر مع لزوم المجاهدات، ومعانقة طرق السلف في السراء والضراء، واستعمال آداب الشرع في السر والعلانية، والاسترسال مع أحكام الله عز وجل في الشدة، والرخاء، لم يكب به جواد طريقه، وكان له كلام جليل في علوم الحقائق.

منه: من عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها، ومن عرف الله تعالى آثر رضاه، ومن لم يعرف نفسه فهو في غرور. ما ابتلى الله العبد بشيء أشد من الغفلة والقسوة، ومن أحبه الله أفاده في اليقظة والمنام. وكلما ارتفعت منزلة العبد كانت العقوبة إليه أسرع، والصبر زاد المضطرين، والرضا درجة العارفين، فمن صبر على صبره فهو الصابر. ومن فر بدينه إلى الله عز وجل وهو يتهمه في رزقه فهو لا يفر له لا إليه. وكل موجود في الدنيا لا يكون عوناً على تركها فهو عليك لا لك.

وثلاث خصال صفات الأولياء: الثقة بالله تعالى في كل شيء، والغنى به عن كل شيء، والرجوع إليه في كل حال. ومنه: نهاية الإرادة أن يصير إلى الله عز وجل فيجد مع الإشارة والتوكل رد الأمر إلى واحد. ونقصان كل مخلص في إخلاصه رؤية إخلاصه. والأنس بالله تعالى استبشار القلوب بقرب الله عز وجل، وسرورها به، ونظرها إلى سكونها إليه، وإعفاؤه لها من كل ما سواه، وأن يسير إليه حتى يكون هو المشير إليه. ومن اغترَّ بصفات العبودية، داخله نسيان الربوبية. ومن شهد صنع الربوبية في إقامة العبودية فقد انقطع عن نفسه، ومن سكن إلى ربه عز وجل فحينئذٍ يسلم من الاستدراج، والاستدراج فقدان اليقين لأنه باليقين يستفيد فوائد الغيب. والكشف سواطع أنوار لمعت في القلوب بتمكين معرفة جملة السرائر في الغيوب، من غيب إلى غيب، حتى يشهد الأشياء من حيث أشدها الحق إياها، فيتكلم عن ضمائر الخلق، وإذا ظهر الحق على السرائر لم يبقَ لها فضلة لرجاء ولاخوف. ومنه: إذا بسط الجليل جل جلاله غدا بساط المجد، دخل ذنوب الأولين والآخرين في حاشية من حواشي كرمه، وإذا أبدى عيناً من عيون الجود، ألحق المسيء بالمحسن. وأول درجات الحضور؛ حياة القلب بالله، ثم بقاء القلب مع الله، ثم الغيبة عن كل شيء بالله تعالى. والعبارة يفهمها العلماء والإشارة يعرفها الحكماء، واللطائف يقف عليها السادة من الشيوخ، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

فلاذوا به من بعد كل نهاية لياذ مقر بالخضوع مع الجد
بعجز وتقصير مع الواجب الذي بـه عرفـوه للـودود من الـود

أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن إياس البعلبكي، قال: أخبرنا الشيخ العالم أبو الفتح نصر بن رضوان الداراني بدمشق. قال: أخبرنا شيخ الشيوخ أبو الحسن عبد اللطيف ابن شيخ الشيوخ أبي البركات اسماعيل النسابوري. قال: سمعت

أبي رحمه الله يقول: قصد جيش العجم إلى بغداد مرة في حياة الشيخ منصور البطايحي رضي الله عنه، فلما تقابل الجيشان وكان الشيخ منصور جالساً بين أصحابه على تل، مشرف على الجيشين، بسط الشيخ رضي الله عنه يده اليمنى. وقال: هذه لجيش العراق، وبسط يده اليسرى وقال: هذه لجيش العجم، ثم صفق بهما فتصادم الجيشان، ثم قبض يده اليسرى وجمع بين أصابعها شديداً فظهر جيش العجم على جيش العراق وهزم العراقيون، ثم بسط يده اليمنى وجمع بين أصابعها شديداً فظهر جيش العراق على جيش العجم وهزموا هزيمة فاضحة، ورجع العراقيون إلى ديارهم مظفرين مسرورين.

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي، قال: سمعت الشيخ الجليل أبا حفص عمر البريدي، يحدث عن الشيخ القدوة أبي الحسن علي بن الهيتي رضي الله عنه. قال: كان الشيخ منصور البطايحي رضي الله عنه من أكابر المشايخ نافذ التصريف، مجاب الدعوة، ظاهر الكرامات، كثير البركات، شديد الهيبة، ينفعل له مع نظرته ما يريد بإذن الله عز وجل. قال: مر يوماً بأسد في البطيحة قد افترس رجلاً وقصم عضده نصفين فجاء إلى الأسد وأمسك بناصيته وقال: ألم أقل لكم لا تتعرضوا لجيراننا، فذل له الأسد وأفلت الرجل فقال له الشيخ: مت بإذن الله تعالى فوقع الأسد ميتاً، وأخذ الشيخ ما انفصل من عضد الرجل ووضعه مكانه وقال: يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام اجبر عظمه الكسير، فصح عضده، وكأن لم يكن به شيء، وسلخ جلد الأسد بيده تلك. قال: وأتاه رجل من مصر، وقال له: يا سيدي قد هاجرت إليك من مصر، وتركت مالي وولدي وموطني وجاهي رغبة في صحبتك، فنفخ الشيخ في صدر الرجل، فأصاب في قلبه بارقة، فكشف له عن الملكوت الأعلى، وقال: هذه بتركك المال والولد والموطن، ثم نفخ في صدره بعد شهر، فمحقت منه البقايا، وانتسخت منه الخطوط، وقال: هذا بتركك الجاه والرئاسة، ثم نفخ في صدره بعد شهر، وأشهد مقامه بين يدي الله عز وجل، وأقيم فيه وقال: هذه بهجرتك إليَّ، ثم قال له: يا هذا إني استوهبتك من الله تعالى، وقد وهبك لي، وصرفني فيك، وجعل عطيتك على يدي، وهذه غايتك التي أنت عندها قائم. قال: ولم يزل هذا الرجل على هذا الحال ثابتاً إلى أن توفي بالبطايح رحمه الله تعالى.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد القرشي الأزجي، قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو طاهر الجليل بن الشيخ أبي العباس محمد بن علي

الصرصري. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: سمعت الشيخ القدوة أبا محمد بن عبد الرحمن الطفسونجي رضي الله عنه، يقول: رأيت في زمن الشيخ منصور البطايحي رضي الله عنه، بلاءً نازلاً من السماء على العراق كقطع الغمام، يعم الأديان والأبدان، فاستأذن الشيخ منصور في دفعه فأذن له، وقيل له: قد رحمت أرض أنت بها، ووهبت مساويهم لك، فأخذ قضيباً وأشار به نحو السماء والبلاء فتفرق، فقال: اللهم اجعله علينا رحمة، فصار سحاباً، وأمطر وانتفع الناس به كثيراً.

أخبرنا الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي، قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفتح الواسطي بالإسكندرية، يقول: حدثني الشيخ الجليل أبو الحسن علي ابن أخت سيدي أحمد رضي الله عنه. قال: سمعت خالي الشيخ أحمد يقول: سئل شيخنا خالي الشيخ منصور رضي الله عنه، عن المحبة فقال وأنا أسمع: المحب سكران في خماره، حيران في شرابه، لا يخرج من سكرة إلا إلى حيرة، ولا من حيرة إلا إلى سكرة، ثم أنشد:

الحب سكر خماره التلف ... يحسن فيه الذبول والدنف
والحب كالموت يفني كل ذي شغف ... ومن تطعمه أودى به التلف
في الحب مات الأولى صفوا محبتهم ... لم لم يحبوا لما ماتوا وما تلفوا

ثم قام إلى شجرة هناك خضرة نضرة، فتنفس عندها، فيبست وتناثرت أوراقها، فقال: مثل المحبة مثل صاعقة فيها نار، أو ريح فيها دمار، لو وقعت على الأشجار لمحقت، ولو هبت على البحار لاضطربت، ولو عصفت على الجبال لهبطت، وإذا نزلت بوادي القلوب لم تبق للكائنات أثراً، فلا تسمع عن الأعيان خبراً، وأنشد:

إن البلاد وما فيها من الشجر ... لو بالهوى عطشت لم تروَ بالمطر
لو ذاقت الأرض حب الله لاشتغلت ... أشجارها بالهوى فيها عن الثمر
وعاد أغصانها جرداً بلا ورق ... من حر نار الهوى يرمين بالشرر
ليس الحديد ولا صم الجبال إذاً ... أقوى على الحب والبلوى من البشر

ثم قال لنا: انطلقوا إلى فلان، وسمى رجلاً جليل القدر من أهل البطايح، واسألوه عن المحبة يخبركم عنها. قال: فأتيناه وسألناه فسكت، ثم ذاب كما يذوب الرصاص على النار قطرة بعد قطرة، ونحن ننظره حتى صار كالماء المائع، فأتاه المشايخ وضموه في القطن، ودفنوه بمقبرة داوردان بواسط رضي الله عنه.

سكن رضي الله عنه نهر دفلى من أرض البطايح واستوطنها إلى أن مات بها قديماً. وقد علت سنه وقبره بها ظاهر يزار، ولما حضرته الوفاة قالت له زوجه: أوحي لولدك، قال: لا بل لابن أختي أحمد، فلما كررت عليه القول قال لابنه وابن أخته: ائتياني بنخيل، فأتاه ابنه بنخيل كثير، ولم يأته ابن أخته بشيء، فقال له: يا أحمد، ولِمَ لم تأتني بشيء؟ فقال: إني وجدته كله يسبح، فلم أستطع أن أقطع منه شيئاً، فقال الشيخ لزوجته: سألت غير مرة أن يكون ابني، فقيل لي: بل ابن أختك أحمد رضي الله عنه.

أخبرنا الفقيه أبو الفضل أحمد بن يوسف بن محمد الأزجي. قال: أخبرنا عمي الشيخ أبو الغنائم رزق الله بن محمد بن أحمد، قال: سمعت الإمام أبا منصور عبد السلام ابن الإمام أبي عبد الله عبد الوهاب، يقول ببغداد: سمعت عمي أبا إسحاق إبراهيم، والشيخ أبا طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي الواسطي. قالا: سمعنا جماعة من أعيان أصحاب الشيخ منصور البطايحي رضي الله عنه، يقولون: ذكر الشيخ عبد القادر وهو شاب عند شيخنا الشيخ منصور رضي الله عنه، فقال: سيأتي زمان يفتقر إليه فيه، وتعلو منزلته بين العارفين، ويموت وهو أحب أهل الأرض إلى الله ورسوله في ذلك الوقت، فمن أدرك منكم ذلك الوقت فليعرف حرمته، وليعظم أمره رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان شيوخ العراق في وقته، وأجلاء العارفين في عصره، صاحب الكرامات الخارقة، والأحوال الجليلة، والأنفاس الصادقة، له القدم الراسخ في القرب والتمكين، واليد البيضاء في الحكم والتواضع، والباع الطويل في التصريف النافذ انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في زمانه، وتخرج به جماعة من صدور مشايخ العراق؛ مثل: الشيخ علي بن الهيتي، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، والشيخ مطر البادران، والشيخ ماجد الكردي، والشيخ أحمد البقلي اليماني، وغيرهم رضي الله عنهم.

وقال بإرادته كثير ممن له قدم راسخ في هذا الأمر، وتلمذ له منهم خلق لا يحصون كثرة، وكان له أربعون خادماً من أصحاب الأحوال، وكان المشايخ بالعراق يذكرون أن تحت علمه من مريديه سبعة عشر سلطاناً، وكان المشايخ بالبطايح يقولون: عجبنا لمن يذكر اسم أبي الوفاء، ولا يمر يده على وجهه ويسمي الله تعالى، ويصلي على النبي، كيف لا يسقط وجهه من هيبته.

وهو أول من سمي تاج العارفين بالعراق فيما أعلم، وهو الذي قال: لا يكون الشيخ شيخاً حتى يعرف من كاف إلى قاف، فقيل له: ما كاف، وما قاف، فقال: يطلعه الله عز وجل على جميع ما في الكونين من ابتداء خلقه بكنْ، إلى مقام ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ [الصافات: ٢٤].

وهو أحد من ذكر عنه القطبية، وقد جمع في كراماته ومناقبه كتاب، وكان له كلام عالٍ على لسان أهل الحقائق منه: من هيمه أقر النظر، وأقلقه سماع الخبر، يقطع في مفاوز الأشواق، فلم يلتفت إلى الآفاق، ويقول في هيامه:

كيف السبيل إلى وصل أعيش به

ومنه: الذكر ما غيبك عنك بوجوده، وأخذ منك بشهوده، والذكر شهود الحقيقة، وخمود الخليقة. ومنه: الأجسام أقلام، والأرواح ألواح، والنفوس كؤوس، والوجد جمرة تلهب ثم نضرة تسلب، والقوة محادثة السر عند اصطلام العبد، شاهداً لحضور واستغراق القلب في بحر المشاهدة لغلبة المشهود. ومنه من أخلص لله تعالى في معاملته تخلص من الدعوة الكاذبة، ومن ضيع حكم وقته فهو جاهل، ومن قصر منه فهو غافل، ومن أهمه فهو عاجز، والتسليم إرسال النفس في ميادين الأحكام، وترك الشفقة عليها من الطوارق.

أخبرنا أبو المظفر إبراهيم بن أبي عبد الله محمد بن أبي بكر محمد بن نصر بن ناصر البغدادي. قال: أخبرنا جدي لأمي الشيخ الصالح أبو عمرو عثمان ابن نصر الطفسونجي. قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا محمد عبد الرحمن الطفسونجي رضي الله عنه، بها يقول: قلت في وقت غلبة مني: ما بقيت أذهب إلى قلمينيا، ولا لي حاجة بمن فيها، أعني الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء رضي الله عنه. ثم استغفرت الله تعالى بعد ذلك، وأتيت إليه، فلما راني قال: يا عبد الرحمن، أنت قلت كذا وكذا؟ قلت: نعم، فقال: أي وقت هو الآن من النهار؟ قلت: وقت الظهر، فرفع إصبعه الوسطى على المسبحة، وقال: انظر أي وقت هو، فإذا أنا أنظر الليل الأليل، فقلت: يا سيدي الوقت الآن في نظري ليل، فنزع خاتمه من إصبعه، ورفع طرف السجادة، وأفلته من يده، وقال لي: ادنُ مني، وانظر إلى أين ذهب الخاتم، فإذا هو هاوٍ في نار في هوة من الأرض، فهالني منظره. فقال: يا عبد الرحمن، وعزة العزيز لولا شفقة الأبوة على البنوة، لقد كنت في مكان هذا الخاتم.

أخبرنا أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الهذلي الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد علي بن إدريس اليعقوبي بها، قال: سمعت سيدي الشيخ علي

ابن الهيتي رضي الله عنه، يقول: طرقت منازلة من منازلات الغيب عشرة من الأولياء، على زمن شيخنا تاج العارفين أبي الوفاء رضي الله عنه، واشتركت فيها أسرارهم، وأشكل شيء من أمرها عليهم، فاجتمعوا وأتوا إلى تاج العارفين ليسألوه عنها، فوجدوه نائماً، وسمعوا كل عضو منه ينطق بالتسبيح والتهليل والتقديس، فجلسوا ينتظرون يقظته، فنطقت لهم أعضاوه، وخاطبتهم بمنازلته، وكشف لهم منها ما أشكل عليهم، وانصرفوا قبل أن يستيقظ رضي الله عنه. وكان برجسي الأصل قبيلة من الأكراد، وهو الذي يقول: أمسيت عجمياً، وأصبحت عربياً.

وسكن قلمينيا، قرية من قرى العراق، واستوطنها إلى أن توفي بها بعد سنة خمسمائة، وقد تجاوز الثمانين، ومر قبل وفاته بشجرة بالقرب من زاويته، فوضع يده عليها فقال: بؤس ودؤس، فلم نفهم معنى ذلك، فلما مات قطعت تلك الشجرة، وجعل منها ضريحاً له، وعتبة لباب تربته، ففهم مراده.

أخبرني بذلك الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ كمال الدين محمد بن محمد بن وضاح. قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد علي بن إدريس، قال: أخبرنا الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، فذكر ذلك، واسمه فيما بلغني كاكيس، وإنما كناه بأبي الوفاء شيخه الشيخ أبو محمد الشنبكي رضي الله عنه، لوفائه له بوعده، والقصة في ذلك مشهورة رضي الله عنهم أجمعين.

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي، قال: أخبرنا الشيخان أبو الحسن البغدادي المعروف بالخفاف، وأبو الحسن علي الخباز. قال الخفاف: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو السعود الحريمي العطار، وقال الخباز: أخبرنا العمران الكيماتي والبزار.

وأخبرنا أبو محمد رجب بن أبي منصور الداري، قال: أخبرنا الشيخان أبو محمد علي بن إدريس اليعقوبي، وأبو بكر محمد بن النحال المقري. قال ابن إدريس: أخبرنا شيخنا الشيخ علي بن الهيتي، وقال ابن النحال: أخبرنا الشيخ ماجد الكردي. قالوا: كان تاج العارفين أبو الوفاء رضي الله عنه يوماً يتكلم على الناس فوق الكرسي، فدخل الشيخ عبد القادر إلى مجلسه، وهو يومئذ شاب أول ما دخل بغداد، فقطع تاج العارفين كلامه، وأمر بإخراج الشيخ عبد القادر فأُخرج، وتكلم تاج العارفين، ثم دخل الشيخ عبد القادر المجلس فقطع تاج العارفين كلامه، وأمر بإخراجه فأُخرج، وتكلم تاج العارفين، ثم دخل الشيخ عبد القادر ثالثة، فنزل تاج العارفين، واعتنقه وقبله بين عينيه، وقال: قوموا لولي الله يا أهل

بغداد، ما أمرت بإخراجه إهانة له، بل لتعرفوه، وعزة المعبود على رأسه صناجق قد تجاوزت ذوائبها المشرق والمغرب. ثم قال له: يا عبد القادر الوقت الآن لنا، وسيصير لك، يا عبد القادر قد وهبوا لك العراق، يا عبد القادر كل ديك يصيح ويسكت إلا ديكك، فإنه يصيح إلى يوم القيامة، وأعطاه سجادته، وقميصه، ومسبحته، وقصعته، وعكازه، فقيل له: خذ عليه العهد، فقال: على جبينه داع العارفين، فلما انقضى المجلس، ونزل تاج العارفين عن الكرسي جلس على آخر مرقاة، وأمسك بيد الشيخ عبد القادر وقال له: يا عبد القادر لك وقت، فإذا جاء، اذكر هذه الشيبة، وقبض على كريمته، رضي الله عنه.

قال الشيخ عمر البزار: وكانت مسبحة تاج العارفين التي أعطاها للشيخ محيي الدين عبد القادر، إذا وضعها الشيخ محيي الدين على وجه الأرض تدور وحدها حبة حبة، ولما مات، وجدت في تكة سراويله، وأخذها بعده الشيخ علي ابن الهيتي، وأخذها بعده الشيخ علي بن الشيخ محمد بن فايد. وكانت القصعة التي أعطاها له، لا يمسكها أحد بيده إلا وأرجفت إلى كتفه.

أخبرنا أبو أحمد عبد المحسن بن عبد المجيد بن عبد الخالق الحسيني الأربلي. قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو الفلاح منجح ابن الشيخ الجليل أبي الخير كرم ابن الشيخ القدوة أبي محمد مظفر البادراي. قال: أخبرنا أبي قال: سمعت أبي رضي الله عنه، يقول: كنت يوماً جالساً عند شيخنا تاج العارفين أبي الوفاء رضي الله عنه، بزاويته بقلمينيا، فقال لي: يا مظفر اغلق الباب، فإذا جاء شاب عجمي يطلب الدخول عليَّ فامنعه، فقمت وإذا بالشيخ عبد القادر وهو شاب يومئذٍ، يطلب الدخول عليه، فاستأذنت عليه الشيخ فلم يأذن له في الدخول، ورأيته يمشي في الزاوية كالمنزعج، ثم أذن له، فلما رآه مشى إليه خطوات، واعتنقا طويلاً، وقال له: يا عبد القادر، وعزة من له العزة، ما منعك من الدخول عليَّ أول مرة جحداً لحقك، بل خشية، لكن لمّا علمت أنك تأخذ مني وتعطيني أمنت، رضي الله عنهم أجمعين، ورحمنا بهم بمنه وكرمه.

الشيخ حماد بن مسلم الدباس رضي الله عنه: هذا الشيخ من أجلاء مشايخ بغداد، ورؤساء زهادهم، وأعلام عارفيهم، صاحب الكشف الخارق، والأحوال النفيسة، والكرامات الظاهرة، والوجاهة السنية، والقبول التام عند الخلق، له الطور الرفيع من المقامات، والمكان المكين في القرب من الله تعالى.

وهو أحد العلماء الراسخين في علوم الحقائق، انتهت إليه تربية المريدين

ببغداد. وانعقد عليه الإجماع في الكشف عن مخفيات الموارد، وانتمى إليه معظم مشايخ بغداد، وصوفيهم في وقته.

وهو أحد من صحبه الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وأثنى عليه، وروى كراماته، وكان تاج العارفين أبو الوفاء رضي الله عنه، إذا قدم بغداد ينزل عنده، ويعظم شأنه، وكان المشايخ ببغداد يعظمون أمره، ويتأدبون في حضرته، وينصتون لسماع كلامه، ويحكمونه فيما يختلفون فيه، وكان الشيخ نجيب الدين السهروردي رضي الله عنه، يقول: لو رأى أبو القاسم القشيري، لحق الشيخ حماد الدباس لقدمه في رسالته على كثير من المشايخ، وكان الإمام القدوة أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني رضي الله عنه، يقول للشيخ حماد الدباس: تدقيقات في التحقيق سبق بها كثيراً من المتقدمين، وكان شديد المناقشة لنفسه.

روي أنه خرج يوماً يزور مقبرة معروف رضي الله عنه، فسمع في طريقه صوت جارية تغني في دار مولاها، فرجع إلى منزله وجمع أهله، وقال: أي ذنب أصابني حتى عوقبت اليوم، فلم يذكروا شيئاً غير أنهم قالوا: قد اشترينا بالأمس إناء فيه صورة، فقال: من هنا أوتي عليٍّ، وقام إلى ذلك الإناء فمحا الصورة، وكان له كلام عالٍ. منه: القلوب ثلاثة: قلب يطوف في الدنيا، وقلب يطوف في الآخرة، وقلب يطوف بالمولى، فمن طاف بالدنيا تزندق، طهر قلبك باليقين لتجري فيه الأقدار. ومنه: أقرب الطرق إلى الله تعالى حبه، وما يصفو حبه حتى يبقى المحب روحاً بلا نفس، وما دام له نفس، فلا بد أن يحب في الله تعالى، وعند فقد النفس تجيء محبة الله الصادقة. ومنه: أزل الهوى من القدر تعرف، وأزل الهوى من الخلق والأمر تخلص، على قدر ما عندك من الأمر تسلم، وبقدر ما عندك من القدر تعرف، ما يوجد هناك في وجودك تكن موحداً، ولإرادتك في تدبيره تكن فانياً، فإن دعاك أجب، وإن وعدك توكل، وإن قدر عليك استسلم، وإن قال قد اخترتك، قل: قد فوضت، وإن قال لك: اطلب، قل: قد صدقت، وإن قال لك: اعبدني، قل: وفقني، وإن قال لك: وحدني، قل: اجذبني.

فإذا جاءت المعرفة صارت أفعالاً ربانية، وزالت الأكوان وصرت في القبضة صاحب قلب، لا يكون لك شيء إلا به عز وجل، وما كان به كان له، وما كان بك كان لك، فبالإيمان يشتغل عن أقسام الدنيا، لأن فيه تصديقه، وبالعلم يشتغل عن أقسام الآخرة، لأن فيه معرفته، وبالمعرفة يشتغل عن الكل، حيث كنت، لأنه معك من حيث معرفتك على قدرك.

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي بكر الأبهري. قال: أخبرنا الشيخ العارف الحبر شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي. قال: سمعت عمي الشيخ نجيب الدين بن عبد القادر السهروردي رضي الله عنه، يقول: كان الشيخ حماد ابن مسلم الدباس من أجل من لقيت من مشايخ بغداد، وهو أول شيخ فتح الله عليَّ ببركته، وكانت دباسته لا يدخلها زنبور ولا ذبابة، وكان بعض مماليك المسترشد يتردد إلى زيارته، فقال له: إني أرى لك في السابقة نصيباً من القرب إلى الله عز وجل في الدرجات العلى، فاترك دنياك، وانقطع إلى الله تعالى، فلم يفعل. وكان بمنزلة عند الخليفة فدخل عليه يوماً، وأنا عنده، فأعاد عليه القول، فامتنع من موافقة الشيخ فقال له: إن الله عز وجل قد حكمني فيك لأجذبك إليه بما شئت، وإني أمرت البرص أن يغشاك. قال: فوالله ما تم كلامه حتى عمَّ البرص جميع جسد المملوك، فبهت الحاضرون، وقام ودخل على الخليفة، فأحضر له الخليفة الأطباء، فأجمعوا أن لا دواء، فأشار عليه وجوه دولته بإخراجه من القصر، فأُخرج وأتى إلى الشيخ حماد، وقبل رجليه، وشكا إليه سوء حاله، والتزم موافقته فيما يأمره به، فقام إليه الشيخ، ونزع عنه قميصه الذي كان على جسده، وقال: اذهب أيها البرص من حيث جئت، فإذا جسده كالفضة البيضاء، فخطر له أن يرجع إلى الخليفة من الغد، فضرب الشيخ بأصبعه على جبهته، فخط في غرته خطاً، فإذا هو خط برص، وقال: هذا يمنعك من الدخول على الخلفاء، ولزم خدمة الشيخ إلى أن مات.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي عمران موسى بن أحمد المخزومي الصوفي. قال: سمعت الشيخ شهاب الدين أبا عبد الله عمر السهروردي.

وأخبرنا أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا محمد عبد الله بن مطر الرومي بمصر، قالا: سمعنا شيخنا الشيخ أبا النجيب عبد القاهر السهروردي رضي الله عنه، يقول: أتيت في بدايتي إلى الشيخ حماد الدباس رضي الله عنه، وشكوت إليه مجاهداتي، وبطء الفتح عليَّ، فقال: إئتني غداً بسد من لبن بعد قيامك من الدرس، ولا تغير زيك، فلما كان الغد خرجت من المدرسة، وما غيرت شيئاً من لباسي، وذهبت إلى السوق واشتريت سد لبن، وحملته عل رأسي، ومشيت في وسط بغداد، واتفق أن لقيني كل من يعرفني، وصار الناس يقفون ينظرون إليَّ، وكنت كلما خطوت خطوة، تذوب نفس كما يذوب الرصاص على النار، فلما قاربت دباسة الشيخ حماد،

رأيته واقفاً على بابها كالمنتظر لي، فنظرني نظرة ملأني بها، وغاب عقلي، وسقطت لوجهي، وتبدد اللبن على الأرض، وأنا إلى الآن في بركة تلك النظرة. قال: وسمعته يقول: أنا لا آكل إلا من طعام الفضل، وكان يرى الشخص في المنام أن أحمل إلى حماد شيئاً، وكان يعين للرائي، في المنام أن أحمل إليه كذا وكذا، وكان يقول: كل جسم تربى بطعام الفضل لا يتسلط عليه البلاء، ويعني بطعام الفضل ما يشهد له صحة الحال، من فتوح الحق سبحانه وتعالى.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمر الأزجي قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو طاهر الخليل ابن الشيخ الجليل أبي العباس أحمد بن علي الصرصري. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: مرَّ الشيخ حماد الدباس رضي الله عنه، ببعض قرى بغداد، فرأى بعض أمراء الدولة المستظهرية راكباً سكران، فأنكر عليه فسطا عليه الأمير، فقال الشيخ: يا فرس الله خذيه، فعدت به فرسه كالبرق الخاطف تسبق البصر، وفقد ولم يعلم أين ذهب، وبعث الخليفة الخيل وراءه، فلم يسمعوا له خبراً، ولم يقفوا له على أثر، فقال الشيخ حماد بن مسلم الدباس رضي الله عنه: وعزة من له العزة لم تستقر به فرسه دون برٍّ ولا بحرٍ، ولا سهلٍ، وجبلٍ، حتى ذهبت به إلى وراء جبل قاف، ومن ثم هناك يبعث.

وأصله رضي الله عنه، من رحبة الشام، وسكن بغداد بالمظفرية، إلى أن مات بها في سنة خمس وعشرين وخمسمائة، وقد علت سنه، ودفن بمقبرة الشوينزي، وقبره بها ظاهر يزار رضي الله عنه.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن قوقا البغداد، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد اللطيف بن معمر بن عسكر بن القاسم بن محمد الأزجي، المخزومي المؤدب، قال: سمعت جدي عسكر صاحب القاضي أبي سعد المخزومي رضي الله عنه، يقول: سمعت الشيخ حماد الدباس رضي الله عنه، يقول؛ وقد ذكر عنده الشيخ محيي الدين عبد القادر وهو يومئذٍ شاب: رأيت على رأسه علمين للولاية، وقد نصبا له من البهموت الأسفل إلى الملكوت الأعلى، وسمعت الشاويش يصيح له في الأفق الأعلى بألقاب الصديقين.

أخبرنا الفقيه الصالح أبو يوسف يعقوب بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد القرشي القفصي. قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن حمزة الأزجي، المعروف بابن الطبال. قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام أبي الثناء، محمود بن عثمان النعال، البغدادي. قال: سمعت أبي

رحمه الله تعالى يقول: كنت يوماً عند الشيخ حماد الدباس، فجاء الشيخ عبد القادر وهو شاب يومئذٍ، فقام إليه وتلقاه وقال: مرحباً بالجبل الراسخ، والطود المنيف، الذي لا يتحرك، وأجلسه إلى جانبه وقال له: ما الفرق بين الحديث والكلام. فقال: الحديث ما استدعيت من الجواب، والكلام ما صدمك من الخطاب، وانزعاج القلب لدعوى الانتباه، أرجح من أعمال الثقلين، فقال له الشيخ حماد الدباس: أنت سيد العارفين في عصرك.

الشيخ أبو يعقوب يوسف بن أيوب الهمداني رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ خراسان، وصدور أعيانها، ورؤساء علمائهم، وأجلاء زهادهم، وعارفيهم، إمام ورع عامل بعلمه، حجة على المسلمين، صاحب الأحوال الجليلة، والكرامات الواضحة، والمقامات السنية، والهيبة المتوفرة في قلوب الخاص والعام، وله القدم الراسخ في علوم المعارف، واليد البيضاء في الفتاوى الدينية، والباع الطويل في الأحكام الشرعية، والإفصاح الجلي عن مخفيات الخواطر، والفعل الخارق في التصريف الظاهر.

وهو أحد أركان الإسلام وإليه انتهت تربية المريدين بخراسان، واجتمع عنده من العلماء والفقهاء والصلحاء جماعة كثيرة، وانتفعوا بكلامه، وتخرجوا بصحبته، وكان من صغره إلى حال وفاته على الطرائق المستقيمة من العبادة، والخلوة، ورياضة النفس. وصحب جماعة من أعيان الزهاد وتلمذ له في الفقه جماعة من علماء الزمان، مثل: أبي إسحاق الشيرازي ببغداد، وأبي المعالي الجويني بنيسابور، وغيرهم. كما تلمذ له جماعة من صدور خراسان، وصلحائهم. وكان المشايخ بها يعظمون قدره، ويبالغون في تبجيله، وكان له كلام حسن على لسان أهل الحقيقة، منه: السماع سفير إلى الحق، ورسول من الحق، وهو لطائف الحق، وزوائده، وفوائد الغيب وموارده، وبوادي الفتح وعوائده، ومعاني الكشف وبشارته، فهو للأرواح قوتها، وللأشباح غذاؤها، وللقلوب حياتها، وللأسرار بقاؤها، فطائفة أسمعها الحق بشاهد التربية، وطائفة أسمعها بنعت الربوبية، وطائفة أسمعها بوصف القدرة، فقام الحق لهم مسمعاً وسامعاً، فالسماع هتاك الستر، وكشاف السر، وبرقة لمعت، وشمس طلعت، وسماع الأرواح بإسماع القلوب على بساط القرب، بشاهد الحضور من غير حضور النفس، تكون في كل فكرة، ولحظة، وتدبر، وتفكر، وهبوب كل الريح، وحركة كل شجرة، ونطق كل ناطق في الكون، فتراهم والهين حيارى، واقفين أسارى، خاشعين سكارى.

واعلم أن الله خلق من نور بهائه سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين، وأقامهم بين العرش والكرسي من حضرة الأنس، لباسهم الصوف الأخضر، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قاموا متواجدين، والهين حيارى، خاشعين سكارى، منذ خلقوا يهرولون من ركن العرش إلى الكرسي لما بهم من شدة الوله، فهم صوفية أهل السماء، وإخواننا من النسب، فإسرافيل قائدهم ومرشدهم، وجبريل رئيسهم ومتكلمهم، والحق أنيسهم ومليكهم، فعليهم السلام والتحية والإكرام.

أخبرنا الشيخ الفاضل أبو عبد الله بن الشيخ الجليل أبي العباس أحمد بن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله بن علي الجويني. قال: أخبرنا أبي قال: سمعت أبي يقول: كان الشيخ يوسف بن أيوب الهمداني رضي الله عنه، يوماً يتكلم على الناس، فقال له فقيهان كانا في مجلسه: اسكت، فإنما أنت مبتدع، فقال لهما: اسكتا لا عشتما فماتا مكانهما.

وبالإسناد إن الأفرنج أسروا ولداً لامرأة من أهل همدان، فجاءت إلى الشيخ يوسف الهمداني باكية، فصبرها فلم تصبر، فقال: اللهم فك أسره وعجّل فرجه. ثم قال لها: اذهبي إلى دارك تجديه بها، فذهبت المرأة فإذا ولدها في الدار، فعجبت وسألته، فقال: إني كنت الآن بالقسطنطينية العظمى والقيود في رجلي، والحرس علي، فأتاني شخص ما رأيته قط، فاحتملني وأتى بي إلى هنا في لمح البصر. فجاءت إلى الشيخ يوسف، فقال لها: تعجبين من أمر الله. وهو أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن الحسين بن شعيب الهمداني النونجردي، ونور نجرد قرية من قرى همدان، وبها ولد في حدود سنة أربعين وأربعمائة. وتوفي بنيامين منصرفاً من هراة يوم الإثنين الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. ودفن بها مدة ثم حملت جثته إلى مرو ودفن بأقصى سجدان في الحضيرة المنسوبة إليه رضي الله عنه.

أخبرنا أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر بن مهذب القرشي. قال: أخبرنا الحافظ بن النجار البغدادي. قال: كتب إلى عبد الله بن أبي الحسين بن الجبائي ونقلته من خطه، قال: وقال: رضي الله عنه، يعني الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، قدم إلى بغداد رجل من همدان يقال له: يوسف الهمداني، وكان يقال: إنه القطب فنزل في رباط، فلما سمعت به مشيت إلى الرباط، فلم أره فسألت عنه، فقيل لي: هو في السرداب، فنزلت إليه فلما رآني قام وأجلسني وقربني، وذكر لي جميع أحوالي، وحل لي جميع ما كان أشكل علي. ثم قال لي:

يا عبد القادر تكلم على الناس، فقلت: يا سيدي أنا رجل أعجمي إيش أتكلم على فصحاء؟ فقال لي: أنت الآن حفظت الفقه وأصول الفقه، والخلاف والنحو واللغة، وتفسير القرآن، الان يصلح لك أن تتكلم على الناس. اصعد على الكرسي وتكلم على الناس، فإني أرى فيك عرقاً، وسيصير نخلة رحمنا الله بهم بمنه وكرمه.

الشيخ عقيل المنجبي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ الشام في وقته، وعظماء العارفين في عصره، صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الخارقة والأحوال العزيزة، والمقامات العلية، والهيبة العظيمة في القلوب.

وهو أحد أركان هذه الطريقة علماً وحالاً، وزهداً، وأحد أعيانها تمكيناً ورئاسة، وجلالاً، وأحد أئمتها البارعين، وساداتها المحققين. انعقد عليه الإجماع في حل مشكلات الموارد، وانتهت إليه الرئاسة في هذا الشأن.

وهو شيخ شيوخ الشام في وقته، وتخرج بصحبته غير واحد من أكابرها، منهم: الشيخ عدي بن مسافر الأموي، والشيخ موسى بن ماهين الزولي، والشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشي، والشيخ رسلان الدمشقي، وغيرهم رضي الله عنهم.

وهو أول من دخل بالخرقة العمرية شرفها الله تعالى إلى الشام، وعنه أخذت.

وهو المسمى بالطيار لأنه لما أراد الانتقال من قريته التي كان مقيماً بها ببلاد المشرق، صعد إلى منارها، ونادى أهلها، فلما اجتمعوا إليه طار في الهواء، والناس ينظرون، فجاؤوه فوجدوه في فسيح.

وهو المسمى أيضاً بالغواص، سماه به شيخه الشيخ مسلمة رضي الله عنه، لأنه خرج مع جماعة من مريدي الشيخ مسلمة يزورون، فلما وصلوا إلى الفرات وضع كل منهم سجادته على الماء ومرَّ عليها، ووضع الشيخ عقيل سجادته وجلس عليها، فغاص في الماء، فلم يشعروا به إلا وهو على البر من الجانب الآخر، ولم يبتل منه شيء، فلما رجعوا إلى الشيخ مسلمة أخبروه بما شاهدوا من حال الشيخ عقيل، فقال: الشيخ عقيل من الغواصين.

وهو أحد الأربعة الذين قال فيه الشيخ علي القرشي رضي الله عنه، رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء، الشيخ عبد القادر، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ عقيلاً المنجبي، والشيخ حياة بن قيس الحراني رضي الله عنهم. وكان له كلام عالٍ في المعارف منه: المعرفة فيما استأثر به، والعبودية فيما أمر، والخوف ملاك الأمر، فخوف العارفين أن يوجد إرادتهم، في

أفعاله عز وجل، وخوف الأولياء أن يوجد هواهم في أمرهم عز وجل، وخوف التقي أن يوجد نفسه برؤيته للخلق إن أوجدهم فيك اشتركت، وإن أقدرك عليك نازعت. ومنه: يا هذا قل: إلهي افقدني من قدرك، وارحمني من خلقك، فإذا جاء الأمر، قل: إلهي احمني منهم، فإذا جاء القدر، قل: إلهي احمني مني، وإذا جاء الفضل، قل: إلهي بفضلك لصنعك بلا أنا، فإن شئت فقد حصل لك عند الخضوع عبودية، وعند الدلال توحيد، فعبوديتك بفقرك إليه، ودلالك أنه ما ثم غيره، فإذا جاءت الآلهة، قل: ﴿الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ [الأنعام: ٩١]، بمجاهدة الهوى تعرفه، وبخروجك من الخلق توحده، ومنه: طريقنا الجد، والكد، ولزوم الجد حتى ينفد، فإما أن يبلغ الفتى مناه، وإما أن يموت بدائه. ومنه: من طلب لنفسه حالاً أو مقاماً فهو بعيد عن طرقات المعارف، والفتوى رؤية محاسن العبيد، والغيبة عن مساويهم، والمدعي من أشار إلى نفسه، وفقد الأسف والبكاء والتكاسل في مقام السلوك علم من أعلام الخذلان.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن الشيخ الفقيه أبي محمد عبد الله ابن أحمد بن علي القرشي الكرخي. قال: أخبرنا أبي،قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو الخير سعد بن الشيخ الإمام أبي عمرو عثمان بن مرزوق بن حميد بن سلامة القرشي. قال: سمعت أبي يقول: جلس الشيخ عقيل المنجنبي رضي الله عنه، في أول أمره هو وسبعة عشر رجلاً، من أصحاب الأحوال، من مريدي الشيخ مسلمة رضي الله عنه، في غار، ووضع كل واحد منهم عكازه في مكان من الغار، فجاء رجال من الهواء وجعلوا يرفعون كل عكاز، وجاؤوا إلى عكاز الشيخ عقيل فراموا أن يرفعوه بأيديهم، فرادى ومجتمعين، فلم يستطيعوا، فلما رجعوا إلى الشيخ مسلمة رضي الله عنه، أخبروه. فقال: أولئك أولياء الزمان، وكل عكاز رفعوه فصاحبه في مقام رافعه أو دونه، فلذلك يطيق رفعه، وليس فيهم أحد يعلو مقامه على مقام الشيخ عقيل رضي الله عنه، ولا يشاركه، فلذلك لم يطيقوا رفع عكازه. قال: وكان الشيخ عقيل يوماً جالساً وبيده خشبة نجرها، وبين يديه كوم من نجارتها، فدخل عليه بعض تجار منيح ووضع بين يديه ذهباً.

فقال الشيخ: لله تعالى رجال، لو شاء أحدهم أن يقول لهذه النجارة كوني ذهباً لصارت ذهباً. قال: فإذا تلك النجارة التي بين يديه ذهب وهاج.

أخبرنا الشيخ أبو محمد الحسن ابن الشيخ أبي محمد عبد الله ابن الشيخ أبي الحسن علي، ابن الشيخ أبي المجد المبارك، أحمد بن يوسف الغزازي

المنجبي. قال: أخبرنا أبي عن أبيه، قال: سمعت أبي أبا المجد رحمه الله تعالى يقول: حضرت الشيخ عقيلاً المنجبي، رضي الله عنه يوماً بظاهر منيح تحت الجبل، وعنده جمع من الصلحاء، فقال له أحدهم: يا سيدي، ما علامة الصادق؟ قال: لو قال لهذا الجبل: تحرك، لتحرك، قال: فتحرك الجبل. ثم قال له: يا سيدي: وما علامة المتصرف في الوجود؟ قال: لو قال لوحش البر والبحر أن تأتيه لفعلت، قال: فما تمَّ كلامه حتى نزل علينا من الجبل وحوش، وأسود، سدَّت الفضاء. قال: وأخبرنا الصادق أن شط الفرات امتلأ في ذلك الوقت أسماكاً من أصناف شتى. ثم قال: يا سيدي، وما علامة المبارك على أهل زمانه؟ قال: لو وكز برجله هذه الصخرة لتفجرت عيوناً، قال: فتفجرت صخرة كانت بين يديه عيوناً، ثم صارت صخرة صماء، كحالها أول مرة.

وسكن رضي الله عنه منيح واستوطنها، نيفاً وأربعين سنة، وبها مات، وقد علت سنه رضي الله عنه.

أخبرنا أبو سعد عبد القادر بن أحمد بن نبهان الكوفي. قال: أخبرنا جدي لأمي الشيخ الصالح أبو الخير مسعود بن علي بن خلف البالسي. قال: سمعت خالي الشيخ العالم العارف أبا سليمان داود بن يوسف بن علي بن محمد المنجبي الشافعي يقول: كنت يوماً عند الشيخ عقيل رضي الله عنه، فقيل له: قد اشتهر ببغداد أمر شاب عجمي شريف اسمه عبد القادر.

قال الشيخ: وإن أمره في السماء أشهر منه في الأرض، ذلك الفتى الرفيع العلي المدعو في الملكوت بالباز الأشهب، وسينفرد في وقته، وسيرد إليه الأمر، ويصدر عنه، ويقصد بالزيارة في عصره. قال: والشيخ عقيل، هو أول من أخبر عن الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، بالباز الأشهب في الشام، فيما نعلم رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ أبو يعزى المغربي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان المشايخ وصدور الأولياء، له الكرامات الخارقة، والتصريف النافذ، والمقامات السنية، والأوصاف العلية، والأحوال الجلية.

وهو أحد أوتاد المغرب، وأجلاء العارفين، وعظماء الزهاد المحققين بها، وأحد أركان هذه الطريقة، وأعلام العلماء. له القدم الراسخ في المعالي، والتمكين، والنظر الخارق، والكشف الصادق الجلي من المغيبات، والمهابة الشديدة في القلوب، والوضاءة الظاهرة في الأبصار، مقصود بالزيارات من بلاد المشرق والمغرب.

وكان دائم المراقبة شديد المناقشة لنفسه، قوياً على المجاهدة، بصيراً بأدواء البواطن فيما يحل مشكلات فتوحات السالكين، وإليه انتهت تربية الصادقين بالمغرب، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها، منهم: الشيخ أبو مدين رضي الله عنه، وغيره. وقال بإرادته خلق لا يحصون كثرة من أصحاب الأحوال. وكان أهل المغرب يستسقون به فيسقون، ويرجعون إليه في المعضلات، فتنكشف. وكان له كلام عالٍ في المعارف، منه: الأحوال مالكة لأهل البدايات، فهي تصرفهم، ومملوكة لأهل النهايات، فهم يصرفونها، وكل حقيقة لا تمحو أثر العبد ورسومه، فليست حقيقة.

ومنه: من طلب الحق من جهة الفضل وصل إليه، ومن لم يكن لأحد لم يكن بأحد، وأنفع الكلام ما كان إشارة عن مشاهدة، أو ثناء عن حضور.

ومنه: لا يكون الولي ولياً حتى يكون له قدم، ومقام، وحال، ومنازلة، وسر، فالقدم ما سلكته في طريقك إلى الحق سبحانه وتعالى، والمقام ما أقرتك عليه سابقيتك في العلم الأزلي، والحال ما بعثك من فوائد الأصول لا من نتائج السلوك، والمنازلة ما خصصت به من تحت الحضور، بنعت المشاهدة، لا بوصف الاستتار، والسر ما أودعته من لطائف الأزل، عند هجوم الجمع، ومحق السوى، وتلاشي ذاتك. فحفظ حكم القدم يفيد الفقه في الطريق. وحفظ حكم المقام يفيد الاطلاع على خفايا معانيه. وحفظ حكم الحال يزيد بسطة في التصريف لله وبالله. وحفظ حكم المنازلة يؤيد سلطان قهره لجيوش الفتح اللدني. وحفظ حكم السر يوسع قدرة اطلاعه على مكامن المكنونات. وحفظ الوقت يورث المراقبة. وحفظ حكم الأنفاس يوصل إلى مقام الغيبة في الحضور.

أخبرنا الفقيه الصالح أبو عبد الله محمد بن موسى بن ملوك بن ساسين المراكشي. قال: سمعت الشيخ الفقيه الناسك أبا محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي الأفريقي، وكان أدرك الشيخ أبا يعزى رضي الله عنه. قال: أقام الشيخ أبو يعزى رضي الله عنه، في بدايته في البر خمس عشرة سنة، لا يأكل إلا حب الحباري، وكانت الأسد تأوي إليه، والطير تعكف عليه، وكانت الأسد إذا ضربت وافترست القفول، وقطعت الطرق، والسبل، جاء أبو يعزى فأمسك بآذانها، وقادها، فتنقاد له ذليلة، ويقول لها: يا كلاب الله ارتحلي من هنا، ولا تعودي، فتذهب من ثم حتى لا يرى منها شيء البتة، في ذلك المكان. وجاء إليه المحتطبون يشكون كثرة الأسد في غابة يقطعون منها الحطب، ويقتاتون به، فقال لخادمه: اذهب إلى طريق الغابة، ونادِ بأعلى صوتك: معاشر الأسد؛ يأمركم

أبو يعزي أن ترتحلوا من هذه الغابة. قال: فذهب وفعل ذلك، وكانت الأسد ترى خارجة من الغابة تحمل أشبالها حتى لم يبقَ فيها شيء منها، ولم يرَ بعد ذلك فيها أسد. قال: وقال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه: جئت في وقت قحط كان بالمغرب، إلى الشيخ أبي يعزي، وهو جالس بالصحراء، وحوله وحوش كثيرة، أسد وغيرها، مختلطون لا يؤذن بعضها بعضاً، وعلى رأسه طيور كثيرة، فيقدم إليه أحد الوحوش، ويصوت له كأنه يكلمه، ويقول له الشيخ: رزقك الله كذا في مكان كذا، فيذهب من بين يديه، حتى أتى كذلك على آخر الوحوش والطيور، فلما لم يبق منها شيء عنده، قلت له: يا سيدي، ما هذا؟ قال لي: يا شعيب، إن هذه الوحوش والطيور اجتمعت إليَّ تشكو شدة الجوع من القحط، وقالت: إنها لا تؤثر أن تسكن أرضاً غير بلاد المغرب محبة في جواري، وأن الله تعالى أطلعني على أرزاقها في أوقاتها، ومواضعها، فأخبرتها بذلك، وقد ذهبت إلى أرزاقها.

أخبرنا الفقيه أبو البقا عيسى بن موسى بن عبادة بن نزاد التلمساني، قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا محمد صالح بن ويرجان الدكالي. قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا مدين رضي الله عنه، يقول: جاء بعض أصحابنا إلى شيخنا أبي يعزي رضي الله عنه، في وقت جدب بالمغرب، وقال له: إن لي أرضاً أقتات أنا وعيالي من رزقها، وقد أجدبت، فقام معه الشيخ وأتى إلى أرضه، ومشى فيها وجعل يسأله عن حدها، فكان يقول: إلى هنا إلى هنا، حتى انتهى إلى آخرها، فأمطرت أرضه خاصة، حتى رويت، ولم يعدها المطر، ولم يزرع أرض بالقرب منها سواها. قال: وكان إذا أجدبت المغرب يخرج إلى المصلى، ويستسقي، ويسجد، ولا يرفع رأسه حتى يبتل من المطر، ويرجع الناس إلى البلد يخوضون في المطر.

سكن رضي الله عنه، بأعتب قصبة من أعمال فاس، واستطونها إلى أن توفي بها. وقد علت سنه، وقبره بها ظاهر يزار، وأهل المغرب يلقبونه بدد، ومعناه على مرادهم، الأب الكبير، لقبوه لكبر شأنه عندهم رضي الله عنه.

أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم بن حجاج بن يعلى المظفري الفاسي. قال: أخبرنا عبد الله البستاني الفاسي، قال: سمعت الشيخ الجليل العارف أبا حفص عمر بن أبي معمر الصنهاجي رضي الله عنه، يقول: جاء بعض أصحابنا إلى الشيخ أبي يعزي رضي الله عنه، يستأذنه في المسير إلى بغداد. فقال له: إذا أتيت بغداد فلا يفوتك زيارة رجل بها شريف عجمي اسمه عبد القادر،

فإذا رأيته سلم عليه عني، وسله لي الدعاء، وقل له: لا تنسَ أبا يعزي من قلبك، فإنه والله لم يخلف في العجم بأسره مثله، وإنك لن ترى في العراق مثله، وإن المشرق ليفضل على المغرب، وإن علمه ونسبه قد ميزاه من الأولياء، تمييزاً واضحاً كثيراً، رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ عدي بن مسافر الأموي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان المشايخ المشهورين، وأجلاء العارفين المذكورين، وعظماء المقربين المحبوبين، صاحب الكرامات الواضحة، والأفعال الخارقة، والمقامات الرفيعة، والأحوال النفيسة، والحقائق السنية، والمعارف الجلية، والإشارت اللطيفة، والهمم العلية، والمعاني النورانية.

وهو أحد من خرق الله له العوائد، وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب، وذلل له القلوب، وصرفه في الوجود، وأوقع له الهيبة التامة في الصدور، والوجاهة البهية في العيون، وأقامه حجة، وقدوة.

وهو أحد أركان هذه الطريق، وأعلام العلماء بها، وصدور الزهاد والمحققين. وقد نال في المجاهدة وأحوال البداءة طوراً صعب المرتقى، بعيد المرمى، عزيز المنال، تعذر على كثير من المشايخ سلوكه. وكان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يفوه بذكره، ويثني عليه كثيراً، وشهد له بالسلطنة. وقال: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر. وقد أخبرنا أبو العفاف موسى بن الشيخ أبي المعالي عثمان البقاعي، قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو إسحاق إبراهيم بن محمود البعلبكي المقري. قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا محمد عبد الله البطايحي، يقول: صليت بالشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه، بلالش خمس سنين، وأقمت عنده خمس سنين، فكان إذا سجد سُمع لمخه في رأسه صوت كصوت وقع الحصاة في القرعة اليابسة، من شدة المجاهدة. وأقام في أول أمره في المغارات والجبال، والصحارى، مجرداً وسائحاً، يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات مدداً مديدة، وكانت الحيات والهوام والسباع تألفه فيها.

وهو أحد من تصدر لتربية المريدين الصادقين ببلاد الشرق، وانتهى إليه تسليكهم، وكشف لهم مشكلات أحوالهم. وتلمذ له خلق من الأولياء، وتخرج بصحبته غير واحد من ذوي الأحوال الفاخرة، وانتمى إليه خلق عظيم من الصلحاء، وقصد بالزيارات من كل قطر، وأجمع المشايخ وغيرهم في عصره على تبجيله، والاعتراف بمكانته.

وهو الذي غسل تاج العارفين أبا الوفاء رضي الله عنه، وهو شاب. وكان له كلام نفيس على لسان أهل الطريق، وقد تقدم في هذا الكتاب منه شيء. ومنه: لا يخلو أخذك وتركك أن يكون بالله عز وجل أوله، فإن كان به فهو يباديك بالعطاء، وإن كان له فاسترزقه بأمره. واحذر ما فيه الخلق، فمتى كنت معهم استعبدوك، ومتى كنت مع الله عز وجل حفظك، ومتى كنت مع الأسباب فاطلب رزقك من الأرض، فإنك لن تعطى من السماء، ومتى كنت مع الإيمان فاطلبه من السماء، فإنك لن تعطاه من الأرض، وإذا كنت مع التوكل فإن طلبت بهمتك لن يعطيك، وإن أزلت همتك أعطاك، وإذا كنت واقفاً مع الله عز وجل صارت الأكوان خالية لك من المواطن، وأنت في القبضة فان، والكون كله فيك، ولك.

ومنه: الشيخ من جمعك في حضوره، وحفظك في مغيبه، وهذبك بأخلاقه، وأدبك بإطراقه، وأنار باطنك بإشراقه، والمريد من أنار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط، ومع الصوفية بالأدب، والارتباط، ومع المشايخ بالخدمة والاغتباط، ومع العارفين بالتواضع والانحطاط، وحسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه، ولا يوحشه، فمع العلماء يحسن الاستماع، والافتقار، ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار، ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار.

ومنه: إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات، وتنخرق له العادات، فانظروا كيف هو عند الأمر والنهي، ومن لم يأخذ الأدب من المؤدبين أفسد من يتبعه، ومن كان فيه أدنى بدعة، فاحذر مجالسته لئلا يعود عليك شؤمها، ولو بعد حين، ومن اكتفى بالكلام في العلم دون الاتصاف بحقيقته؛ انقطع، ومن اكتفى بالتعبد دون فقه خرج، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغترَّ، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام نجا.

ومنه: في توحيد الباري عز وجل، لا تجري ماهيته في مقال، ولا تخطر كيفيته ببال، جل عن الأمثال، والأشكال، صفاته قديمة كذاته، ليس بجسم في صفاته، جل أن يشبه بمبتدعاته، وأن يضاف إلى مخترعاته، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لا سميَّ له في أرضه وسمواته، ولا عديل له في حكمه وإرادته، حرام على العقول أن تمثل الله تعالى، وعلى الأوهام أن تجده، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى الضمائر أن تغمق، وعلى النفوس أن تفكر، وعلى الفكر أن تحيط، وعلى العقول أن تتصور، إلا ما وصف به ذاته في كتابه العزيز، أو على لسان نبيه ﷺ.

ومنه: أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ترك الدعاوى الكاذبة، وإخفاء المعاني الصادقة.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن حسين بن محمد الموصلي، قال: أخبرنا الشيخ عدي بن الشيخ أبي البركات بن صخر بن مسافر الأموي. قال: سمعت أبي يقول: سمعت الشيخ الصالح أبا إسرائيل يعقوب بن عبد المقتدر بن أحمد الحميدي الأربلي السائح، يقول: أقمت مرة ثلاث سنين سائحاً مجرداً، في جبل هكار ولبنان، وجبال العراق والعجم، وكانت الأحوال تطرقني فأخرُّ لوجهي، فتسفي عليَّ الرياحِ إلى أن يُرى فوق جلدي جلداً آخر من الوسخ، فجاءني ذئب ونظر إليَّ مبتسماً، ولحس جلدي كله حتى تركه كالجمار وذهب، فتداخلني العجب، فإذا هو قد جاءني ونظرني شرراً مغضباً، وبالَ عليَّ، فأتيت إلى عين ماء فاغتسلت، ودخلت قبة في وسط الصحراء بين الجبال، وبيني وبين الناس مسيرة عشرة أيام من كل قطر، ولا يمر بي أحد، ولا أسمع صوت شيء البتة، فقلت في نفسي: لو قيض الله تعالى لي بعض العارفين، فإذا الشيخ عدي بن مسافر إلى جانبي، ولم يسلم عليَّ، فأرعدت من هيبته، فقلت في نفسي: لمَ لمْ يسلِّم عليَّ؟ فقال له: إنا لا نلقي السلام والترحاب على من تبول عليه الذئاب، ثم ذكر لي جميع ما جرى لي في سياحتي، وواجهني بجميع ما في خواطري، وبكل شيء اختلج في سري، وأضمره قلبي، واقعة؛ واقعة، حتى ذكَّرني بأشياء نسيتها، فقلت: يا سيدي أشتهي الانقطاع في هذه القبة، فلو كان عندي ما أشرب منه، وما أقتات به، فقام إلى صخرتين كانتا في تلك القبة، ووكز إحداهما برجله، فانفجرت منها عين ماء حلو عذب، من ماء النيل، ووكز الأخرى فنبتت فيها للوقت شجرة رمان، فقال لها: أيها الشجرة أنا عدي بن مسافر، انبتي بإذن الله تعالى يوماً رماناً حلواً، ويوماً رماناً حامضاً، وقال لي: يا إسرائيل، أقم هنا، وكل من هذه الشجرة، واشرب من هذه العين، وإذا أردتني اذكر اسمي آتيك. قال: فأقمت في هذه القبة سنين، فكنت آكل من تلك الشجرة يوماً رماناً حلواً، ويوماً حامضاً، أحسن رمان في الدنيا، وما ذكرته قط إلا وجدته حاضراً عندي، وينبئني بما يختلج في صدري في مدة غيبته عني. قال: ثم بعد سنين أتيته بلالش، وبتُّ عنده ليلة، فأحرقني بأنفاسه، ومكثت أربعين يوماً أصب الماء البارد عليَّ كل يوم، وإني لأجد النار شديدة في باطني من هيبة أنفاسه. قال: وودعته مرة، مسافراً إلى عبادات، فقال لي: إذا رأيت سبعاً تخاف منه، فقل له: يقول لك عدي بن

مسافر اذهب عني ودعني، وإذا رأيت هول البحر فقل: أيتها الأمواج المتلاطمة، يقول لك عدي بن مسافر؛ اسكني. قال: فكنت إذا لقيت شيئاً من الوحوش أسداً وغيره، قلت له: يقول لك الشيخ عدي بن مسافر اذهب ودعني، فينكس رأسه ويذهب، ولما اشتدَّ علينا البحر، وأشرفنا فيه على الغرق، قلت: أيتها الأمواج المتلاطمة؛ يقول لك الشيخ عدي بن مسافر اسكني، فما تمَّ كلامه حتى سكن الريح، وهدأ البحر، وصار كأنه عين ديك رضي الله عنه، وأرضاه.

وبالإسناد عن خادم الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه، قال: خدمت الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه، سبع سنين، وشهدت له خارقات في نفسي.

إحداها: أني صببت على يديه يوماً ماء، فقال لي: ما تريد؟ فقلت: أريد تلاوة القرآن، فإني لا أحفظ منه سوى الفاتحة، وسورة الإخلاص، وحفظه عليَّ عسير جداً، فضرب بيده في صدري، فحفظت القرآن كله في وقتي، وخرجت من عنده وأنا أتلوه بكماله، ولا يتوقف عليَّ منه شيء، ولا آية واحدة، وأنا إلى الآن من أجود الناس تلاوة له، وأقدرهم على درسه. وقال لي يوماً: اذهب إلى الجزيرة السادسة من البحر المحيط، تجد بها مسجداً فادخله، تجد فيه شيخاً، فقل له: يقول لك الشيخ عدي بن مسافر، احذر الإعراض، ولا تختر لنفسك أمراً لك فيه إرادة، فقلت له: يا سيدي: وأنى لي بالبحر المحيط، فدفعني بيده بين كتفي وأنا بظاهر زاويته بلالش، فإذا أنا بجزيرة في البحر المحيط، ولا أدري كيف جئتُ، فدخلت المسجد، فرأيت شيخاً مهاباً مفكراً، فسلمت عليه، وبلغته الرسالة فبكى، وقال: جزاه الله خيراً، فقلت: يا سيدي وما هذا؟ فقال: يابني إن أحد السبعة الخواص في النزع الآن، وإني طمحت بي إرادتي أن أكون مكانه، وإن خطرتي لم تكمل في نفسي حتى أتيتني، وقد جئت إلى وأنا مفكر في ذلك. فقلت: يا سيدي وكيف لي بالوصول إلى جبل هكار؟ فدفعني بيده بين كتفي، وإذا أنا بزاوية الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه، فقال لي: هو من العشرة الخواص. قال: وقلت له يوماً: يا سيدي أرني شيئاً من المغيبات، فأعطاني منديله، وقال: ضعه على وجهك، فوضعته، ثم قال لي: ارفعه فرفعته، فرأيت الملائكة الكاتبين، ورأيت ما يسطرونه من أعمال الخلائق، فأقمت على هذه الحالة ثلاثة أيام، فتكدر عليّ عيشي، فاستغثت إليه، فوضع ذلك المنديل على وجهي ثم رفعه، فاستتر عني ذلك الأمر كله. قال: وصف لي يوماً الديك الذي يؤذن وقت الصلوات تحت العرش، فقلت: ياسيدي اسمعني صوته، فلما كان

وقت الظهر قال لي: ادن مني، وضع أذنك عند أذني، ففعلت، فسمعت صياح الديك فأغشي عليّ زماناً. قال: ووصف لي يوماً الشيخ عقيل المنجبي رضي الله عنه، فأطنب في ذكره، فقلت: يا سيدي هل لك أن ترينيه، فأعطاني مرآة وأمرني أن أنظر فيها، فنظرت شخصي ثم تورای عني، وظهر لي شخص أراه، ولا يخفى عليّ من وجهه شيء، فقال لي الشيخ عدي: تأدب فإنه الشيخ عقيل، ودمت ساعة طويلة انظره كذلك، ثم توارى عني، وظهر لي شخص آخر.

وهو الشيخ شرف الدين أبو الفضائل عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى ابن مروان بن الحكم بن مروان الأموي. أصله من حوران، وسكن جبل هكار، واستوطن لالش إلى أن مات بها في سنة ثمان وخمسمائة، وقد كبر سنه ودفن بزاويته المنسوبة إليه، وقبره بها ظاهر يزار. وكان فقيهاً عالماً، فصيحاً ظريفاً، متواضعاً حسن الأخلاق مع شدة الوضاءة، وكثرة الهيبة رضي الله عنه.

أخبرنا الصالح أبو عبد الله محمد بن كامل الحسيني البيساني. قال: سمعت الشيخ العارف أبا محمد شاور الشيبي المحلي بها يقول: صنع الخليفة ببغداد وليمة، ودعا إليها جميع مشايخ العراق وعلمائها، فحضروا كلهم إلا الشيخ عبد القادر، والشيخ عدياً بن مسافر، والشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنهم، فلما انصرف الناس، قال الوزير للخليفة، إن الشيخ عبد القادر، والشيخ عدياً، والشيخ أحمد، لم يحضروا، فقال الخليفة: كأن لم يحضر أحد إذن، ثم أمر حاجبه أن يأتي إلى الشيخ عبد القادر فيدعوه، وأن ينطلق إلى جبل هكار، وإلى أم عبيدة ليحضر الشيخ عدي، والشيخ أحمد. قال: فقال لي الشيخ عبد القادر قبل أن يقوم الحاجب من مجلس الخليفة، وقبل أن تسطر البطاقات: يا شاور، اذهب إلى المسجد الذي بظاهر باب الحلبة، تجد فيه الشيخ عدي بن مسافر ومعه اثنان، فادعهم إليَّ، ثم اذهب إلى مقبرة الشونيزي تجد فيها الشيخ أحمد الرفاعي ومعه اثنان، فادعهم إليَّ. قال: فذهبت إلى المسجد الذي بظاهر الحلبة، فوجدت الشيخ عديا، ومعه اثنان، فقلت: يا سيدي أجب الشيخ عبد القادر، فقال: سمعاً وطاعة، فقاموا، وذهب معهم، فقال لي الشيخ عدي، يا شاور، ألا تذهب إلى الشيخ أحمد كما أمرك الشيخ، قلت: بلى، فأتيت مقبرة الشونيزي، فوجدت الشيخ أحمد ومعه اثنان، فقلت: يا سيدي؛ أجب الشيخ عبد القادر، قال: سمعاً وطاعة، وقاموا فتوافى الشيخان في باب رباط الشيخ عبد القادر وقت المغرب، فقام إليهم الشيخ وتلقاهم، فما لبثوا غير يسير، فجاء الحاجب إلى الشيخ،

فوافاهما عنده، فأسرع إل الخليفة، وأعلمه باجتماعهم، فكتب الخليفة إليه بخطه يسألهم الحضور، وبعث إليهم ولده وحاجبه، فأجابوه وذهبوا، وأمرني الشيخ بالمسير معه، فلما كنا بالشط وإذا بالشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، فتلقاه المشايخ وسار معهم، فأتى بنا إلى دار حسنة، وإذا الخليفة فيها قائم مشدود الوسط، ومعه خادمان له، وليس في الدار سواهم، فتلقاهم الخليفة، وقال لهم: يا سادة، إن الملوك إذا اجتازوا برعاياهم بسطوا لهم الحرير ليطأوه، ووضع لهم ذيله، وسألهم أن يمشوا عليه ففعلوا، وانتهى بنا إلى سماط مهيأ، فجلسوا وأكلوا، وأكلنا معهم، ثم خرجوا وأتوا إلى زيارة قبر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وكانت ليلة شديدة الظلمة، فجعل الشيخ عبد القادر كلما مر بحجر، أوخشبة، أو جدار، أو قبر، أشار بيده إليه، فيضيء كضوء القمر، ويمشون في نوره إلى أن ينتهي ضوءه، فيشر الشيخ إلى آخر فيضيء، وما زالوا يمشون في النور، وليس فيهم من يتقدم الشيخ عبد القادر، إلى أن أتوا قبر الإمام أحمد، فدخل المشايخ الأربعة يزورون، ووقفنا على باب المزار حتى خرجوا، فلما أرادوا أن يتفرقوا، قال الشيخ عدي للشيخ عبد القادر: أوصني، قال: أوصيك بالكتاب والسنة، ثم تفرقوا.

أخبرنا الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي، قال: سمعت الشيخين؛ أبا القاسم هبة الله بن المنصوري، وأبا الحسن علياً الخباز البغداديين. قالا: سمعنا الشيخ أبا القاسم عمر بن مسعود البزار، يقول: كان سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يثني كثيراً على الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنهما، فاشتقت إلى رؤيته، واستأذنت الشيخ في زيارته، فأذن لي، فسافرت حتى أتيت إلى جبل هكار، فوجدته قائماِ على باب زاويته بلالش، فقال: أهلاً يا عمر، يا عمر تركت البحر، وجئت إلى الساقية، يا عمر الشيخ عبد القادر مالك أزمَّة الأولياء كلهم، وقائد ركائب المحبين بأسرهم، في هذا العصر، رضي الله عنهم أجمعين، ورحمنا بهم بمنه وكرمه.

الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الخارقة، والأحوال الجليلة، والمقامات السنية، والهمم العلية، والأوصاف الشريفة، والأخلاق الرضية، صاحب الفتح الطالع، والكشف اللامع، له الدرجات المنيفة، في المعارف، والإشارت اللطيفة في الحقائق، والطور الرفيع في المعالي، والمحل الأحمد من

القرب، والمنهل الأحلى من الوصل، واليد المبسوطة في التصريف، والباع الرحب في التمكين.

وهو أحد أركان هذه الطريقة، وأعلام علمائها، وصدور سادتها، ورؤساء القادة إليها علماً، وعملاً، وحالاًوزهداً، وتحقيقاً.

وهو أحد من تذكر عنه القطبية، وهو أحد الأربعة الذين كانت مشايخ العراق يسمونهم البراءة، على معنى أنهم يبرؤن الأكمه والأبرص، وهم: الشيخ عبد القادر الجيلي، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبو سعد القيلوي، رضي الله عنهم. فيما أخبرنا أبو الفتوح عبد الحميد بن معالي الصرصري، قال: أخبرنا الشيخ علي الخباز. قال: سمعت العمر بن الكيماتي، والبزار يقولان: أدركنا أعيان المشايخ من الصدر الأول يسمون الشيخ عبد القادر، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبا سعد القيلوي، البرأة، يعني يبرؤن الأكمه والأبرص.

قال أبو الفرج الصرصري: وكان الشيخ محمد الخياط البغدادي، المعروف بالواعظ، رحمه الله تعالى، عند الشيخ علي الخباز، لما قال ذلك، وكان قد اعتراه صمم، فقال لرجل إلى جانبه: ماذا يقول الشيخ؟ فأعاد إليه ما قال: فقال: اللهم بحرمتهم عافِ سمعي، فزال صممه في الحال العاجل، حتى صار يسمع تناجي الرجلين. قال: وأنا رأيته أصم، ورأيته يسمع التناجي، وكانت عنده الخرقتان اللتان ألبسهما أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أبا بكر بن هوار رضي الله عنه، في النوم، واستيقظ فوجدهما عليه، وهما ثوب وطاقية، وأعطاهما ابن هوار لمريده الشيخ أبي محمد الشنبكي رضي الله عنه، وأعطاهما الشنبكي لمريده تاج العارفين أبو الوفاء رضي الله عنه، وأعطاهما تاج العارفين لمريده الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، وأعطاهما ابن الهيتيي لمريده الشيخ علي بن إدريس رضي الله عنه، ثم فقدتا من بعده.

وهو الذي أتاه الخطاب: يا ملكي تصرف في ملكي، واشتهر عنه أنه مكث ثمانين سنة ليس له خلوة ولا معزل، بل ينام بين الفقراء.

وهو أحد من أظهره الله تعالى الى لخلق، وأوقع له عندهم القبول التام العظيم، ووقر صدورهم من هيبته، وقلوبهم من محبته، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العادات، وأقامه حجة وقدوة. وكان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يثني عليه كثيراً، ويحبه ويحترمه، ويرفع من شأنه. وقال: كل من دخل

بغداد من الأولياء من عالم الغيب والشهادة، فهو في ضيافتنا، ونحن في ضيافة الشيخ علي بن الهيتي. وقال: انفتق رتق قلب علي بن الهيتي، وعمره سبع سنين، وما علمنا أن أحداً من المشايخ الذين عاصروا الشيخ محيي الدين عبد القادر كان أكثر تردداً وخدمة ووداً له من الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنهما.

أخبرنا أبو محمد رجب الداري، قال: سمعت الشيخ أبا الحسن علياً الخباز، قال: سمعت أبا الحسن الجوسقي رضي الله عنه، يقول: لما قال سيدي عبد القادر رضي الله عنه لي: من كل طويلة فحل لا يقاوم، كنت حاضراً أسمعه، فقال لي سيدي الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه: يا سيدي، أنا وجميع أصحابي غلمانك. ولم يكن لأحد من مشايخ العراق في عصر الشيخ علي بن الهيتي فتوح أكثر من فتوحه، كان ينذر له من كل بلد، وكان يبعث إلى مشايخ العراق كل يوم معلوماً، وما كمل لأحد ديناراً سوى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في تربية المريدين الصادقين، وكشف مشكلات الأحوال، ومنازلات الموارد بأعمال نهر الملك، وما يليها. تخرج غير واحد من الأكابر بصحبته، مثل الشيخ القدوة أبي محمد علي بن إدريس اليعقوبي رضي الله عنهم. وتلمذ له جماعة كثيرة من ذوي الأحوال الفاخرة، وانتمى إليه أمة من الخلق، وأجمع المشايخ والعلماء على تبجيله واحترامه. وكان شيخه الشيخ تاج العارفين أبو الوفاء رضي الله عنه، يثني عليه كثيراً، ويقدمه على غيره وينبه على فضيلته، ومعه بعث طاقية إلى الشيخ جاكير، وأمره أن يضعها على رأسه، وأقامه مقام نفسه، وكان له كلام نفيس عالٍ على لسان المحققين.

منه: الشريعة ما ورد به التكليف، والحقيقة ما حصل به التعريف، فالشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة، والشريعة وجود الأفعال لله عز وجل، والقيام بشروط العلم، بواسطة الرسل، والحقيقة شهود الأحوال بالله تعالى، والاستسلام لغلبات الحكم بتقرير لا بواسطة.

ومنه: ما دام التمييز باقياً، كان التكليف متوجهاً، وعلامة صحة الحال، أن يكون صاحبه محفوظاً في أحوال غلبته، ما كان مغلوباً في أوقات صحوه، والباقي بربه تعالى، هو من تحقق بحقوقه، وتمحض في دوام شهوده، والأحوال كالبروق، لا يمكن استجلابها إذا لم تكن، ولا استيفاؤها إذا حصلت، إلا أن يجعل بعض الأحوال غذاء لأحد، فيربيه الحق منه، فيصير وطناً له، ومثوى.

ومنه: الحق وراء ما أدركه الخلق بأفهامهم، أو أحاطوا بعلومهم، أو أشرفوا عليه بمعارفهم، وكل من كوشف بشيء فعلى قدر قوته وضعفه، وبطئه، فكل من كوشف بشيء بالحقيقة، أو شاهد الحق، أو اختطف عن شاهده بوجود الحق، أو استهلك في عين الجمع، أو ليس يشهد سوى الحق، أو ليس يحسن سوى الحق، أو هو محو في حق الحق، أو هو مصطلم عنه بسلطان الحقيقة، أو متجلٍ له الحق بجلال الحق إلى آخر ما عبر عنه معبر، أو أشار إليه مشير، أو انتهى إليه علم، فإنما هي شواهد الحق، وحق من الحق، وكل ما بدا على الخلق فذاك مما يليق بالخلق، وهو من حيث الحق، وجميع ما تحقق بوصفه خلق، فهو أحوال، والأحوال من صفات أهل المعرفة، ولا سبيل لمخلوق إلا إلى الأحوال، ومحو الأحوال والترقي عن السكون إلى الأحوال، والغيبة عن الأحوال، والتنقي عن الأحوال حالة من جملة الأحوال، والتوحيد فوق المعارف، وكان يتمثل بهذه الأبيات: [من البسيط]

إن رحت أطلبه لا ينقضي سفري ... أو جئت أحضره أوحشت من حضري
فما أراه ولا ينفك عن نظري ... وفي ضميري ولا ألقاه في عمري
فليتني غبت عن حسي برؤيته ... وعن فؤادي وعن سمعي وعن بصري

أخبرنا أبو الحسن بن يحيى بن نجيم الحوراني، وأبو حفص عمر بن مزاحم الدنيسري. قال: سمعنا الشيخ علي بن إدريس اليعقوبي.

وأخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي، قال: سمعت الشيخ العارف أبا حفص عمر اليزيدي. قالا: سمعنا شيخنا الشيخ علياً بن الهيتي رضي الله عنه، يقول: لو دبت نملة دهماء، في ليلة ظلماء، على صخرة سوداء، وراء جبل قاف، ولم يعلمني بها ربي منه إليَّ بلا واسطة، ويطلعني عليها عياناً، لتفطرت مرارتي. قالا: وركب دابته مرة، وأتى إلى بلدة من أعمال نهر الملك، ونزل على بعض أهلها، فاحتفل به الرجل احتفالاً عظيماً. فقال له الشيخ: اذبح هذه الدجاجة، وهذه وهذه يشير إلى دجاج بين يديه، ففعل فخرج من بطونها حبات ذهب، فبهت الرجل، وكانت لأخته عنبرية من ذهب فانصرمت من حيث لم تشعر، والتقطها الدجاج، وفقدتها، وظن أهلها أنه حدث عليها أمر، وهموا بقتلها تلك الليلة.

فقال الشيخ: إن الله أطلعني على أمر أختكم، وعلى ما في نفوسكم، وعلى ما في بطون هذه الدجاج، وإني استأذنت ربي تبارك وتعالى في أن أكشف لكم هذه القضية، وأنقذكم من الهلكة، فاذن لي. قالا: وسرنا معه مرة أخرى في قرى

نهر الملك، فوجدنا أهل قريتين قد أشهروا سيوفهم، وتوجهوا للقتال، وبينهم قتيل مطروح، وكل من في الفريق قد اتهم بقتله، فجاء الشيخ حتى وقف على رأس القتيل، وأخذ بناصيته وقال: من قتلك يا عبد الله؟ فاستوى القتيل جالساً، وفتح عينيه، ونظر إلى الشيخ وقال بلسان فصيح سمعه كل من حضر: قتلني فلان بن فلان، ثم طفى كما هو وعاد إلى حاله أول مرة.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي القطفني، قال: أخبرنا الشيخ علي بن سليمان الخباز. قال: سمعت الشيخ أبا الحسن الجوسقي، يقول: حضرت سماعاً مع سيدي الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، بزريران، وكان فيه جماعة من الشيخ، والصلحاء، والفقهاء، والقرَّاء، فلما أخذ المشايخ بحظهم من السماع، أنكر عليهم الفقهاء والقراء ببواطنهم، فقام الشيخ علي بن الهيتي، فطاف عليهم، فكان كلما قابل منهم رجلاً نظر إليه، فيفقد جميع ما في صدره من العلم والقرآن، حتى أتى على آخرهم، وانصرفوا ومكثوا كذلك شهراً، ثم أتوا كلهم إليه، وقبلوا رجليه، واستغفروا له، فأمرني فمددت لهم سماطاً، فأكلوا، وأكل الشيخ معهم وألقم كلاً منهم لقمة، فوجد كل منهم ما فقده مع تلقيم الشيخ تلك اللقمة، وانصرفوا مسرورين. قال: ورأيته يوماً من حيث لم يشعر بي في ظني جالساً تحت نخلة في قراح، فرأيت النخلة امتلأت عراجين تمر، وتدلت حتى دنت منه، فجعل يتناول من التمر ويأكل، ووالله ما في العراق تمرة على نخلة، ولا هو أوان حمل النخل، ثم انصرف فجئت على أثره، إلى مكانه ذلك، فوجدت تمرة، فأكلتها، ووالله ما أكلت تمرة من تمرات الدنيا يشبه طعمها. قال: ورأيته يوماً على شفير بئر يستقي منها دلواً ليتوضأ، فطلع له منها في الدلو ذهب، فقال: يا رب أريده ماء أتوضأ به، ثم أفرغ الدلو في البئر، واستقى ثانية، فطلع في الدلو فواكه، فقال: يا رب أريد ماءً أتوضأ به، ثم أفرغ الدلو في البئر، واستقى ثالثة، فطلع في الدلو ماءٌ فتوضأ به، ثم أكب رأسه في رأس البئر فطلع الماء إلى رأسها حتيى شرب، وكانت بعيدة الرشاء.

أخبرنا أبو محمد رجب الداري، قال: سمعت الشيخ العارف أبا محمد مسعود الحارثي، يقول: كان لشيخنا الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، امرأة تخدمه اسمها ريحانة، وتلقب بست البهاء، فمرضت مرضها الذي ماتت فيه، وقالت للشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه: يا سيدي: أشتهي رطباً، ولم يكن في ذلك الوقت بزريران رطب، وكان بقطفتا رجل صالح اسمه عبد السلام

القطفني، وكانت له نخلات رطب تتأخر عنده من رطبهن، فحول الشيخ وجهه إلي جهة قطفتا وقال: يا عبد السلام احمل إلى ريحانة رطباً من رطبك، فأسمع الله تعالى عبد السلام صوت الشيخ، فأخذ من الرطب وسافر إلى زريران، وقدم بين يديها الرطب، فأكلت منه، والشيخ علي بن الهيتي عندها. فقال لها عبد السلام: يا سيدة، بين يديك ما هو أطيب من هذا، فقالت: يا عبد السلام أكون خادمة الشيخ علي بن الهيتي، ويفوتني شيء من شهوات الدنيا والآخرة، اذهب فلتتنصرن، ثم ماتت، وذهب عبد السلام يطلب بغداد، فرأى في طريقه نسوة نصارى، فافتتن بإحداهن، وسألها أن يتزوج بها، فأبت إلا أن يتنصر، ففعل، وأقام عندها في بلدها مدة، وولدت له ثلاثة أولاد، ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت، فقيل للشيخ علي بن الهيتي فيه، فقال: إني قد غضبت لغضب ريحانة، وقد رضيت فاتوني بعبد السلام، فإني لا أحب أن يحشر مع أعداء الله تعالى، فقال الشيخ علي، للشيخ عمر البزار، وكان عنده في ذلك الوقت زائراً، اذهب إلى قرية كذا، وادخل على عبد السلام، وصب عليه جرة من ماء، وآتني به، فذهب الشيخ عمر إليه فوجده مدنفاً بالمرض، فصب عليه جرة ماء، فقام وأسلم، وأسلمت زوجته وأولاده، وجميع من في داره، وشفي من مرضه في ذلك الحال، وأتوا كلهم إلى الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، ورجع على عبد السلام كل ما كان مشتملاً عليه من الخيرات.

سكن رضي الله عنه زريران، بلدة من أعمال نهر الملك إلى أن مات بها في سنة أربعة وستين وخمسمائة. وقد علت سنه على مائة وعشرين سنة، وبها دفن وقبره بها ظاهر يزار. وكان بهياً خريفاً جميلاً، يلبس لباس أهل السواد، وقد حوى مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، وجلائل المناقب، وكان من أكرم الناس، وأوفرهم عطاء، وأكثرهم إيثاراً، ومآثره فيه مشهورة، وكان لأصحابه على سلوك هذا المقام اقتفاء هذا المنهاج رضي الله عنهم. وزريران بزاي، وبعدها راء مهملة مكسورة، وياء وبعدها راء مهملة، وألف، ونون، على وزن قفيزان.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي، قال: أخبرنا قاضي القضاة أبو صالح نصر الله. قال: سمعت المشايخ الأجلاء أبا محمد علي بن إدريس اليعقوبي، وأبا الحسن الجوسقي، وأبا حفص عمر اليزيدي، يقولون: كان شيخنا الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، إذا أراد زيارة الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، خرج من زريران، ومعه أعيان أصحابه، فإذا وصلوا إلى

بغداد أمرهم أن يغتسلوا في دجلة، وربما اغتسل معهم، ثم يقول لهم: نقوا قلوبكم، واحفظوا خواطركم، فإنا نوريد أن ندخل على السلطان، فإذا دخل بغداد تلقاه الناس، وأهرعوا إليه، فيقول لهم: إلى الشيخ عبد القادر، فإذا وصل إلى باب مدرسة الشيخ خلع نعليه، ووقف فيناديه الشيخ: إليَّ يا أخي فيدخل، ويجلسه إلى جانبه، فيجلس وهو يدعو، فيقول له الشيخ عبد القادر،: ممَ تخاف وأنت شيخ العراق؟ فيقول له الشيخ علي: يا سيدي أنت السلطان، أمني خوفك، فإذا أمنت خوفك أمنت، فيقرول له: لا خوف عليك. قالوا: وشهدناه مرة بزريران، وبين يديه صاحب الديوان وغيره، فأتاه شيخ وساره في أذنه، ثم انصرف، فقام الشيخ وشدً وسطه، فقال له صاحب الديوان: يا سيدي ما هذا؟ قال: إذا أتاك أمر الخليفة ما تصنع،و قال: يا سيدي مثلما فعلت، أشد وسطي، ثم لا أزال حتى أفعل ما أمرت به، وكذلك أنا، إنه قد أتاني أمر الخليفة، ولا بد لي من مبادرتي لامتثال أمره، فقال يا سيديي: ومن هو الخليفة؟ قال: الشيخ عبد القادر هو خليفة الأولياء والمشايخ في هذا، وسلطان الوجود في هذا العصر، وقد جاءني الخضر عليه السلام من عنده برسالة، يطلب مني ثورين لحمامه.

أخبرنا أبو حفص عمر بن مزاحم الدنيسري، قال: أخبرنا الشيخ أبو حسن الخفاف البغدادي. قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا السعود أحمد بن أبي بكر الحريمي العطار، قال: جاء الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، مرًة إلى زيارة شيخنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، فوجدناه نائماً، فأردنا أن نوقظه، فمنعنا الشيخ علي، وقال: والله والله والله، أشهد عند الله عز وجل أن ما في الحواريين مثله، وأشار إلى الشيخ عبد القادر، فلما استيقظ قال: أنا محمدي، والحواريون عيسويون، ثم تكلم الشيخ عبد القادر بكلام عظيم في المعارف، فقال الشيخ علي: ما بقي أحد بعد الشيخ يتكلم بمثل هذا الكلام.

أخبرنا قاضي القضاة، شيخ الشيوخ، شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي. قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله المنصوري، قال: سمعت الشيخ الجليل أبا عمرو عثمان الصريفيني، يقول: قصد سلطان العجم مرة بغداد بجيش عرموم عظيم، وعجز الخليفة يومئذٍ عن مبارزته، وظن زوال ملكه، فجاء إلى شيخنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، يستغيث به، في أمورهم، فوافاه وعنده الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، فقال الشيخ عبد القادر للشيخ علي ابن الهيتي: مُرْ هؤلاء يرحلوا عن بغداد، قال: سمعاً وطاعة، ثم قال الشيخ علي بن

الهيتي لخادمه: اذهب إلى جيش العجم، وانته إلى آخره، تجد مئزراً مرفوعاً على عصا كالخيمة، وتحته ثلاث فقل له: يقول لكم علي بن الهيتي: ارحلوا عن بغداد، فإن قالوا لك: نحن ما أتيناها إلا بأمر فقل لهم: وأنا أيضاً ما جئتكم إلا بأمر، فانصرف الخادم حتى أتى إلى أولئك النفر الثلاث، فقال لهم: يقول لكم الشيخ علي بن الهيتي: ارحلوا عن بغداد، فقالوا: إنا ما أتيناه إلا بأمر، فقال لهم: وأنا أيضاً ما جئتكم إلا بأمر. قال: فمدَّ أحدهم يده إلى تلك العصاة فألقاها، وطوى المئزر، وانصرفوا نحو العجم، فإذا الجيش كله ألقى الخيم، ورجع على أثره، من حيث جاء رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين، وصدور المقربين، صاحب الأحوال الفاخرة، والكرامات الظاهرة، والمقامات العلية، والأفعال الخارقة، والمعارف الجليلة، والحقائق السنية، له الكشف الجلي، والتصريف النافذ، والبسطة العظيمة في أحكام الولاية، والتمكين المكين في أحوال النهاية، والدرجات الرفيعة في القرب. والطور العلي في المقامات.

وهو احد اوتاد هذه الطريقة، وأعلام العلماء بها، وأئمة ساداتها المحققين، ورؤساتها المفتتين.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، وأظهر على يديه الخارقات، وقلب له الأعيان، وأنطقه بالمغيبات، وأوقع له القبول العظيم في القلوب، والهيبة التامة في الصدور. وهو الذي قال: أنا بين الأولياء كالكركي بين الطيور، وأطولهم عمقاً.

وهو الذي قال: أيما مريد لي كانت على عنقه كازة، فليضعها على بالي. ورأى بعض الصلحاء رسول الله ﷺ، في المنام، فسأله عنه فقال: هو من المتكلمين في حضرة القدس. وكان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يثني عليه كثيراً، ويرفع شانه، ويوصي باحترامه. وقال فيه الشيخ عبد الرحمن: جبل راسخ لا يتحرك. وكان فقيهاً فاضلاً، فصيحاً، ظريفاً، شيخاً كريماً معرافاً، زاهداً محققاً. وكان يتكلم بطفسونج، وما يليها من الأعمال في علمي الشريعة والحقيقة، على كرسي عالٍ، ويحضره المشايخ والفقهاء، ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة، حتى انتهت إليه تربية المريدين الصادقين بطفسونج، وما يليها من الأعمال. وتخرج بصحبته غير واحد من الأعيان، وتتلمذ له جماعة من

أصحاب الكرامات، وانتهى إليه عدد كثر من الخلق. وأشار إليه المشايخ، والعلماء، وغيرهم بالتبجيل، والتعظيم، وقُصد بالزيارات من كل مُصر، وكان يتكلم بلسان المعارف والتحقيق كلاماً جليلاً.

منه: المراقبة لعبد راقب الحق بالحق، وتابع المصطفى ﷺ، في أفعاله، وأخلاقه، وآدابه، والله عز وجل قد خص أحبابه وخاصته بأن لا يكلهم في شيء من أحوالهم إلى نفوسهم، ولا إلى غيره، فهم يراقبون الله تعالى، ويسألونه أن يرعاهم فيها، والمراقبة تقضي حال القرب، والله عز وجل قريب قرب القلوب إليه، بما هو قريب معها، فهو يقرب من قلوب عباده على حسب ما يرى من قرب قلوب عباده منه، فانظر بماذا تقرب من قلبك، وحال القرب يقتضي حال المحبة، وهي تتولد من نظر القلب إلى غنى الله عز وجل وجلاله وعظمته، وعلمه وقدرته، فطوبى لمن شرب كأساً من محبته، وذاق نعيماً، من مناجاته، فامتلأ قلبه حباً، فطار بالله سبحانه طرباً، وهام إليه اشتياقاً، فيا له من وامق أنس بربه، كلف دنف بحبه، ليس له سكن ولا مألوف سواه، فهو محب خرج من رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب، بفناء علم المحبة من حيث كان له المحبوب في الغيب ولم يكن هو بالمحبة، فإذا خرج المحب إلى هذه النسبة كان محباً بلا علة، والمحبة تقتضي الذكر، فلا يزال المحب يذكر ربه عز وجل، ويدخل الخلل في ذكره، في نفسه، حتى يصير الغالب عليه ذكر ربه عز وجل، وصار كالغافل عن نفسه، ثم يغفل عن ذهوله عن نفسه، وينسى باستيلاء ذكره لربه جميع الإحساس، فيقال: اندرج في رؤية مذكورة، ويقال فني عن نفسه، ويقال: بقي بربه، ويقال: فنى عن فنائه، أي غفل عن ذكر غفلته عن نفسه، باستيلاء ذكر ربه عليه، وصار ليس يشهد غيره، وهاهنا يذكره مصطلماً عن شاهده، مختطفاً عن نفسه، ممحواً عن جملته، فانياً عن كله، وما دام هذا الوصف باقياً فلا تمييز، ولا إخلاص، ولا صدق، وهذا جمع الجمع، وعين الوجود، وهذا هو الوصول الذي يرد إلى أحوال التمييز والتكليف، فيحجب عن هذا الوصف بنوع ستر، ليقوم بحق الشرع، والمغاليط هاهنا كثيرة، والمحفوظ من رجع إلى أداء أحكام الشريعة.

ومنه: من اشتغل بطلب الدنيا ابتلي بالذل فيها، ومن تعامى عن تقابض نفسه طغى، ومن تزين بزائل، فهو مغرور، وأنفع العلوم العلم بأحكام العبودية، وأرفع العلوم معرفة التوحيد، ولا يضر مع التواضع بطالة، إذا قام بالواجبات والسنن، ولا ينتج مع الكبر عمل مندوب، ولا علم مستجاب، وإن أقامك ثبتً، وإن قمت بنفسك سقطت، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

حاضر في القلب يعمره لست أنساه فأذكره
إن يصلني كنت في دعة أو جفاني ما أغيره
فهو مولاي أدل به وكما أرجوه أحذره

وروي عنه أنه عمل في رباطه بطفسونج سماعاً، فأنشد القوال هذه الأبيات، فطرب الحاضرون وغمرهم الوجد، فدخلت عليهم أُسد، واختلطت بهم، ومات رجل.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي القرشي الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو طاهر الخليل ابن الشيخ الجليل أبي العباس أحمد بن علي الصرصري. قال: سمعت أبي يقول: كان الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي رضي اللّه عنه، من أجلاء مشايخ العراق، كان مبارك اليد، فما أمرها على سقيم إلا عوفي، ولا على أكمه إلا أبصر، ولا على مقعد إلا مشى. وكان مجاب الدعوة، فما دعا بأمر إلا النفل. وشهدته مرة، وقد أتاه رجل من أصحابه، وقال له: يا سيدي إن لي نخلات لا تثمر منذ إحدى عشرة سنة، وبقرات لا تنتج منذ ثلاث سنين، فادعُ الله فيهن بالبركة، فدعا له فأخرجت نخلاته التمر من عامها ذلك، فكانتت من أفخر تمر العراق، وأكثره خراجاً، وأنتجت بقراته من شهره ذلك، حتى كان من أكثر الناس ماشية، ودراً، وكان نافذ التصريف، ظاهر الفعل، عظيم الهيبة. وكنت عنده بطفسونج يوماً فقيل له: إن فلاناً وسمى له أحد مريديه ببلدة أخرى، يقول إنه أعطي ما أُعطيت، فقال: الذي أعطاني أعطاه، لكن لم يعطه مثل ما أعطاني، ثم قال: سأرميه بسهم، وأطرق ساعة ثم قال: قد رميته بسهم فتلقاه، وسأرميه بآخر، وأطرق ساعة ثم قال: قد رميته بآخر فتلقاه، وسأرميه بثالث، فإن تلقاه فقد أعطي مثلما أعطيت، وأطرق ساعة ثم قال: قد مات فأسرعوا إليه، فوجدوه ميتاً في داره ببلده، وأنا ممن صليت عليه. قال: وسمع يوماً رجلاً يترنم بالشعر، والمؤذن يؤذن، فأمره بالسكوت، فلم يسكت، فقال له: اسكت، ثم لا تتكلم حتى آمرك، فأخرس الرجل ولم يستطع نطقاً، ومكث كذلك ثلاثة أيام، ثم جاء إلى الشيخ واستغفر له، فقال له: اذهب وتوضأ، ففعل فتكلم. قال: وحكى لي بعض أصحابنا الصلحاء، قال: كنت بين يديه يوماً، وبيده مكحلة، ومرود يكتحل به، فسألته أن يكحلني بيده، فكحلني كحلة واحدة، فكشف لي عن أمور جليلة، ونظرت من الفرش إلى العرش.

أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن سليمان الأنصاري الواسطي. قال:

أخبرنا الشيخ الصالح أبو نصر صالح بن أبي المعالي بن الحسن بن أحمد الأنصاري الطفسونجي. قال: سمعت أبي يقول: كان شيخنا الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي كثير الإخبار بالمغيبات. وكان لا يخبر بشيء إلا وقع كما وقع على ما وصف، ولو بعد أربعين سنة. وكان يخبر أصحابه بتفاصيل أمورهم، وجزيئات أحوالهم، وكان إذا قعد مريد له في خلوة، ينزله كل يوم منزلاً من منازل الطريق، ويخبره بجميع أحكامها قبل أن يجدها ذلك المريد، ثم لا يزال يرقيه درجة بعد أخرى حتى يقول له غداً تنال مرادك، فإذا انتهى إلى مقام الوصول قال له: ها أنت وربك. قال: وكنت معه يوماً تحت جبل في صحراء من صحارى العراق، فقال: سبحان من سبحته الوحوش في القفار، فإذا بين يديه وحوش عظيمة قد ملأت البطحاء، وهي تترنم بلغاتها وتهيم بأصواتها، وامتزجت الأسد بالأرانب، والظباء، وجاء بعضها يتمرغ على قدميه. ثم قال: سبحان من سبحته الطيور في أوكارها، فإذا على رأسه في الهواء طيور كثيرة من كل جنسٍ، قد سدت الفضاء، وهي تلحن بأنغامها، وتترجع بأصواتها، ودنت منه حتى عكفت على رأسه. ثم قال: سبحان من سبحته الرياح العواصف، فهبت رياح مختلفة من كل جهة، لم أرَ أكثر منها ولا ألطف نسيماً ولا أرق هبوباً، وما كانت هبت قبل كلامه ذلك. ثم قال: سبحان من سبحته الجبال الشوامخ، فاضطرب الجبل الذي تحته، وسقطت منه صخرات.

وهو رضي الله عنه، أسدى، وكان اسمه حبيباً فيما بلغني، لكن قيل له في سره: مرحباً بعبد الرحمن فتسمى به.

وسكن طفسونج بلدة بأرض العراق، وبها مات مسناً، وقبره بها ظاهر يزار، رضي الله عنه.

أخبرنا أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن سليمان الأنصاري. قال: أخبرنا خالي أبو نصر صالح بن الحسن الطفسونجي، قال: سمعت الشيخ الأصيل أبا حفص عمر ابن الشيخ القدوة أبو محمد عبد الرحمن الطفسونجي، يقول: خرج والدي يوم الجمعة من داره ليركب بغلته، ويذهب إلى صلاة الجمعة، فوضع رجله في الركاب ثم نزعها منه، ووقف على الأرض ساعة، ثم ركب وانصرف، فلما انقضت الصلاة سألته عن سبب ذلك، فقال: كان الشيخ عبد القادر يريد أن يركب بغلته في ذلك الوقت ببغداد، وينصرف إلى الجامع، فأردت أن لا أتقدم عليه في الركوب أدباً معه، فإنه قد قدمه الله تعالى على أهل زمانه، وفضل منزلته على منازلهم، ومكنه من أحوالهم. قال: وخرج يوماً يريد السفر فوضع رجله في

الركاب، ثم نزعها ودخل داره، فقلت له في ذلك فقال: يا بني لم أجد في الأرض موضعاً يسع قدمي، ثم لم يخرج من طفسونج حتى مات رضي الله عنه.

وأخبرنا أبو الفتح الواسطي عن خاله أبي نصر الطفسونجي.

قال: سمعت أبا الحسن بن أحمد الطفسونجي، يقول: احتضر شيخنا الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، رضي الله عنه، فقال له ولده: أوصني، قال: أوصيك بحفظ حرمة الشيخ عبد القادر، والوقوف عند أمره، ولزوم خدمته، فلما توفي جاء ابنه إلى الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ببغداد، فأكرمه الشيخ وألبسه خرقة، وزوجه ابنته. وكان يلبس لباس العلماء فجلس يوماً في مدرسة الشيخ عبد القاد فجاء فقير موله، وقعد إلى جانبه، وجعل يقلب أكمامه ويقول: ما هذه أكمام ابن الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، وهذه أكمام ابن هبيرة، يعني الوزير، فقام ودخل إلى داره وخلع ثيابه، ولبس مسحاً، وخرج من بغداد ولم يُعرف له خبر، ولم يوقف له على أثر، فقال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه بعد مدة لرجلين من أصحابه: اذهبا إلى عبادان تجدا فيها ابن الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، فإذا وقع نظركما عليه، صار في أسركما فأتيا به، فلما دخلا عليه عبادان سألا عنه بعض رجال عبادان المقيمين على شاطىء البحر، فقال لهما: إنه يأتي كل يوم إلى البحر يتوضأ، وله هدير كهدير الأسد يكاد البحر يضطرب من هيبته، فما لبثنا أن جاء على ذلك الوصف، فلما نظراه قال لهما: قد أسرتماني في قبضة من أرسلكما. قالا له: أجب الشيخ عبد القادر، فقال: سمعاً وطاعة، فكانا يمشيان وهو خلفهما، يمشي إذا مشيا، ويجلس إذا جلسا، حتى أتيا به بغداد، فجلس بين يدي الشيخ عبد القادر رضي الله عنه مطرقاً، متأدباً، فنزع عنه الشيخ مسحه، وألبسه ثوبه، وأدخله على زوجته رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ بقا بن بطو رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان مشايخ العراق، وأجلة العارفين، وأكابر الصديقين. صاحب الأحوال النفيسة، والمقامات الجليلة، والكرامات الباهرة، والأفعال الخارقة الظاهرة. صاحب المعارف السنية، والحقائق العلية، والإشارات اللطيفة، والمعارف الشريفة، له المحل العالي في التمكين، والمقر السامي من القرب، والباع الطويل في الكشف، والقدم الراسخ في التصريف.

وهو أحد أركان هذه الطريق، وأوتاد هذا الشأن، وصدور ساداته، ورؤساء أئمته، وأعلام العلماء به.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في العالم، ومكنه من

الأحوال، وخرق له العوائد، وقلب له الأعيان، وأوقع له القبول التام العظيم، والهيبة الوافرة في القلوب.

وهو أحد الأربعة المسمين بالبرءة على ما تقدم بيانه. وكان الشيخ محيي الدين شيخ الإسلام عبد القادر رضي الله عنه، يثني عليه كثيراً، ويعظم شأنه، وقال: كل المشايخ أعطوا بالكيل إلا الشيخ بقا بن بطو فإنه أعطى جزافاً. انتهى إليه الزهد، وعلم الأحوال، وكشف مشكلات موارد الصادقين، بنهر الملك وما يليه. وتخرج بصحبته غير واحد من أهل من أهل الطريق، وانتمى إليه جماعة من ذوي الأحوال، وتلمذ له خلق من الصلحاء، وأجلة المشايخ والعلماء وغيرهم، وقصد بالزيارات والنذور من كل مصر، وذكره الشيخ أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري، رحمه الله تعالى في قصيدة له أولها: [من البسيط]

هذا التهامة فاحبس غير متهم ... واعلم بأن الهوى عن يمينة العلم
وقد كسوت بقاء خلعة جمعت ... له بذا الشهر فضلاً غير منخرم
تؤمه زمر الزوار طالبة ... لما رفعت له في الناس من علم
وقد حللت بمعناه على ثقة ... من صدق وعدك في الأنباء والحكم

وكان له كلام عال على لسان أهل الحقائق، منه: الفقر تجرد القلب عن العلائق، واستقلاله بالله تعالى، والتخلي عند الأملاك أحد أوصاف الفقر، لأنه شواغل وقواطع إذا سكن إليها العبد، فإذا تجرد عنه نقله عن الأملاك، ولا يتغير عليه الحال بوجود الأسباب وعدمها، لا في القوة ولا في الضعف، ولا في السكون ولا في الانزعاج، ولا يؤثر فيه المهالك، فقد صح فقره، وصار حراً لا تأسره الأسباب، ولا يهزه وجودها، ولا يستفزه عدمها، فإن ملك فكأنه لم يملك، وإن لم يملك فكأنه قد ملك، فلا يرى لنفسه في الدنيا والآخرة مقاماً ولا قدراً، وكما يرى لا يطلب، وكما لا يطلب لا يتمنى، فهو مستقل به، ويقف بلا طمع، ولا يسقط بالرد، ولا ينهض بالقبول، من غير أن يعتقد في طريقه فضيلة على غيرها، وهو موقف رفيع، والأمر فيه دقيق، وما لم يصل العبد إلى ربه عز وجل لا يصل إلى حقيقة هذا الوصف والفقر وصف كل مستغن عن غيره مستقل به، ولا يكون صادقاً في فقره ما لم يخرج عن فقره بانتفاء شهوده لفقره، ونعت الفقير الصادق ما قال الله سبحانه: ﴿ومن يوقِ شحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [الحشر:٩]. وصفته ما قال عز وجل: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر:٩]. وعلامته ما قال الله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد:٢٣].

ومنه: أنصف الناس من نفسك، واقبل النصيحة ممن دونك، تدرك شرف المنازل، ومن لم يجد في قلبه زاجراً فهو خراب، وإذا سلى القلب عن الشهوات فهو معافى، ومن لم يستعن بالله تعالى على نفسه صرعته، ومن لم يقمْ بآداب أهل البداءة كيف تستقيم له دعوة مقامات أهل النهاية.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفتح بن أحمد الدقوقي، خادم الشيخ الجليل العارف النبيل أبي زكريا يحيى بن محمد الدوري المرتعش رضي الله عنه. قال: سألت شيخنا الشيخ يحيى عن ارتعاشه، هل هو مرض، أو له سبب؟ فقال: مررت يوماً في الهواء على قرية الشيخ بقا بن بطو رضي الله عنه، فرأيت رجلاً جالساً على مزبلة، فقلت: يا جالساً على هذه المزبلة، فإنه لا يجلس على المزابل إلا من له منزلة صدور المراتب، فرفع رأسه ونظر إليَّ، فإذا هو الشيخ بقا، فأخذني الارتعاش من هيبته، ونظرته إليَّ. قال: وكان يوماً يتحدث في كرامات الأولياء، وعنده رجل من ذوي الأحوال والكشف، والفتح، فقال ذلك الرجل: وفي زماننا من إذا استسقى ماء من بئر، طلع له في الدلو ذهب، وإذا توجه إلى جهة رآها ذهباً، وإذا وقف يصلي رأى الكعبة أمامه، وكان هذا حال ذلك الرجل، فنظر إليه الشيخ بقا ثم أطرق، ففقد جميع أحواله، وتوارى عنه جميع ما كان يشهده أو يجده، فجاء إلى الشيخ مستغفراً، فقال له: ما مضى لا يعود. قال: وزاره ثلاثة من الفقهاء، وصلوا خلفه العشاء، فلم يقم القراءة كما يريد الفقهاء، فساء ظنهم به، وباتوا في زاويته، فأجنبوا ثلاثتهم، وخرجوا إلى نهر على باب الزاوية، ونزلوا فيه يغتسلون، فجاء أسد عظيم الخلقة، وربض على ثيابهم، وكانت ليلة شديدة البرد، فأيقنوا بالهلاك، فخرج الشيخ من الزاوية، فجاء الأسد وتمرغ على رجليه، فجعل الشيخ يضربه بكمه، ويقول له: لم تتعرض لضيوفنا ،إن أساؤوا بنا الظن، فولى الأسد، فطلعوا من الماء، واستغفروا له، فقال لهم: أنتم أصلحتم ألسنتكم، ونحن أصلحنا قلوبنا.

أخبرنا أبو محمد خليل بن صالح بن يوسف بن علي الزريراني. قال: أخبرنا الشيخ أبو المحاسن فضل الله ابن الإمام أبي بكر عبد الرزاق. قال: سمعت الشيخ الجليل أبا محمد علياً بن إدريس اليعقوبي يقول: وقع حريق فظيع في قرية الشيخ بقا رضي الله عنه، وفشا واستطار في أرجائها، فقام الشيخ بقا بين النار وبين المواضع التي ما كانت وصلت إليه، وقال: إلى هنا يا مباركة اخمدي، فخمدت مكانها في الحال. قال: وخرج يوماً يسقي أرضه ولم يكن معه في ذلك الوقت

أحد من أصحابه، ولم يستطع أن يحوّل الماء من النهر إلى الأرض لضعفه، فنظر إلى الجو، وليس فيه سحابة، فجاءت سحابة تسير من جهة المغرب، حتى جاءت، ووقفت على رأسه، وأمطرت أرضه خاصة، وصار كلما تحول إلى قطر من أرضه تحتاج إلى الري، تحولت السحابة معه، حتى إذا عمَّ الري جميع أرضه وجلس، ذهبت السحابة، وانقطع المطر. قال: وكان يوماً جالساً على شط نهر الملك، فمرت به سفينة فيها جند، ومعهم خمر وفواكه، ونساء متبرجات، وصبيان، ومغانٍ، وهم في غاية من اللهو والطغيان، فقال الشيخ بقا للملاح: اتق الله، وقدم إلى البرِّ، فلم يلتفتوا إلى كلامه، فقال: أيها النهر المسخر خذ الفجرة، فسما الماء عليهم حتى طلع إلى السفينة، وأشرفوا على الغرق، فضجوا بالشيخ وأعلنوا بالتوبة، فعاد الماء إلى حاله، وحسنت توبتهم، وكانوا بعد ذلك يكثرون من زيارته رضي الله عنه.

سكن باب نوس قرية من قرى نهر الملك وبها توفي قريباً من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة تقديراً، وقد نيف على الثمانين، وقبره بها ظاهر يزار. وكان من أكرم الناس وأجلهم، وأجملهم صفات، وأشرفهم أخلاقاً، وأكرمهم محاسناً، رضي الله عنه. وبطو بفتح الباء ثاني الحروف، وتشديد الطاء المهملة، وضمها وبعدها واو ساكنة، على زنة مدوا وشدوا. ونوس، بنون مضمومة، وواو ساكنة، وسين مهملة.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر المحمدي الهمداني، قال: أخبرنا الفقيه أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن الباسري الحنبلي. قال: سمعت الشيخ الأصيل أبا بكر أحمد ابن الشيخ الجليل أبي الغنايم إسحاق بن بطو النهرملكي. قال: سمعت أبي يقول: كان الشيخ عبد القادر الجيلي يزور أخي الشيخ بقا، فيرعد الشيخ عبد القادر، ويرمي من هيبته الدم، ثم بعد سنة واحدة، صار أخي يزور الشيخ عبد القادر، فيرعد أخي من هيبة الشيخ عبد القادر، ويرمي الدم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أخبرنا أبو المعالي صالح بن يوسف بن عجلان الغساني القطفني. قال: أخبرنا شيخنا أبو محمد عبد اللطيف المعروف بالمعارف. قال: أخبرنا شيخنا أبو محمد عبد الغني بن أبي بكر بن نقطة. قال: سمعت شيخنا أبا عمرو عثمان الصريفيني يقول: كان الشيخ بقا بن بطو، والشيخ علي بن الهيتي، والشيخ أبو سعد القيلوي رضي الله عنهم، يأتون مدرسة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، ويكنسون بابها ويرشونه، ولا يدخلون عليه إلا بإذن، وإذا دخلوا عليه يقول لهم:

اجلسوا، فيقولون: ولنا الأمان، فيقول: ولكم الأمان، فيجلسون متأدبين. وكان من حضر منهم يرفع الغاشية بين يديه إذا ركب، ويمشي بها خطوات، وهو يناهم عن ذلك، وهم يقولون: بمثل هذا نتقرب إلى الله عز وجل. قال: وكنت أرى كثيراً من مشايخ العراق الذين عاصروا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، إذا وصلوا إلى باب مدرسته، أورباطه قبَّلوا العتبة، ومما سمعت أعيان بغداد ينشدون في هذا المعنى: [من الطويل]

تزاحـم تيجـان الملوك ببابـه ... ويكثر في وقت السلام ازدحامها
إذا عاينته مـن بعيد ترجلت ... وإن هي لم تفعل ترجل هامها

الشيخ أبو سعد القيلوي رضي الله عنه: هذا الشيخ أحد أعيان المشايخ بالعراق، وأكابر العارفين، وأئمة المحققين. صاحب الأنفاس الصادقة، والأفعال الخارقة، والأحوال الفاخرة، والكرامات الظاهرة، والحقائق الزاهرة، والمعارف الباهرة. صاحب الفتح المأنوق، والمقام المرموق، والكشف الجلي، والسر السني. له المنزلة المصدرة في القرب، والمكان المكين في المعالي، والمعراج العالي في أحوال النهاية، والطور الرفيع من منازل الولاية، والقدم الراسخ في التمكين، والباع الطويل في التصريف، واليد البيضاء في شرائف الأخلاق، ومحاسن الصفات.

وهو أحد الأربعة المسمين بالبرأة على ما بينا.

وهو أحد الفقهاء المعتبرين، والعلماء المفتين، أفتى ببلده وما يليه.

وهو أحد أوتاد هذا الشأن، وأركان ساداته، وصدور القادة إليه، وأعلام العلماء به. وكان قيماً في حل المشكلات، والأحوال، وكشف خفيات الموارد. إليه انتهى الزهد والمعرفة، وتربية المريدين بقيلويه، وما يليها من الأعمال. وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر مثل: الشيخ أبي الحسن علي القرشي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد المديني، والشيخ خليفة بن موسى، والشيخ مبارك بن علي الحميلي، والشيخ محمد بن علي الفيدي، وغيرهم رضي الله عنهم. وتلمذ له جماعة كثيرة من الأعيان، وانتمى إليه جمٌّ غفير من الصلحاء، وانعقد عليه الإجماع بالتبجيل والاحترام.

وهو أحد من أبرزه الله إلى الخلق، وأوقع له عنده القبول التام، والهيبة العظيمة، وصرفه الله تعالى في الوجود، وأنطقه بالمغيبات، وخرق على يده العادات، وأقامه حجة وإماماً لأهل الطريق. وكان يتكلم بقيلويه على علوم الشرائع والحقائق على كرسي عالٍ، وحضر مجلسه المشايخ والعلماء، وانتهت إليه رئاسة

هذا الأمر وجلالته، وقصد بالزيارات والنذور. وكان له كلام عالٍ في علوم الحقائق، منه: الفقير لا يملك شيئاً، ولا يملكه شيء، وأن يصفو قلبه من كل دنس، ويسلم صدره لكل أحد، وتسمع نفسه بالذل والإيثار، والتصوف لأقوام أعطوا حتى بسطوا، ومنعوا في الوصل حتى فقدوا، ثم نودوا من أسرار قربه، فقالوا: لبيك اللهم لبيك.

ومعنى التصوف: التبري عمن دونه، والتخلي عما سواه، وحسن الإرادة، والدخول في كل خلق سني، والخروج من كل وصف دني، ومراقبة الأحوال، ولزوم الأدب في كل نفس، والإقبال على الله بمحو التشوف، وإسقاط التكلف، والتوكل الثقة بالمضمون، والقيام بالأوامر ومراد السر، والتخلي عن الكونين، والتشبث بالحق والصدق، والاستتار عن الخلق بلوائح الوجد، والاختفاء عن الكون بشمائل القصد، والتوحيد غض الطرف عن الأكوان، بمشاهدة من هو منزه عن كل نقص، والعارف وحداني الذات لا يقبله أحد، ولا يقبل أحداً، ومبنى الأحوال كلها على ثلاث خصال؛ التمسك بالفقر، والافتقار، والتخلق بالبذل والإيثار، وترك التعرض والاختيار.

وعلامة الصادق في طريقه أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة.

وعلامة الكاذب في دعواه أن يستغني بعد الفقر، ويعز بعد الذل، ويشتهر بعد الخفاء.

وإذا رأيت الرجل يسمي الطمع زيادة، وسوء الأدب إخلاصاً، والخروج عن الحق شطحاً، والتلذذ بالمذموم طيبةً، واتباع الهوى ابتلاءً، والرجوع إلى الدنيا وصولاً، وسوء الخلق صولة، والبخل جلادة، والسؤال للخلق عملاً، فقد هدم أركان الطريق، ومحا رسومه، وبدل سلبها، وغيَّر معانيها، وسقط من عين الله عز وجل، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

لي حبيب أزور في الخلوات ... حاضر غائب عن اللحظات
ما تراني أصغي إليه بسرى ... كي أعي ما يقول من كلمات
حاضر غائب قريب بعيد ... وهو لم تحوه رسوم الصفات
هو أدنى من الضمير إلى الوهـ ... ـم وأخفى من لائح الخطرات

أخبرنا أبو الفتوح عبد الحميد بن معالي بن عبد الله الصرصري. قال: أخبرنا الشيخ الأصيلي؛ أبو حفص عمر ابن الشيخ الجليل أبي الخير سعيد ابن الشيخ القدوة أبي سعد القيلوي رضي الله عنه. قال: سمعت أبي يقول: كان

والدي رضي الله عنه، يوماً يتكلم بقيلويه على الكرسي، فأتى بسلتين مختومتين، يحملهما جماعة، فقطع كلامه، وقال للذين أتوا بهما: إنكم رافضة جئتم لتمتحنونني بما في هاتين السلتين، ثم نزل وفتح إحداهما، فإذا فيها صبي مكسح، فأخذ بيده، وقال: قم، فقام يعدو. ثم فتح الأخرى وإذا فيها صبي معافى، فنهض ليقوم، فأخذ بناصيته، وقال: اقعد، فتكسح، فتاب أولئك الجماعة على يده من الرفض، وأقسموا أنه لم يعلم أحد بحالهم سوى الله عز وجل، وهم. قال: ودعاه قوم إلى طعام، فانصرف إليه ومعه جماعة أنا أحدهم، فوضع بين أيدينا طعام كثير، من كل لون، فنهانا والدي أن نأكل منه شيئاً، ثم أكل والدي جميع الطعام، وانصرف ونحن معه، فلما وصلنا إلى ظاهر قيلويه، وقف وقال لنا: إنما منعتكم من أكل هذا الطعام لأنه كان حراماً، ثم تنفس فخرج من فمه أو قال أنفه دخان عظيم كالعمود، وتصاعد في الجو حتى غاب عن أبصارنا. قال: ثم خرج من أنفه أو من فيه عمود نار، وتعالى في الجو حتى غاب عن النظر. ثم قال: هذا الذي رأيتموه هو الطعام الذي أكلته.

أخبرنا الفقيه الصالح أبو الفضل غانم بن أحمد بن محمد بن علي العلثي. قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفضل إسحاق بن أحمد بن غانم العلثي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا محمد طلحة بن مظفر العلثي، يقول: كان الشيخ أبو سعد القيلوي، رضي الله عنه، من أجلاء المشايخ، ذوي التصريف الخارق، ما دعا بأمر إلا نفذت دعوته، ولا عاد مريضاً، إلا عوفي من يومه إن كان له أجل، ولا نظر بعين الرضا إلى قلب خراب إلا عمر، ولا نظر بعين الغضب إلى قلب عامر إلا خرب، وكنت معه يوماً وقت الزوال بظاهر قيلويه، فطلع على صخرةعظيمة، وأذن، فلما قال: الله أكبر؛ انفلقت الصخرة على خمس قطع، وخيل لي أن الأرض اهتزت من هيبة تكبيره. وكنت عنده يوماً بقيلويه، وقد أهدي إليه رمان حلو، وحامض، ففرقه على من حضره، وناولني واحدة، فكسرتها، فإذا هي شديدة الحموضة، فقلت في نفسي: لو كانت حلوة، فقال الشيخ ناولنيها، فناولته إياها، فقلبها بيده، وأكل منها، وقال: ها هي حلوة، فذقتها، فإذا هي شديدة الحلاوة.

وأخبرنا أبو محمد الحسن بن القاضي بن عمران موسى المخزومي الصوفي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا الحسن علياً القرشي، يقول: خرج سيدي الشيخ أبو سعد القيلوي، رضي الله عنه، يوماً يقضي حاجته، وتبعته بإبريق مملوء ماء، فسقط الإبريق من يدي، وتكسر، وتفرقت أجزاؤه، ولم يك معنا إبرق سواه، ولا

ثم ماء، فجاء الشيخ ولمَّ أجزاءه بيده، وأمر يده عليه، فإذا هو إبريق صحيح، مملوء، كحالته من قبل. قال: وحكى لي الشيخ محمد بن المديني، قال: استأذنت شيخنا الشيخ أبا سعد القيلوي رضي الله عنه، في السير إلى دمشق، فأذن لي، وأعطاني تفاحتين، وقال: كل أحدهما في ذهابك، والأخرى في إيابك، ولا تأكل شيئاً من غيرهما. قال: فلقد كانت إحداهما زادي من العراق إلى دمشق، وكنت كلما جعت أكلت منها شبعي، ولا أقدر على استيفائها، فإذا رجعت ثانياً، وجدتها صحيحة، كان لم يمسها أحد، فلما وصلت إلى دمشق أكلت جميعها. وكانت الأخرى زادي من دمشق إلى العراق، على ما وصفت من حال أختها. قال: وكان أبو العباس الخضر عليه السلام، يأتي الشيخ أبا سعد كثيراً.

سكن رضي الله عنه قيلويه، قرية من قرى نهر الملك، قريبة من بغداد، وبها مات قريباً من سنة سبع وخمسين وخمسمائة تقديراً، وقد علت سنه، وقبره بها ظاهر يزار. وكان رضي الله عنه شريف النسب، من ولد الحسين الشهيد، سبط رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، يلبس العلماء ويتطيلس، ويركب البغلة، وكان ظريف الشمائل، بهي المحاسن، شريف الأخلاق، رضي الله عنه. وقَيلويه بفتح القاف، وسكون الياء آخر الحروف، وبعدها لام مضمومة، وواو ساكنة، وياء آخر الحروف مفتوحة، وهاء تانيث على وزن حمدويه، وينسب إليها، فيقال: قيلوي.

أخبرنا أبو الفرج عبد الحميد الصرصري، قال: أخبرنا أبو حفص عمر ابن الشيخ أبي الخير سعيد ابن الشيخ القدوة أبي سعيد القيلوي، رضي الله عنه. قال: سمعت أبي يقول: لما حضرت والدي رضي الله عنه الوفاة، قلت: أوصني، قال: يا بني، أوصيك بحفظ حرمة الشيخ عبد القادر، فقال له الشيخ محمد بن المديني: يا سيدي: أخبرنا عن حال الشيخ عبد القادر، فقال: يا محمد؛ الشيخ محيي الدين ريحانة أسرار الأولياء في هذا الزمان، وأقرب أهل الأرض إلى الله، وأحبهم إليه في هذا العصر. قال: فلما توفي جئت إلى الشيخ عبد القادر، فاكرمني، وألبسني قميصاً، وعمامة، وطرحة، وكان يلبس مريداً لوالده، ومريداً للشيخ عبد القادر رضي الله عنهما.

أخبرنا أبو الفتوح نصر الله بن يوسف بن خليل الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إسماعيل الأزجي المعروف بابن الطبال. قال: سمعت الشيخ المعمر أبا المظفر منصور بن المبارك الواسطي المعروف بجرادة.

وأخبرنا أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس بن الخضر الحسني الموصلي. قال: أخبرنا أبي قال: سمعت المشايخ الأجلاء تيجان العراق، الشيخ أبا مسعود المدلل، والشيخ عمر البزار، والشيخ ناصر الدين ابن قائد الأواني رضي الله عنهم. قالوا: اجتمع الشيخ عبد القادر، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبو سعد القيلوي، والشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنهم، بدار بباب الأزج، فقال الشيخ عبد القادر للشيخ علي بن الهيتي: تكلم. فقال: وكيف أتكلم في حضرتك، فقال للشيخ بقا: تكلم، قال: وكيف أتكلم في حضرتك، فقال للشيخ أبي سعد: تكلم، فتكلم يسيراً، ثم سكت، وقال: تكلمت امتثالاً لأمرك، وسكت إجلالاً لك، ثم تكلم الشيخ عبد القادر في علوم الحقائق بكلام أكبره الحاضرون، ثم استأذنوه في قوال، فأذن لهم فانشد القوال:

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى	برق تألق موهن لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه	صعب الذرى متمنع أركانه
فبدا لينظر كيف لاح فلم يطق	نظراً إليه ورده أشجانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه	والماء ما سمحت به أجفانه

قالوا: فعلا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، على الأرض في الهواء وجعل يدور في الهواء حتى طلع من سماء الدار، فذهبوا إلى مدرسته، فوجدوه فيها رضي الله عنه.

الشيخ مطر البادراني رضي الله عنه: هذا الشيخ من أجلاء مشايخ العراق وسادات العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والمقامات السنية، والهمم الفخيمة. صاحب الفتح المونق، والكشف المشرق، والتقدم في مراتب القرب، والتصدر في مواطن القدس، والترقي في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق. له الباع الطويل في التصريف النافذ، له اليد البيضاء في أحكام الولاء، والقدم الراسخ في درجات النهاية، والطور السامي في الثبات والتمكين، وهو أحد من ملك أسراره، وقهر أحواله، وغلب على أمره.

وهو أحد أركان هذه الطريق، وصدور أوتادها، وأكابر أئمتها، وأعيان العلماء بها علماً وعملاً، وقالاً وحالاً، وزهداً وتحقيقاً، ومهابة.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، ومكنه من الأحوال، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العوائد، وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه الفوائد، ونصبه قدوة للطالبين. وكان شيخه تاج

العارفين أبو الوفاء رضي الله عنه يثني عليه كثيراً، وينبه على فضيلته. وقال فيه الشيخ: وارث حالي ومالي، وكان من أخص أصحابه وخدامه، وكان يلقبه بالجبل الراسخ، ويدعوه بالمشيخة، ويقول: يا شيخ مطر انتهت إليك الرئاسة في هذا الشأن، في تربية المريدين المحققين ببادراي، وما يليها. وتخرج به غير واحد من رؤساء العراق، مثل: الشيخ أبي الكرم، والشيخ تميم الحلاوي، والشيخ أبي العز النهرملكي، وغيرهم رضي الله عنهم. وكان الشيخ أبو الكرم هذا أدرك تاج العارفين أبو الوفاء رضي الله عنه، إلا أنه أحاله على الشيخ مطر، وتلمذ له جماعة من أهل الطريق، وانتمى إليه خلق من الصلحاء، ويجله المشايخ والأولياء، واعترفوا بفضيلته، وأقروا بمكانته، وقصد بالزيارت، وحل مشكلات أحوال القوم. وكان ظريفاً جميلاً، متواضعاً كريماً، متأدباً، وكان الغالب عليه في حاله السكر، كان له كلام نفيس على لسان أهل المعارف، منه: لذة النفوس، معرفة الرفيق الأعلى، ومناجاة العلي العظيم. ولذة القلوب من أمير أنس نظر في مقام قدسي الجنان، توحيد في رياض، تمجيد بمطربات المعاني من تلك المثاني الجاذبة لأهلها إلى القسم الثاني، الرافعة لأربابها في مدارج الأماني، إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر. ولذة الأرواح الشرب بكأس المحبة من أيدي عرائس الفتح اللدني، في خلوة الوصل على بساط المشاهدة والهيام، بين معاني ومعالم الكون، خبرة في نور العزة، وقراءة ما كتب على صفحات ألواح نسمات ذرات الوجود، بقلم التوحيد، كلا بل هو الله العزيز الحكيم. ولذة الأسرار مطالعة نسيم الحياة الذاتية، والوصول إلى حقائق الغيوب بضمائر القلوب، والمعاينة بالأفكار لسرائر الأسرار. ولذة العقول ملاحظة أسرار الملكوت الخفية عن الأبصار بالسرائر المحيطة بالأفكار، فتعاين القلوب حقائق الغيوب، وتصحبه قبول شواهد الأسرار فتلج الضمائر بحار الأفكار، وتطمئن النفوس إلى تحفة من العالم المحجوب، فكلما كشف عن الغيوب أذيال دلالتها على إتقان صنع وإبداع فطرة، قابلتها من العقول فكرة، ومخرج الاعتبار من القلب، فإذا كان القلب طاهراً، نفذ الاعتبار بالشواهد، وسمت به الهمة، وترقى به الفكر، ولم يمنعه مانع، فالفكر طريق إلى الحق، ودليل على الصدق، والفكر أصل ثمرته المعرفة، والمعرفة ثمرة طعمها العمل، والعمل طعمة لذتها الإخلاص، والإخلاص لذة غايتها النعيم، والنعيم غاية ليس لها انقضاء، وأيدي العقول تمسك أعنت النفوس، والنفس مسخرة للعقل، والعقل يستمد من الأنوار الإلهية، وعنه تصدر الحكمة التي هي رأس العلوم، وميزان العدل، ولسان الإيمان، وعين

البيان، وروضة الأرواح، ونور الأشباح، وجيد المحاسن، وميزان الحقائق، وأنس المستوحشين، ومتجر الراغبين، ومنية المشتاقين، والحكمة إصابة الحق، فإذا وردت على القلب دلت على مكامن الهدى، وجلت أصدية القلوب، وأماتت عيوب البواطن.

ومنه: كل ما قام بغيره، فالضرورة تمسه، وكل ما كان بجسم ظهوره فالعرض يلزمه، وكل ما كان بالأدوات اجتماعه، فقواها تمسكه، وكل ما جمعه وقت، فرقه وقت، وكل ما أواه محل، أدركه أين، وكل ما كان له جنس، لازمه نوع، وكل ما له عرض، فالطول مساحته، وكل ما يظفر به الوهم، فالتصوير يرتقي إليه، وكل من سكن جواً، غاب عن جو، وكل ما له جزم، كان له وزن، فكل ما يسكن يتحرك، وكل ما يستمد من شيء فالفاقة تلحقه، وكل ما يذكر بمادة، فله النسيان، وكل ما يفكر فمشغول، وكل ما يشاور أو يوازر فناقص، وكل هذه النعوت من أوصاف الحادث والقديم، سبحانه باين بذاته وصفاته خلقه، منزه عن ذلك كله، تبارك وتعالى عما يصفون. وكان رضي الله عنه يتمثل بهذه الأبيات:

سهرت الليل من وجدي بميّا	وأذكرها فتجري مقلتيا
أضمُّ جوانحي بيدي شوقاً	فيشتعل الزفير براحتيا
ويسكرني مدام الحب تهيا	ومن يصحو إذا شرب الخميا
وما خوفي من السكر اختبالاً	ولكن أن أبوح بسر ميا
فجودي وارحمي يا مي مضني	كواه هجرك والبعد كيا
ورقى للذي أمسى كئيباً	من البلوى تسامره الثريا

أخبرنا أبو محمد ماجد بن محمد بن خالد الخلواني الصوفي. قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو بكر محمد، ابن الشيخ عوض، ابن سلامة الغراد، البغدادي الصوفي. قال: أخبرنا والدي، قال: مررت ببادراي، فوجدت جراداً عظيماً، قد سد الأفق من كثرته، يقدم الجراد، رجل راكب على جرادة، وهو ينادي بأعلى صوته: لا إله إلا الله محمد رسول الله، كل نعمة فمن الله، والجراد يتبعه حيث توجه، فخرج الشيخ مطر رضي الله عنه إلى ظاهر زاويته، ونادى: يا جنود الله، ارجعي من هنا، حيث جئتِ، فنكص الجراد على عقبيه، مدبراً جميعه، وانقض الرجل من الهواء كالعقاب حتى سقط بين يدي الشيخ. فقال له: يا هذا ما حملك على أن تمر ببلدي بغير إذني، فأكب على رجل الشيخ يقبلها، ويستغفر، ويسأله أن يرد عليه ما سلبه.

فقال له الشيخ: قم فاذهب، فمر الرجل في الهواء كالسهم المفوق، وسقط الجراد في بلاد العراق، فأخذ الناس، وأكلوا منه أياماً.

فقال الشيخ مطر: هذا الجراد أراد أن يهلك الحرث والنسل، وإني استأذنت الله تعالى أن أرده، فأذن لي.

أخبرنا أبو محمد أحمد بن علي بن يوسف التيمي البغدادي. قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو هاشم أحمد بن مسعود الهاشمي البغدادي. قال: سمعت الشيخ أبا أحمد عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي الصوفي الحرصي، يقول: كان الشيخ مطر البادراي رضي الله عنه من أجلاء مشايخ العراق، ما وقع نظره على عاص إلا صار طائعاً، ولا على ناس إلا صار يقظاناً، ولا حضره يهودي ولا نصراني إلا أسلم، ولا مرَّ بأرض جرز إلا ربت وأنبتت العشب، والكلأ، ولا دعا في شيء بالبركة أو بغيرها إلا ظهرت شواهد الإجابة فيه.

وحضرته مرة وقد أتاه سوادي من أصحابه وهو ملهوف، وقال: يا سيدي، إن أرضي حسن زرعها في هذا العام، ولم يخرج لي سوى ستين كارة غلة، وكانت تخرج كل عام ثلاثمائة كارة، وعليَّ دين للناس سبعون كارة. فأتى الشيخ إلى أرضه، وجلس على بيدر الرجل. وقال: كيلوا منه، فكالوا منه ثلاثمائة كارة، ثم نزل على البيدر فكالوه فوجدوه مائتي كارة.

وقدمت عليه مرة، ومعي خمسة نفر، فرحب بنا، وأخرج لنا إناءً فيه لبن، مقدار ثلاثة أرطال، فشربنا حتى روينا، وإذا سبعة نفر قد وردوا، فناولهم الشيخ الإناء، فشربوا حتى رووا، وإذا عشرة نفر قد وردوا، فناولهم الشيخ الإناء، فشربوا حتى رووا، والله إن اللبن فيه لأكثر مما كان أولاً.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفضل رزق الله، بن عبد الصمد بن أحمد بن محمد الهاشمي الكرخي الصوفي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا طاهر الخليل ابن أحمد الصرصري، يحدث عن أبيه رضي الله عنه. قال: شممت ليلة عند السحر بباذراء رائحة تكاد تقتلع الأرواح من أشباحها لذة، وتغيب العقول سكراً، ثم أعقبتها برقة من نور، أضاء به الأفق، فقيل لي: قد تجلى الحق عز وجل الليلة على قلب عبده الشيخ مطر، ثم احتجب عنه فتنفس حسرة على تلك المشاهدة، فما شممت فمن طيب نفسه، ونظر إلى الوجود بعين الحيرة، في طلب ذلك التجلي، فما رأيت فمن نور نظره، فبكرت إلى زيارته، فرأيت عشباً على باب زاويته كنت أعرفه بالأمس يابساً، فإذا هو أخضر، ورأيت رجلين في زاويته، كنت

أعرف بالأمس أحدهما أعمى، والآخر مريضاً مدنفاً، فإذا الأعمى بصير، والمدنف معافى سوي. فسألت أصحابه عن ذلك، فقالوا لي: بات الشيخ البارحة في وسط العشب، وفرشنا للمريض في آخر العشب، ونام الأعمى عنده، فأصبح العشب مخضراً، والأعمى بصيراً، والمريض معافى. وهو رضي الله عنه كان من الأكراد، سكن باذراء، قرية من أعمال اللحف، بأرض العراق، وهي بذال معجمة، وألف تأنيث ممدودة. وكان رأى في المنام على عهد شيخه تاج العارفين رضي الله عنه، شجرة عظيمة لها أغصان كثيرة، وعلى كل غصن رجل من أصحاب تاج العارفين، ورأى نفسه على غصن مما يلي باذراء، فلما أصبح وأتى خدمة تاج العارفين، قال له: يا شيخ مطر، أنا تلك الشجرة التي رأيتها البارحة، اذهب إلى باذراء، فاستوطنها. وبها مات، وقبره بها ظاهر يزار. ووفاته قبل وفاة الشيخ بقا بن بطو، رضي الله عنهما.

أخبرنا أبو سعد عبد الغالب بن أحمد الهاشمي. قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن الخباز البغدادي، قال: سمعت الشيخ أبا القاسم عمر البزار، يقول: حدثني الشيخ أبو الخير كرم، ابن الشيخ القدوة مطر البادراي رضي الله عنه. قال: لما حضرت والدي الوفاة قلت له: أوصني بمن أقتدي بعدك، قال: بالشيخ عبد القادر، فظننته في غلبة مرضه، فتركته ساعة، ثم قلت له: أوصني بمن أقتدي بعدك، فقال: بالشيخ عبد القادر، فتركته ساعة، ثم أعدت عليه القول، فقال: يا بني، زمان يكون فيه الشيخ عبد القادر، لا يقتدى إلا به، وقد قدمت ذكر هذه القصة بطولها، بإسناد آخر، فأغناني ذلك عن إعادتها هنا، والله عز وجل الموفق.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن الزراد. قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن النحال، قال: سمعت الإمام أبا بكر عبد الله بن نصر التيمي، يقول: زرت الشيخ مطر الباذراي رضي الله عنه بها فرحب بي، وأكرم نزلي، وقال لي يوماً: صف لي شيئاً من أحوال الشيخ عبد القادر، فذكرت منها شيئاً، فجعل يتواجد يميناً وشمالاً.

وقال: الشيخُ عبد القادر ريحانة الله في الأرض، ينتشق منها أسرار الأولياء ريح روح القدس، وهو متكلم الحضرة، وسيف النقمة، لا يوهب ولي في هذا الوقت حالاً ولا مقاماً إلا على يديه، وهو واسطة العقد، وصدر المجلس، وعين الكون، وصاحب العربة العربية بين الأولياء، وإذا نظر نظرة، كنا كلنا بضيافة تلك النظرة، أو تنفس نفساً كنا كلنا في خفارة ذلك النفس، أو رفع قدماً كنا كلنا تحت ظل ذلك القدم، رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ ماجد الكردي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان مشايخ العراق، وأكابر العارفين، وصدور المقربين، وأئمة المحققين. صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات الجليلة، والرتب السامية، والمواهب الجسيمة، له الحقائق والمعارف، والدقائق واللطائف، وله التقدم في مراتب القرب، والتصدر في منازل الحضرة، والري من مناهل الوصل، والسبق إلى حلبة المعالي، والأخذ بأزمة أحوال النهايات، والارتداء بمبهجات أسرار الولاية، ونيل الدرجات العلى من التمكيين الموطد، والصعود على مراقي التصريف الخارق، والسمو في مدارج العالم القدسية، والمعاني النورانية. وهو أحد أركان هذه الطريق، وأوتاد الطائفة في وقته، علماً وعملاً، وحالاً وقالاً، وتحقيقاً ورفعة، ورئاسة. وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، وأظهر على يديه العجائب، وأطلعه على الأسرار، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأنطقه بالحكم، وأراه شواهد الغيب، ومعاني الأقدار، وآيات الملكوت، مع قدم راسخة في العبادة، وتأدب في المجاهدة، وتجوال في المشاهدة. وقد وضع الله تعالى له القبول العظيم في القلوب، والهيبة التامة في النفوس، ونصَّبهُ قدوة لسالكي هذا الطريق، وطلابها، وانتهى إليه هذا الشأن، وبه غدق الأمر في تربية المريدين، الصادقين، بالجبل وما يليه. وتخرج بصحبته جماعة من أعيان العراق، وتلمذ له خلق من الصلحاء، وانعقد عليه إجماع المشايخ وغيره بالتعظيم والاحترام. وقُصِد بالزيارات من كل قطر، وضربت إليه آباط الإبل من كل أفق، مع ما جمع الله فيه من الصفات الشريفة، والأخلاق المرضية، والآداب الكاملة، والتواضع العظيم. وكان له كلام نفيس على لسان أهل الحقائق منه: قلوب المشتاقين منورة بنور الله تعالى، فإذا تحرك فيها الاشتياق، أضاء نورها ما بين السماء والأرض، فيباهي الله عز وجل بهم الملائكة، ويقول: أشهدكم أنني إليهم أشوق، ومن اشتاق إلى ربه تبارك اسمه أنس، ومن أنس طرب، ومن طرب قرب، ومن قرب سار، ومن سار حار، ومن حار طار، ومن طار قرت عينه بالاقتراب، فالزاهد يعالج الصبر، والمشتاق يعالج السكر، والواصل يعالج الولاية، والشوق نار الله عز وجل تضطرم في قلوب الأحباب، فلا تهدأ إلا بلقائه، والنظر إليه، ونار الهيبة تذيب القلوب، ونار المحبة تذيب الأرواح، ونار الشوق تذيب النفوس.

ومنه: الصمت عبادة من غير عناء، وزينة من غير حلي، وهيبة من غير سلطان، وحصن من غير سور، وراح من غير كأس، وراحة الكاتبين، وغنية عن

الاعتذار، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله تعالى، وكفى به جهلاً أن يعجب بنفسه، والعجب فضل حمق يغطي به صاحبه عيوب نفسه، فلا يدري أين يذهب به، فصرفه إلى الكبر، وما خلق الله سبحانه من عجيبة إلا ونقشها في صورة الآدمي، ولا أوجد أمراً غريباً إلا وسلكه فيها، ولا أبرز شراً، إلا وجعل فيها مفتاح علمه، فهو نسخة مختصرة من العالم.

ومنه: السكر؛ غيبة العبد بوارد يشغله عن رؤية غيره، فيظهر كل يوم مكتوماً من الأسرار لغلبة سلطان الموارد.

والسكر: اسم يشار به إلى سقوط التمالك في الطرب، وهو من مقامات المحبين خاصة، فإن عيون الفناء لا تقبله، ومنازل العلم لا تبلغه.

وللسكر ثلاث علامات: الضيق عن الاشتغال بالسوى، والتعظيم قائم، واقتحام لجة الشوق، والتمكين دائم، والغرق في بحر السرور والصبر هائم، وما سوى ذلك فنقائص في البصائر، كسكر الحرص، وسكر الجهل، وسكر الشهوة، ومن كانت سكرته بالهوى، كان صحوه إلى الضلالة.

أخبرنا أبو محمد عبد الواحد بن صالح بن يحيى القرشي البغدادي. قال: أخبرنا الشيخ العالم محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي البغدادي، المعروف بالتوحيدي. قال: أخبرنا الشيخ الفاضل العارف أبو محمد عبد الرحيم ابن الشيخ أبي حفص عمر الواعظ المعروف بابن الغزال، عن الشيخ القدوة مكارم، وكان من أجلاء مشايخ العراق، وأئمة الطريق، وكانت له كرامات ظاهرة، وأحوال فاخرة، ومقامات سنية، ومعارف جلية، وقدم راسخ في هذا الشأن، وتصريف نافذ في أحكام الشريعة والولاية، وله الباع الطويل، وأتباع وتلامذة، وكان من أخص أصحاب تاج العارفين أبي الوفاء رضي الله عنه، وقدماء خدّامه.

وهو من أهل قوشان، قصبة من أعمال العراق، وبها توفي، وله بها الشهرة العظيمة حياً وميتاً، رضي الله عنه. قال: جاء رجل من أصحابنا إلى الشيخ ماجد الكردي مودعاً، حاجاً في غير أشهر الحج، وقال له: قد عزمت على الحج، على قدم التجريد، والوحدة، ولا أستصحب زاداً ولا أحداً، فأخرج له الشيخ ماجد ركوة، وأعطاها له. وقال له: هذه ماء إذا أردت الوضوء، ولبن إن عطشت، وسويق إن جعت، وكان الرجل في طول سفره من جبل حمدين إلى مكة، وفي مدة إقامته بأرض الحجاز، وفي رجوعه من الحجاز إلى العراق، إذا أراد الوضوء توضأ منها بماء مالح، وإذا أراد الشرب شرب منها ماءً عذباً، أحلى من ماء الفرات مرة، أو لبناً وعسلاً أشهى من أطعمة الدنيا، وإذا أراد الطعام أخرج منها سويقاً مشاباً بالسكر.

أخبرنا أبو محمد عبد الله محمد بن عيسى بن عبد الله الأرزتي الرومي الصوفي. قال: أخبرنا الشيخ الأصيل، أبو محمد عباس ابن الشيخ الجليل أبي النجاة سلمان، ابن الشيخ القدوة أبي ماجد الكردي رضي الله عنه. قال: أخبرنا أبي قال: كنت يوماً عند والدي في خلوته، ولم يكن فيها شيء يؤكل ولا يشرب البتة، فخرج فجلس على بابها، وأنا معه، فقدم عليه عشرون نفراً، فقال لي: يا سلمان، ادخل هنا، يشير إلى بيت الخلوة، وائتنا بطعام، فلم أستطع مخالفته، فدخلت، ودخل معي خادمان، وإذا فيها أواني مملوءة طعاماً، وأتوا عليها جميعها حتى إذا لم يبقَ شيء فيها، ثم دخل علينا خمسة عشر نفراً، فقال لس: يا سلمان ادخل هنا، وائتنا بطعام، فلم أستطع مخالفته، فدخلت والخادمان معي، وإذا فيها أوانٍ مملوءة طعاماً، من غير الطعام الأول، وأخرجناها، فأكلوا كل ما هنالك، حتى إذا لم يبقَ فيها شيء دخل علينا ثلاثون نفراً، فقال والدي: يا سلمان، ادخل هنا، وائتنا بطعام، فلم أستطع مخالفته، فدخلت، والخادمان معي، فإذا فيها أوانٍ كثيرة مملوءة طعاماً، غير الطعام الأول والثاني، فأخرجناها فأكلوا، فنظر والدي إلى الخادمين فوقعا إلى الأرض مغشياً عليهما، ورفعا إلى منازلهما كالخشبتين، لا ينطقان، ولا يتحرك فيهما سوى عينيهما، وأقاما كذلك بستة أشهر، فجاء إليه أبواهما يبكيان، ويشكوان حال ولديهما، فقال لي والدي: يا سلمان اذهب، وائتني بهما، فذهبت إلى أحدهما، و قلت له: والدي يدعوك، فقام في الحال ما به بأس، وفعلت بالآخر كذلك، وأتيت بهما إليه، فقاما في الاستغفار زماناً، فاقبلت عليهما فسألتهما عن أمرهما، فقال لي أحدهما: لما أخرجنا الطعام في المرة الثالثة هالني ما رأيت، ووقع في نفسي أن هذا سحر، وقال لي الآخر: وأنا وقع في نفسي أنه سيأتي به جني، وأقسم كل واحد منهما بالله تعالى أنه لم يعلم بما وقع في نفسه غير الله عز وجل، وأنه ردع خاطره، وانثنى عليه بالاستغفار، وعلم أنه خاطر سوء، فلم يكن بأسرع من وقوع ما رأيت. قال: وقال لي والدي يوما: يا سلمان اذهب إلى آخر الجبل تجد ثلاثة نفر، فقل لهم: والدي يسلم عليكم، ويقول لكم: ما تشتهون؟ فأتيتهم، وقلت لهم ما قال لي، فقال أحدهم: رمانة، وقال الآخر: تفاحة، وقال الآخر: عنباً، فأتيت والدي وأخبرته، فقال لي: اذهب إلى الشجرة الفلانية، شجرة أعرفها يابسة بالقرب منا، واجن منها ما طلبوا، فلم أرد عليه كلامه، وأتيت الشجرة، فإذا هي خضراء مورقة، ووجدت عليها، رمانة وتفاحة، وعنباً، لم أرَ مثل ذلك منظراً ورائحة، فقطفت، وأتيت والدي بذلك.

فقال: اذهب إليهم، فأتيتهم، فأكل صاحب الرمانة رمانته، وصاحب العنب عنبه، وقال صاحب التفاحة: آثرتك بها، ولم يأخذها، فوجدت في نفسي شيئاً من ذلك، ثم مشوا قليلاً، وأنا معهم، ومروا في الهواء، ولم يستطع صاحب التفاحة أن يعلو عن الأرض قدر شبر، فسقط ما في يده، ونزل إليه صاحباه وقالا له: هذا بامتناعك عن أخذ التفاحة، وأتوا مكشوفة رؤوسهم إلى والدي، فتلقاهم والدي وقال للرجل: يا بني ما منعك من قبول كرامتي، وموافقة صاحبيك، فأكب على قدم والدي يقبلها، فقال له: لا بأس عليك، ثم قال: يا سلمان، أين التفاحة؟ فناولته إياها، فكسرها أجزاءً، وأكل منها جزءاً وأطعمني جزءاً، وأطعم كل واحد منهم جزءاً، فإذا هي لا عجم لها، وكذلك كان العنب والرمانة، ثم دفع بيده بين كتفي الرجل، فمر مع صاحبيه في الهواء، كالسهم المفوق، فسألته عنهم. فقال: هؤلاء من رجال الغيب السيارة، وأخذ عليَّ أن لا أعلم أحداً بشيء من ذلك وهو حي. وهو رضي الله عنه من الأكراد، سكن جبل حمدين من أرض العراق، واستوطنه إلى أن مات به، بعد سنة إحدى وستين وخمسمائة. وقد علت سنة، وقبره ثمّة ظاهر يزار رضي الله عنه.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن قوقا الحريمي. قال: أخبرنا جدي محمد بن دلف، قال: أخبرنا الشيخ الفاضل أبو العباس أحمد بن يحيى، بن بركة البغدادي البزار المعروف بابن الديبقي. قال: سمعت أبي يحيى يقول: سمعت الشيخ ماجداً الكردي رضي الله عنه، يقول: الشيخ محيي الدين عبد القادر إمام أهل الأرض، وإمام هذا الطريق، وشيخ شيوخها في هذا العصر، وبنوره يستضيء أهل القلوب، في أحوالهم، وببهجة سريرته تسطع أسرار أهل الحقائق في معارفهم، فسألته عن ذلك، فقال: لأن له قلب كل مقلب، ونوراً يعلو إشراقه على أنوار ذلك القلب، فإذا أمعن القلب في السير في طريق العلي، لم يثبت بين يدي سوى ذلك النور. وله أيضاً في سر كل صاحب سر مطالعة، يشرف عليها من نظرة الله، فإذا وردت على ذلك السر منازلة من مواجد القدس الأشرف، اتسع مقر الحقائق من ذلك السر، وظهرت كمائن المعارف من مكامن تلك الأسرار النازلة، باستشراف تلك المطالعة، ونور مضيء من النور النبوي، وقوته وبهجته مستمدة من الأصل النبوي، وبه قوامها، وعليه اعتمادها، رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ جاكير رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر المشايخ، وأعيان العارفين المقربين، وأئمة المحققين البارعين. صاحب الفتح الطالع، والكشف

اللامع، والبصيرة الخارقة، والسريرة المشرقة. صاحب الكرامات الباهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات الجليلة، والحقائق النفيسة، والمعارف السنية، له المنازل الرفيعة من مراتب القرب، والتصدر والتعالي في مجالس القدس، والسبق إلى حلبات التصريف، والسمو فوق ذوي التمكين، والترقي في درجات المعالي النورانية. وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في العالم، ومكنه من أحكام الأحوال، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وأوقع له القبول عند الخلق، وملأ الصدور من هيبته. وهو أحد أركان هذا لشأن، وأئمة الطريق، وأعيان العلماء بمناهجها، معرفة وعلماً، وشهوداً وحالاً. وكان تاج العارفين أبو الوفاء، رضي الله عنه يثني عليه، وينوه بذكره، وبعث إليه طاقيته، مع الشيخ علي بن الهيتيي رضي الله عنه، وأمره أن يضعها عل رأسه نيابة عنه، ولم يكلفه الحضور، وقال: سألت الله أن يكون جاكير من مريديٍّ، فوهبه لي. وكانت المشايخ بالعراق يقولون، انسلخ الشيخ جاكير من نفسه، كما انسلخت الحية من جلدها. وهو الذي يقول: ما أخذت العهد على أحد، حتى رأيت اسمه مرقوماً في اللوح المحفوظ، من جملة مريديٍّ. وقال أيضاً: أوتيت سيفاً ماضي الحد، أحد طرفيه بالمشرق، والآخر بالمغرب، لو أشير به إلى الجبال الشوامخ لهوت. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن، في بلده وما يليه. وانتفع به جماعة، وانتمى إليه خلق كثير من الصلحاء، وبجله المشايخ، واعترفوا بفضيلته. وكان جميل الأخلاق ظريف الشمائل، كامل الآداب، شريف الصفات، لطيف المعاني، مع ما أيده الله به من لزوم أدب الشريعة، وحفظ قانون العبودية.

وكان له كلام عالٍ على لسان أهل الحقائق، منه: المشاهدة ارتفاع الحجب بين العبد والرب، فيطلع بصفاء القلب على ما أخبر من الغيب، فيشاهد الجلال والعظمة، وتتغير عليه الأحوال والمقامات، فتداخله الحيرة، والدهشة، ثم تخرجه الحيرة إلى البهتة، فتراه شاخصاً بالحق إلى الحق، وتارة يشاهد الجلال، وتارة يطالع الكمال، وتارة يرى البهاء، وتارة يلوح له الكبرياء، والعزة، وتارة يبدو له الجبروت والعظمة، وتارة يشهد اللطف والبهجة، فهذا يبسطه، وهذا يقبضه، وهذا يطويه، وهذا ينشره، وهذا يفقده، وهذا يوحده، وهذا يبديه، وهذا عيده وهذا يفنيه، وهذا يبقيه، فهذا زائل عن نعوت البشرية، قائم بصفات العبودية، لا يحس بالأغيار، ولا يشهد غير عظمة الجبار.

ومنه: إذا قدحت نار التعظيم، مع نور الهيبة في زناد السر، تولد منهما شعاع المشاهدة، فمن شاهد الحق عز وجل في سره، سقط الكون من قلبه، فإذا توالت المشاهدة على القوم، تولاهم الحق بإسبال التوالي، ثم حجبهم عن رؤية التوالي، فجذبوا من الحيرة في نور المشاهدة، إلى الحيرة في نور الأزل، واختطفوا من الدهشة في قدس الأنس، إلى الدهشة في عين الجمع، فمن جائز بين الأستار، والتحلي، ومن هائم بين البعد والتداني، ومن ساكن بين الوصل والتعالي، وهو محل الاستقامة، والتمكين، وذلك صفة الحضرة، وليس فيها سوى الذبول تحت موارد الهيبة، قال الله عز وجل: ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ [الأحقاف:٢٩]، وقال في قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ [فصلت:٣٠]، معناه استقاموا على المشاهدة، لأن من عرف الله تعالى لا يهاب غيره، ومن أحب شيئاً لا يطالع سواه. وكان رضي الله عنه، يتمثل بهذين البيتين:

فالشوق والوجد في مكان قد منعاني من الفرار
هما معي لا يفارقاني فذا شعاري وذا دثاري

أخبرنا أبو الحسن علي ابن الشيخ الصالح أبي محمد الحسن، ابن الشيخ العارف أبي الصبر يعقوب بن أحمد بن علي الحميدي السامري. قال: أخبرنا أبي قال: سمعت والدي رحمه الله تعالى، يقول: كانت نفقة شيخنا الشيخ جاكير رضي الله عنه من الغيب، وكان نافذ التصريف، خارق الفعل، متواتر الكف، ينذر له كثيراً، وكنت عنده يوماً، فمرت به بقرات مع راعيها، فأشار إلى إحداهن وقال: هذه حامل بعجل أحمر أغر، صفته كذا وكذا، ويولد وقت كذا، يوم كذا، وهو نذر لي، وتدبحه الفقراء يوم كذا، ويأكله فلان وفلان. ثم أشار إلى أخرى وقال: هذه حامل بأنثى، ومن صفتها كذا وكذا، تولد وقت كذا، وهي نذر لي، ويذبحها فلان رجل من الفقراء، يوم كذا، ويأكلها فلان وفلان، ولكلب أحمر فيها نصيب. قال: فوالله لقد جرت الحال على ما وصف الشيخ، ولم يخل منها بشيء، ودخل كلب أحمر إلى الزاوية، واختطف قطعة من لحم الأنثى، وذهب بها. قال: وأتاه وارد، وقال له: يا شيخ جاكير، أريدك اليوم تطعمني لحم ظبي، فأطرق الشيخ وإذا بظبي قد جاء، وجلس بين يدي الشيخ، فأمر بذبحه للوارد، فذبح. قال: ولقد خدمته سبع سنين، فما رأيت بالقرب من زاويته ظبياً غير هذا.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو اليمن بركات بن مسعود بن كامل العباسي التكريتي. قال: سمعت الشيخ العارف الغرز ابن الشيخ الجليل القدوة جاكير

رضي الله عنه، يقول: جاءنا تاجر من أهل واسط، إلى والدي، وكان يحبه، وله فيه اعتقاد، واستأذنه في ركوب بحر الهند بتجارة، فلما ودعه قال له: إذا وقعت في شدة لا تقدر على دفعها، فنادِ باسمي، وسافر الرجل، ثم بعد ستة أشهر وثب والدي قائماً، ونحن حوله، وصفق بكفيه، وقال: سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، ومشى خطوات يميناً وشمالاً، ونحن نشاهد منه ذلك كله، ثم جلس فسألناه عن سبب ذلك. فقال: كاد فلان، وسمى التاجر الواسطي يغرق الآن، لولا أن نجاه الله تعالى، فأرخنا ذلك اليوم، ثم بعد سبعة أشهر، وصل التاجر، وانكب على رجل والدي يقبلها، ويقول له: يا سيدي لولا أنت لهلكنا في ذلك اليوم، ووالدي يبتسم فلما خلونا بالتاجر سألناه عن أمره، فقال: إنا أوغلنا في لجة البحر المحيط، في طلب بلاد الصين، وتهنا عن الطريق، وأيقن الربان، وكل من في السفينة بالهلاك، ثم لما كان وقت كذا من يوم كذا، وذكر الوقت الذي أرخناه عندنا، عصفت علينا الرياح القواصف، من جهة الشمال، فهاج البحر، وتلاطمت أمواجه، واضطرمت نيرانه، واشتد علينا الأمر، وأشرفنا على الوقوع في خسيف البحر، ومصب مائه، فذكرت قول الشيخ، فنهضت قائماً واستقبلت العراق، وناديت: يا شيخ جاكير أدركنا، فلم يتم كلامي، حتى رأيناه قائماً، عندنا في وسط السفينة، وأشار بكمه إلى جهة الشمال، فسكن الريح، ثم وثب من السفينة، واستقل على متن البحر، وصفق بكفيه، وقال: سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، ومشى على الماء خطوات يميناً وشمالاً، فسكن البحر، وهدأت أمواجه، وصار كأنه عين ديك. ثم أشار بكمه إلى جهة الجنوب، فهبت علينا ريح طيبة اقتلعتنا من ذلك الموضع، حتى وصلنا إلى طريق السلامة، ومشى الشيخ على متن البحر حتى غاب عنا، ونجانا الله عز وجل ببركته من الهلاك. قال: فحلفنا له بالله إن الشيخ لم يغب عن أبصارنا في ذلك الوقت، بل كنا جلوساً معه، فأقسم بالله العظيم أنه لو لم يكن حاضراً معنا في ذلك الوقت لم ينجُ منا إلا من شاء الله تعالى.

وهو رضي الله عنه من الأكراد، سكن صحراء من العراق، بالقرب من قنطرة الرصاص على يوم من سامرة، واستوطنها إلى أن مات بها مسناً، وبها دفن، وقبره ثمة ظاهر يزار، وعمر الناس عنده قرية يطلبون بركته.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي منصور الداري، قال: سمعت الشيخ العارف، مسعود الحارثي رضي الله عنه، يقول: حضرت الشيخ جاكير، والشيخ

علي بن إدريس رضي الله عنهما، مجتمعين فتجاريا في ذكر المشايخ، وما سلف لهما في صحبته.

قال الشيخ جاكير: لم يظهر في الوجود من المشايخ بعد سيدي تاج العارفين أبي الوفاء رضي الله عنه، أفخر حالاً، ولا أنفذ تصريفاً، ولا أقوى تمكيناً، ولا أتمَّ وصفاً، ولا أعلى مقاماً من سيدي الشيخ عبد القادر رضي الله عنه.

ومنه: انتقلت القطبية إلى سيدي علي بن الهيتي رضي الله عنه. ونال سيدي الشيخ عبد القادر من تمكينه في أحوال القطبية، وترقيه في مقاماتها، واستغراقه في مدارجها، واستيلائه على جميع أطرافها، وجمعه بين أسبابها ما لم ينله غيره من المشايخ فيما نعلم. قال: فلما انفردنا بالشيخ علي بن إدريس، سألناه عن قول الشيخ جاكير، فقال: أخبر عما شاهد، ونطق بما علم، مما علمه الله تعالى، وهو العدل المبرز، الرضى في كل أقواله وأفعاله وأقواله رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ أبو محمد القاسم بن عبد البصري رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان مشايخ العراق، وعظماء العارفين المشهورين، وأجلاء المقربين المذكورين. صاحب الأحوال الفاخرة، والكرامات الظاهرة، والأحوال السنية، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، والمقامات السنية. صاحب الحقائق الزاهرة، والمعارف الباهرة، له المراتب العلية من منازل القرب، والمعارج الرفيعة إلى محاضرة القدس، والكشوف الواضحة عن عوالم الغيب، واللسان الطويل في الإخبار بعجائب الفتح، والباع الرحيب في التصريف النافذ، والقدم الراسخ في التمكين، والتقدم العظيم في السبق إلى المعالي، والدرجات العوالي.

وهو أحد من تذكر عنه القطبية، وأحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرَّفه في الكون، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بالمغيبات، وأوقع له القبول العظيم، والهيبة التامة في صدور الخلق، وأقامه حجة وقدرة.

وهو أحد العلماء المبرزين في علم الشريعة، والفضلاء المفتين على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه، وإليه سلم قلم الفتوى ببلده وما يليها. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته، علماً وعملاً، وحالاً ونقلاً، وتحقيقاً وبراعة، وزهداً، ومجداً، وجلاله ومهابة.

وهو أحد أوتاد هذا الطريق، وصدور أركانها، وسادات أئمتها، وأعلام العلماء بها، وأعيان الدعاة إليها، وبه غدق الأمر في تربية المريدين الصادقين، في

بلاد البصرة وما يليها. وتخرج بصحبته جماعة من أهل المراتب العالية. وتلمذ له جماعة من أصحاب الأحوال، وقال بإرادته خلق كثير، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والاحترام، والرجوع إلى قوله، والاعتراف بمكانته. وقصد بالزيارات، وحل المشكلات، وكان أهل البصرة يلتجئون إليه في معضلاتهم، فتنجلي، ويتضرعون إليه في كرباتهم فتنكشف. وكان مشتملاً على أشرف الأخلاق، وأكمل الآداب، وأجمل الأوصاف، كريماً ظريفاً متواضعاً. وكان يتكلم بالبصرة في علم الشريعة والحقيقة، على كرسي عالٍ، وحضر مجلسه المشايخ والعلماء، وسطر كلامه في المعارف، وفي مناهج الحقائق، مشهور متداول.

منه: الوجد جحود ما لم يكن عن شهود، وشاهد الحق يفني شواهد الوجود، وينفي عن العين الوسن، سكره يزيد على سكر الشراب، وأرواح الواجدين عطرة لطيفة، وكلامهم يحيي موات القلوب، ويزيد في العقول، والوجد يسقط التمييز، ويجعل الأماكن مكاناً واحداً، والأعيان عيناً واحدة، وأوله رفع الحجاب، ومشاهدة الرقيب، وحضور الفهم، وملاحظة الغيب، ومحادثة السر، وإيناس المفقود، وشرط صحة الوجد، انقطاع أوصاف البشرية عن التعلق بمعنى الوجد، حال وجوده، من لا فقد له لا وجد له، وأهله على مقامين، ناظر، ومنظور إليه، فالناظر مخاطب، يشاهد الذي وجده في وجده، والمنظور إليه مغيب، قد اختطفه الحق بأول ما ورد إليه، والوجود نهاية الوجد لأن التواجد يوجب استيعاب العبد، والوجد يوجب استغراق العبد، والوجود يوجب استهلاك العبد، وترتيب هذا الأمر حضور، ثم ورود، ثم شهود، ثم خمود، فبمقدار الوجود يحصل الخمود، وصاحب الوجود له صحو ومحو، فحال صحوه بقاؤه بالحق، وحال محوه فناؤه بالحق، وهاتان الحالتان متعاقبتان عليه أبداً، والوجود اسم لثلاثة معاني؛ الأول: وجود علم لدني، يقطع علم الشواهد في صحة مكاشفة الحق إياك، والثاني: وجود الحق وجوداً غير منقطع عن مسامع الإشارة، والثالث: وجود مقام اضمحلال رسم الوجود بالاستغراق في الأولية، فإذا كوشف العبد بوصف الجمال، سكن القلب فطرب الروح، وهام السر شعر: [من الطويل]

فصحوك من لفظي هو الوصل كله ... وسكرك من لحظي يبيح لك الشرب

فما مل ساقيها وما ملَّ شارب ... لحاظ جمال كأسه يسكر اللبا

فالصحوة إنما هو بالحق، وكل ما كان في غير الحق لم يخل في حيرة، لا حيرة في شبهة، بل حيرة في مشاهدة نور العزة، وكل ما كان بالحق لم تعتور عليه

علته، ثم الصحو من أدوية الجمع ولوائح الوجود، ومنازل الحياة. والحياة اسم لثلاثة معاني، الأول: حياة العلم من موت الجهل، ولها ثلاثة أنفاس؛ نفس الخوف، ونفس الرجاء، ونفس المحبة، والثاني: حياة الجمع من موت التفرقة، ولها ثلاثة أنفاس: نفس الاضطرار، ونفس الافتقار، ونفس الافتخار، والثالث: حياة الوجود من موت الفناء، وهي حياة الحق، ولها ثلاثة أنفاس: الهيبة، وهو نفس يميت الاعتلال، ونفس الوجود، وهو يمنع الانفصال، ونفس الانفراد، وهو يورث الاتصال. وليس وراء ذلك ملحظ للنظارة، ولا طاقة للإشارة، والمواجيد ثمرات الأوراد، ونتائج المنازلات، ومن تهاون بسر الله تعالى، أنطق الله تعالى لسانه بعيوب نفسه، وكان رضي الله عنه يتمثل بهذه الأبيات:

كادت سرائر سري أن تسر بما ... أوليتني من جميل لا أسميه
فصاح بالسر سر منك يرقبه ... كيف السرور بسر دون مبديه
فظل يلحظني سري لأ لحظه ... والحق يلحظني هلا أراعيه
وأقبل الوجد يفني الكل من صفتي ... وأقبل الحق يفنيني وأبديه

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي، قال: سمعت الشيخ القدوة شهاب الدين أبا حفص عمر بن محمد السهروردي، رضي الله عنه، يقول: انحدرت إلى البصرة لأزور الشيخ أبا محمد بن عبد البصري رضي الله عنه، فمررت في طريقي إليه بمواشٍ وزروع ونخيل كثيراً، وكنت كلما اجتزت بشيء منها سألت عنه راعاته، ومن يقوم به، فيقولون: هذا للشيخ أبي محمد بن عبد البصري، فخطر في نفسي أن هذا حال الملوك، ودخلت البصرة، وأنا أقرأ في سورة الأنعام، فقلت في نفسي: أي آية انتهت إلى دار الشيخ، وأنا أقرؤها، فهي فالي معه، ووصلت إلى باب داره، ووضعت رجلي على عتبة بابه، وأنا أتلو: ﴿أولئك الذين هداهم الله﴾ [الزمر:١٨] فبداهم اقتده، فخرج إليَّ خادمه على الفور مسرعاً قبل أن أستأذن، وقال لي: الشيخ يدعوك، فدخلت عليه، فقال لي ابتداء: يا عمر، جميع ما رأيته على الأرض، فهو على الأرض، وليس في قلب ابن عبد منه شيء. قال: فاشتدَّ تعجبي من علمه بحالي، بما لم يعلمه سوى الله تعالى، وأنا.

أخبرنا أبو سعد عبد الغالب بن أحمد بن علي الهاشمي. قال: سمعت الشيخ أبا الحسن علياً الخباز، يقول: كنت عند بعض أصحابنا ببستان له بالبصرة، فدخل علينا فقير أشعث أغبر، وقال لصاحب البستان: أشبعني، فقدم إليه وزنة من تين فأكله، فقال له: زدني، فقدم إليه أخرى فأكلها، وقال: زدني، وما زال صاحب

البستان يقدم له وزنة بعد أخرى، وهو يستزيده حتى أكل ألف رطل، ثم أتى نهراً هناك، وجعل يغترف منه بكفيه، فشرب ماءً كثيراً وانصرف، ثم بعد مدة، قال لي صاحب البستان: إن غلة تين بستانه تضاعفت أمثالاً عن مقدارها كل سنة. قال: ثم حججت في العام الثاني، فبينا أنا أمشي يوماً وحدي أمام الركب، خطر في نفسي شأن ذلك الرجل، وتمنيت رؤيته، فإذا به عن يميني، فدهشت منه، وسررت به، فكان يمشي وأنا معه، فإن جلس نزل الركب جميعهم، وإن مشى سار الركب كله، فجاء إلى بركة كبيرة فيها ماء، وقد رسب فيها طين كثير فجعل يقطع من الطين بكفيه، ويأكل منه، كما يأكل أحدنا الحلواء، حتى أكل منه شيئاً كثيراً، وألقمني قطعة من ذلك الطين، فإذا هي في فمي ألذ من حشو الخشكانك، وله رائحة كالمسك الأذفر، ثم اغترف بكفيه من ذلك الماء، فشرب منه كثيراً، وقال لي: يا علي، هذه الأكلة من تلك الأكلة التي رأيت وليس بينهما طعام ولا شراب، فقلت له: يا سيدي من أين لك هذا. قال: نظر إليَّ الشيخ محمد بن عبد البصري نظرة فملأ قلبي، ووصل سري بربي، وانطوت لي الأكوان، وقلبت لي الأعيان، وقرب مني البعيد، ونلت المراد بنظرته، وكساني معنى استغنيت به عن الطعام والشراب، إلا في وقت عوْد أحكام البشرية إليَّ، ثم غاب عني، فما رأيته بعد.

أخبرنا أبو الخير، سعد بن أبي غالب أحمد بن علي الأزجي الأصل. قال: أخبرنا الشيخ أبو العباس، أحمد بن إسماعيل بن حمزة الأزجي، المعروف بابن الطبال. قال: سمعت الشيخ الصالح الزاهد، أبا عبد الله محمد البلخي رضي الله عنه يقول: وكان من أصحاب العزلة والانفراد، يسكن الخراب، ولا يعلم من أين قوتُه، وكان له قدم في المعرفة، ورسوخ في هذا الشأن. قال: كنت في بعض السنين مجاوراً بحرم مكة شرفها الله تعالى، فبينما أنا جالس يوماً وقت الضحى في مقام إبراهيم صلوات الله عليه، إذ دخل عليَّ الشيخ أبو محمد بن عبد البصري رضي الله عنه، المقام ومعه أربعة نفر، فصلى بهم ركعات، ثم طافوا إسبوعاً[1]، فلما أتموه، خرجوا من باب بني شيبة، فتبعتهم فردني أحدهم، فقال له الشيخ أبو محمد: دعه، ثم وقف أمام الجماعة وصفهم خمسة صفوف، كل صف رجل يلي الذي قدامه، وكنت آخرهم، وأمر كلاً منا أن يضع قدمه في الموضع الذي يرفع منه الذي قدامه قدمه، ثم سار الشيخ ونحن خلفه، كما أمر، والأرض تطوي تحت أقدامنا طياً، فلم نلبث إلا يسيراً، وإذ نحن بالمدينة الشريفة صلى الله على

(١) يعني سبعة أشواط.

ساكنها، فزرنا وصلينا بها صلاة الظهر، ثم خرج وخرجنا خلفه على هذا الترتيب، فلم نلبث إلا يسيراً، وإذا نحن بالبيت المقدس، فصلينا صلاة العصر، ثم خرج وخرجنا خلفه، فلم نلبث إلا يسيراً فإذا نحن بسد يأجوج ومأجوج، فصلينا به صلاة المغرب، ثم سار، ونحن خلفه، فلم نلبث إلا يسيراً، وإذا نحن بجبل قاف، فصلينا به صلاة العشاء.

وجلس الشيخ على ذروة من الجبل، ونحن حوله، فأتته رجال من أقطار الجبل، كالأسد مهاباً، لهم أنوار أضوأ من الشمس والقمر، تسعى بين أيديهم، فيسلمون عليه، ويجلسون بين يديه، ويتادبون معه، ونزل عليه رجال آخرون من الجو، سائرون في الهواء، كالبرق اللامع، وأحدق الجميع به، وسألوه أن يتكلم عليهم، فتكلم، فكان منهم من يصعق، ومنهم من يرعد، ومنهم من تنهل دموعه، ومنهم من يصيح ويعدو في الهواء حتى يغيب عن النظر، وكان يخيَّل إليَّ أن الجبل يضطرب تحتنا، ولم يزل الحال كذلك إلى أن طلع الفجر، فصلى الشيخ بهم صلاة الفجر، ثم نزل وراء الجبل فإذا أرض شديدة البياض، كثيرة الأنوار، لطيفة الجرم، لا تشبه أراضي الدنيا، ولا يرى لها طرف، وكانت رائحة المسك الأذفر تفوح من تحت مواطىء أقدامنا، وكنا نمر بطوائف وجوههم كوجوه الآدميين، يذكرون الله تعالى بأنواع التسبيح، بأصوات لم يسمع السامعون أحسن منها، قد غشيتهم أنوار تكاد تخطف أبصار الناظرين، وتحققوا بمواجيد من منازلات القدس، فلو قضي على الناظر إليهم أو السامع أصواتهم أن يموت لفاضت نفسه من هيبتهم، ولذة بهجتهم، فكان الشيخ أبو محمد يسبح في أرجاء تلك الأرض، فتارة يميل به الوجد يميناً وشمالاً، وتارة يمر في أرجائها وفي فضائها كالسهم المفوق، وتارة يقول: الشوق إليك يقلقني، والبعد عنك يقتلني، والخوف منك يتلفني، ورجائي فيك يحييني، وإعراضك عني يميتني، وحبك يهيمني، وقربك يجمعني، والإنس بك يبسطني، وخلوتي معك جلوتي، ومشاهدتك تطويني وتنشرني، فارحم من أزمة أموره في يدك، وما زال حاله كذلك إلى وقت الضحى، فرجع إلى الموضع الذي جئنا منه، وسار ونحن خلفه كسيرنا بالأمس، فلم نلبث إلا يسيراً حتى انتهينا إلى مدينة مبنية بالذهب والفضة، فيها أشجار متعانقة، وأنهار مطرودة، وأثمار منضودة، وفواكه كثيرة، فدخلناها وأكلنا من ثمارها، وشربنا من أنهارها، وأمر الشيخ كلاً منا أن يأخذ تفاحة مما هنالك، فأخذ كل منا تفاحة بيده، إلا الرجل الذي ردني أولاً، فإن يده لم تمتد ولم يستطع أن يأخذ شيئاً.

فقال له الشيخ: هذا بسوء أدبك، وكسرك خاطر هذا الرجل، وأشار إليَّ، فاستغفر الله تعالى، فقال الشيخ: بني هذا الأمر على محافظة الأدب، ومراعاة أحكامه، ثم قال له: خذ واحدة كأصحابك، فمدَّ يده فامتدت، فأخذ تفاحة ثم قال الشيخ لنا: هذه المدينة، مدينة الأولياء لا يدخلها إلا ولي، ثم خرج منها وسار ونحن خلفه، فما مرَّ بشجرة يابسة، إلا أورقت، ولا بذي عاهة إلا عوفي، حتى أتينا مكة فصلينا بها الظهر، وأخذ عليَّ العهد أن لا أتكلم بشيء من هذا الأمر، إلا بعد موته، ثم غاب عني، هو ومن معه، فلم أره. ثم بعد مدة اشتقت لرؤيته، فسافرت إلى البصرة، وأقمت عنده أياماً، فخرج يوماً إلى ظاهر المدينة، وأنا معه، فأتى إلى تربة طلحة بن عبيد الله الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ، فلما رأى القبر من بعيد، رجع القهقرى، ثم رجع وأتى القبر، وزار وهو مطرق متأدب، فلما خرج سألته عن ذلك، فقال: لما أقبلت على قبره رأيته جالساً عليه حلة خضراء، وتاج مكلل بالدر والجوهر، وعنده حوريتان، فاستحييت، فرجعت لوجهي، فأقسم عليَّ بالنبي ﷺ أن أرجع، فرجعت إليه. قال: ووالله ما أخبرت أحداًبشيء من ذلك كله، حتى مات الشيخ رضي الله عنه.

سكن رضي الله عنه البصرة، وبها مات قبل سنة ثمانين وخمسمائة، وقد علت سنة، ودفن بظاهرها، وقبره هنالك ظاهر يزار. ولما صلي عليه سمع من الجو أصوات طبول تضرب، وكانوا كلما رفعوا أيديهم في التكبير للصلاة عليه، سمعوها، وأسلم يومئذٍ طائفة من اليهود والنصارى، وكان يوماً مشهوداً.

أخبرنا الشيخ أبو المحاسن يوسف ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن شبيب البصري. قال: سمعت الشيخ العالم أبا طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد ابن عبد السميع الهاشمي الواسطي، المقري بالعدل. قال: سمعت الشيخ القدوة جمال الدين أبا محمد بن عبد البصري رضي الله عنه، بها يقول: وقد سئل عن الخضر عليه السلام أحي هو أم ميت. فقال: اجتمعت بأبي العباس الخضر عليه السلام، وقلت له: أطرفني بأعجوبة مرت بك مع الأولياء، فقال: اجتزت يوماً بساحل البحر المحيط، حيث لا يرى آدمي، ولا غيره، فرأيت رجلاً نائماً ملتفاً بعباءة، فوقع لي أنه ولي، فركضته برجلي، فرفع رأسه، وقال لي: ما تريد؟ فقلت: قم للخدمة، فقال لي: اذهب واشتغل بنفسك، فقلت له: لأن لم تقم لأنادين عليك في الناس، وأقول لهم: هذا ولي لله، فقال لي: لئن لم تذهب، لأقولن لهم: هذا الخضر، فقلت: وكيف عرفتني؟ قال: أما أنت فأبو العباس الخضر، فقل لي

أنت لي من أنا، فرفعت همتي إلى الله تعالى، وقلت بسرِّي: يا رب أنا نقيب الأولياء، فنوديت: يا أبا العباس، أنت نقيب من يحبنا، وهذا ممن نحبه، فاقبل عليَّ، وقال: يا أبا العباس أسمعت حديثي معه؟ فقلت: نعم، زودني بدعوة، فقال: منك الدعاء يا أبا العباس، قلت: لا بد، قال: مرْ، وفر الله نصيبك منه، قلت: زدنيي، فغلب عني ولم تكن الأولياء يقدرون على الغيبة عني. ثم رأيت بقية في نفسي من المشي، فمشيت حتى انتهيت إلى كثيب عظيم من الرمل، فدعتني نفسي إلى صعوده، فلما استويت على علاه، وظننت أني ساويت السماء، ورأيت على ظهره نوراً يخطف الأبصار، فقصدته، فإذا ثم امرأة نائمة ملتفة في عبائة، تشبه عباءة الرجل صاحبي، فأردت أن أركضها برجلي، فنوديت: تأدب مع من نحبه، فجلست أنتظر انتباهها، فاستيقظت وقت صلاة العصر، وقالت: الحمد لله الذي أحياني بعدما أماتني، وإليه النشور، والحمد لله الذي أنسني به، وأوحشني من خلقه، ثم التفتت فراتني، فقالت: مرحباً بك يا أبا العباس، ولو كنت تأدبت معي من غير نهي لكان أولى، قلت: بالله عليكِ أنت زوجة الرجل، قالت: نعم، وقد ماتت في هذه البريَّة بدلة فساقني الله عز وجل إليها، فغسلتها وكفنتها، فلما فرغت من تجهيزها، رفعت من بين يدي نحو السماء حتى غابت عن بصري، فقلت: زوديني بدعوة: فقالت: منك الدعاء يا أبا العباس، قلت: لا بد، قالت: مر وفر الله نصيبك منه، قلت: زيديني، قالت: لا تلمنا إذا غبنا عنك، والتفتُ فلم أرها.

قال الشيخ أبو محمد: فقلت للخضر عليه السلام: فهل لهؤلاء الأحباب رجل، فرد في كل وقت يرجعون إلى أمره، قال: نعم، فقلت: ومن هو في وقتنا هذا؟ قال: هو الشيخ عبد القادر، قلت: أخبرني عن حال الشيخ عبد القادر، قال: هو فرد الأحباب، وقطب الأولياء في هذا الوقت، وما أرسل الله تعالى ولياً إلى مقام، إلا وكان الشيخ عبد القادر أعلاه، ولا سقى الله حبيباً كأساً من حبه، إلا وكان الشيخ عبد القادر أهناه، ولا وهب الله لمقرب حالاً، إلا وكان الشيخ عبد القادر أجله. وقد أودعه الله تعالى سراً من أسراره سبق به جمهور الأولياء، وما اتخذ الله ولياً كان أو يكون، إلا وهو متأدب معه إلى يوم القيامة رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان أكابر مصر المشهورين، وصدور العارفين المذكورين، وأعيان العلماء المحققين. صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة،

والأنفاس الصادقة، والمقامات السنية، والإشارات العلية. صاحب البسطة العظيمة، في أحكام الولاية، والدرجة الرفيعة، في مراتب النهاية، والمكانة المصدرة في منازل القرب، والطور الأعلى من أطوار المعارف، والمنهاج الأرفع من مناهج الحقائق، والبصيرة الخارقة لحجب الملكوت، والسريرة المشرقة بأنوار الغيوب، والقلب المطهر، لمنازلات القدس، والسر المجرد عن جواذب البقايا. وله الفتح الطالع، والكشف اللامع، والمفاخر والمعالي، والتقدم والتعالي.

وهو أحد العلماء المصنفين، والفضلاء المتقنين، والأئمة البارعين، والسادة القائمين بالسنة، وأحكام الدين. أفتى بمصر على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، ودرس، وناظر، وخرج، وأملى، وقصد إليه طلبه العلم، وروى عنه غير واحد بمصر من العلماء.

وهو أحد أركان الطريق، وأعلام العلماء بأحكامها، وكشف مشكلات أحوالها، وسادات أئمتها، وعظماء القادة إليها علماً، وعملاً، وحالاً ومقالاً، وتحقيقاً وتمكيناً، وزهداً، ومجداً، وجلالة، ومهابة، مع التأدب في المجاهدة، والتجوال في المشاهدة، وجبلة طبعت على الحلم والتواضع، ومزجت بالكرم والحياء.

وهو أحد من أظهره الله تعالى للخلق، وأوقع له عندهم القبول التام، والهيبة العظيمة، وصرفه في الوجود، ومكنه في الأحوال، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يديه العجائب، وأجرى على لسانه ما عمر به القلوب، ونور به الأسرار، وأحيا به الشريعة المطهرة، وأقامه حجة على المسلمين، وقدوة للسالكين. انتهت إليه تربية المريدين الصادقين، بمصر وأعمالها، وكشف مخفيات مواردهم، وانتفع بصحبته غير واحد من الأجلاء الصادقين، ممن له قدم راسخة في هذا الشأن، وقال بإرادته جمٌّ غفير من أصحاب الأحوال، وانتمى إليه خلق كثير من الصلحاء، وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والاحترام، وحكموه فيما اختلفوا فيه، ورجعوا إلى قوله، وبرزوا عدالته، واعترفوا بفضيلته، وكان ظريفاً جميلاً، مشتملاً على أطيب الأخلاق، وأكمل الآداب، وأشرف الصفات. وكان له كلام عالٍ على لسان أهل التحقيق، منه: الطريق إلى معرفة اللّه تعالى وصفاته، الفكر والاعتبار بحكمه وآياته، ولا سبيل للألباب إلى معرفة كنه ذاته، ولو تناهت الحكم الإلهية في حد العقول، أو انحصرت القدرة الربانية في درك العلوم، لكان ذلك تقصيراً في الحكمة، ونقصاً

في القدرة، ولكن احتجبت أسرار الأزل عن العقول، كما استترت سبحات الجلال عن الأبصار، فقد رجع معنى الوصف في الوصف وعمي الفهم عن الدرك. ودار الملك في الملك، وانتهى المخلوق إلى مثله، واشتدَّ الطلب إلى شكله، وخشعت الأصوات للرحمن، فلا تسمع إلا همساً، فجميع المخلوقات من الذرة إلى العرش، سبل متصلة إلى معرفته، وحجج بالغة على أزليته، والكون جميعه ألسنة ناطقة بوحدانيته، والعالم كله كتاب يقرأ حروف أشخاصه المستبصرون على قدر بصائرهم.

ومنه: إذا هبت ريح السماء، وتألق برق العناية، على رياض القلوب، وأمطرت ودق الحقائق من جلال الغيوب، ظهرت فيها أزهار قرب المحبوب، وأينعت بهجة أنوار نيل المطلوب، فوجدت ريح القرب في لذة المشاهدة، واستجلاء الحضور في التغذي بالسماع، وأنست نار الهيبة، قد أضرمها صفو المحبة، مع الشخوص عن الأنس إلى المقام، إلى نور الأزل بصولة الهيمان، وقامت بأقدام الفناء في خلوة الوصل، على بساط المسامرة، بمناجاة نشيب لها الكون بصفاء اتصال تغرق نهايات الخبر في بدايات العيان، وتطوي حواشي الحدوث في بقاء عز الأزل، فهناك رسخت أرواحهم في غيب الغيب، وغاصت أسرارهم في سر السر، فعرفهم مولاهم، ما عرفهم، وأراد منهم من مقتضى الآيات ما لم يرد من غيرهم، وخاضوا بحار العلم اللدني بالفهم الغيبي، لطلب الزيادات، فانكشف لهم من مدخور الخزائن، تحت كل ذرة، من ذرات الوجود، علم مكنون، وسر مخزون، وسبب متصل بحضرة القدس، يدخلون منه على سيدهم عز وجل، فأراهم من عجائب ما عنده، وما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومنه: من لم يجد في قلبه زاجراً فهو خراب، ومن عرف نفسه لم يغترّ بثناء الناس عليه، ومن لم يصبر على صحبة مولاه، ابتلاه بصحبة العبيد، ومن انقطعت آماله إلا من مولاه، فهو عبد حقيقة، والدعوى من رعونة النفس، والاستلذاذ بالبلاء تحقيق بالرضاء، وحلية العارف الخشية والهيبة، وإياكم ومحاكمات أصحاب الأحوال، قبل إحكام الطريق، وتمكن الأقدام، فإنها تقطع بكم، ودليل تخليطك صحبتك للمخلطين، ودليل بطالتك ركونك للبطالين، ودليل وحشتك أنسك بالمستوحشين، وكان يتمثل بهذه الأبيات:

يا غارس الحب بين القلب والكبد ... هتكت بالصد ستر الصبر والجلد
يا من تقوم مقام الموت فرقته ... ومن يحل محل الروح في الجسد
قد جاوز الحب في أعلى مراتبه ... فلو طلبت مزيداً منه لم أجد

إذا دعا الناس قلبي عنك مال به حسن الرجاء فلم يصدر ولم يرد
إذا توفني لم أرد ما دمت لي بدلاً وإن تغيرت لم أسكن إلى أحد

أخبرنا الفقيه أبو طالب عبد العزيز بن سالم بن خلف المصري المقري. قال: أخبرنا الشيخ الجليل أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله التمار المحدث المعروف بالحكمة. قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو الفضل نعمة الله بن عبد العزيز بن هبة الله العسقلاني العدل بمصر. قال: سمعت الشيخ الحبر العارف أبا إسحاق إبراهيم بن مربيل المخزومي الضرير رضي الله عنه. يقول: كان الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق القرشي رضي الله عنه، من أوتاد مصر، كان متتابع الكشف، ظاهر الكرامات، زاد النيل سنة زيادة عظيمة كادت مصر تغرق، وأقام على الأرض حتى كاد وقت الزرع يفوت، فضج الناس بالشيخ أبي عمرو عثمان بسبب ذلك، فأتى إلى شاطىء النيل، وتوضأ منه، فنقص في الحال نحو الذراعين، فنزل عن الأرض حتى انكشف عنها، وزرع الناس في اليوم الثاني. وفي بعض السنين لم يطلع النيل البتة، وفات أكثر وقت الزرع، وغلت الأسعار، وظن الهلاك، وضج الناس بالشيخ أبي عمرو عثمان، فجاء إلى شاطىء النيل، وتوضأ فيه بإبريق كان مع خادمه، فزاد النيل في ذلك اليوم، وتتابعت زيادته، إلى أن انتهى إلى حده. وبلغ الله به المنافع، وبارك في زرع تلك السنة، ببركة الشيخ رضي الله عنه. قال: وحكى لي خادمه الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن بركات السعدي المقري، رحمه الله تعالى، أن الشيخ صلى العشاء بمنزله بمصر في ليلة مظلمة، وخرج وخرجت معه خلفه، والأرض تطوي تحتنا كالكرة، والأنوار تسعى بين أيدينا، وعن أيماننا وعن شمائلنا، ولا ينتهي إلى جبل ولا نسر من الأرض إلا اندك بين يديه، وكأنه لم يكن، حتى أتينا في أسرع وقت إلى مكة شرفها الله تعالى، فطاف وصلى بها أكثر الليل، ثم خرج وأنا خلفه، نسير كذلك إلى المدينة الشريفة، صلوات الله على ساكنها، فزار وصلى ما شاء تعالى أن يصلي. ثم خرج، وأنا خلفه، نسير كذلك إلى بيت المقدس، فزار وصلى ما شاء الله تعالى أن يصلي. ثم خرج وأنا خلفه، نسير كذلك إلى أن دخلنا مصر، والمؤذن ينادي بالفجر، والله إني لأقوى مني أول الليل، وما وجدت تعباً، ولا نصباً، وأخذ عليّ الشيخ أن لا أتكلم بذلك في حياته، فما تكلمت به إلا بعد وفاته رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد عبد الجبار بن أحمد بن علي القرشي المصري المؤدب. قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو الربيع سليمان بن أحمد بن علي

السعدي المقري، المعروف بابن المغربل. قال: سمعت الشيخ العارف أبا العباس أحمد بن بركات بن إسماعيل السعدي المقري، خادم الشيخ القدوة أبي عمرو عثمان بن مرزوق رضي الله عنه، يقول: خدمت سيدي الشيخ أبا عمرو تسع سنين، وكان لا يمر عليه وقت من الليل والنهار، إلا وهو معمور بأنواع القربات، إما أن يقرأ القرآن، أو يقريه، أو يسمع الحديث، أو يميله، أو يشتغل بالعلم، أو يؤدب مريديه، أو يتوجه إلى الله عز وجل بأحكام أحوال قربه، وبمنازلات سره.

وشهدته يوماً وقد دخل عليه شيخ أشعث أغبر، ما رأيته من قبل، ولا من بعد، فجلس بين يدي الشيخ متأدباً، خاضعاً، فاطرق الشيخ ساعة، ثم نظر إليه فخر مغشياً عليه، فقال الشيخ: ارفعوه، فوضعناه في بيت، فمكث فيه أربعة أشهر، لا يتحرك، ولا يفيق، وحاله كحال الميت، إلا أنه يتنفس. ثم أتاه الشيخ ومسح بيده على صدره، فأفاق، فسألته عن أمره، فقال: يا أبا العباس كبر سني، وتتابعت مجاهداتي، وطالت سياحاتي، وما رأيت من أحوال هذا الشأن شيئاً، فاستغثت إلى الله عز وجل بسري، فنوديت اذهب إلى سلطان هذا الوادي، فعنده ما تريد، فقلت: ومن هو؟ فقيل لي: هو الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق، فلما جلست بين يديه، ونظر إليَّ، قطعت نظرته حجمي، واخترقت في سرادقات الوصل وطويت لي مسافات البعد، واختطفتني عن حسي، وعالمي، وغيبتني عن الوجود، وما فيه، وقمت على قدم الفناء، والغيبة، عن الأكوان في مقام القرب، ونلت مطلوبي، ووصلت إلى محبوبي، ببركة نظرته، فمر بي رسول الله ﷺ، وأنا على هذا الحال في مقامي ذلك، فنظر إليَّ، وقال: مروا من حال بين هذا، وبين عقله، أن يضع فيه تمكيناً، يقهر بقوته سلطان هذا الحال، فيرجع إلى تمييزه، فيقوم بأحكام الشرع فأسرع إليَّ الشيخ أبو عمرو، فوجدت عندي قوة ملكت بها حالي، ورجعت إلى وجودي كما ترى، ثم ذهب فما رأيته بعد.

قال: وصحبته مرة إلى الشام على قدم التجريد، وليس لنا ثالث، إلا الله سبحانه وتعالى، فمكثت ثلاثة أيام لم أجد ما اكل ولا أشرب، وكدت أسقط إلى الأرض، فلما رآني الشيخ ورأى حالي عرج على كثيب رمل، فجعل يغترف منه بكفيه رملاً، فناولنيه سويقاً مشوباً بالسكر، فأكلت منه حتى شبعت، ثم ضرب بيده في الكثيب، فنبعت عين ماء، من أعذب مياه الدنيا، فشربت حتى رويت.

قال: وحضر عنده يوماً بمصر رجلان، عربي لا يعرف بالعجمية كلمة واحدة، وعجمي لا يعرف بالعربية كلمة واحدة، فجعل كل منهما يتكلم، ولا يفهم الآخر ما يقول صاحبه، فقال العربي: وددت لو أني أعرف بالعجمية، وقال

العجمي: وددت لو أني أعرف بالعربية. وقاما ثم أتيا إلى الشيخ من الغد، والعربي يتكلم بالعجمية، كأفصح العجم، والعجمي يتكلم بالعربية، كأفصح العرب.

وقال العربي: رأيت البارحة في منامي إبراهيم الخليل عليه السلام، ومعه الشيخ أبو عمرو، فقال الخليل عليه السلام لأبي عمرو: علمه العجمية نيابة عني، فتفل أبو عمرو في فمي، فاستيقظت، وأنا أتكلم بالعجمية. وقال العجمي: وأنا رأيت البارحة في منامي رسول الله ﷺ، ومعه الشيخ أبو عمرو، فقال المصطفى ﷺ لأبي عمرو، علمه العربية نيابة عني، فتفل أبو عمرو في فمي، فاستيقظت، وأنا أتكلم بالعربية.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي زكريا يحيى بن أحمد الأزجي. قال: أخبرنا الشيخ العالم أبو محمد عبد الكريم بن منصور بن أبي بكر المحدث، المعروف بالآبري ببغداد. قال: أخبرنا الشيخ الجليل الأصيل أبو الخير سعد بن الشيخ القدوة العلامة أبي عمرو عثمان بن مرزوق القرشي رضي الله عنه.

قال: سمعت والدي رضي الله عنه، يقول: خرجت مرة سائحاً في جبل المقطم بقرافة مصر، فمكثت فيه أياماً لا أرى أحداً، فسمعت ليلة عند السحر قائلاً يقول في مناجاته بصوت يزعج القلوب، وحنين يذهل العقول: كتمت بلائي عن غيرك، وبحت بسري إليك، واشتغلت بك عمن سواك، ثم انتحب باكياً.

قال: عجبت لمن عرفك، كيف يسلو عنك، ولمن ذاق حبك، كيف يصبر عنك، يا مولى العارفين وحبيب المقربين وأنيس المحبين وغاية أمل الطالبين، يا معين المنقطعين، ثم صاح واشوقاه إليك، واكرباه، فتبعت الصوت، وقد أخذ بمجامع قلبي، حتى انتهيت إليه، فإذا هو شيخ نحيف البدن، مصفر اللون، تعلوه الهيبة، ويجلله الوقار، وعليه سمت أهل المعرفة، فدنوت منه، وسلمت عليه، فقال: مرحباً بك يا عمرو، فقلت: وكيف عرفت اسمي وما رأيتني قبل هذه الساعة؟ فقال: نظرت إلى شخصك في الأرض فعرفت مقامك في السماء، وقرأت اسمك في اللوح المحفوظ، فقلت له: يا سيدي أفدني فائدة، فقال: يا عمرو أوحى الله عز وجل إلى نبيه داود عليه السلام، يا داود قل لأوليائي وأحبائي ليفارق كل منهم صاحبه، فإني مؤنسهم بذكري، ومحدثهم بأنسي، وكاشف الحجاب فيما بيني وبينهم، لينظروا عظمتي وجلالي، وبهاء وجهي، في كل يوم أدينهم، وفي كل ساعة أقربهم من نور وجهي، وأذيقهم من طعم كرامتي، فإذا فعلت ذلك بهم، عميت نفوسهم عن الدنيا، وأهلها، فما شيء آنس إليهم مني، ولا أقر لعيونهم من النظر إليّ يستعجلون القدوم عليّ وأنا أكره أن أميتهم، لأنهم مواضع

نظري من بين خلقي، أنظر إليهم، وينظرون إليّ، فلو رأيتهم يا داود وقد ذابت نفوسهم، ونحلت أجسامهم وخثعت عيونهم، وتهشمت أعضاؤهم، وانخلعت قلوبهم إذا سمعوا ذكري فأباهي بهم ملائكتي، وأهل سماواتي ينظرون إلي فيزدادون خوفاً وعبادة، إن ناجوني أصغيت إليهم، وإن نادوني أقبلت عليهم، وإن أقبلوا إليّ أدنيتهم، وإن دنوا مني قربتهم، وإن والوني واليتهم، وإن صافوني صافيتهم، وإن عملوا إليّ جازيتهم، أنا مدبر أمورهم، وسائس قلوبهم، ومتولي أحوالهم، لم أجعل لقلوبهم راحة في شيء غير ذكري، لا يستانسون إلا بي، ولا يحطون رحال قلوبهم إلا عندي، فوعزتي وجلالي لأمكننهم من رؤيتي، ولأشبعنهم من النظر إليّ حتى يرضوا، وفوق الرضى، فابلغ يا داود أهل الأرض أني حبيب لمن أحبني، وجليس لمن جالسني، وأنيس لمن أنس بي، وصاحب لمن صاحبني، ومطيع لمن أطاعني، ومختار لمن اختارني، فهلموا إلى كرامتي، ومصاحبتي، ومعاملتي، وأنا الجواد الماجد، أقول للشيء: كن فيكون، ثم خنقته العبرة حتى غشي عليه، فلما أفاق قلت له: يا سيدي أوصني، فقال: يا عمرو اقطع عن قلبك كل علاقة، ولا تتضع لشيء دونه، فقلت: يا سيدي ادع لي، فقال: خفف الله عنك مؤن نصب السير، ولا جعل بينك وبينه حجاباً، ثم ولى كالهارب من الأسد وأنشد:

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة ... وأيسر ما في الذكر ذكر لساني
وكدت بلا وجد أموت من الهوى ... وهام على القلب بالخفقان
فلما رآني الوجد أنك حاضري ... شهدتك موجوداً بكل مكان
فخاطبت موجوداً بغير تكلم ... ولاحظت معلوماً بغير عياني

وهو رضي الله عنه أبو عمرو عثمان بن حميد بن سلامة القرشي الحنبلي. سكن مصر، واستوطنها، وبها مات، سنة أربع وستين وخمسمائة، وقد جاوز السبعين، ودفن بقرافتها، شرقي قبر الإمام الشافعي رضي الله عنه، مما يلي سارية، وقبره ظاهر يزار.

وأخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن أحمد بن علي القرشي المؤذن. قال: أخبرنا الشيخ الإمام أبو الربيع سليمان بن أحمد المقري، المعروف بابن المغربل. قال: سمعت الشيخ الجليل أبا إسحاق إبراهيم بن مربيل المخزومي. يقول: سمعت الشيخ أبا عمرو عثمان بن مرزوق القرشي رضي الله عنه، يقول: الشيخ عبد القادر شيخنا، وإمامنا وسيدنا، وسيد كل من سلك طريقاً إلى الله عز وجل في عصرنا هذا، أو وهب حالاً، أو أقيم مقاماً، فالشيخ عبد القدر إمامه في العلم،

ومنازلات الأحوال، وإمامه في المقام بين يدي الله عز وجل، وأخذ له العهد من أولياء هذا الزمان، واشتد له الميثاق على جميع أرباب المراتب في العصر، بالمصير إلى قوله، والرجوع إلى أمره، والتأدب بمقامه، وما اتخذ الله عز وجل ولياً في هذا العصر، إلا وأعطي على يديه موهبة، ومواهبه كلها على يدي رسول الله ﷺ، ولا اصطفى الله سبحانه وتعالى قريباً في هذا الوقت، إلا وللشيخ محيي الدين عبد القادر في أحواله مشاركة، وفي مقاماته موطىء، وإلى أسراره مطالعة، ولم يشاركه في أحواله ومقاماته، وأسراره، سوى الأنبياء عليهم السلام، وليس لأحد عليه منة في هذا الطريق، سوى الله عز وجل، ورسولً ﷺ، رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

الشيخ سويد السنجاري رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان مشايخ المشرق، وصدور العارفين، وأكابر المحققين. صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات السنية، والأفعال الخارقة، والإشارت العلية، والهمم الفخيمة. له المكانة الرفيعة من مراتب القرب، والطور السامي من موارد التمكين، والمورد العذب من مناهل الوصل، والمعراج العلي في مدارج المعارف، والسمو الأرفع في مراقي الحقائق، والسبق إلى حلبة المعالي الجليلة، مع ترادف الكشف الأنور، وتضاعف الفتح الأزهر.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في العالم، ومكنه من الأحوال، وقلده أحكام التصريف، وملكه أزمَّة التمكين، وصدَّره في مجالس القدس، وقدَّمه في صدور المراتب، وأيَّده بأحوال أهل النهايات، وأطلعه على عجائب الغيوب، وأنطقه بفنون الحكم، وقلب له الأعيان، وخرق له العادات، وأظهر على يديه العجائب الخارقات، وأوقع له القبول في صدور الرجال، والهيبة الوافرة في القلوب، وأقامه إماماً للسالكين، وجمع له بين علمي الشريعة والحقيقة. وانتهت إليه رئاسة هذا الشأن علماً وعملاً، وتحقيقاً وزهداً، وجلالةً، وبه غدق الأمر في تربية المريدين الصادقين في وقته بسنجار، وما يليها.

وتخرج بصحبته غير واحد من الأكابر مثل الشيخ حسن التلغفري، والشيخ عثمان بن عاشور السنجاري، وغيرهما رضي الله عنهم. وقال: بإرادته جمع ممن له قدم راسخ في هذا الشأن، وانتمى إليه خلق كثير من الصلحاء، وأجمع المشايخ والعلماء على تبجيله واحترامه.

وكان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يثني عليه كثيراً، ويذكر فضيلته. وهو من أركان هذه الطريق، وأعلام العلماء بها، وأئمة المحققين

لأحكامها، وشرح أحوالها، مع يد مبسوطة في العلوم الشرعية، وباع طويل في المعرفة بأحكام الله تعالى. وكان مقصوداً بالزيارات من كل قطر، مشهور الذكر في كل أفق، ظريفاً جميلاً، كاملاً فاضلاً، متأدباً خاشعاً، مشتملاً على أشرف الأخلاق، وأكرم الشيم، وأسنى الصفات. وكان له كلامٌ عالٍ شريفٌ في علوم المعارف، منه: مقامات العارفين على سبعة أصول؛ القصد إلى الله تعالى بالسر، والاعتصام بالله تعالى في الأمر، والجلوس مع الله بالأمر، وبالنصيحة لعباد الله بالسر والجهر، وكتم أسرار الله في الطي والنشر، وثبوت الحال مع العلم بالصبر، وذكر لا إله إلا الله الملك الحق المبين. فإذا قطع العارف هذه الأحوال، ورقي عن رؤية الأفعال، فتح الله له في القصد إلى الله بالسر باب النفس، وعلامته أن يستروح القلب إلى أنوار التجلي، بنفس السرور، وسراج الأنس في مشكاة الكشف، وهذا النفس لا تكون إلا في حضرة الشهود، بعد غيبة الأرواح في معارج الأحوال، واستغراق الأسرار في مدارج روح القدس، بجسم مادة الجهات، واتحاد العلم، وذهاب الرسم، وهذا أول ملابس العارفين. وأول الاسترواح أنفاس أرواح التجلي، وهذا الذي لا يطفىء نور شهوده نور وجوده، ولا يحجب نور وجوده حقيقة شهوده. وحقيقة القصد إلى الله تعالى بالسر ظهور الحقيقة بادية في حجاب العلم، ثم يفتح الله له في الاعتصام بالله تعالى باب المعاينة، وعلامته أن يفتح الله تعالى له من بصيرته عيوناً ثلاثة: عيناً يدرك بها أنوار المعرفة، وعيناً يدرك بها أنوار الحقائق، وعيناً يدرك بها أنوار المعرفة.

كما أن العيون الثلاثة: عين البصر، وعين البصيرة، وعين الروح.

فعين البصر: تدرك المحسوسات، وعين البصيرة تدرك المعنويات، وعين الروح تدرك المكنونات.

ثم يفتح الله تعالى له في الجلوس مع الله تعالى باب الاستغراق، في عين التفريد، وله خمسة أركان: فناء القرب في عين المشاهدة، واضمحلال العلم في بحر الجمع، واستهلاك المفني في بحر الأزل، واستغراق الوجود في طي القدم، واستعدام البقاء في برق الأبد.

ففناء القرب في عين المشاهدة للمرسلين مصافاة الأسرار، وللمقربين عنايات الأنوار، واضمحلال العلم في بحر الجمع للصديقين رؤية، وللأبرار مشاهدة، لأن الرؤيا للذات، والمشاهدة لأنوار الصفات، واستهلاك الفني في بحر الأزل للمرسلين، حقيقة، وللمقربين طريقة، واستغراق الوجود في طي القدم للصديقين تفريد

التوحيد، وللأبرار تحقيق التجريد، واستعدام البقاء في برق الأبد للشهداء حياة قرب، واستدامة رزق، وللصالحين نسيم روح، واستنرواح ريحان، ومعارف جنة النعيم، فبناء القرب في عين المشاهدة، كان عقلاً، وباضمحلال العلم في بحر الجمع كان روحاً، وباستهلاك المغني في بحر الأزل كان سراً، وباستغراق الوجود في طي القدم كان ذراً، وباستعدام البقاء في برق الأبد كان ذاتاً كاملة الوجود، تامة التقويم، فبالعقل ثبت الإيمان، وبالروح ثبت الخطاب، وبالسر فهم الأمر، وبالذر فهم الحكم، وبالذات وقعت الحركة، فالحركة ظاهر الحكم، والحكم ظاهر الأمر، والأمر ظاهر الخطاب، والخطاب ظاهر الإيمان، والإيمان ظاهر الصفات، والصفات ظاهر الذات، فالإيمان بصيرة العقل، والسر بصيرة الروح، والأمر بصيرة الحكم، والحكم بصيرة الحركة، وذلك حقيقة ما يكشف للعارف المنتهي في درجة المعرفة.

ومنه: العلوم ثلاثة؛ علم من الله تعالى، وهو العلم بالأمر، والنهي، والأحكام، والحدود، وعلم مع الله تعالى، وهو علم الخوف، والرجاء، والمحبة، والشوق، وعلم بالله وهو علم بنعوته، وصفاته، وعلم الظاهر علم الطريق، وعلم الباطن علم المنزل، وعلم الحكم علم الشرع، وكل باطن لا يقيمه ظاهر فهو باطل، وأصل العقل الصمت، وباطنه كتمان الأسرار، وظاهره الاقتداء بالسنة، وإذا غلب الهوى توارى العقل، ومن احتجب إلى شيء من علومه فلا ينظر إلى شيء من عيوبه، وكان يتمثل بهذه الأبيات: [من الطويل]

وقفت على باب الحبيب مسائلاً ... فأبدى جوابي قبل أن أتكلما
وكان جوابي أنت لا أنت ما ترى ... فمت بوجد الوجد حتى تهدما
وراع ودادي ما استطعت فإنني ... سأجعل ودي في المعاد معظما
واكشف حجب العز عني لأنني ... أجيب نداء العارفين تكرما
شفاؤك عندي غير أني أحب أن ... أراك على فرش المحبة مسقما

أخبرنا الشيخ العارف الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن أحمد المخزومي. قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو المجد سالم بن أحمد بن عبد الله التلغفري رضي الله عنه بها. قال: سمعت الشيخ الجليل أبا الفرج حسناً التلغفري رضي الله عنه بها، يقول: كان رجل من وجوه أهل سنجار، كثير الوقيعة في السلف بغير سبب، فمرض، فلما احتضر جعل يتكلم بكل شيء إلا الشهادة، فإذا قيل له: قل لا إله إلا الله، يقول: لم يؤذن لي في ذلك، فضج الناس، وأتوا إلى

الشيخ سويد رضي الله عنه، فأتاه وجلس عنده وأطرق طويلاً، ثم قال: لا إله إلا الله، فقالها، وكررها مراراً، فقال الشيخ: إنه قد عوقب بذلك لوقيعته في السلف، وإني قد شفعت فيه، فقيل لي: قد شفعناك فيه، إن رضي عنه أولياؤنا السابقون، فدخلت الحضرة الشريفة، واستوهبت ذنبه من معروف الكرخي، وسري السقطي، والجنيد، والشبلي، وأبي يزيد، وغيرهم، فأطلق لسانه في الشهادة.

قال: فقال الرجل: إني كنت كلما أردت أن أتشهد وثب شيء أسود، وشد الثقل على لساني، يمنعني النطق، ويقول لي: أنا وقيعتك في أولياء الله تعالى، ثم جاء بعده نور يتلألأ، وطرد ذلك السواد عني، وقال: إن رضا الله لرضا أولياء الله تعالى عنك، وها أنا أنظر إلى خيول من نور، بين السماء والأرض قد ملأت الجو، عليها ركبان من نور، مطرقة رؤوسهم هيبة، يقولون: سبوح قدوس، رب الملائكة والروح. قال: وما زال الرجل يلهج بالشهادتين حتى مات.

أخبرنا أبو محمد الحسن ابن القاضي أبي عمران موسى المخزومي الصوفي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا عمرو عثمان بن عاشور السنجري، يقول: مررت مع شيخنا الشيخ سويد رضي الله عنه في بعض شوارع سنجار، فرأى رجلاً يحدق إلى امرأة ذات بهجة، فنهاه الشيخ فلم ينته، فقال: اللهم خذ بصره، فعمي الرجل بعد، ثم بعد سبعة أيام، جاء إلى الشيخ وشكا إليه من ظلمة العمى، وأذعن بالتوبة، وأكثر تذلله، فبسط الشيخ يده، وقال: اللهم ردَّ عليه بصره إلا في معاصيك، فرد الله عز وجل عليه بصره في الحال، وكان إذا أراد النظر إلى محرم حجب عنه بصره ثم يعود عليه.

قال: وكان الشيخ يوماً في المسجد، فدخل أعمى ليصلي، فتوجه إلى غير القبلة، فقال الشيخ: اللهم نوِّر بصره، وخرج من المسجد بصيراً، ومات بعد عشرين سنة، وما أصابت عينيه آفة قط.

أخبرنا الفقيه الصالح أبو الفضائل إسحاق بن إحمد بن علي السنجاري. قال: أخبرنا الفقيه العالم الصالح تاج الدين أبو الحسن علي بن أحمد البقاعي، الحنفي بالموصل. قال: سمعت الشيخ العارف المجاب الدعوة، أبا متعة سلامة ابن نافل المفروقي، الملقب بالرويحج بسنجار، يقول: جدع أنف رجل، في غير قصاص، فأساء الشيخ سويداً حاله، فأخذ ما انفصل من أنفه ووضعه بيده مكانه، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فعاد أنف الرجل صحيحاً كحاله أولاً. قال: ومرَّ يوماً بمجذوم يتناثر الدود من جسده، ويسيل منه الدم، والقيح قد أعيى الأطباء، ومرت عليه السنون، وهو كذلك.

فقال الشيخ: اللهم إنك غني عن عذابه، فعافه، فعوفي في ذلك الوقت، وبريء بإذن الله تعالى.

أخبرنا أبو محمد عبد الملك، ابن الشيخ أبي الفتح المنجبي. قال: أخبرنا الشيخ العارف الفقيه الفاضل أبو الفرج عبيد بن منيع بن كامل العصصي المقري. قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو يحيى زكرياء ابن الشيخ أبي زكرياء ابن الشيخ الجليل أبي حفص عمر بن يحيى المعروف بالحديدي.

قال: سمعت أبي يقول: سمعت الشيخ العارف النبيل أبا الثناء أحمد بن عبد الحميد السنجاري الزرعي بها، يقول: حججت سنة مع الشيخ سويد رضي الله عنه، على قدم التجريد، فلما كنا ببعض المفاوز، فقدنا الماء، واشتد بنا العطش، وأشرفت على الموت، فعرج الشيخ عن الطريق قليلاً، وصلى ركعتين، وأنا معه، ثم ضرب بيده على صخرة صماء هناك، فانفجرت منها عين شديدة الحلاوة، فشربنا حتى روينا، واغترف الشيخ بيده غرفة، وسقاني، فشربت ماءً، وسويقاً، ثم اغترف أخرى فشربها، ثم مسح عليها بيده، فعادت صخرة صماء، ليس بها بلل، فاستغنيت عن الطعام، والشراب، سبعة أيام.

أخبرنا أبو محمد عمران بن عثمان بن محمد السنجاري المؤذن. قال: أخبرنا أبي رحمه الله تعالى، قال: سمعت الشيخ العارف أبا المحاسن يوسف ابن الشيخ القدوة أبي الحسن علي الزنجاني بها. يقول: كان من أصحاب الشيخ سويد السنجاني رضي الله عنه، رجل اسمه الشيخ فرج بن عبد الله الحسني، وكان له أحوال جليلة، فورد عليه مرة تجَلٍّ من تجليات العظمة، فصار جسده كالماء الجامد، فقيل للشيخ سويد عنه، فأتاه وفكر ساعة. وقال: ائتوا بنساء حسان يتحدثن عنده بأعلى أصواتهن، ولا تمسُّه منهن واحدة، فإذا رجع إلى أحكام العادة، فليبادرن بالخروج، ففعلن ذلك، ومسته إحداهن بأصبعها في فخذه فغاب أصبعها فيه، فلما رجع إلى بشريته ابتدرن إلى الحجاب، قيل للشيخ في ذلك، فقال: إني طفت الممالك بسري، فلم أجد لهمته تعلقاً بشيء منها، غير أني وجدت في نفسه ميلاً إلى النساء الحسان، فأردت أن تجذب به نفسه إلى ميلها، ولو دام عليه ذلك الحال، لذهب وجوده البتة. قال: وما زال موضع غوص أصبع تلك المرأة في فخذ الشيخ فرج إلى أن مات.

قال: وسمعت الشيخ سويد رضي الله عنه، يقول: جاهدت نفسي في بدايتي، ومنعتها الماء مدة، فاجتزت في بعض صحبتي بغدير من ماء، فراودتني

نفسي على الشرب منه، فامتنعت، فوثب مني شيء أسود، وألقى نفسه في الماء، فإذا هي نفسي، فتمثلت بين يدي في الماء، تسألني بالله التخفيف عنها، فقلت: والله لاحلت عن مجاهدتي، ولا عمّا بايعت الله تعالى عليه، وسمعته أيضاً يقول: وضعت نفسي على البلوعة، وذبحتها، وخلصت.

أخبرنا الشيخ الصالح بقية السلف أبو المعالي إسحاق بن إسماعيل بن نصر القرشي السنجاري. قال: سمعت الشيخ الأصيل أبا محمد عبد الله ابن الشيخ النبيل أبي أحمد إسماعيل، ابن الشيخ الجليل أبي الفضائل سويد السنجاري، رضي الله عنه.

قال: سمعت أبي رضي الله عنه، يقول: وشي به عند سلطان سنجار، فأمر بإحضاره، فخاف عليه أصحابه، فأطرق الشيخ ثم قال: لا بأس عليٍّ، قد قيل لي: لا تخف إنا معك، فلما وصل إلى باب دار السلطان أخذ السلطان قولنج عظيم، فلما دخل الدهليز اشتدًّ القولنج، وغشي على السلطان، وصاح نساؤه، وأهله، وما شكوا أن ذلك بسبب إحضاره الشيخ، فخرجوا إليه حفاة، وأكبوا على قدميه معتذرين، فرجع وزال القولنج لوقته.

قال: ووشي به مرة أخرى عند قاضي سنجار، فأمر بإحضاره، فلما قام الشيخ أخذت الحمى القاضي، وكل من بمجلسه، فلما وصل إلى الباب اشتدت بهم، فسألوه أن يرضى عنهم، ويرجع، ففعل، وزالت الحمى للوقت. وقال: لو دخلت عليهم لطال بهم المرض المبرح، وتوالت عليهم الأوجاع والأسقام.

وسكن رضي الله عنه سنجار، واستوطنها قديماً إلى أن مات بها مسناً، وقبره بها ظاهر يزار، واسمه فيما بلغني نصر الله، وإنما لقب بسويد فغلب عليه، وكان أبيض اللون أحمر رضي الله عنه.

أخبرنا أبو الحسن بن نجيم بن عيسى الحوراني. قال: أخبرنا أبو عمر عثمان بن عاشور السنجاري بها. قال: سمعت شيخنا الشيخ سويداً رضي الله عنه غير مرة. يقول: الشيخ عبد القادر شيخنا وسيدنا وإمامنا، وقدوتنا إلى الله تعالى ورسوله ﷺ. وهو المقدم على جميع أهل عصره في علم الحال، ومقامات الثبوت بين يدي الله عز وجل.

وأخبرنا الشيخ الصالح أبو البركات يونس بن سالم بن علي البكري الأربلي. قال: سمعت الشيخ أبا محمد عبد الله ابن الشيخ أبي أحمد إسماعيل، ابن الشيخ القدوة سويد السنجاري بها، قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول:

كان والدي رحمه الله يلهج كثيراً بذكر سيدي عبد القادر رضي الله عنه، وربما كان يذكره في أغلب مجالسه، حتى شوق الناس إلى رؤيته. وقال مرة: الشيخ عبد القادر من صدور أهل حضرة القدس رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان أجلاء المشايخ، وعظماء العارفين، وأعيان المحققين. صاحب الكرامات الخارقة، والأحوال الفاخرة، والمقامات الرفيعة، والحالات الجسيمة، والهمم الفخيمة، والبدايات العظيمة. صاحب الفتح السني، والكشف الجلي، والقدر العلي، له المقر السامي من القرب، والطور العالي في الحقائق، والمعراج الرفيع في المعارج، والترقي في درجات التمكين، والسبق إلى منازل التقدم.

وهو أحد أركان هذا الطريق، وصدور أئمة أعلام العلماء بأحكامه، ورؤساء القادة إليه. وهو أحد من أظهره الله تعالى للخلق، وصرفه في الوجود، وقلب له الأعيان، وخرق له العوائد، وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بالمغيبات، ومكنه من أحوال أهل النهايات، وأقامه قيماً بأحكام الولاية، وحل مشكلات أحوال القوم، ونصبه حجة وقدوة لأهل الطريق، مع قدم راسخ في الاجتهاد الصائب، وباع رحيب في التصريف النافذ، ويد بيضاء في الحكم والتواضع، والكرم، وشرائف الأخلاق، ولطائف المعاني، وأكمل الآداب.

وهو أحد الأربعة الذين قال فيهم الشيخ القرشي رضي الله عنه: رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء: الشيخ معروف الكرخي، والشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلي، والشيخ عقيلاً المنجبي، والشيخ حياة ابن قيس الحراني، رضي الله عنهم. فيما أخبرنا أبو القاسم محمد بن عبادة الأنصاري الجيلي.

قال: سمعت الشيخ العارف أبا الحسن علياً القرشي رضي الله عنه، يقول: فذكر ذلك. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن علماً، وعملاً، وزهداً، وحالاً وجلالة. وبه غدق الأمر في تربية المريدين، المحققين بحران، وما يليها. وتخرج بصحبته غير واحد من أهل المقامات وتلمذ له جماعة كثيرة من أصحاب الأحوال، وقال: بإرادته جمٌّ غفير من الأكابر، وانتمى إليه عالم عظيم لا يحصون كثرة، وأشار إليه المشايخ والعلماء وغيرهم بالتبجيل، ورماه الخلق بأبصار الاحترام والتعظيم، وجلس غير واحد من المشايخ بين يديه، ورجع إلى قوله، وأقر الخاص والعام بفضله، والاعتراف بمكانته، وحفظ حرمته.

وكان أهل حران يستسقون به فيسقون، ويلجؤون إليه في المعضلات فتنكشف، وأحواله في ذلك مشهورة أشهر من أن يعرف بها، ومآثره وآثاره أكثر من أن تحصى، وكان له كلام عالٍ على لسان الحقائق.

منه: المتمكن من أمره هو الذي لا يطفىء نورُ معرفته نورَ ورعه، ولا يتكلم في علم باطن ينقضه عليه علم ظاهر، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله تعالى، وحقيقة الوفاء إفاقة السر عن رقدة الغفلات، وفراغ الهمم عن جميع الكائنات، ومن أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله تعالى، فإنها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله تعالى ذهب سلطان نفسه، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته، ومن أحب أن يرى خوف الله تعالى في قلبه، ويكاشف بآياته الصديقين، فلا يأكل إلا حلالاً، ولا يعمل إلا في سنة، أو ضرورة، وما حرم من حرم مشاهدة الملكوت، وحجب عن الوصول إلا بشيئين؛ سوء الطعمة، وأذى الخلق.

يا أخي استجلب حلاوة الزهد، بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع بصحبة الناس، وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر، واستجلب نور القلب بدوام الحذر، واستفتح باب الحذر بطول الفكرة، وتزين لله تعالى بالصدق في جميع الأحوال، وتحبب إليه بتعجيل الخطا إليه. وإياك والتسويف فإنه يغرق الهلكى، وإياك والغفلة، فإنها تسود القلب، وإياك والتواني فيما لا عذر فيه، فإنه ملجأ النادمين، فاسترجع سالف الذنوب بشدة الندم، وكثرة الاستغفار. وتعرض لعفو الله عز وجل بحسن المراجعة، فالخوف رقيب العمل، والرجا وشفيع المحن، وبأول قدم يطلبه الصادق يجده.

وعلامة المريد المحق: أن لا يفتر عن ذكره، ولا يمل عن حبه، ولا يستأنس بغيره، ويلزم السنة والفرض، فالسنة ترك الدنيا، والفرض صحبة المولى، لأن السنة كلها تدل على ترك الدنيا، والكتاب كله يدل على صحبة المولى، فمن عمل بالسنة والفرض فقد كمل أمره، ومن زهد في الدنيا فقد نبه على قدرها في قلبه ونفسه، فينبغي له أن يستحي من الله أن يتخذ غيره بدلاً، بما لا قدر له عنده. وعند نزول البلاء تظهر حقائق الصبر، وعند مكاشفة الأقدار تظهر حقائق الرضا. وإياك أن تجعل الزهد حرفتك، ولكن اجعله عبادتك.

ومنه: المحبة تعلق القلب بين الهيبة والأنس، وهي سمة الطائفة، وعنوان الطريقة، ومقعد النسبة تعلق إلى رؤية المحبوب، وهيمان إلى لقاء المطلوب

بغالب العقل الجلي للسماع، ومجال الطاقة، وتلذذ الموت، فلا يرحم أبداً، ولا يقبل أمداً، ولا يبقى أحداً، فهنالك برز الحق للقلب بصولة الحال على علمه، وصولة الوجد على طاقته، وصولة الكشف على همته، وصولة الجمع على رسمه، وصولة السبق على وقته، وصولة المشاهدة على روحه، وصولة الاتصال على لطف العطية، وصولة نور القرب على نور العطف، وصولة شوق العيان على شوق الخبر.

وكان رضي الله عنه، يتمثل بهذه الأبيات: [من الطويل]

مواجد حق أوجد الحق كلها ... وإن عجزت عنها فهوم الأكابر
وما الحب إلا خطرة ثم نظرة ... تنشي لهيباً بين تلك السرائر
إذا سكن الحق السريرة ضوعفت ... ثلاثة أحوال لأهل البصائر
فحال بعيد السر عن كنه وجده ... ويحضره للشوق في حال حائر
وحال به زمت دوي السر فانثنت ... إلى منظر أفناه عن كل ناظر

أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد بن محمد القرشي المقدسي الحنبلي. قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو محمد عبد الملك ابن الشيخ الجليل أبي عبد الملك ذيال ابن أبي المعالي، العراقي، ثم المقدسي.

أخبرنا أبي رحمه الله تعالى قال: سمعت الشيخ الأصيل أبا حفص عمر ابن الشيخ القدوة حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه بها. يقول: جاء الشيخ زغيب الرحبي رحمه الله تعالى من الرحبة إلى حران، لزيارة والدي، فوافاه بعد صلاة الصبح جالساً على باب داره، وبين يديه معزة له، فسلم عليه، وجلس على دكة بإزائه من الجانب الآخر، بينهما أكثر من عشرة أذرع، فلم يكلمه والدي. فقال الشيخ زغيب في نفسه: جئت إليه من الرحبة، واشتغل عني بمعزة له ينظر في أمرها، فنظر إليه وقال: يا زغيب، قد أمرت أن أعطب فيك شيئاً بسبب اعتراضك علينا، فاختر إما من ظاهرك، وإما من باطنك، فقال: لا يا سيدي، بل من ظاهري، فمدَّ والدي أصبعه يسيراً، فسالت عين الشيخ زغيب على خده، فقام وقبل الأرض، وعاد إلى الرحبة.

قال: ثم لقيته بعد سنين بمكة صحيح العينين، فسألته فقال: كنت في سماع ببلدنا، وفيه رجل من مريدي والدك، فوضع يده على عيني، فردت صحيحة كما ترى.

قال: ولما أشار والدك رضي الله عنه بإصبعه إلى عيني، وسالت على خدي، انفتحت في قلبي عين شاهدت بها أسراراً، وأقداراً ذات عجائب من آيات الله تعالى.

أخبرنا أبو المكارم خليفة بن محمد بن علي الحراني الحنبلي. قال: أخبرنا الشيخ أبو طالب عبد الملك بن أبي الفرج محمد بن علي الحراني المعروف بابن القبيطي. قال: بني مسجد بحران في حياة الشيخ حياة رضي الله عنه، فلما أراد نصب محرابه، حضر الشيخ حياة، فقال للمهندس: القبلة هكذا، فقال: لا، بل القبلة هكذا، فقال له الشيخ: انظر تر الكعبة بإزائك، فنظر المهندس، فإذا الكعبة الشريفة بإزائه، يشهدها رأي العين، ليس بينه وبينها شيء يحجبه، فخرَّ مغشياً عليه.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى بن محمد الأربلي. قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو الروح عيسى بن أحمد بن علي الحراني بها. قال: سمعت الشيخ الصالح بقية السلف أبا الفتح نصر الله بن قاسم الحراني، خادم الشيخ حياة رضي الله عنه. يقول: حكى لنا الشيخ الصالح أبو العلي غانم بن يعلى التكريتي، التاجر.

قال: سافرت مرة إلى اليمن في البحر المالح، فلما توسطنا بحر الهند تهنا، وغلب علينا الريح، وأخذتنا الأمواج من كل جانب، وانكسرت بنا السفينة، فنجوت على لوح منها، فالقاني إلى جزيرة، فطفتها، فلم أرَ بها أحداً، وإذا هي كثيرة الخيرات، ورأيت فيها مسجداً فدخلته، وإذا فيه أربعة نفر، فسلمت عليهم، فردوا وسألوني عن قصتي، فأخبرتهم، وجلست عندهم بقية يومي ذلك، فرأيت من توجههم وحسن إقبالهم على الله تعالى أمراً عظيماً، فلما كان العشاء دخل الشيخ حياة الحراني، فقاموا متأدبين بالسلام عليه، فتقدم وصلى بهم العشاء، ثم استرسلوا في الصلاة، إلى طلوع الفجر، فسمعت الشيخ حياة يناجي ويقول: إلهي لا أجد لي في سواك مطمعاً، ولا إلى غيرك منتجعاً، فانخت ببابك ناظراً إلى حجابك متى ينكشف لي عن تفريج الكربة، فأتحلل إلى مجالس القربة، وقد أوثقت نفسي عن تفريج الكربة بالسرور بك، ووسعتها بذكرك، ولي فيها كوامن أفراح، ترتاح إليها صبابات أشواقي، ولي معك أحوال سيكشفها اللقاء يا حبيب التائبين، ويا سرور العارفين، ويا قرة أعين العابدين، ويا أنيس المنفردين، ويا حرز اللاجئين، ويا ظهير المنقطعين، ويا من حنّت إليه قلوب الصدِّيقين، وبه أنست أفئدة المحبين، وعليه عكفت همة الخائفين، ثم بكا بكاءً شديداً، ورأيت الأنوار قد حفت به، وأضاء ذلك المكان كإضاءة القمر ليلة البدر. ثم خرج الشيخ حياة من المسجد وهو يقول: [من البسيط]

سير المحب إلى المحبوب إعجال ... والقلب فيه من الأهوال بلبال
أطوي المهامه من فقر على قدم ... إليك يدفعني سهل وأجبال

فقال لي أولئك النفر: اتبع الشيخ فتبعته، فكانت الأرض برها، وبحرها، وسهلها، وجبالها تطوى تحت أقدامنا طياً، وكنت أسمعه يقول كلما خطا خطوة: يا رب حياة، كن الحياة، وإذا نحن بحران في أسرع وقت، فوافينا الناس بها يصلون صلاة الصبح.

أخبرنا شيخنا نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف ابن الشيخ نجم الدين عبد المنعم بن علي بن الصقيل الحراني. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: حج الشيخ حياة الحراني رضي الله عنه، في بعض السنين، فنزلوا منزلاً واستظل الشيخ ومن معه بشجرة من أم غيلان، فقال له خادمه: يا سيدي، أشتهي الرطب، فقال: هزَّ هذه الشجرة، فقال: يا سيدي هذه أم غيلان، فقال: هزها، ففعل، فتساقطت عليهم رطباً جنياً، فأكلوا حتى شبعوا وانصرفوا.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الحراني الحنبلي. قال: أخبرنا أبو الفضل معالي ابن الشيخ أبي الخير سلامة بن عبد الله بن سويطلة الحراني، الحنبلي العدل. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: كنت جالساً عند الشيخ حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه بحران، فأتاه الشيخ العالم المقري الصالح أبو الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز الموصلي. فقال للشيخ: يا سيدي كنت في برية الموصل، فالجأني المطر إلى قبة خربة، فرأيت بيتاً من شعر بإزاء تلك القبة، فجئته فإذا فيه شيخ كردي وعجوز، فقال لي: مرحباً يا أبا الفرج، قلت: ومن أين عرفتني؟ قال: من الذر حين جمع القدر بيننا في مجلس ألست بربكم، ثم ضرب بيني وبين العجوز ستراً، وأمرني بالجلوس، فجلست عنده تلك الليلة، فما رأيته نام ولا أكل ولا توضأ، بل منتصباً للصلاة، وكنت كلما خطرت لي خطرة، صاح بي: يا أبا الفرج دع هذه الخطرة، واشتغل بالذكر، ويصرح لي بما خطر لي، ويسابق خاطري بذلك. ورأيت من صفاء قلبه ما أذهلني، وصليت به المغرب والعشاء، فلما كان الصبح قلت له: يا سيدي: صلٍّ أنت بي، فتقدم وصلى، فلم يقوم الفاتحة كما في نفسي، فلما فرغ من صلاته، قلت: يا سيدي: لو أقمت قراءة الفاتحة، فقال لي: يا أبا الفرج ما أدري ما تقول، غير أن ربي عز وجل، يقول لي كل ليلة عند السحر يا خليلي كن لي أكن لك، لا تشتغل عني أفوتك.

قال: فبكيت وودعته وانصرفت، ثم عدت إلى ذلك المكان غير مرة فلم أر

بيتاً ولا أحداً. قال: فقال الشيخ حياة رضي الله عنه: قيمة القشور بلبابها، وقيمة القصور ببنيانها، وقيمة الرجال بألبابها، وعز العبيد بأربابها، وفخر الأحبة بأحبابها. ثم قال: آثار المحبة إذا بدت أماتت قوماً وأحيت قوماً، وأبقت أسراراً وأثرت آثاراً مختلفة، ثم أنشد هاتين البيتين: [من الكامل]

وإذا الرياح مع العشي تناوحت ... نبهن حاسدة وهجن غيوراً

وأمتن ذا وجد بوجد دائم ... وأقمن ذا وكشفن عنه مستورا

سكن رضي الله عنه حران، واستوطنها إلى أن مات بها ليلة الأربعاء سلخ جمادى الآخرى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ودفن بها وقبره في نواحيها ظاهر يزار. وذكر صاحب تاريخ حران من أخباره شيئاً، وقصة استسقائه لأهل حران مذكورة مشهورة رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح داود بن أبي المعالي نصر ابن الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي المجد المبارك بن أحمد البغدادي الحريمي الحنبلي. قال: أخبرنا والدي، قال: أخبرنا أبو الحسن، قال: سمعت الشيخ حياة بن قيس الحراني رضي الله عنه بها. يقول: الشيخ عبد القادر سلطان العارفين في وقتنا هذا.

وأخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي القاسم أحمد بن محمد بن دلف البغدادي المعروف جده بابن قوقا. قال: أخبرنا جدي محمد، قال: سمعت الشيخ أبا العباس أحمد يحيي بن بركة البغدادي المعروف بابن الديبقي، يقول: سمعت الشيخ حياة بن قيس رضي الله عنه، بحران، يقول: إن الله تعالى يدر الضرع في وقتنا هذا، وينزل الغيث، ويدفع البلاء ببركة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، وهو سيد الأولياء والمقربين، في هذا الحين، رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ رسلان الدمشقي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ الشام، وأعيان العارفين، وبدور البارعين في هذا الأمر، صاحب الإشارات العالية، والهمم السامية، والأنفاس الصادقة، والكرامات الخارقة، والمقامات الجليلة، والمكانات الرفيعة، له الطور الأعلى من المعارف، والمحل الأرفع في الحقائق، والمنصب المصدر في القرب، والكشف الواضح عن حقائق الآيات، وشواهد المغيبات، والفتح اللامع من مشارق الحياة، وفوائد الاتصالات، مع تكين تمكين، وتصريف نافذ.

وهو أحد أئمة هذا الشأن، وأركانه علماً، وعملاً، وتحقيقاً، ومعرفة، وزهداً.

وهو أحد من أظهره الله تعالى للخلق، وأوقع له القبول التام، والهيبة الوافرة، ومكنه من أحوال الولاية، وأطلعه على أسرار الكون، وصرفه في الوجود، وأظهر

على يديه العجائب، وخرق له العادات، ونصَّبه إماماً للسالكين، انتهت إليه رئاسة هذا الأمر بتربية المريدين بالشام، وإليه انتمى جماعة من مشايخها، وانتفع بصحبته غير واحد من أهلها، وقال بإرادته جماعة من أصحاب الأحوال السنية، وأشار إليه المشايخ بالاحترام والتبجيل، ونزلت بفنائه الركائب من كل جهة، وسارت بآثار مآثره الركبان إلى كل فجٍ عميق، وكان ظريفاً جميلاً، متأدباً خاشعاً، مشتملاً على أكمل الآداب، وأشرف الأخلاق، وأسنى الصفات، وكان له كلام جليل في مناهج الحقائق.

منه: مشاهدة العارف تفيد تمكين التحكيم في الجمع، وبروز التفرقة في الأطلاع، لأن العارف واصل، إلا أنه ترد عليه أسرار الله تعالى جملة كلية، فهو مصطلم بأنوارها، مستغرق في بحارها، مستهلك في تنزيلها. وحضور العارف يلحقه بعين الجمع، ويطلعه على سر التحكيم، فهو مأخوذ عن نفسه، تقريب مردود على نفسه تهذيب، وتمكنه في قلبه تخصيص، فالتقريب يشهده، والتهذيب يوجده، والتخصيص يفرده، فتفريده وجوده، ووجوده مشهوده، وشهوده شهوده، قال الله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [الأنعام:١٠٣]، فإدراكه الأبصار شاهدته البصائر.

ومنه: العارف من جعل الله تعالى له قلبه لوحاً منقوشاً، بأسرار الموجودات، وتمده بأنوار حق اليقين، يدرك بها حقائق تلك السطور على اختلاف أطوارها، ويدرك أسرار الأفعال، فلا تتحرك حركة ظاهرة أو باطنة في الملك والملكوت، إلا ويكشف الله تعالى له عن بصيرة إيمانه، وعين عيانه، فيشهدها علماً وكشفاً، وهو الذي يصعد بسره في أكوان الملكوت كالشمس، فلا يطاق النظر إليه، وصنعته أن يكمل الأعمال بالعلم، والأحوال بالسر.

وهو على ثلاثة أقسام: حاضر، وغائب، وغريب، فالحاضر بلطائف العلم، والغائب بشواهد الحقيقة، والغريب من انقطع السبب بينه وبين من سواه، فمن قابله بغير نفسه احترق، وحقيقة الغربة سقوط الأين، ومحو الرسم. قال الله تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ [النساء:١٠٠]، وعلامته أن لا يدعو إلا بسماع الأمر في الوقت المخصوص، لأنه يكشف الأسباب، وارتفاع الحجاب، يطلعه الله سبحانه وتعالى على بواطن الأمور كشفاً وفراسة، فبالكشف يدركها جملة، وبالفراسة يدركها تفصيلاً، على أصل الوضع. وحقيقة الرسم فيخاطب الأرواح، من حيث وضعها،

ويخاطب الأجسام من حيث تركيبها، ويشير إلى العلم برموز الإشارة، ويفهم كشف العبارة.

ومنه: الحدة مفتاح كل شر، والغضب يقيمك على ذل الاعتذار، ومكارم الأخلاق العفو عند القدرة، والتواضع في الذلة، والعطاء بغير منة، وإذا قدرت على عدوك، فاجعل العفو شكراً لقدرتك عليه، والكريم من احتمل الأذى فلم يشكُ عند البلوى، وأحسن المكارم عفو مقتدر، وجود المفتقر، وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن هو دونها، وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن هو فوقها، فالغضب يتحرك من باطن الإنسان إلى ظاهره، والحزن يتحرك من ظاهر الإنسان إلى باطنه، فالحادث عن الغضب السطوة، والانتقام، والحادث عن الحزن المرض والأسقام.

أخبرنا الفقيه العالم أبو محمد الحسن ابن القاضي أبي عمران موسى بن أحمد الخالدي الصوفي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا محمد إبراهيم بن محمود البعلبكي المقري بالعقيبة. قال: كان الشيخ رسلان رضي الله عنه، ببستان من بساتين دمشق أوان الصيف، ومعه جماعة من أصحابه، فقال له أحدهم: يا سيدي، ما وصف الولي المشتمل على أحكام التمكين؟ فقال: هو الذي ملكه الله أزمة التصريف في الوجود، فقال له: وما علامة ذلك؟ فأخذ الشيخ أربعة قضب، وأفرد منها واحداً، وقال: هذا للصيف، وأفرد آخر، وقال: هذا للربيع، وأفرد آخر، وقال: هذا للخريف، وأفرد آخر وقال: هذا للشتاء، ثم أخذ الذي سماه للصيف بيده، وهزه، فاشتد الحر جداً، ثم طرحه، وأخذ الذي سماه للربيع وهزه، فاخضرت أوراق البستان وأينعت أغصانه، وتناوحت رياح الربيع ونسماته، ثم طرحه، وأخذ الذي سماه للخريف وهزه، فجاءت أوصاف فصل الخريف، ثم طرحه، وأخذ الذي سماه للشتاء وهزه، فهبت رياح الشتاء، واشتد البرد، ويبست أوراق شجر البستان، ثم نظر إلى طيور على أشجار في البستان، فقام إلى شجرة منهن وهزها، وأشار إلى الطير الذي عليها؛ أن سبحي خالقك، فترنم الطير بصوت شجي، أطرب السامعين، ثم أتى إلى شجرة أخرى، وفعل كذلك حتى أتى على الجميع، وأشار إلى طائر منها أن مجد خالقك فلم ينطق، فقال الشيخ: سكت لا عشت موقع الطائر إلى الأرض ميتاً، أخبرنا الشيخ الصالح أبو المحاسن يوسف ابن الشيخ أبو بكر محمد ابن الشيخ بيكر العراقي ثم الأربلي. قال: سمعت جدي الشيخ أبا الخير بيكر المعروف بالحمصي. قال: ورد على الشيخ رسلان خمسة عشر رجلاً، ولم يكن عنده في ذلك الوقت غير خمسة أرغفة، فوضعها بين أيديهم مع دقة، وقال: بسم الله

الرحمن الرحيم، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، فأكلوا حتى شبعوا، وكانوا جياعاً، وبقي منها بقية، ففرقها عليهم كسرة كسرة، وودعوه من دمشق وسافروا إلى بغداد، وأخبروا أنهم دخلوا بغداد، ومعهم منها شيء، وكانوا يأكلون منها طول الطريق.

أخبرنا الشيخ الزاهد الصالح أبو الفضائل فضل الله بن أبي الحسن، علي بن أحمد الدمشقي. قال: سمعت الشيخ العارف بقية السلف أبا أحمد محمود بن محمد الكردي الشيباني الحيلاوي، بأربل. قال: رأيت الشيخ رسلان الدمشقي رضي الله عنه، مرَّة سائراً في الهواء، تارة يمشي، وتارة يسري متربعاً، وتارة كالسهم المفوق، ورأيته غير مرة ماراً على الماء، وحججت سنة، واجتمعت معه بعرفات، ورأيته في جميع المشاعر، ثم فقدته، فلما جئت دمشق وجدته، وليس عليه أثر سفر، فسألت عنه أهل دمشق فقالوا: والله ما غاب عنا الشيخ يوماً كاملاً قط، بل بعض يوم عرفة، وبعض يوم النحر، وبعض أيام التشريق.

قال: ورأيته يوماً جالساً، والأسد يتمرغ على قدميه، وهو مستغرق في حاله لا يلوي على الأسد، ورأيته بظاهر دمشق يرمي بحصى بين يديه، فقلت له في ذلك الوقت: فقال: هذه سهام في الإفرنج، وكانوا في ذلك الوقت قد خرجوا من الساحل، وآذوا أهل الشام، وتبعهم جيش المسلمين، قالوا: فرأينا حصى ينزل من الهواء على جيوش الإفرنج، فيهلك الفارس والفرس، وهلك بذلك منهم خلق كثير.

أخبرنا الفقيه أبو أحمد عبد الملك بن أبي الفتح، بن منصور الإعزازي. **قال**: أخبرنا الفقيه أبو عمرو عثمان بن جواد الهلالي بإعزاز. قال: سمعت الشيخ الإمام أبا الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ أبي العلى بن شرف الإسلام أبي البركات عبد الوهاب الخزرجي المعروف بابن الحنبلي بدمشق. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: حضر الشيخ رسلان سماعاً في دار بدمشق فيه جمع من المشايخ والصلحاء، فأنشد القوال: [من الطويل]

كأني أنادي صخرة حين أعرضت ... من الصم لو تمشي بها العصم زلت
صفوحاً فما يلقاك إلا بحيلة ... فمن مل منها ذلك الوصف ملت
أسيئي بنبأ أو أحسني لا ملولة ... لدينا ولا نسلو إذا هي صدت
ولكن أنيلي واذكري من مودة ... لذي خلة كانت لديك فضلت
وكنا سلكنا في صعود من الهوى ... فلولا توافينا ثبت وزلت
وكنا شددنا عقدة الوصل بيننا ... فلما توافينا شددت وحلت
فإن سأل الواشون مم هجرتها ... فقل نفس حر سليت فتسلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت

قال: وكان الشيخ رسلان رضي الله عنه، يثبت في الهواء ويدور فيه دورات، ثم ينزل إلى الأرض يسيراً، يفعل ذلك مراراً، والحاضرون يشاهدون، فلما استقر على الأرض، أسند ظهره إلى شجرة تين في تلك الدار، وكانت قد يبست وقطعت الحمل من مدة، فأورقت واخضرت وأينعت، وحملت التين في تلك السنة، وكان حملها من أطيب تين دمشق.

سكن رضي الله عنه، دمشق، واستوطنها قديماً إلى أن مات بها مسناً، ودفن بظاهرها، وقبره ثمة ظاهر يزار، ولما حمل نعشه على أعناق الرجال، جاء طيور خضر، وعكفت على نعشه، ورأى الناس، فرساناً على خيول شهب، وقد أحدقوا بالجنازة، لم يروهم من قبل ولا من بعد رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو المحاسن يوسف بن إياس بن مرجان البعلبكي المقري. قال: سمعت الشيخ العارف أبا يونس عبد الله بن يونس المعروف بالأرمني، بجامع دمشق. قال: سمعت شيخ الشيوخ أبا الحسن عبد اللطيف ابن شيخ الشيوخ أبي البركات إسماعيل بن أحمد النيسابوري بدمشق، سنة ست وتسعين وخمسمائة. يقول: سمعت الشيخ رسلان الدمشقي رضي الله عنه، يقول: وقد ذكر الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، الشيخ عبد القادر من صدور شيوخ الحضرة، وأفراد الوجود، وقد نطق بالحكمة، سلمت إليه أحكام التصريف في كل قريب وبعيد من أهل زمانه في الأخذ والعطاء، والقبول والرد، وهو نائب رسول الله ﷺ، في هذا الوقت رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ أبو مدين شعيب المغربي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان مشايخ المغرب، وصدور المقربين، وعظماء العارفين، وأئمة المحققين، صاحب الكرامات الخارقة، والأفعال الظاهرة، والأحوال العزيزة، والمقامات العلية والهمم السامية، صاحب الفتح السني، والكشف الجلي، والحقائق النفيسة، والمعارف الجليلة. له التصدر في مراتب القرب، والتقدم في منازل القدس، والسبق في طرق الملكوت، والترقي في معارج الوصل، والتعالي في مدارج المعالي. والنظر الخارق في عوالم الغيب. وله القدم الراسخ في التمكين الموطد، والباع الطويل في التصريف النافذ، واليد البيضاء في أحكام الولاية، والقوة الشديدة في أحوال النهاية، والمظهر العظيم بخرق العوائد، وقلب الأعيان.

وهو أحد أوتاد المغرب، وأحد أركان هذا الشأن، وأجلاء أئمته البارعين، وساداته المحققين، وأعلام العلماء بأحكامها، وأولي الأيدي والأبصار بمناهجها.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في العالم، ومكنه في الأحوال، وملكه الأسرار، وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بفنون الحكم، وأجرى على لسانه لطائف الأسرار، وأوقع له القبول العظيم، والهيبة الوافرة في قلوب الخلق، وقصد بالزيارات من كل قطر، واشتهر ذكره في الآفاق شرقاً وغرباً، وهو أحد من جمع الله له بين علمي الشريعة والحقيقة، وأفتى ببلاد المغرب على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وناظر وأملى، وقصده طلبة العلم وأخذوا عنه، واجتمع عنده جماعة من الفقهاء والصلحاء، وانتفعوا بكلامه وصحبته، وانتهت إليه رئاسة هذا الشأن ببلاد المغرب. وتخرج بصحبته غير واحد من أكابر مشايخها، مثل الشيخ أبي محمد عبد الرحيم بن أحمد بن حجون المغربي، والشيخ القدوة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي، والشيخ أبي عبد الله القشتالي الفاسي، والشيخ القدوة أبي محمد صالح بن ويرجان الدكوالي، والشيخ أبي غانم سالم، والشيخ أبي علي واضح، والشيخ أبي الصبر أيوب المكنَّى سنين، والشيخ أبي محمد عبد الواحد، والشيخ أبي الربيع المظفرين، والشيخ أبي زيد بن هبة الله الورني، وغيرهم رضي الله عنهم. وتلمذ له جماعة من أهل الطريق.

وقال بإرادته جمٌّ غفير من أصحاب الأحوال، وانتمى إليه عالم عظيم من الصلحاء وأجمع العلماء والمشايخ على تعظيمه، واحترامه، واعترفوا بفضيلته، ورجعوا إلى قوله، وتادبوا بين يديه. وكان جميلاً ظريفاً، متواضعاً، زاهداً ورعاً، محققاً مشتملاً على أكرم الشيم، وأشرف الصفات، وأطيب الأخلاق، وأكمل الآداب، مع إقبال شديد على المجاهدة، وثبوت دائم على محافظة الأوقات، ومراعاة الأنفاس، والقيام بوظائف الشرع. وكان له كلام عالٍ نفيس على لسان أهل الحقائق، سطر عنه.

منه: الجمع ما أسقط تفرقتك، ومحا إشارتك، والوصول استغراق أوصافك، وتلاشي نعوتك، والغيرة أن لا تعرف ولا تعرف، وأغنى الأغنياء من أبدى له الحق حقيقة من حقه، وأفقر الفقراء ما ستر الحق حقه عنه، والخالي من الأنس والشوق فاقد المحبة، ومن خرج إلى الخلق قبل وجود حقيقة تدعوه إلى ذلك، فهو مفتون، ومن رأيته يدعو مع الله تعالى حالاً، لا يكون على ظاهره منه شاهد فأحذره، وإذا ظهر الحق لم يبق معه غيره، وليس للقلب سوى وجهة واحدة، فإلى أي وجهة توجه حجب عن غيرها، وإذا سكن خوف القلب أورثه المراقبة، ومن تحقق

بالعبودية نظر أفعاله بعين الرياء، وأحواله بعين الدعوى، وأقواله بعين الافتراء، وما وصل إلى صريح الحرية، من عليه من نفسه بقية.

ومنه: شاهد مشاهدته لك، ولا تشاهد مشاهدتك له، المقرب مسرور بقربه، والمحب معذب في حبه، والفقر أمارة على التوحيد، ودلالة على التفريد، والفقر أن لا يشهد سواه، والفقر نور ما دمت تسره، فإذا أظهرته ذهب نوره. ومن كان الأخذ أحب إليه من العطاء ما شمَّ رائحة الفقر، والإخلاص أن يغيب عنك الخلق في مشاهدة الحق. ومن نظر إلى المكونات نظر إرادة وشهوة، حجب عن الغيرة فيها والانتفاع بها. ومن عرف أحداً لم يعرف الأخذ والحق، ما بان عنه أحد من حيث العلم والقدرة، ولا اتصل به أحد من حيث الذات والصفات. ومن لم يستصلح للمعرفة، شغل برؤية الأعمال، ومن سمع منه بلغ عنه، والشهيد يشاهد ما له فيسر به، والميت يشاهد أعماله فتقلقه وتكربه، فهذا بالقبول والرد مخوف، وذاك بالرحمة والرضوان مبشر فسرف.

ومنه: الإخلاص ما خفي عن النفس درايته، وعلى الملك كتابته، وعلى الشيطان غوايته، وعلى الهوى إمالته، وعيش الأولياء في الدنيا عيش طيب، فأبدانهم تتمتع بأثره، وأرواحهم تتنعم بنظره، فالفقر فخر، والعلم غنم، والصمت نجاة، والإياس راحة، والقناعة غنى، والزهد عافية، ونسيان الحق خيانة، والاشتغال عنه دناءة، والحضور معه جنة، والغيبة عنه نار، والقرب منه لذة، والبعد عنه حسرة، والأنس به حياة، والاستيحاش منه موت، والخمول نعمة على العبد لو عرف شكرها، وطلب الإرادة قبل تصحيح التوبة غفلة. ومن قطع موصولاً بربه قطع به، ومن أشغل مشغولاً بقربه أدركه المقت، والمهل من الأعمال والأحوال، لا يصلح لبساط الحق تعالى. ومن دعائه رضي الله عنه، اللهم إن العلم عندك، وهو محجوب عني، ولا أعلم أمراً فأختاره لنفسي، فقد فوضت إليك أمري، ورجوتك لفاقتي وفقري، فأرشدني اللهم إلى أحب الأمور إليك، وأرضاها عندك، وأحمدها عاقبة، فإنك تفعل ما تشاء بقدرتك، إنك على كل شيء قدير. ومن شعره رضي الله عنه: [من البسيط]

يا من علا فرأى ما في الغيوب وما ... تحت الثرى وظلام الليل منسدل
أنت الغياث لمن ضاقت مذاهبه ... أنت الدليل لمن حارت به الحيل
إنا قصدناك والآمال وارثقة ... والكل يدعوك ملهوف ومبتهل
فإن عفوت فذو فضل وذو كرم ... وإن سطوت فأنت الحاكم العدل

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن يوسف بن أحمد القوصي. قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو بكر بن شافع بقنا. قال: أخبرنا شيخنا الشيخ الجليل أبو الحسن بن الصباغ. قال: أخبرنا شيخنا الشيخ القدوة أبو محمد عبد الرحيم بن أحمد بن حجون المغربي بقنا. قال: سمعت شيخنا أبا مدين رضي الله عنه، يقول: أوقفني ربي عز وجل بين يديه، وقال لي: شعيب، ماذا عن يمينك؟ قلت: يا رب عطاؤك، قال: وماذا عن شمالك؟ قلت: يا رب قضاؤك، قال: يا شعيب قد ضاعفت لك هذا، وغفرت لك هذا، طوبى لمن رآك، أو رأى من رآك. قال: وسمعته يقول: وعدني ربي تبارك وتعالى في كل أصحابي ومن أحبني خيراً كثيراً. قال: وقرأ مرة في الصلاة: ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾ [الإنسان:١٧]، فامتص شفتيه، فلما قضى صلاته قال: لما تلوتَ الآية سقيت من الكأس. قال: وقرأ مرة: ﴿إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار:١٤]. فقال: أشهدت مقام الفريقين.

أخبرنا الفقيه أبو العباس أحمد بن قريش بن إسحاق الخزرجي التلمساني. قال: سمعت شيخنا أبا محمد صالح الدوكالي رضي الله عنه، يقول: قامت الحرب بالمغرب مرة بين المسلمين والإفرنج في حياة شيخنا أبي مدين رضي الله عنه، وكان الإفرنج قد ظهروا فيها على المسلمين، فأخذ الشيخ سيفه وخرج إلى الصحراء، مع نفر يسير من أصحابه وأنا معهم، وجلس على كثيب من رمل، فإذا بين يديه خنازير قد ملأت البرية من كثرتهم، فوثب الشيخ حتى صار بينهم، واستلَّ سيفه، وعلا به رؤوس الخنازير حتى صرع منهم كثيراً، وولوا من بين يديه هاربين، ورجع، فسألناه.

فقال: هؤلاء الإفرنج قد خذلهم الله تعالى، فأرخنا ذلك الوقت، فجاء الخبر بكسر الإفرنج في الوقت الذي أرخناه، فلما قدم المجاهدون أكبوا على أقدام الشيخ يقبلونها، وأقسموا بالله أنه لو لم يكن معهم بين الصفين لهلكوا، وأخبروا أنه كان يعلو بسيفه رأس الفارس من الأفرنج فيصرعه وفرسه، وأنه قتل فيهم مقتلة عظيمة، وولوا مدبرين، وإنهم لم يروه بعد انقضاء الحرب. قال: وكان بين الشيخ وبين موضع القتال أكثر من شهر.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي منصور الداري. قال: أخبرنا الشيخ القدوة أبو الحجاج الأقصري بها. قال: سمعت شيخنا أبا محمد عبد الرزاق، قال: مرَّ شيخنا أبو مدين رضي الله عنه، في بعض قرى المغرب، فرأى أسداً قد افترس

حماراً، وهو يأكل فيه، وصاحبه بالبعد منه يندب بالويل من الفاقة، فجاء الشيخ ومسك بناصية الأسد، وقاده ذليلاً، ونادى صاحب الحمار: أقرب، فدنا حتى لصق بالأسد. فقال له الشيخ: امسك الأسد واذهب به واستعمله موضع حمارك، قال: يا سيدي إني أخاف منه، قال: لا تخف فإنه لا يستطيع أن يؤذيك، فمر الرجل وهو يقود الأسد والناس ينظرون، فلما كان آخر النهار أتى به إلى الشيخ، فقال: يا سيدي إني شديد الخوف منه، وإنه يتبعني أينما ذهبت، قال: لا بأس عليك، قال: ما هو إلا ذاك، فقال الشيخ للأسد اذهب، ومتى آذيتم بني آدم أسلطهم عليكم.

قال: وكان يوماً ماراً على الساحل، فتعرضه طائفة من الإفرنج، وحملوه معهم أسيراً إلى سفينة عظيمة لهم، فإذا فيها جماعة من المسلمين أسارى، فلما استقر الشيخ فيها مدوا قلوعها، وعولوا على المسير، فلم تذهب بهم السفينة يميناً ولا شمالاً، ولا تحركت من مكانها على قوة الريح، فلما أيقنوا أنهم لا يقدرون على المسير، وخافوا أن يدركهم المسلمون، قال بعضهم لبعض: هذا بسبب هذا المسلم ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى، يشيرون إلى الشيخ فأمروه بالنزول، فقال: لا أفعل إلا إن أطلقتم كل من في سفينتكم من المسلمين، فلما علموا أن لا بد لهم من ذلك فعلوا، وسارت بهم السفينة في الحال.

أخبرنا الفقيه الصالح أبو محمد عبد الله بن مسعود بن عمر السجلماسي. قال: أخبرنا الشيخ العالم أبو زكرياء يحيى بن محمد المعروف بالمعزي. قال: سمعت الشيخ القدوة أبا محمد صالح بن ويرجان الدوكالي رضي الله عنه، يقول: ورد الناس من المشرق على شيخنا الشيخ أبي مدين رضي الله عنه، فقالوا له: نشتهي عنباً، ولم يكن ذلك الوقت أوان العنب بالمغرب. قال لي الشيخ: يا صالح، اذهب إلى البستان وائتنا منه بعنب، فقلت: يا سيدي الآن خرجت منه، ولا عنب فيه. فقال: بلى، ها ترى فيه العنب، فأتيت البستان، فوجدت الدوالي مملوءة عنباً كحالها في وقت كثرته، ووالله لقد فارقته قبيل ذلك، ولا حبة عنب أراها فيه، فاحتملت منه شيئاً كثيراً،وأتيت به فأكلوا وأكلت معهم، وإذا هو بلا عجم، فقالوا: إنا كنا نشتهي العنب ونعلم أنه لا يطعمناه أحد بالمغرب إلا أنت.

أخبرنا الفقيه الفاضل أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم بن حجاج الفاسي. قال: سمعت الشيخ الجليل أبا الربيع سليمان بن عبد الوهاب المظفري. قال: كان شيخنا الشيخ أبو مدين رضي الله عنه، يوماً جالساً على الساحل يتوضأ، وفي إصبعه خاتم، فسقط في الماء، فقال: يا رب أريد خاتمي، فطلعت

سمكة في الحال، وفي فمها الخاتم، فأخذه. قال: وكان سائراً مرة وبيده مزود فيه سويق مذاب بماء، فسقط من يده فتكسر قطعاً، وتبدد السويق على الأرض، فوقف وقال: يا رب أريد مزودي بسويقه، فعاد المزود صحيحاً وفيه السويق. قال: وسافر يوماً مرة مع جماعة من أصحابه، فنزلوا منزلاً في صحراء، فلما كان الليل سمعوا صياحاً، وظنوا أنه ممن يؤذيهم، وفزعوا فقال لهم الشيخ: لا بأس، فاشتد هلعهم، وقالوا: وددنا لو كان عندنا ضوء نأنس إليه، وكانت ليلة شديدة الظلمة، فقام الشيخ إلى شجرة هناك، وصلى تحتها ركعتين، ودعا، فأضاءت الشجرة، حتى أشرق ذلك الموضع كله إشراقاً شديداً، وسكن روعهم، وما زالت الشجرة تضيء إلى أن أضاء الصباح.

أخبرنا الشيخ الأصيل أبو المعالي فضل الله، ابن الشيخ الصالح العارف أبي إسحاق إبراهيم، ابن الشيخ الصالح الفاضل أبي العباس أحمد بن محمد الأنصاري التلمساني. قال: أخبرني أبي رحمه الله تعالى، قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا مدين رضي الله عنه، يحكي في مجلسه، وكان محفوفاً بالنور والبهاء والوقار والسناء، والملائكة والأولياء. قال: قال الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي رحمه الله تعالى. قال: دخل الشيخ الفاضل أبو العباس أحمد بن رسلان القرشي التلمساني، الواعظ، على الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي الجبنياني، بجبنيانة يزوره، وقال له: ادع لي، فقال له: يا أحمد أراك الله تعالى موضع الشح من نفسك، وكان أبو العباس كثير العطاء، ومن أكرم الناس، فانصرف وقال في نفسه، لو لم يعلم الشيخ مني شحاً لما قال ذلك، فجاء فجلس على دكة مزين ليحلق رأسه، فلما فرغ من حلقه، أتاه رجل بمائة دينار، فأعطاها أبو العباس للمزين، وقال: إنها مائة دينار، فقال له المزين: هذا مكان الشح الذي ذكره لك الشيخ أبو إسحاق، فقال له: أخبرني عنه، فقال الشح عندهم أن يفرق بين الدانق والمائة دينار، ولو لم يكن في نفسك شح لما نبهتني عليه. قال: فذهب وجلس في بيته سنة لا يكلم أحداً، ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة، فاجتمع الناس على بابه يسألونه أن يتكلم عليهم، فامتنع، فلما ألزموه خرج، فوافى عصافير على سدرة في الدار، فلما رأوه فروا منه، فرجع وقال: لو صلحت للحديث عليكم لم تفر مني الطيور، لأن من تحقق فيه خوف الله تعالى أمن منه كل شيء، ثم رجع وجلس في البيت سنة، ثم خرج، فلم تفر منه الطيور، فتكلم على الناس. قال: فلم يتم كلام الشيخ أبي مدين رضي الله عنه، حتى جاءت طيور، ودارت حوله، وعكفت عليه، فلما رأى الناس أن الطيور قد عكفت عليه، تواجدوا، وتواجد الشيخ أيضاً، وأنشد يقول:

توجع ممراض وخوف مطالب وإشفاق مهموم وحـزن كئيب
ولوعة مشتاق وزفـرة والـه وسـقطة مسـقام بغـير طبيب
وفكرة جـوال وفطنة غائـص ليأخذ من طيب الكـرام بنصيب
ألمت بقلب حيرته طـوارق من الشـوق حتى ذل ذلَّ غـريب
يكاتم أشجاناً ويخفي محبة ثوت واستكنت في فؤاد رحيب

قال: فماج المجلس، وضج أهله، وما زال طائر من تلك الطيور يصفق بجناحيه حتى سقط ميتاً، ومات رجلاً ممن كان حاضراً.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن يوسف بن أحمد القوصي. قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر بن محمد بن شافع بقنا. قال: أخبرنا الشيخ أبو الحسن بن الصباغ، قال: أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الرحيم بن أحمد. قال: سمعت الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد بن حجاج الغزالي المغربي. يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا مدين رضي الله عنه، يقول في مجلسه: كل بدل في قبضة العارف، لأن ملك البدل من السماء إلى الأرض، وملك العارف من العرش إلى الفرش، وما مناقب الأبدال في مناقب العارفين إلا كلمحة بارق خاطف، وما درجة المعرفة إلا استقراب إلى حضرة الربوبية، واستدناء من مجالس القدس. ثم قال: التوحيد سر أحاط أمره بالكونين.

قال: فلما كان الليل كشف لي، وإذا أنا بالشيخ أبي مدين رضي الله عنه، والشيخ أبي حامد الغزالي، والشيخ أبي طالب المكي، والشيخ أبي يزيد البسطامي، والشيخ أبي عبد الرحمن السلمي، وجماعة من الصوفية، والأبدال. فقالوا للشيخ أبي مدين: أخبرنا عن حقيقة سرك في توحيدك.

فقال: سري مسرور بأسرار تستمد من البحار الإلهية، التي لا ينبغي بثها لغيرأهلها. إذ الإشارة تعجز عن وصفها، وأبت الغيرة إلا سترها، هي أسرار محيطة بالوجود، لا يدركها إلا من كان وطنه مفقوداً، أو كان في عالم الحقيقة بسره موجوداً، يتقلب في الحياة الأبدية، وهو بسره طائر في فضاء الملكوت، ويسرح في سرداقات الجبروت، قد تخلق بالأسماء والصفات، وفني عنها بمشاهدة الذات. هنالك قراري، ووطني، وقرة عني، ومسكني، والحق عز وجل في غنى عن الكل، قد أظهر في وجودي بدائع قدرته، وأقبل علي بالحفظ والتوفيق، وكشف لي عن مكنون التحقيق. فحياتي قائمة بالوحدانية، وإشاراتي إلى الفردانية، فروحي راسخ في الغيب، يقول لي: مالك يا شعيب، كل يوم جديد على العبيد، ولدينا مزيد. فقالوا: يا أبا مدين زادك الله من أنواره.

قال: فلما أصبحت أتيت الشيخ أبا مدين، وذكرت له الواقعة، فأقرني عليها، ولم ينكر عليَّ منها شيئاً. وبه إلى الغزالي، قال: ذكر شيخنا أبو مدين في مجلسه كيد الشيطان، فلما كان الليل، كشف لي عن شخص من نور يقول لي: يا هذا، أما كيد الشيطان أبا مدين فكرجل كاد رجلاً، فأهلك نفسه، ولن يشعر، وأما كيده عبد الرزاق، تلميذ أبي مدين، فكرجل بال في البحر لينجسه، وأما كيده العامة، فكالإمام العادل في رعيته، يحبهم، ويحبونه. ثم رأيت جمعاً عظيماً من مشايخ المغرب وصلحائه، وبأيديهم سرج تتقد، ورأيت الشيخ أبا مدين وأصحابه خلفه، وتلميذه عبد الرزاق بين يديه، وبيده شمعة عظيمة تتقد، وفيها ثلم، فقلت لرجل: ما هذا الثلم؟ فقال: كل ما ترى من هذه الشموع مع هؤلاء، هو من هذا الثلم. ثم جئنا معه إلى باب عظيم سعته مثل ما بين المشرق والمغرب، وعليه جمع عظيم من الأبدال والصوفية، فسألت الشيخ أبا مدين عن الباب. فقال: هو باب الأبدال، ونحن عليه حجَّاب، فمن راعاه طالبناه، فإذا تكلم ميزناه. ثم تقدم الشيخ ودخله، ودخل الكل بعده، فإذا نحن ببحر عظيم من نور وعليه سفينة من نور. فقال الشيخ: هذا بحر الوصول، وهذه سفينة المأمول، ثم قال: اركبوا فيها، بسم الله مجراها، ومرساها، إلى ربك منتهاها، سيروا فيها برياح الشوق، بين أمواج الفكر، إلى ساحل الذكر، فإذا بدا فخروا لله سجداً. ثم قال: في مثل هذه الأسفار تقتبس الأنوار، وتستفاد العلوم والأسرار.

قال: فلما أصبحت، أتيت الشيخ أبا مدين، وذكرت له هذه الواقعة، فأقرني عليها، ولم ينكر عليَّ في شيء منها. وبه إلى الغزالي قال: ذكر شيخنا الشيخ أبو مدين رضي الله عنه، في مجلسه، موسى الكليم صلى الله على نبينا وعليه، وأطال في وصفه، فلما كان الليل رأيت في المنام باباً مفتوحاً، وموسى عليه السلام جالساً فيه، وهو يقول: يا أبا مدين، أخذت من العلوم أعلاها، ومن المعارف أرفعها، وأضفت إلى باريها، وحزت الولاية بسرها، فطاب لك أمرها، وكان ذلك لك مرتعاً، حتى نلت منه مرتفقاً، وصرت للفكر جليساً، حتى صار لك الحق أنيساً، فبتنزيهك له بالعلم أدناك، وبذكرك له بالمعرفة قربك، فالناس يتمتعون بالشهوات، والأكوان، وأنت تتمتع بمشاهدة الرحمن. ثم سمعت الملائكة في السماوات يقولون: سبوح قدوس، رب الملائكة والروح. ثم انفتح الباب، فإذا بموسى عليه السلام معي في الأرض، فتعجبت، فقال لي: مم تتعجب؟ هذا أبو مدين يقطع من العرش إلى الكرسي في لحظة واحدة. قال: فلما أصبحت أتيت الشيخ أبا مدين وقصصت عليه الرؤيا.

أخبرنا الشيخ الصالح الفقيه العالم أبو الفضل سعدان بن مواهب بن عبد الصمد الربعي الأسفاري. قال: سمعت الشيخ العارف أبا الحجاج الأقصري بها. قال: سمعت شيخنا أبا محمد عبد الرزاق، قال: لقيت أبا العباس الخضر عليه السلام، بقنا في المغرب سنة ثمانين وخمسمائة، فسألته عن شيخنا أبي مدين رضي الله عنه،فقال: هو إمام الصديقين في هذا الوقت، وسره من الإرادة، ذاك أتاه الله مفتاحاً من السر المصون، بحجاب القدس ما في هذه الساعة أجمع لأسرار المرسلين منه. قال: ثم مات الشيخ أبو مدين بعد ذلك بيسير، وهو أبو مدين شعيب بن الحسن المغربي.

سكن بلاد المغرب، وكان أمر أمير المؤمنين بإشخاصه إليه ليتبرك به، فلما وصل إلى تلمسان قال: ما لنا والسلطان، الليلة نزور الإخوان، ثم نزل واستقبل القبلة، وتشهد. ثم قال: ها قد جئت، وعجلت إليك رب لترضى، ومات، فدفن بجبانة العباد بها، وقد ناهز الثمانين. وقبره ثمَّ ظاهر يزار رضي الله عنه. أنشدنا الفقيه أبو الحجاج يوسف ابن الفقيه أبي الحسن علي بن أحمد الخزرجي التلمساني. قال: أنشدنا أبي رحمه الله تعالى، قال: أنشدنا بعض أصحابنا العلماء الصلحاء من أهل المغرب لنفسه، يمدح الشيخ أبا مدين رضي الله عنه، فقال:

تبدت لنا أعلام علم الهدى صدقا ... فصار بشمس الدين مغربنا شرقا
وأشرق منها كل ما كان آفلاً ... وأصبح نور السعد قد ملأ الأفقا
سقى الله من ماء المحبة وابلاً ... قلوباً به هامت فقل كيف لا تسقى
لقد زهدوا فيما سواه فأصبحت ... نفوسهم طرأتنادي الدُّنا سحقا
لقد غرقوا في بحر حب إلا ههم ... فناهيك من بحر وناهيك من غرقى
إذا ما سرت للسر أسرار شوقهم ... لسيدهم زادوا لرؤيته شوقا
قلوب سرت نحو الهدى بمعسكر ... فعادت سهام الحب ترشقها رشقا
وجاء من التوحيد جيش عرمرم ... فأفنى الذي يفني وأبقى الذي يبقى
هم القوم لا يشقى بعيد جليسهم ... وهل أحد يحظى بقربهم يشقى
أبا مدين دانت لدينك عصبة ... فواليتهم حباً وأدنيتهم رفقا
لك الله يا شمساً أضاء بنورها ... من الدين ما قد كان أظلم إذ رقا
سقيت قلوباً طالما شفها الظما ... فأمطرتها من ماء علم الهدى ودقا
فأحييت منها كل ما كان ميتاً ... ورقيت منها كل ما كان لا يرقى
فأخرجتها من كل جهل وظلمة ... فمهما دجا ليل ألحت له برقا

وأدخلتها حصن التوكل فانثنت ... وأمسكها ذو العز بالعروة الوثقى
شفيت بعلم يا شعيب قلوبنا ... فاسمك من شعب القلوب قد اشتقا
وقد كان سلطان الهوى قاد أنفسنا ... وأوسعها ذلاً وعبدها رقا
فاعتقها من رقة بتلطف ... فجوزيت من خير منحت الورى عتقا
فإذا استبقت بالعارفين خيولهم ... فخيلك التوحيد قد حازت السبقا
وإن ركبوا نحو المعارف مركباً ... ركبت إليها في بحار الهوى عشقا
سموت بنور الله عن كل ناظر ... فصرت ترى في الغيب ما لا ترى الزرقا
فانت إمام العارفين ونورهم ... وما نطقهم مهما أردت بهم نطقا
عليك سلام الله ما ذر شارق ... وما سبحت شجواً لسيدها ورقا
وصلٌ على المختار من آل هاشم ... كما جاء بالحق الذي أظهر الحقا

أخبرنا أبو محمد بن مسعود السلجماسي، قال: أخبرنا القدوة أبو زكرياء يحيى بن محمد المغربي. قال: سمعت شيخنا الشيخ القدوة أبا محمد صالح الدوكالي. يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا مدين رضي الله عنه، في سنة ستين وخمسمائة، يقول: لقيت أبا عباس الخضر عليه السلام، منذ ثلاثة أعوام، فسألته عن مشايخ المشرق والمغرب في عصرنا هذا، وسألته عن الشيخ عبد القادر الجيلي، فقال: هو إمام الصديقين، وحجة على العارفين، وهو روح في المعرفة، وشانه الغربة بين الأولياء، ولم يبق بينه وبين الخلق إلا نفس واحد، ومراتب الأولياء كلها من وراء ذلك النفس، وأنا أصرف مراتب الأولياء من وراء إشارته. قال: وما سمعته قال مثل هذا في حق غيره رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ أبو محمد عبد الرحيم المغربي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أجلاء مشايخ مصر المشهورين، وعظماء العارفين المذكورين، صاحب الكرامات الخارقة، والأنفاس الصادقة، والأفعال الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والحقائق السنية، والمعارف الجلية. صاحب المقام المرموق، والفتح المأنوق، والكشف الجلي، والقدر العلي. له المحل الأرفع من مراتب القرب، والمجلس المصدر في منازل القدس، والمورد العذب من مناهل الوصل، واليد البيضاء في العلم، بتفاصيل معارف القلوب، في مشاهد الغيوب، والباع الطويل في التصريف بأحكام الولاية، والقدم الراسخ في التمكين بأحوال النهاية، والبصيرة الثاقبة لحجب الأكوان، والسريرة السائرة في طرق الملكوت.

وهو أحد من جمع الله له عز وجل بين علمي الشريعة والحقيقة، وآتاه كثيراً

من معرفة الكتاب، والحكمة، ومفتاحاً من علم السر المصون. وكان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: شهدنا بما شاهدنا، ويل لمن كذب على الله. وكان يقول: أدركت جميع صفات الله إلا صفة السمع. وكان يقول: المتكلمون مذبذبون حول الحق.

وهو أحد من أظهره الله تعالى للوجود، وقلب له الأعيان، وخرق له العوائد، وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بالحكم، وجلى على لسانه عرائس الأزل، وكشف له عن مخفيات الأسرار، وأوقع له القبول التام، والهيبة الوافرة في الصدور.

وهو أحد أركان هذا الشأن، وأوتاد هذه الطريق، وأئمة ساداتها، وأعلام العلماء بأحكامها، وصدور القادة إليها، علماً وعملاً، وحالاً وتحقيقاً، وجلالة ومهابة، ورئاسة مع لزوم قانون المجاهدة، وحفظ مراعاة الأوقات، ومراقبة الأحوال، وعد الأنفاس. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن، وغدق به الأمر في تربية المريدين الصادقين، في وقته، ببلاد مصر. وبصحبته تخرج الشيخ القدوة أبو الحسن بن الصباغ رضي الله عنه. وتلمذ له غير واحد من أهل الطريق. وانتمى إليه جمٌّ غفير من أصحاب الأحوال. وانعقد عليه إجماع العلماء والمشايخ، بالتبجيل والاحترام، واعترفوا بمكانته، وأبرزوا عدالته، وانتهوا إلى قوله، وقصد بالزيارات من كل أفق، واشتهر ذكره في الشرق والغرب. وكان جميلاً ظريفاً، متواضعاً متأدباً، شريف الصفات، لطيف المعاني. وكان له كلام جليل على لسان أهل الحقيقة.

منه: قطع العلائق محو الفقد، وظهور العقد، بعدم الالتفات إلى السوى، وثقة القلب بترتيب القدر السابق، والتجريد نسيان الزمانين حكماً، والذهول عن الكونين حالاً، وغض البصر عن الأين وقتاً، حتى تنقلب الأكوان باطناً لظاهر، ومتحركاً لساكن، فيسكن القلب بتمكين القدر، على قطع الحكم والابتهاج، بمنفسحات الموارد، وانشراح الصدور، بصور الأكوان، مع ثبوت المقام بعد التكوين، ورسوخ التمكين، فتكون السماء له رداء، والأرض بساطاً، والهيبة في القلب لعظمة الله تعالى، طمس أبصار البصائر لمشاهدته، ومشاهدته لمن سواه حسناً، فلا يرى إلا بأنوار الجلال، ولا يرى إلا بسواطع الجمال، والرضا سكون القلب تحت مجاري الأقدار، ينفي التفرقة حالاً، وعلم التوحيد جمعاً، فيشهد القدرة بالقادر، والأمر بالآمر، وذلك يلزمه في كل حال من الأحوال، والتمكين شهود العلم كشفاً، ورجوع الأحوال إليه قهراً، والتصرف بالقادح حكماً، وكمال الأمر شرعاً، والجوع صفاء الأسرار في استغراق الأذكار، والشوق الاستغراق في

مبادىء الذكر طرباً، ثم الغيبة في توسط الذكر سكراً، ثم الحضور في أواخر الذكر صحواً، فهو بين استغراق يهيجه، وغيبة تزعجه، وحضور ينعشه. وثلث وقت المشتاق استغراق، وثلثه غيبة، وثلثه حضور. والحياة أن يحيا القلب بنور الكشف، فيدرك سر الحق، الذي برزت به الأكوان، في اختلاف أطوارها، فكيف هي حية بالله تعالى، ويخاطبه بأسرار معانيها، وألطاف مبانيها. والتبري من الحول والقوة، ذهاب الخواطر من المحل عليه، وفناء الأكوان في امتزاج الأنفاس، غيبة، ويفيد صاحبه أن يحفظ الله عليه حاله، ويرقى في كل لحظة مقامه، فلا يبرز في الملك والملكوت حركة، ولا سكون، ولا اختلاف طور بحكم، إلا وله فيه زيادة نورية، وحقيقة إيمانية، ونمو مقام، فلا يتكدر عليه حاله، ولا يختلف عليه وجده، فإن ظهرت عليه القدرة أخفته، وإن بطنت فيه أظهرته، فرؤيته غيبية، وحضوره بطونة.

والمصافاة بالأسرار: أن لا يسمع آية إلا من مخاطب في سره، يسر المراد في العمل، وتتنوع له الأفهام باختلاف المقامات في العمل، فهو يرتع في رياض الأسرار، ويصافي بخالص الأنوار، ويتجلى له الحكم في أنوار الجمال، يهدى إليه ذواتها، ويمنحه هباتها.

والواصل: ألقى السمع للإصغاء، وفتح البصيرة للنظر، فتنقلب حروف الأكوان، في سر استماعه نذيراً، وحكماً، ومواعظ، فهو في رياض التدبير، بين حدائق المواعظ الناطقة والصامتة، وأزهار الحكم الباطنة والظاهرة.

والتقوى: أن لا يظهر على محله حركة، إلا وهي منوطة بحبل العلم، مع غيبته عن حركته، فإن تكن باطنة، ففي باطن العلم حكمها، وإن تكن ظاهرة، ففي ظاهر العلم وجودها، مع طهارة القلب، وتسليم النفس، ومبادرة الوقت، وإذا صح هذا الوصف للعبد أتاه اللّه عز وجل العلم اللدني، وفتح له باب الإلهام الوحيي، فيحدث روحه بأسرار الملكوت.

والتحقيق: الاستغراق في الأنوار الغيبية، فيرى قلبه مشكاة دائمة الأنوار، فيدرك به حقيقة النفس، وكيف رتب الله تعالى وضعها، والناس في ذلك على قسمين: متمكن أمكن، ومتمكن غير أمكن.

فالأول: هو الذي يجد العبارة العلمية منوطة بلطيف الحال، مفصحة للتبليغ، بشرط التلقي.

والثاني: هو الذي يدرك ذلك كشفاً، ويمتنع منه عبارة، فهو غير مبلغ له حقيقة ما أدركه من لطيف الأنوار، وخفي الأسرار.

والكشف: بروز الأفعال والأحوال على القسطاس الصديقي، والصراط الحنيفي، وكذلك الأكوان، تبرز له حقائقها على الوضع الأول، من غير إشارة لتمثيل، ولا تلويح لتحويل، بل بروز التشكيل، وهي تظهر له على اثني عشر قسماً، صنوان، وغير صنوان، لشموس المعارف، ولطائف العوارف، ويشهد في ذلك ما له قبل الانفصال والاتصال.

والذكر: اضمحلال الذاكر، برؤية المذكور، حتى يبقى محقاً في عين المحو، وسكراً في سر الصحو، قال الله تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ [الكهف: ٢٤]، معناه أنك ذاكر، فنسيانك ذكر، وغيبتك عن النسيان شهود المذكور، وهو المعبر عنه بذكر الذاكر، وأما من قال: إذا نسيت من سواه، فاذكره، فهذا لا يصلح إلا للغافلين، لا للمحققين. وهذه المقامات كلها نتائج اتباع الكتاب والسنة بحسن الأدب، ومن لا اتباع له للشرع، فلا شيء له من هذه المقامات، ولا الأحوال.

أخبرنا الفقيه أبو الفضل سعدان بن مواهب الإسنائي. قال: سمعت شيخنا الإمام مجد الدين أبا الحسن علي بن وهب بن مطيع القشيري بقوص. قال: سمعت شيخنا أبا الحسن بن الصباغ بقنا. قال: حضر شيخنا الشيخ أبو محمد عبد الرحيم رضي الله عنه، سماعاً بقنا، وفيه جماعة من المشايخ والعلماء، فأنشد القوال:

كم آية فيك قد أمسيت أخفيها ... خوف العدا ودموع العين تبديها
وزهرة بات شوقي طول ليلته ... إليك ينشرها عوداً ويطويها
فارحم تقلقل قلب حشوه حرق ... تخبو الجحيم ولا تخبو تلظيها
فليس في بدني عضو وجارحة ... إلا وحبك فيها قبل ما فيها

فطاب الشيخ والحاضرون، ثم أنشد القوال أيضاً:

سروري أن أراك وأن تراني ... وأن يدنو مكانك من مكاني
وعيشي في لقائك كل يوم ... وحسبي ذاك من كل الأماني
لئن واصلتني وأردت قربي ... وحقك ما أبالي بمن جفاني

قال: فتداخل الشيخ أمر عظيم، وقال للقوال: أعده، فتداخل القوال فترة في ذلك. فقال له الشيخ: اسكت، فلم يقدر على النطق، ومكث كذلك أياماً. ثم جاء إلى الشيخ معتذراً مستغفراً، فقال له الشيخ: اتل شيئاً من القرآن، فقرأ عند الشيخ ما شاء الله أن يقرأ، وانصرف مسروراً، فكان إذا أراد أن يقرأ القرآن قرأ، وإذا

أراد أن يقول شيئاً من الشعر، وغيره، لم يقدر على النطق، فأتى إلى الشيخ مستغيثاً. فقال له: اذهب فتكلم، فانصرف الرجل منطلق اللسان، كحاله أولاً.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو يونس عبد الله بن فضل الله بن أحمد السعدي الأقصري. قال: سمعت شيخنا أبا الحجاج الأقصري رضي الله عنه. يقول: اجتمع بمصر الشيخان عبد الرحيم، وعبد الرزاق رضي الله عنهما، فأطرق الشيخ عبد الرحيم ملياً، ثم قال لعبد الرزاق: يا أخي إني نظرت في اللوح المحفوظ، فرأيت فيه حضوراً أجل بدل من الأبدال في بيت المقدس في هذه الساعة، وقد أمرت أن أحضر وفاته. فقاما، وأتيا بيت المقدس في وقتهما ذلك، وحضرا موت البدل وجهازه ودفنه، وعادا إلى مصر بقية يومهما ذلك. فقال الشيخ عبد الرحيم لعبد الرزاق: اذهب، فإن الله عز وجل قد وهب مقام البدل شيخاً في سفينة في النيل، وقد أمرت أن آتي به، فذهبا إلى شاطىء النيل، فإذا تلك السفينة جارية في الشاطىء الآخر، فأخذ الشيخ عبد الرحيم عصاً، وغرسها في الأرض، فوقفت السفينة لا تذهب يميناً ولا شمالاً، فمر الشيخ عبد الرحيم على الماء حتى وقف على السفينة، ونادى باسم الرجل فأجابه. فلما قرب منه، أخذ بيده، ومشى على الماء إلى الشاطىء الآخر، ونزع الشيخ بيده تلك العصا، فسارت السفينة. ثم ساروا ثلاثتهم إلى بيت المقدس، فصلوا فيه صلاة المغرب من يومهم ذلك، وجلس الرجل في مقام البيت، ووهبه الله عز وجل مثل حاله ومقامه.

أخبرنا الشيخ الفقيه العالم أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الله المصري المؤذن. قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو سعد الخير عبد الرحيم، ابن الشيخ الجليل العالم أبي إسحاق بن أبي طاهر، إبراهيم بن نجا الأنصاري الحنبلي الضرير، بمصر. قال: سمعت والدي رحمه الله تعالى، يقول: كان رجل من أهل مصر له حال فاخر، وكشف صافٍ، وقدم ثابت، فتوارى عنه ذلك كله، فأتى إلى الشيخ عبد الرحيم رضي الله عنه، فوافاه جالساً، يتوضأ في إناء. فقال له: يا سيدي، قد جئتك قاصداً، وكان لي حال مع الله عز وجل، وقد فقدته كله. فقال له الشيخ: اشرب ما في هذا الإناء، يعني ماء وضوئه، فشربه، فوجد حاله كله في الحال.

قال: ووقف النيل في بعض السنين، فلم يطلع قليلاً، ولا كثيراً، وفات وقت زيادته، واجتمع إليه أهل قنا يسألونه الاستسقاء، فأتى إلى النيل، وركب في السفينة فيه إلى الجانب الآخر، وجعل يدعو بالبركة، وإرسال الغيث، فلم يتم نهاره حتى زاد النيل، وبلغ حده، وعم الناس نفعه.

أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي رضي الله عنه. قال: أخبرنا الشيخ الصالح أبو العباس أحمد ابن الشيخ أبي الثناء حامد بن أحمد الأنصاري الأرياحي. قال: سمعت الشيخ الإمام أبا إسحاق إبراهيم بن مزبيل رضي الله عنه، بمصر. يقول: حكى لنا بعض أصحابنا الصلحاء. قال: كانت عندي ويبة من بر، وكان لي عيال كثير، فأتيت إلى الشيخ عبد الرحيم رضي الله عنه بقنا، وشكوت له كثرة العيال والفاقة، فأخرج لي قدحاً من بر، وقال: اخلطه ببرك، واطحن ولا تأكل ففعلت، وكانت زوجتي تطحن من ذلك البر كل يوم قدحين. فمكثنا كذلك أربعة أشهر، ثم أعلمت زوجتي به جيرانها فنفد. فقال ابن مزبيل رحمه الله تعالى، وسمعت الشيخ أبا عبد الله محمد بن أحمد القرشي، يقول غير مرة: نور الشيخ عبد الرحيم غلب على أنوار جميع أصحاب الأحوال من أهل الديار المصرية في وقته، رضي الله عنه. وهو أبو محمد عبد الرحيم، بن أحمد بن حجون، بن أحمد بن محمد بن جعفر بن إسماعيل بن جعفر الزكي، بن محمد بن المأمون، بن حسين بن محمد، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

سكن قنا بلدة مشهورة من صعيد مصر الأعلى، وهي إلى الآن معروفة بالمشايخ، محفوظة من جميع البدع والمنكرات، ببركتهم. واستوطنها، وبها مات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة. ولد بها وقد علت سنه على السبعين، وقبره بها ظاهر يزار. وأصله من بلاد المغرب، وأظنه ولد بها، ولما مات روي أن بعض المشايخ ببلاد المغرب، كان يقوم ويقعد، ويخرج ويدخل، وظهر عليه الانزعاج والاحتفال، فقيل له في ذلك، فقال: مات بالمشرق رجل مفرد في قطره، اسمه عبد الرحيم، لو مكثت جثته على الأرض ثلاثة أيام، لكان كل من رآه نطق بالحكمة.

وأخبرنا الشيخ الإمام تقي الدين أبو عبد الله محمد، ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب القشيري. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى، يقول: زرت مع الشيخ أبي الحجاج الأقصري رضي الله عنه، قبر الشيخ عبد الرحيم بجبانة قنا، فلما وقفنا على قبره خرج من القبر نور كهيئة دارة الشمس، وجاءت حتى لابست الشيخ أبا الحجاج. قال: فكنت أقول أنا: إنها روح الشيخ رضي الله عنه. وسمعت الشيخ الصالح أبا الفتح نصر الله بن منصور بن أحمد

القرشي المكي، يقول: زرت جبانة قنا في سنة أربعين وستمائة، وقت الظهيرة، ولم يكن ثم غيري، فرأيت أنواراً خرجت من قبر الشيخ عبد الرحيم، ومن قبر الشيخ أبي الحسن بن الصباغ، حتى توارى عني نور الشمس، لشدة ضياء تلك الأنوار. وسمعت قائلاً يقول من قبر الشيخ أبي الحسن: الله نور السموات والأرض. ثم سمعت قائلاً يقول من قبر الشيخ عبد الرحيم: نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء. قال: فخررت مغشياً عليَّ.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو يونس عبد الله بن فضل الله، بن أحمد السعدي الأقصري. قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا الحجاج الأقصري بها. يقول: سمعت شيخنا عبد الرزاق، يقول: ذكر يوماً المشايخ والسلف، فقال الشيخ عبد الرحيم: الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، أحد أعيان الدنيا، وخير أهل الأرض، وأوتاد الوجود، وسلم الشهود، رضي الله عنهم، ونفعنا بهم.

الشيخ أبو عمرو عثمان بن مرزوق البطايحي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر المشايخ بالبطايح، وأعيان العارفين. صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات العلية. صاحب الفتح المونق، والكشف المشرق. له البدايات التي عز مثلها، والنهايات التي علا محلها، والحقائق السامية، والمعارف العالية. وله الطور الأرفع في التمكين، والمحل الأسنى في التصريف، واليد البيضاء في علوم الأحوال، والباع الرحيب في أسرار المشاهدات، والقدم الراسخ في مقامات الوصول.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في العالم، وملكه الأسرار، وخرق له العادات، وأنطقه بالمغيبات، وأظهر على يديه العجائب، وملأ الصدور من هيبته، والقلوب من محبته، وسارت الركبان إلى الآفاق بمناقبه ومآثره. وكان المشايخ بالعراق يعظمون قدره، ويشيرون إليه بالتبجيل والاحترام، ويروون كراماته ومجاهداته. وكان متأدباً متواضعاً، محباً لأهل العلم، زاهداً ورعاً، منقطعاً عن الناس، شريف الأخلاق، جميل الصفات، ولم يبلغنا من كلامه في المعارف إلا يسير.

ومنه: الإيمان الإقرار بالتوحيد، حلاوته تحت ألسنة الموحدين، وعقده في قلوب الصادقين، ومعرفته في أسرار العارفين، وإذا انفتح القلب للنظر في القدرة، تحرك اللسان بذكر الوحدانية، فإن نظر العارف إلى الفؤاد، توقدت فيه نيران الأشواق، وأضاءت فيه أنوار المعارف.

ومنه: قلوب الأولياء أوعية للمعرفة، وقلوب العارفين أوعية للمحبة، وقلوب المحبين أوعية للشوق، وقلوب المشتاقين أوعية للأنس، وقلوب المستأنسين أوعية للمشاهدة، وقلوب المشاهدين أوعية للفرائد الإلهية. ولكل حال من هذه الأحوال آداب، فمن لم يستعملها في أوقاتها هلك من حيث يرجو النجاة.

ومنه: الغافلون يعيشون في حكم الله، والذاكرون يعيشون في روح الله، والعارفون يعيشون في لطف الله، والصادقون يعيشون في قرب الله، والمحبون يعيشون على بساط أنس الله، فيطعمهم، ويسقيهم.

ومنه: المحبة بحر بلا شاطىء، وليل بلا آخر، وهم بلا فرح، وعلة بلا طبيب، وبلاء بلا صبر، ومراقبة بلا محافظة، وذكر بلا نسيان، وشغل بلا فراغ، ونصب بلا راحة، ووجد بلا هدوء، وشوق بلا قرار، وأسقام بلا شفاء، إلا باللقاء.

والحب: شغف، بدايته الأسف، وغايته الدنف، ونهايته التلف، من ذاقه عرفه، ومن عرفه ألفه، ومن ألفه وصفه.

والمحبون: قائمون مع الله عز وجل على قدم واحد، إن تقدموا غرقوا، وإن تأخروا حجبوا، ثم أنشد: [من الطويل]

ولما رأيت الحب قد شد جسره ونودي بالعشاق قوموا بنا فاسروا
خرجت مع الأحباب كيما أحوزه فبادرني الحرمان وانقطع الجسر
وماجت بي الأمواج من كل جانب ونادى منادي الحب قد غرق الصبر

أخبرنا أبو الفرج عبد الملك بن محمد بن عبد المحمود الربعي الواسطي. قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الهمامي الفقيه الشافعي بواسط. قال: سمعت الشيخ العارف أبا حفص عمر بن مصدق الربعي الواسطي بها. يقول: مكث الشيخ عمرو بن عثمان بن مرزوق في بدايته، سائحاً في البطايح، إحدى عشرة سنة، لا يود فيها أحداً، ولا يأوي إلى سكن ولا يأكل إلا من المباح، وكان رجل يأتيه في أول كل سنة بجبة صوف يلبسها، ثم لا يرفعها ولا يخلعها إلى آخر تلك السنة. فبينما هو ليلة يتهجد إذ طرقته منازلة من جانب الأزل وبدت له أنوار تجلي كمال الجلال، فوقف مكانه شاخصاً إلى السماء سبع سنين، لا يأكل ولا يشرب، ولا يحس. ثم رجع إلى أحكام بشريته، فقيل له: اذهب إلى قريتك، وطىء زوجتك، فإن في ظهرك ولداً، وقد آن وقت ظهوره، فأتى إلى قريته، وطرق باب داره، وكلمته زوجته، فأخبرها بالسبب الذي جاء فيه، فقالت له: أخاف إن فعلت، وعدت إلى مكانك من ليلتك، ولم يعلم بك أحد،

ليتحدثن الناس بي، فصعد إلى سطح الدار، ونادى بأعلى صوته، يا أهل القرية، أنا عثمان بن مرزوق، اركبوا فإني سأركب، فأبلغ الله عز وجل صوته أهل القرية، وأفهمهم مراده، فمن وطىء زوجته من أهل تلك القرية في تلك الليلة، رزقه الله تعالى ولداً صالحاً. ثم اغتسل الشيخ عثمان ورجع إلى مكانه بالبطيحة، ووقف شاخصاً إلى السماء سبع سنين أخرى كحاله أولاً، وطال شعره حتى ستر عورته، ونبت حوله العشب، وألفته السباع والوحوش، وعكفت عليه الطيور. ثم ردَّ إلى أحكام بشريته، فقضى فرائض أربع عشرة سنة، وكانت الكلاب عنده تلعب مع السباع ولا تؤذيها.

أخبرنا أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفتح بن أبي الغنائم الواسط بالإسكندرية. قال: جاء رجل من أهل البطايح بثور أعجف، يقوده إلى شيخنا الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه. فقال له: يا سيدي: ليس لي ولعيالي عيش إلا من عمل هذا الثور، وإنه ضعف من العمل، فادع فيه بالقوة والبركة. فقال له الشيخ: اذهب إلى الشيخ عثمان بن مرزوق، وسلم عليه مني، واسأله الدعاء لي، فذهب الرجل يقود الثور إلى الشيخ عثمان، فوجده جالساً، والأسد محدقة به، فهابه الرجل أن يتقدم إليه. فقال له: تقدم، فتقدم، حتى قرب منه، فقال له: ابتداء وعلى أخي الشيخ أحمد السلام، ختم الله لي وله بالخير. ثم أشار إلى بعض تلك الأسد أن قم وافترس هذا الثور، فقام الأسد فافترسه، وأكل منه. فقال الشيخ للأسد: قم عنه، فقام. ثم قال لأسد آخر: قم فكل منه، فقام وأكل منه. ثم قال له: قم عنه، وما زال يأمر أسداً بعد أسد بالأكل، حتى لم يبقَ من لحم الثور شيء، وإذا بثور سمين قد أقبل من صدر البطيحة، وجاء فوقف بين يدي الشيخ. فقال الشيخ للرجل: قم إلى هذا الثور، فخذه بدلاً عن ثورك، فقام إليه وأخذه وهو يقول في نفسه: هلك ثوري، وأخشى أن يعرفه معي أحد، فأوذى، وإذا برجل قد أقبل يعدو، حتى أقبل على الشيخ، فوقف على الشيخ وقبل يده، وقال: يا سيدي، نذرت لك ثوراً، وأتيت به إلى البطيحة، فاستلب مني، ولا أدري أين ذهب، فقال: قد وصل إلينا، هاهو تراه، فلما رآه الرجل، أكب على قدم الشيخ يقبلها، فقال: والله يا سيدي قد عرّفك الله بكل شيء، وعرف بك كل شيء حتى البهائم. فقال الشيخ: يا هذا: الحبيب لا يخفي عن حبيبه شيئاً، ومن عرف الله عز وجل عرفه كل شيء. ثم قال للرجل صاحب الثور: تخاصمني بقلبك، وتقول: هلك ثوري، ولا أعلم من أين هذا

الثور، وأخشى أن يعرفه معي أحد فاوذى، فجعل الرجل يبكي. فقال له الشيخ: ألم تعلم أني أعلم ما في قلبك، اذهب بارك الله لك في ثورك، فأخذه ومشى خطوات، فخطر في نفسه: أخشى أن يعترضني، أو يعترض ثوري أسد. فقال له الشيخ: أتخشى أن يعترضك أو يعترض ثورك أسد، قال: يا سيدي هو ذاك. فقال الشيخ لأسد بين يديه: قم معه، إلى أن ينجو بنفسه، وبما معه. قال: فلقد كان ذلك الأسد يذود عنه الأُسُد وغيرها، كما يذود عن أشباله، ويمشي تارة عن يمينه، وتارة عن شماله، وتارة خلفه حتى وصل إلى مأمنه، وأتى إلى الشيخ أحمد الرفاعي، رضي الله عنه، فأخبره بقصته معه، فبكى وقال: عجزت النساء أن يلدن بعد ابن مرزوق مثله. قال: وبارك الله عز وجل للرجل في ذلك الثور، وأنتج حتى صار له منه مال كثير ببركة دعوة الشيخ عثمان رضي الله عنه.

أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن بدران بن علي البغدادي. قال: أخبرنا الفقيه أبو محمد عبد القادر بن عثمان بن أبي البركات، عن رزق الله بن علي التميمي البرداني. قال: سمعت الشيخ العالم العارف، أبا محمد عبد اللطيف بن أحمد بن محمد النرسي البغدادي الفقيه الصوفي. يقول: اجتمع سبعة من رماة البندق، بالبطيحة التي فيها الشيخ عثمان بن مرزوق رضي الله عنه، فصرعوا طيراً كثيراً، وصار على الأرض منه شيء كثير بالقرب من الشيخ عثمان. وكان الطائر لا يصل إلى الأرض إلا ميتاً من قوة ضرب البندق، ولا يدركون ذكاته. فقال لهم الشيخ: لا يحل لكم أن تأكلوا هذه الطيور، ولا تطعموا منها أحداً، قالوا: ولِمَ؟ قال: لأنها ميتة، فقالوا كالمستهزئين به: فأحيها أنت، فقال: بسم الله والله أكبر، اللهم أحيها، يا محيي العظام وهي رميم، فقامت تلك الطيور كلها، وطارت حتى غابت عن الأبصار، والرماة ينظرون، فتابوا عن مثل ذلك، وأقبلوا على خدمة الشيخ رضي الله عنه.

قال: وقصد إليه من البطايح رجلان، أحدهما أعمى، والآخر أجذم، ليدعو لهما بالعافية، فلقيهما رجل معافى، ليس به عاهة، فسألهما فأخبراه، فقال لهما: إن هذا الرجل ما هو عيسى بن مريم، ووالله لو شاهدته وقد برأكما لما صدقته، وأتى معهما، فلما وصلوا إلى الشيخ عثمان، قال الشيخ: يا عمى، ويا جذام انتقلا عنهما إلى هذا، فأبصر الأعمى، وبرىء الأجذم، وعمي المعافى وتجذم. فقال له الشيخ: إن شئت الآن تصدق، وإن شئت لا تصدق، فانصرفوا من بين يديه على هذه الحالة، ومات كل منهم على الحال الذي فارق عليها الشيخ.

سكن رضي الله عنه البطايح قديماً، وبها مات مسناً، وبها دفن وقبره بها

ظاهر يزار. وكان يقول في حال حياته: روحي تدعى، فتجاب، فلما حضرته الوفاة قال: لبيك، ومات رضي الله عنه. ثم رآه بعض المشايخ في منامه بعد موته، فقال: يا شيخ عثمان: ما فعل الله بك؟ قال: ليس لك هذا، لكن لما حضرتني الوفاة، قال لي ربي: يا عبدي، قلت: لبيك، وخرجت روحي مع لبيك، رضي الله عنه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الأبهري. قال: سمعت الشيخ العارف بقية السلف أبا الغنايم مقدام بن صالح البطايحي بالحدادية. يقول: جاء رجل من أصحاب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه من بغداد، إلى زيارة الشيخ عثمان بن مرزوق بالبطايح. فقال له الشيخ عثمان: يا هذا من أين أقبلت؟ قال: من بغداد، من أصحاب الشيخ عبد القادر، فقال له الشيخ عثمان: الشيخ عبد القادر خير أهل الأرض في هذا الوقت رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ قضيب البان الموصلي رضي الله عنه: هذا الشيخ أحد أعيان الأولياء المشهورين، والنبلاء المذكورين. صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والإشارات النورانية، والأنفاس الروحانية، والهمم العلية، والمقامات السنية. له المعارف الجليلة، والحقائق السامية، والطور العالي، والكشف واليد البيضاء في علوم أحكام الطريقة، والتصريف النافذ في أحوال النهاية، والقدم الراسخ في مقامات التمكين، والمحل الأرفع، في أسرار القرب.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وأوقع له القبول التام في القلوب، والهيبة المتوفرة في الصدور، وصرفه في العالم، وخرق له العوائد، وسارت الركبان بآثاره، ومناقبه مشرقاً ومغرباً. وكان المشايخ والأولياء يذكرونه كثيراً، وينبهون على فضله، ويشيرون إليه بالتبجيل. وكان يتردد في الرسائل بين الشيخ عبد القادر، وبين الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنهما. وكان الغالب عليه في حاله الاستغراق والوله، وكراماته، واختراقه جوانب الأرض بالخطوة. ووقائعه مع المشايخ والأولياء كثيرة، مشهورة بين الناس، دائرة في ألسنتهم، ولم يبلغنا من كلامه في علوم الحقائق إلا يسير.

منه: تصحيح البدايات، هو انتقاء الرخصة لمواطئة النفس، وتحكيم السنة بامتثال الأمر، ومشاهدة الحكم والعزم في السلوك بترك الراحة، وامتثال أمر المشايخ بعدم الاعتراض، واستحقار العمل باستشعار الأجل، والتمسك بعروة الإخلاص للنجاة، والخلاص. واعلم أن التطلع لعالم النهايات، لا يصح إلا بتحقيق البدايات.

ومنه: التحقيق، امتزاج الأسرار بالأنفاس، مع الحضور في استشعار ما ترجع به النفس من لطائف الموائد، وحقائق المواجد، وهو الذي تخرج أنفاسه لله تعالى، وترجع بالله، فإذا خرجت لله أضاء الروح، وإذا رجعت بالله أضاء السر، فهو يتصرف بنورين، نور الروح، ونور السر، فيكشف الظاهر بنور الروح، ويكشف الباطن بنور السر، وهؤلاء هم الذين جعلهم الله تعالى في زوايا الأرض أوتاداً ومهاداً، وهم على التداب، ينمو نقائض الوجود برحمة يودعها الله عز وجل في قلوبهم، بحضورهم، وتحقيقهم. وكان رضي الله عنه، يتمثل بهذه الأبيات:

يا ناهري لما وقفت ببابه ... والرفق بالشاكي هو الأولى به
أكذا جرى رسم الذين تقدموا ... يشكو المحب الجور من أحبابه
قال اشتكاني بعدما قربته ... وجعلت لمح الطرف بعض ثوابه
فوحق حاجته إليَّ وفقره ... لأواصلن نعيمه بعذابه
ولأمزجن حياته بمماته ... حتى يقصر وصفه عما به
لا يتعب المحبوب قبل محبه ... فلديه ما يغنيه عن إتعابه
وحياته لو سل سيف لحاظه ... بلغ المنى ويداه في أنوابه

أخبرنا أبو القاسم محمد بن عبادة بن محمد الأنصاري الحنبلي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا الحسن علياً القرشي رضي الله عنه بدمشق. يقول: دخلت على قضيب البان رحمه الله، ببيت له بالموصل، فرأيته ملأ البيت، وقد نما جسده نمواً خارقاً للعادة، فخرجت وقد هالني منظره، ثم عدت إليه فرأيته في زاوية البيت، وقد تضاءل حتى صار كالعصفور، فخرجت ثم عدت إليه، فرأيته كحاله المعتاد. فقلت له: يا سيدي، أخبرني ما الحالة الأولى؟ وما الحالة الثانية؟ فقال لي: يا علي أورأيتهما؟ قلت: نعم، قال: لا بد أن تعمى، أما الحالة الأولى، فكان عندي بالجمال، وأما الحالة الثانية فكنت عنده بالجلال. قال: وكفَّ بصر الشيخ القرشي، قبل موته بيسير.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن منظور الكناني. قال: سمعت الشيخ أبا محمد عبد الله المارديني بالقاهرة. يقول: كنت عند الشيخ الإمام كمال الدين بن يونس شارح التنبيه بمدرسته بالموصل، فذكروا قضيب البان ووقعوا فيه، ووافقهم ابن يونس. فبينما هم في مجلسهم يخوضون في ذلك. إذ دخل عليهم قضيب البان، فبهتوا. فقال: يا ابن يونس، أنت تعلم كل ما يعلمه الله تعالى؟ قال: لا. قال: فإن كنت أنا من العلم الذي لا تعلمه أنت، فلم يدرِ ابن يونس ما

يقول. قال المارديني: فقلت في نفسي: لا بد أن ألزمه اليوم والليلة، حتى أرى ما يصنع، فلزمته بقيية يومي، فلما كانت العشاء اخترق الأزقة، وأخذ معه سبع كسرٍ، وأتى إلى باب دار وطرقه، فخرجت إليه عجوز، وقالت له: يا قضيب البان، أبطأت علينا، فناولها الكسر وانصرف، حتى أتى إلى باب الموصل، وهو مغلق، فانفتح له وخرج، وأنا خلفه، ومشى يسيراً، وإذا نهر يجري، وعنده شجرة، فخلع ثيابه، واغتسل في ذلك النهر، وعمد إلى ثياب معلقة على تلك الشجرة، فلبسها وانتصب يصلي إلى أن طلع الفجر، وغلب عليَّ النوم، فما استيقضت إلا بحرٍّ الشمس، فإذا أنا بصحراء مقفرة، لا أرى بها أحداً، ولا يتراءى لي بنيان، لا من قرب ولا من بعد، فوقفت متحيراً، لا أدري بأي أرض أنا، فمرَّ بي ركب فأتيتهم، وسألتهم، وقلت لهم: أنا من الموصل وخرجت منها الليلة وقت العشاء، فأنكروا أمري، وقالوا: ما ندري أين الموصل، فتقدم إليَّ منهم شيخ، قال لي: أخبرنا بقصتك، فأخبرته، فقال: والله لا يقدر على ردك إلى الموصل إلا الذي جاء بك إلى هنا، يا أخي أنت ببلاد المغرب، وبينك وبين الموصل ستة أشهر، فامكث هنا لعله يعود، فتركوني وساروا، فلما كان الليل، إذا أنا بقضيب البان قد نزع ثيابه واغتسل، وقام يصلي إلى الصبح، فلما طلع الفجر نزع تلك الثياب ولبس إهدامه، وسار فتبعته، فلم نلبث إلا يسيراً حتى جئنا الموصل، فالتفت إليَّ وعرك أذني، وقال لي: لا تعد إلى مثلها، وإياك وإفشاء الأسرار. قال: فوافينا الناس يصلون صلاة الصبح بالموصل.

أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن الخضر بن عبد الله الحسيني الموصلي. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: سمعت قاضي الموصل رحمه الله تعالى يقول: كنت سيء الظن بقضيب البان، على كثرة ما بلغني من كراماته ومكاشفاته، وكنت عزمت على أن أكلم السلطان في إخراجه من الموصل، وما اطلع على ذلك مني سوى الله عز وجل. فبينما أنا في بعض أزقة الموصل يوماً، إذ رأيت قضيب البان مقبلاً من صدر الزقاق، على هيئته المعروفة، ولم يكن في ذلك الزقاق أحد غيري وغيره، فقلت في نفسي: لو كان معي أحد أمرته بإمساكه، فمشى خطوة، وإذا هو على هيئة كردي، بصورة غير صورته الأولى. ثم مشى خطوة أخرى، وإذا هو على هيئة بدوي بصورة غير الصورتين، الأوليين. ثم مشى خطوة، وإذا هو على هيئة فقيه بصورة غير الصورة المتقدمة. وقال لي: يا قاضي هذه أربع صور رأيتهن فمن هو قضيب البان منها، حتى تكلم السلطان في إخراجه؟ فلم أتمالك أن انكببت على يديه أقبلهما، واستغفرت الله.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن حسين الدمشقي، الموصلي. قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو المفاخر عدي ابن الشيخ أبي البركات صخر بالموصل. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى، يقول: مكث قضيب البان عندنا في الزاوية شهراً مستغرقاً لا يأكل ولا يشرب، ولا يضع جنبه على الأرض، وكان عمي الشيخ عدي رضي الله عنه، يأتي إليه، ويقف على رأسه، ويقول: هنيئاً لك يا قضيب البان، قد اختطفك الشهود الإلهي، واستغرقك الوجود الرباني. وكان يقول لمن ورد: سلم علي ولي الله حقاً، يشير إليه. قال: وصلى يوماً معنا صلاة الصبح، خلف الإمام، فأتمَّ منها ركعة، وقطع الثانية، وجلس إلى ناحية عنا. فلما انصرفنا من الصلاة أتيته، وقلت له: يا قضيب البان لما لا تتم الصلاة معنا. قال: يا أبا البركات تعبت من عدوي خلف إمامكم، إنه أحرم بالصلاة هنا، ثم سافر إلى الشام، ثم جاء إلى بغداد، ثم انصرف إلى مكة، فلما جئنا إلى العقبة، تعبت فتركته، قال: فأتيت الإمام وسألته عن ذلك، فقال: صدق والله، لقد كان وسواسي في صلاتي بهذا كله، يريني في الركعة الثانية أني صاعد في العقبة. قال: وحكى إليَّ الشيخ الصالح أبو حفص عمر العدني. قال: أذن الظهر يوماً، عندنا بالزاوية بلالش، فوثب قضيب البان وخرج، فقلت له: هل لك في الصحبة.

قال: نعم يا أخي، بشرط ستر الحال، قلت: نعم، فمشينا غير بعيد، فأتينا إلى مدينة لاأعرفها، ولا أدري بأي أرض هي. فقام إليه أهلها وتلقوه، وبالغوا في إكرامه، وإذا هم من أكمل الناس أدباً، وأوفرهم عقلاً، وأكثرهم خشوعاً، فصلى بهم الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والصبح. وخرجنا من عندهم وقت الإسفار، وما أكلنا ولا شربنا، فسار غير بعيد وصار يلقمني من أنواع الفواكه والحلواء، وسقاني ماء، فوالله ما أكلت ولا شربت ألذ مما أطعمني قضيب البان وسقاني. ولقد خرجنا من تلك المدينة، وما معه شيء، فلم يكن إلا يسيراً حتى أتينا لالش. فقلت له: ما هذه المدينة التي كنا بها؟ قال لي: يا أخي هذه مدينة وراء بحر الهند، أهلها مسلمون، يصلي بهم كل يوم ولي من أولياء ذلك الزمان، وإنه لا يدخلها عليهم إلا ولي، ولولم يؤذن لي في مصاحبتك لما استطعت أن ترافقني.

أخبرنا الشيخ الصالح سيف الدين أبو بكر بن أيوب بن الحسين الدنيسري. قال: سمعت شيخنا الشيخ العارف أبا عبد الله يونس البيطار، الدنيسري بها.

يقول: كنت في بدايتي أعمل البيطرة بدنيسر، فكنت يوماً أنعل بغلاً، وضربني في رأسي بحافره، فغشي عليَّ، وتكلم بعض الناس بموتي، واتصل الخبر بأمي أني مت، وكانت بالموصل، فقالت لقضيب البان: قد جاءني الخبر بموت ابني. فقال لها: لم يمت ابنك، بل ضربه بغل بحافره في رأسه، وغشي عليه، فجاءت أمي وأخبرتني بما قال لها قضيب البان رضي الله عنه. وبه إلى الشيخ يونس البيطار.

قال: سمعت الشيخ أبا حفص عمر بن مسعود البزار ببغداد، يقول: ذكر قضيب البان عند شيخنا الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه. فقال: هو ولي مقرب، ذو حال مع الله، وله قدم صدق عنده عز وجل، فقيل له: إنا لا نراه يصلي. فقال: إنه يصلي من حيث لا ترونه، ولا يخرج يوم وليلة، وعليه منهما فرض أبداً، وإني أراه إذا صلى بالموصل أو بغيرها من آفاق الأرض يسجد عند باب الكعبة.

سكن رضي الله عنه بالموصل، واستوطنها إلى أن مات بها قريباً من سنة سبعين وخمسمائة، وبها دفن. وكان ببلاد المغرب رجل آخر؛ يسمى قضيب البان أيضاً، وهو بعد هذا الذي ذكرناه هنا رضي الله عنهما.

أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الخضر الحسيني الموصلي، قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى، يقول: رأيت قضيب البان الموصلي غير مرة، يجلس بين يدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، متواضعاً متصاغراً. وسمعته يقول: الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، قائد ركب المحبين، وقدوة السالكين، وإمام الصديقين، وحجة العارفين، وصدر المقربين في هذا الوقت رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ مكارم النهر خالصي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ العراق المشهورين، وأجلاء العارفين المذكورين، ونبلاء الأولياء المقربين. صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والمقامات الرفيعة، والإشارات العلية، والأنفاس الملكوتية، والهمم الفخيمة. صاحب الفتح السني، والكشف الجلي، والسر المضي. له المراتب المصدرة في مواطن القدس، والمكانة الجليلة في مجالس القرب، والطور الأرفع في الحقائق، والمنهاج الأعلى في المعارف، والنظر الخارق في عالم الغيب، والأنفاس الصادقة في حقائق الآيات. وله اليد البيضاء في علوم المنازلات، والباع الرحيب في معاني المشاهدات، والقدم الراسخة في كشف مشكلات الأحوال.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في العالم، ومكنه من الأحوال، وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب الخارقة، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وملأ صدور الخلق من هيبته، وقلوبهم بمحبته.

وهو أحد أركان هذا الشأن، وصدور ساداته وأعلام العلماء بأحكامه، ورؤساء القادة إليه علماً وعملاً، وتحقيقاً وزهداً، وجلالة ومهابة، ورئاسة. واشتهر عنه أنه لقي من المشايخ من لم يلق غيره من أهل عصره. فيقال: إنه لقي جميع أصحاب تاج العارفين، أبي الوفاء رضي الله عنه، وانتفع بصحبتهم، ونال بركات خدمته، رضي الله عنه. وكان شيخه الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، يكرمه ويقدمه على غيره، وينبه على فضيلته. وهو أول من خدمه فيما بلغني، وكان يقول: أخي الشيخ علي بن إدريس رجل مكمل، لكن ما يظهر إلا بعد موتي. فيقال: ليلة مات الشيخ مكارم، اشتهر أمر الشيخ علي بن إدريس. انتهت إليه تربية المريدين من ببلاد نهر الخالص وما يله. وبصحبته تخرج أبناء أخيه الشيخ الصالح أبو محمد عبد المولى، والشيخ أبو الفرج عبد الخالق. وانتمى إليه غير واحد من الأعيان. وتلمذ له جماعة من الصلحاء، واجتمعوا عليه، وانتفعوا بكلامه، وأجمع المشايخ والعلماء، على احترامه وذكروا فضائله، ورووا مناقبه. وكان متواضعاً كريماً، بهيجاً محباً لأهل العلم، متأدباً بآداب الشرع، دائباً في مراقبة أوقاته، ومراعاة أنفاسه، وحفظ مجاهداته، إلى أن أتاه اليقين رضي الله عنه. وكان له كلام نفيس على لسان أهل الحقائق.

منه: العارف واقف بعلمه على همة يعرف بها كل هم يخطر في قلبه. ومن طلب الدلالة فإنها لا غاية لها، ومن طلب الله عز وجل وجده بأول خطوة يقصده بها. وأول وصال العبد الحق هجرانه لنفسه، وأول هجران العبد الحق مواصلته لنفسه. وأول درجات القرب محو شواهد النفس، وإثبات شواهد الحق في القلب.

ومنه: المريد الصادق من وجد في قلبه حلاوة العدم، ونفى عن نفسه الألم، وسكن إلى ما جرى به القلم.

والفقير: من صبر فقلَّ طمعه، وتأدب فحسن خلقه، وراقب ربه عز وجل فكتم سره، وخاف مقام ربه عز وجل، وستر حاله، ووثق بمولاه، فلم يشكُ لأحد ضره، ولجأ إلى الله عز وجل، فتضرع إليه في كل أحواله.

والزاهد: في قطع المطامع، وخلع الراحة، وترك الرئاسة، وأمسك النفس عن الشهوات، وزجر الهوى عن الإرادات.

والورع: من نظر إلى الدنيا بعين المهانة، ورجع إلى مولاه بالإنابة، وأدّى ما عليه من الأمانة، وأمسك لسانه عن الدنيا، وأعقل قلبه عن الهوى، وفرَّ بسره إلى المولى عز وجل.

والمجاهد: في الله عز وجل من تجنب أهل الفترة، وعانق العبرة والفكرة، ولازم الخشوع والأسقام والحسرة، واستعمل الحقيقة، وأمات الهوى وأحيا الصفا، وسكن إلى مجاري القضا، وجانب الأذى، واستحيا من الملك الأعلى، ورفض الراحة في الجد، ولا ينفع اللهم ذا الجد منك الجد.

والمراقب من أطال حزنه، وأدام إحسانه، وكظم غيظه، وهاب ربه.

والمخلص: من نجا بهمته من المخلوقات، وعلا بسره عن الكائنات، وامتثل أمر سيد البريات.

والشاكر: من صبر عند الحاجة، مع الملك العلام، ولم يرجع إلى أحد من الخاص والعام، وخلا قلبه من التدبير والاهتمام.

وسئل عن المتوكل فقال: هو من أعرض بالقلب عن الخلق، وأخذ الرزق من الحق، وقام بهمته على باب مولاه، واستقام باليقين على طاعته، وترك الالتفات إلى غير باب المولى.

وسئل عن المحب فقال: هو من أَلِفَ الخلوة، وأنس بالوحدة، وتوحدت له الهمة.

المحب: من استحيا من ربه عز وجل، وقام ببابه، وسارع إلى طاعته، وأكثر ذكره، وأسبل دمعه، والتمس قربه، وخاف فراقه، فصفا قلبه من الأكدار، وطهر سره من الأغيار، وعفّر خديه بالأسحار بين يدي الملك الجبار، وسلك طريق الأحرار، فهو من الأخيار، وكان رضي الله عنه، يتمثل بهذه الأبيات:

أحبك أصنافاً من الحب لم أجد ... لها مثلاً في سائر الناس تعرف
فمنهن حب للمحب ورحمة ... لمعرفتي منه الذي يتكلف
ومنهن أن لا يخطر الشوق ذكركم ... على القلب إلا كادت النفس تتلف
وحب بدا للجسم والشوق ظاهر ... وحب لدى نفس من الروح ألطف
وحب هوى الداء العضال بعينه ... له قدم يعدو عليَّ فأدنف
فلا أنا منه مستريح فميت ... ولا أنا منه ما حييت مخفف

أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي. قال: سمعت الشيخ أبا الحسن علياً الخباز ببغداد يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن الجوسقي رضي الله عنه. يقول: حضرت الشيخ مكارماً رضي الله عنه، بمسجد في وقت

كان يتكلم على أصحابه في الشوق والمحبة. فقال في كلامه: أسرار المحبين إذا طاشت عند ظهور سلطان الهيبة والجلال خمد لأنوارها كل شيء، وكل نور قابلته أنفاسها. ثم تنفس الشيخ فانطفأت مصابيح المسجد، وكان فيه نيف وثلاثن قنديلاً. فسكت ساعة ثم قال: وإذا عاشت أسرارهم بتجلي أنوار الأنس والجلال، أضاءت أنوارها كل ظلمة قابلتها أنفاسها. ثم تنفس فاشتعلت المصابيح وأضاء المسجد كحاله أولاً.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن نجم الدين الحوراني. قال: سمعت الشيخ أبا محمد علي بن إدريس رضي الله عنه. يقول: كان الشيخ مكارم رضي الله عنه، يتكلم على أصحابه، فذكر النار، وما أعد الله لأهلها، فوجلت القلوب، ودمعت العيون، وكان هناك رجل معطل، فقال: إنما هذا تخريف، ولا نار يعذب بها أحد. فقال الشيخ: ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ [الأنبياء:٤٦]، وسكت الشيخ، وسكت الحاضرون، فصاح الرجل، الغوث الغوث، واضطرب اضطراباً شديداً، ورأى دخان يخرج من أنفه يكاد يصرع من يشتمه من نتنه. فقال الشيخ: ربني اكشف عنا العذاب، إنا مؤمنون، فسكن روع الرجل، وقام إلى الشيخ فقبل قدميه، وجدد إسلامه، وصحح معتقده، وقال: وجدت في قلبي وهج، ولفح نار، كاد يأتي على نفسي، وثار في باطني دخان نتن كادت نفسي تزهق، وسمعت قائلاً يقول في باطني: هذه النار التي كنتم بها تكذبون، أفا سحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون، ولولا الشيخ لهلكت.

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح داود بن أبي المعالي نصر ابن الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي المجد المبارك بن أحمد البغدادي الحريمي الحنبلي. قال: أخبرنا والدي قال: سمعت جدي أبا المجد رحمه الله تعالى، يقول: كنت يوماً عند الشيخ مكارم رضي الله عنه، بداره على نهر الخالص، فخطر في نفسي لو رأيت شيئاً من كراماته، فالتفت إليَّ مبتسماً، وقال: سيدخل علينا، خمسة نفر.

أحدهم: أعجمي أبيض اللون، أحمر، بخده الأيمن شامة، بقي من عمره تسعة أشهر، ثم يفترسه أسد في البطايح، ومن ثم يبعثه الله تعالى.

والآخر: عراقي، أبيض أشقر، بعينه حورٌ، وبرجله عرج، يمرض عندنا شهراً ثم يموت.

والآخر: مصري أسمر، في كفه الأيسر ست أصابع، وبفخذه الأيسر طعنة رمح، أصيب بها منذ ثلاثين سنة، يموت بأرض الهند تاجراً بعد عشرين سنة.

والآخر: شامي آدمي اللون، شثن الأصابع، يموت بأرض الحريم، على باب دارك بعد سبع سنين وثلاثة أشهر، وسبعة أيام.

والآخر: من أرض اليمن أبيض اللون، وهو نصراني، وتحت ثيابه زنار، خرج من بلاده منذ ثلاث سنين، ولم يعلم به أحد، ليمتحن المسلمين من يكشف منهم حاله، وقد اشتهى العجمي لحماً مشوياً، واشتهى العراقي إوزة بأرز، واشتهى المصري عسلاً بسمن، واشتهى الشامي تفاحة من فاكهة الشام، واشتهى اليمني بيضاً مسلوقاً، ولم يعلم أحد بشهوة الآخر، وستأتينا أرزاقهم وشهواتهم رغداً من كل مكان والحمد لله رب العالمين.

قال أبو المجد: فوالله لم نلبث إلا يسيراً حتى دخلوا خمسة، كما وصف الشيخ، لم يخلُ من أوصافهم بشيء. فسألت المصري عن طعنة فخذه، فتعجب من سؤالي، وقال: هذه طعنة أصبت بها منذ ثلاثين سنة.

قال: ثم جاء رجل ومعه تلك الأصناف التي اشتهوها، فوضعها بين يدي الشيخ، فأمره فوضع بين يدي كل واحد منهم شهوته، وقال لهم: كلوا ما اشتهيتم، فأغمي عليهم، فلما أفاقوا قال اليمني للشيخ: يا سيدي: ما وصف الرجل المطلع على أسرار الخلق.

قال: إن لم يعلم أنك نصراني، وتحت ثيابك زنار، فصرخ الرجل، وقام إلى الشيخ وأسلم، فقال له: يا بني، كل من رآك من المشايخ، فقد عرف حالك، ولكن علموا أن إسلامك على يدي، فامسكوا عن كلامك.

قال: ولقد جرت الحال في وفاتهم كما أخبر الشيخ في الوقت الذي ذكره، والمكان الذي عينه من غير تقديم ولا تأخير، ومات العراقي عند الشيخ في الزاوية بعد أن مرض شهراً، وكنت ممن صلى عليه، ومات الشامي عندنا بالحريم، على باب داري طريحاً، ونودي له، فخرجت فإذا هو صاحبنا الشامي، وبين موته، وبين الوقت الذي اجتمعت به عند الشيخ سبع سنين، وثلاثة أشهر وسبعة أيام، رحمه الله تعالى.

سكن رضي الله عنه، بلدة مشهورة به على نهر الخالص من أرض العراق، واستوطنها قديماً، وبها مات مسناً، وقبره ثم هناك ظاهر يزار، وله بقطره الشهرة الراقية، رضي الله عنه.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي المنصور الداري. قال: سمعت قاضي القضاة أبا صالح نصر بن الحافظ أبي بكر عبد الرزاق ببغداد. قال: سمعت الشيخ مكارماً

النهرخالصي رضي الله عنه، يقول: ما رأت عيناي مثل الشيخ محيي الدين، عبد القادر رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ خليفة بن موسى النهر ملكي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أجلاء مشايخ العراق، ونبلاء العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والمقامات الفاخرة، والأحوال النفيسة. صاحب المعارف الزاهرة، والحقائق الباهرة، والأنفاس القدسية، والمعاني النورية. له المعراج الأعلى في القرب، والمنهاج الأسنى في الوصل، والطور الأرفع في المشاهدات، والمجلس المصدر في المحاضرات. وله السبق إلى حلبات التقدم في مدارج الفتح الإلهي، والجمع بين أطراف الكشف الرباني، والتجرد من دواعي الحظوظ، والانسلاخ من بقايا الإرادات، والتحقق بأوصاف الحرية.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، وأظهر على يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، ونصبه قدوة للسالكين، وملأ قلوب الخلق بمحبته، وصدورهم من هيبته. وكان كثير الرؤيا لرسول الله ﷺ، يقظة، ومناماً. وكان يقال: إن أكثر أفعال الشيخ خليفة متلقاة من النبي ﷺ، بأمر منه إما في اليقظة أو في المنام. وكان شيخه السيد الشريف أبو سعد القيلوي، يثني عليه كثيراً. وقال في حقه: الشيخ خليفة شيخ مكمل، وقال مرة أخرى: الشيخ خليفة من خلفاء الله تعالى على أسرار الولاية.

وهو أحد أركان هذه الطريق، وأئمة سادتها، وأعلام العلماء بأحكامها علماً وعملاً، وحالاً ومهابة، ورئاسة. انتهت إليه تربية المريدين الصادقين في وقته، ببلده وما يليها. وتخرج بصحبته غير واحد، من ذوي الأحوال. وانتمى إليه جماعة من الصلحاء، وانتفعوا به، وأجمع أهل زمانه على تبجيله، واحترامه، ورجعوا إلى قوله، وقصد بالزيارات والنذور. وكان جميل الصفات، كريم الأخلاق، وافر العقل، دائباً في اتباع الشرع بالكتاب والسنة، محباً لأهل الخير، معظماً لأهل العلم. وكان له كلام عالٍ على لسان أهل المعارف.

منه: آخر أقدام الزاهدين، أول أقدام المتوكلين، ولكل شيء حلية، وحلية الصدق الخشوع، ولكل شيء معدن، ومعدن الصدق قلوب الزاهدين، ولكل شء علم، وعلم الخذلان عدم البكاء من قلب حزين، ولكل شيء مهر، ومهر الجنة ترك الدنيا بما فيها، ومن توسل إلى الله تعالى بتلف نفسه، حفظ الله تعالى عليه نفسه، وأوصله إليه، وأفضل الأعمال مخالفة هوى النفس، والرضى بمجاري المقدور وسيلة إلى درجات المعرفة، وإذا سكن خوف القلب أحرق الشهوات،

وطرد الغفلة عنه، ولكل شيء ضدّ، وضد نور القلب شبع البطن، ومن أظهر الانقطاع إلى الله عز وجل، فقد وجب عليه خلع ما دونه، ومن كان الصدق وسيلته، كان رضا الله عز وجل عنه جائزته، وعلى كل شيء شاهد، وشاهد اليقين الخوف من الله عز وجل، وأقوى سبب بين العبد، وبين الله تعالى محاسبة بورع، ومراقبة بعلم، وأدب باتباع، وكل ما شغلك عن الله عز وجل من أهل، أو مال، أو ولد، فهو عليك شؤمٌ، وكل عمل ليس له ثواب في الدنيا، ليس له جزاء في الآخرة، وإذا جاع العبد وعطش صفا، وإذا شبع وروي عمي، ومن رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة المناجاة، والقناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد، ومن لبس عباءة بثلاثة دراهم، وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم، فقد خالف باطنه ظاهره، وإذا لم يبقَ في القلب شهوة، جاز أن يتدرع بأي الزهاد، فيلزم طريق الصدق، فإذا أحسست بالوسواس، فافرح يزل عنك، فإن أبغض الأشياء إلى الشيطان سرور المؤمن، وإن اغتممت به زادك.

ومنه: صلاح القلب في أربع خصال: التواضع لله، والفقر إلى الله، والخوف من الله، والرجاء في الله. والعجب يتولد من رؤية النفس وذكرها، والخوف يوصلك إلى الله تعالى، والكبر يقطعك عنه، والتفويض رد علم ما علمت إلى عالمه، والتفويض مقدمة الرضا، والرضا باب الله الأعظم، والصبر على الطاعة لئلا يفوتك المداومة عليها، والصبر على الغضب لتنجو من الإصرار عليه، وأصل التعلق بالخيرات، قصر الأمل، ومن صحب نفسه، صحبه العجب، وعلامة التوفيق أن تطيع الله تعالى، وأن تخشى الرد، وعلامة الخذلان أن تعصيه، وأنت ترجو أن تكون مقبولاً. وكان رضي الله عنه، يتمثل بهذه الأبيات:

قلوبنا لشراب الحب أقداح ... ومجلس الأنس فيه الروح والراح
ونحن في خلوة سكرى ينادمنا ... أهلٍ الحقيقة كم صاحوا وكم باحوا
وخلوة الوصل قد طاب السماع بها ... حقاً وقد رقصت للوجد أرواح

وكان أيضاً ينشد هذين البيتين:

أساقي بنفسي ذلة واستكانة ... إلى الحلة العلياء من جانب الكبر
إذا ما أتاني الكبر من جانب الغنى ... سموت إلى العلياء من جانب الفقر

أخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر، قال: سمعت الشيخ أبا الحسن علياً الخباز ببغداد، يقول: سمعت الشيخ علي بن إدريس اليعقوبي بها. يقول: أوقفني مالكي تعالى بين يديه، وألبسني من كراماته رداء، اصطنعه الله تعالى بقدرته في الأزل، لا يلبسه إلا من اصطفاه لكرامته.

أخبرنا أبو محمد رجب بن أبي منصور الداري، قال: سمعت الشيخ أبا الحسن علياً القرشي، قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا سعد القيلوي رضي الله عنه، يقول: حللت بمقام من مقامات التوحيد فلم يقر بي القرار فيه، حتى نازلتني فيه منازلة من منازلات أحكامه، فلم أقدر على قطعها، ولم أدرِ ما هنالك، فاستعنت بنفس الشيخ خليفة، وأخذت همتي وهمته، وامتزجت نفسي ونفسه، حتى قطعت تلك النازلة، وقطعت ذلك المقام، وانكشف لي جميع أحكامه، فالشيخ خليفة هو أعلى أصحابي همة، وأخرقهم نفساً وأحدهم نظراً. قال الشيخ علي القرشي: سألت الشيخ خليفة في ذلك. فقال: يا أخي: لما أسند همتي إلى همته، وجذب سري إلى سره، انخرق لي في أحوالي باب لا أملك سعته، فكلما أشكل عليَّ أمر من عالم الغيب، أو توقف على سر من درجات العلى، لجأت إلى ذلك الاستناد، ورجعت إلى تلك الجذبة، فيتسع لي كل ضيق، وينفتح لي كل باب.

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الأبهري، قال: سمعت الشيخ أبا الحسن الخفاف البغدادي فيها. يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا السعود الحريمي، يقول: كان الشيخ خليفة يرى رسول الله ﷺ كثيراً، في اليقظة والمنام، ورآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، وقال له في إحداهن: يا خليفة لا تضجر مني، كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي، يا خليفة، ألا أعلمك استغفاراً، تدعو به، فقال: بلى يا رسول الله، فقال: قل: اللهم إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك، فجد بما أنعمت علي ما قضيت، وامحِ ذلك بذلك، جليت أن تطاع إلا بإذنك، وتعص إلا بعلمك، اللهم ما عصيتك حين عصيتك استخفافاً بحقك، ولا استهانة بعذابك، لكن بسابقية سبق بها علمك، فالتوبة إليك، والمعذرة لديك. قلت: وأعرف هذا الاستغفار مروياً عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما مطولاً.

أخبرنا الشيخ الصالح، أبو محمد الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد بن أحمد التنوخي العراقي، النهر ملكي. قال: أخبرنا أبي عن جدي، قال: حجَّ أخ لي في بعض السنين، وكنت شديد المحبة له، كثير الشوق إليه، ثم بعد سفر أخي بشهر، واختلج في خاطري من ذلك أمر عظيم، فحضرت عند الشيخ خليفة بنهر الملك، واشتدَّ شوقي إلى نظر أخي. فقال الشيخ: يا محمد أتحب النظر إلى أخيك؟ قلت: وأين لي بذلك؟ فأخذ بيدي، وأخرجني من باب داره، وإذا الركب سائر بالقرب منا، بيننا وبينه قدر عشرين خطوة، بحيث أراهم عياناً، ورأيت أخي

راكباً على جمله، فوثبت لأعدو إليه، فمسك الشيخ بيدي، وقال: لن تصل إليه، فأنا في ذلك مع الشيخ، وإذا أخي قد نعس، وسقط من على الجمل، فوثب الشيخ، وتلقاه قبل أن يصل إلى الأرض، ووضعه على ظهر الجمل، ورجع إليَّ، فلما سار الركب وغاب عنا، أتى الشيخ إلى موضع سير الركب، وأخذ منديلاً وركوة، وأتاني بهما، وقال: هذان سقطا من أخيك عند سقوطه، فأخذتهما ورجعت، وقد اطمأنت نفسي برؤية أخي، فأرَّخت هذه الواقعة في يومها، فلما قدم أخي سألته عن حاله في ذلك اليوم الذي أرَّخته، فقال: سقطت من على راحلتي، فلولا أن الله تعالى رحمني بالشيخ خليفة، أدركني قبل أن أصل إلى الأرض ووضعني على راحلتي، ولم تتألم فيَّ جارحة، ثم ذهب الشيخ ولم أدرِ من أين جاء، ولا من أين مرَّ، ولا رأيته بعد، وفقدت في ذلك الوقت منديلي وركوتي.

قال: فقمت وأخرجت له المنديل والركوة، فبما رآهما اشتدَّ عجبه، فأخبرته بقصتي مع الشيخ في ذلك اليوم. قال: فأتينا إلى الشيخ مكارم بنهر الخالص، وذكرنا له القصة، فقال: إذا كانت المقامات تطوى بين يدي الشيخ خليفة كالكرة، فكيف لا تكون الأرض كلها بين يديه كالذرة. قال: وكان بين دار الشيخ خليفة ومنزلة الحاج في ذلك الوقت مسيرة شهر.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن أبي القاسم بن محمد بن دلف الحريمي، المعروف جده بابن قوقا. قال: سمعت جدي يقول: حكي أن بعض أصحابنا الصالحين من أهل بغداد، قال: انتبهت ليلة في السحر، وبايعت الله عز وجل، أن أجلس في جامع الرصافة متوكلاً من حيث لم يشعر بي أحد من الخلق، فأتيت في وقتي الجامع، وجلست فيه، يوم الإثنين، ويوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء، فما رأيت فيها أحداً، ولا أكلت طعاماً، واشتدَّ جوعي، وخفتُ من السقوط، وكرهت الخروج من تلقاء نفسي، واشتهيت شواءً سخناً، وخبزاً رصافياً، وتمراً برنياً، فأنا في ذلك الوقت، وإذا بحائط المحراب قد انشق، فخرج إليَّ منه رجل هيئته كهيئة أهل السواد، وبيده مئزر، فوضعه بين يدي. وقال لي: قال لك الشيخ خليفة: كل شهوتك، واخرج من هنا، فما أنت من أرباب التوكل، ثم غاب الرجل عني، ففتحت المئزر وإذا فيه شواء سخن، وخبز رصافي، وتمر برني، فأكلت وخرجت، وأتيت الشيخ خليفة بنهر الملك، فلما رآني قال لي ابتداءً: يا هذا لا ينبغي للرجل أن يجلس متوكلاً حتى يحكم أساسه في قطع العلائق باطناً، وظاهراً، وإلا يكن عاصياً في ترك الأسباب.

وهو رضي الله عنه، من قرية من نهر الملك، تعرف بقرية الأعراب، من أرض العراق، واستوطن نهر الملك إلى أن مات به قديماً، إلى أن علت سنه، وقبره ثم [هناك] ظاهراً يزار. وله هناك الشهرة الكبرى، ولما حضرته الوفاة تشهد وتهلل وجهه بالسرور، والبشر. وقال: هذا محمد رسول الله ﷺ، وأصحابه يبشرونني برضوان الله تعالى، وصلواته. ثم قال: هذه الملائكة تستعجلني القدوم على الكريم، ثم ضحك، وقال: إذا تجلى الحق جل جلاله، على عبده المؤمن عند قبض روحه، وقال له: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [الفجر:٢٧]، فلم يتم تلاوة الآية حتى فاضت نفسه رضي الله عنه. ولما وُضِعَ على السرير ليصلى عليه، سمع نداء عالٍ من جهات لا يرى المنادي، معاشر المسلمين الصلاة على الحبيب القريب، وكان يوماً مشهوداً رضي الله عنه، وبيعقوبا شيخ آخر اسمه خليفة، من أصحاب الشيخ علي بن إدريس رضي الله عنهما، ومات قبل شيخه ابن إدريس، ودفن بيعقوبا، كان إذا ورد على الشيخ علي ابن إدريس رضي الله عنه، حال يقول: يا رب، ولخليفة مثله، وهو بعد هذا الشيخ الذي ذكرناه هنا رضي الله عنهم.

أخبرنا الشيخ أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن دلف الحريمي. قال: أخبرنا جدي، قال: سمعت يحيى بن محفوظ بن بركة البغدادي المعروف بابن الديبقي. يقول: سمعت الشيخ خليفة النهر ملكي رضي الله عنه، يقول: جزت مرة ببلاد السواد، فرأيت شيخاً جالساً في الهواء، فسلمت عليه، فردَّ عليَّ السلام. قلت له: فيمَ جلست في الهواء؟ قال: يا خليفة، خالفت الهوى، وركبت التقوى، فأسكنت في الهواء.

قال: ثم أتيت إلى زيارة الشيخ عبد القادر برباطه بالحلبة، فرأيته جالساً في قبة الهواء، وذلك الرجل الذي رأيته في الهواء جالس بين يديه متواضعاً، فكلم الرجل وسأله عن أحكام في الحقائق، ثم تكلما في المعارف، بكلام ما فهمت منه شيئاً، ثم قام الشيخ، وخلوت بالرجل. فقلت له: أراك هنا، فقال: وهل لله تعالى ولي مصطفى، أو حبيب مقرب، إلا وله إلى هنا تردد واستمداد. فقلت له: ما فهمت من كلامكما شيئاً، فقال: إن لكل مقام أحكاماً، ولكل حكم معايناً، ولكل معنى عبارة يعبر بها عنه، ولا يفهم العبارة إلا من فهم معناها، ولا يدرك المعنى إلا من تحقق بحكمه، ولا يتحقق بالحكم إلا من وصل إلى المقام المشار إليه. فقلت له: ما رأيت كتواضعك بين يدي الشيخ، فقال: وكيف لا أتواضع مع من ولاني

وصرفني. فقلت: وما ولاك، وفيمَ صرفك؟ قال: ولاني التقدمة على مائة رجل من الغيبيين، الساكنين في الهواء، الذين لا يراهم إلا من شاء الله تعالى، ثم تلا، ﴿وما نتنزَّلُ إلا بأمر ربك﴾ [مريم: ٦٤] الآية، وصرفني في أحوالهم قبضاً وبسطاً.

قال ابن الديبقي: ثم قال الشيخ خليفة: الشيخ عبد القادر قد قلد الأمر في الأولياء، والأبرار، والأبدال، فمن دونهم من أهل زمانه، تقليداً أعمَّ أحوالهم وأسرارهم، وما نظر إلى جهة من جهات الأرض، إلا خاف سكان ذلك القطر إلى أقصى الأرض مشرقاً ومغرباً، من هيبة نظرته يرجون الزيادة في أحوالهم من بركة نظرته، ويخافون سلب أحوالهم من سطوة هيبته، رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ أبو الحسن الجوسقي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أجلاء مشايخ العراق، وعظماء العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الخارقة، والمقامات السنية، والمكانات العلية، صاحب الفتح الموثق، والكشف المشرق، والحقائق الظاهرة، والمعارف الباهرة، والباع الطويل في التصرف النافذ، واليد المبسوطة في علوم المشاهدات، والقدم الراسخة في التمكين الموطد، وله الطور الأرفع في معالم القدس، والمقر الأعلى في مراتب القرب، والنظر الخارق في عوالم الغيب، وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الخلق، وصرفه في الوجود، ومكنه من أحوال النهاية، وقلده أسرار الولاية، وخرق له العادات، وأظهر على يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وملأ القلوب من محبته، والصدور من هيبته، وهو أحد أركان هذا الشأن، وأعيان ساداته، وأئمة القادة إليه علماً وعملاً، وزهداً وتحقيقاً ورئاسة. صحب الشيخ أبا الحسن علياً بن الهيتي رضي الله عنه، وخدمه بالحال، وإليه كان ينتمي. وكان أيضاً يتردد إلى شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، كثيراً، وخدمه مدة. ولقي جماعة من أجلاء مشايخ العراق، مثل الشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبي محمد عبد الرحمن الطفسونجي، والشيخ أبي سعد القيلوي، وغيرهم رضي الله عنهم. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته ببلاد الدجلة، وما يليها. وتخرج بصحبته جماعة من الأكابر، وإليه كان ينتمي الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن حبيش البغدادي، وبصحبته انتفع. وتلمذ له جماعة من الصلحاء، وأجمع المشايخ والعلماء على تبجيله واحترامه، وأقروا بفضيلته، وبرزوا عدالته، وذكروا مناقبه، وكان مشتملاً على شرف الأخلاق، وأكمل الآداب، وأجمل الصفات، وأحسن الشيم، دائماً في أحكام الشرع، معانقاً لطريق السلف، وكان له كلام عالٍ في المعارف.

منه: المعرفة حياة القلب مع الله تعالى، والمحبة سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب، والزهد النظر إلى الدنيا بعين النقص، والإعراض عنها تعززاً وتطرفاً، ومن استحسن من الدنيا شيئاً، فقد نبه على قدرها، وثمرة الشكر الحب لله تعالى، والخوف منه، وذكر اللسان كفارات، ودرجات، وذكر القلب زلفى وقربات، ومن استوى عنده ما دون الله تعالى، فقد نال المعرفة، والتقوى حفظ السر مع الله تعالى على الموافقة، في حفظ الظاهر مع الخلق، الحسن في العشرة، وأعرف الناس بالله تعالى أشدهم مجاهدة في أوامره، وأتبعهم لسنة نبيه محمد ﷺ، وبكاء الزاهدين بعيونهم، وبكاء العارفين بقلوبهم.

ومنه: نقصان كل مخلص في إخلاصه، رؤية إخلاصه، وإذا أراد الله تعالى أن يخلص إخلاص عبد، أسقط عن إخلاصه رؤيته، لإخلاصه، فذاك هو المخلص حقاً، والتوكل رد العيش إلى واحد، وإسقاط هم غد، ومن وجد الله تعالى مع الإشارة فقد استوعب الإرادة، ولا يصلح هذا الأمر إلا لأقوام كنسوا بأرواحهم المزابل، وأنزلوا نفوسهم منزلة من لا حاجة له فيها، وأصل الوصال ترك الالتفات إلى ما سوى الله عز وجل، وأفضل الفقر معرفة التقصير، وأصل الثبات على الضر دوام الفقر إلى الله تعالى.

ومنه: فساد العلماء من شيئين، لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، وآفة المريد الغضب في انتصاره لنفسه، والكلام في غير نفع، وإفشاء السر لغير السادة من الشيوخ، والأنس بكل أحد، وإذا رأيت الفقير يستزيد من الدنيا فذاك من علامات إدباره، وعلامة الشقاوة ثلاثة أشياء: أن يرزق العلم، ويحرم العمل، وأن يرزق العمل ويحرم الإخلاص، وأن يرزق صحبة العارفين ولا يحترمهم، والعلم حرز، والجهل غرور، والصدق أمانة، والغدر هم، والصلة بقاء والقطيعة مصيبة، والصبر شجاعة، والجراءة ضعف، والكذب عجز، والصدق قوة، والعقل تجربة، ولا تصحب إلا من سقط بينك وبينه مؤنة التحفظ، وينبهك على اداب الشرع، وحفظ الحال عند غفلتك.

وكان يدعو بهذا الدعاء: اللهم يا من ليس في السماوات قطرات، ولا في هبوب الرياح ولجات، ولا في الأرض حبات، ولا قلوب الخلائق خطرات، ولا في أعضائهم حركات، ولا في أعينهم لحظات إلا وهي لك شاهدات، وعليك دالات، وبربوبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات، فأسألك بقدرتك التي تحير فيها من في السماوات والأرض أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وذريته ثم يدعو بما أحب.

وكان الشيخ عبد الله الماردیني رضي الله عنه، يقول: إن هذا الدعاء من الأدعية المستجابة، وكان رضي الله عنه، يتمثل بهذه الأبيات:

أشار قلبي إليك كيما | يرى الذي لا تراه عيني
وأنت تلقي على ضميري | حلاوة السول والتمني
تريد مني اختبار سري | وقد علمت المراد مني
وليس لي في سواك حظ | فكيف ما شئت فاعفُ عني

أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي. قال: سمعت الشيخ أبا الحسن علياً الخباز ببغداد، يقول: سمعت الشيخ أبا حفص عمر البزار، يقول: مرض الشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنه، فعاده الشيخ محيي الدين عبد القادر بزريران، واجتمع هناك الشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبو سعد القيلوي، والشيخ أبو العباس أحمد بن علي الجوسقي الصرصري رضي الله عنهم، فأمر الشيخ ابن الهيتي خادمه أبا الحسن الجوسقي بمدِّ السفرة، فبسطها، ووقف مفكراً بمن يبدأ، فوضع الخبز بين يديه، ثم أخذ في يده خبزاً كثيراً، وأفلته، فدار على جوانب السفرة دفعة واحدة، من غير أن يتقدم الحاضرون في ذلك على بعض. فقال الشيخ عبد القادر للشيخ علي بن الهيتي رضي الله عنهما: ما أحسن خادمك هذا في مد السفرة بالحال. فقال له الشيخ علي بن الهيتي: أنا وهو غلمانك، ثم أمر أبا الحسن أن يلازم خدمة الشيخ عبد القادر، فقعد أبو الحسن يبكي. فقال الشيخ عبد القادر: ما يحب إلا الثدي الذي رضع منه، وأمره أن يلازم خدمة شيخه ابن الهيتي رضي الله عنه.

أخبرنا أبو محمد رجب الداري، قال: سمعت الشيخ مسعود الحارثي رحمه الله تعالى، يقول: قصدت أنا والشيخ عبد الرحمن بن حبيش، والعمران الزيدي والدوراني، إلى زيارة الشيخ أبي الحسن الجوسقي رضي الله عنه، فلما مررنا بالدرجة المقابلة للجوسق، رأينا فيها شخصاً كريه المنظر، شديد النتن، مكبلاً بالقيود والأغلال، فنادانا؛ فرجعنا إليه، فقال لنا: إذا دخلتم على الشيخ أبي الحسن الجوسقي، فاسألوه في إطلاقي، فإنه حبسني هنا، وقيدني كما ترون، وإني لا أستطيع الحركة، فلما دخلنا على الشيخ أبي الحسن هممنا أن نسأله فيه. فقال لنا ابتداءً: لا تسألوني فيه، فإنه شيطان، يأتي إلى الفقراء المنقطعين عندنا، فيوشوش عليهم، وإنه كلما همَّ أن يُفسد عليهم شيئاً من أحوالهم أنهاه، وأتوعده، فيحلف أن لا يعود، فلما تكرر منه ذلك فعلت به ما ترون.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي القاسم الأزجي، قال: سمعت الشيخ أبا الحسن علياً الخباز ببغداد، يقول: قصدت مع جماعة من أصحابنا إلى الجوسق، لزيارة الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، فلما دخلنا عليه، كاشفنا بكل ما جرى لنا في طريقنا، وأوضح لكل منا ما اختلج في نفسه، وبتنا عنده، فخرج علينا في الليل براغيث، فكنا نجتهد أن نقتلهن، فلا نقدر، فلما أصبحنا قال له أحدنا: يا سيدي، إذا كان للرجل جاه عند الله أيعمُّ جاهه أهل بلده عند الله، قال: نعم ودوابهم، وحشراتهم، حتى البراغيث.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد الحسن بن علي بن محمد التنوخي النهر ملكي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفتح شليلاً البغدادي بها يقول: سمعت الشيخ أبا محمد عبد الرحمن بن حبيش البغدادي. يقول: حضرت مع شيخنا الشيخ أبي الحسن الجوسقي رضي الله عنه، سماعاً بالجوسق، وكان فيه جماعة من المشايخ، والعلماء، والصلحاء، والفقراء فأنشد القوال: [من الطويل]

أبت غلبات الشوق إلا تطلعاً — إليك ويأتي العدل إلا تجنبا
وما كان صدّي عنك صدٌّ ملالة — ولا ذلك الإقبال إلا تقربا
ولا كان ذاك الحب إلا وسيلة — ولا ذلك الإعراض إلا تهيبا
عليَّ رقيب منك حلَّ بمهجتي — إذا رمت تسهيلاً عليَّ تصعبا

فقال: فطاب الشيخ أبو الحسن، واعتنق رجلاً أحدب كان هناك، فاعتدلت قامته، وذهبت حدبته، وكان يوماً مشهوداً بالجوسق.

أخبرنا أبو محمد الحسن بن قوقا الحريمي، قال: سمعت جدي محمد بن دلف يقول: سمعت يحيى بن محفوظ المعروف بابن الديبقي ببغداد يقول: مررت في بعض السنين بالجوسق، في وقت الظهيرة، فرأيت أبا الحسن الجوسقي رضي الله عنه، في بطحاء مقفرة لا أنيس فيها غيره، ورأيته يتواجد يميناً وشمالاً وينشد:

قد بان بيني ببيني — فبنت من بين بيني
وتهت في كل قفر — وجداً بقرة عيني

ثم بكى طويلاً وأنشد:

روحي إليك بكلها قد أجمعت — لو أن فيك هلاكها ما أقامت
تبكي عليك بكلها في كلها — حتى يقال من البكاء تقطعت
فانظر إليها نظرة بمودة — فلربما متعتها فتمتعت

ثم صاح صيحة عظيمة، وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق أنشد:

أجلك إن أشكو الهوى منك وأنني ... أجلك إن تومي إليك الأصابع
وأصرف طرفي نحو غيرك عامداً ... على أنه بالرغم نحوك راجع

ثم تهلل وجهه فرحاً وسروراً وأنشد:

تبادرت لي حتى إذا ما تبادرت ... معانيك في معناي أدهشتني عني
وعرفتني إياك حتى كأنني ... أرى كلما ألقاه من دهشتي مني
فوا أسفي إن فاتني منك لحظة ... ووا أسفي إن جلت عن موضع الطعن

قال: وكان هناك نخلتان، إحداهما مثمرة، والأخرى قد يبس أصلها وقطعت حملها، فسمعت صوتاً من جهة النخلة المثمرة: سألتك بالله العلي العظيم يا أبا الحسن إلا أكلت مني، فمد يده فتدلت له عراجين النخلة، حتى أكل منها، ثم سمعت صوتاً من جهة النخلة اليابسة، وأنا أسألك بالله العظيم يا أبا الحسن إلا ما توضأت عندي، ثم انفجرت من تحتها عين ماء، فتوضأ وشرب منها، فاخضرت النخلة، وأثمرت لوقتها، ثم غارت تلك العين، فانصرف الشيخ وهو يقول: يا مولاي، من خاطبته خاطبه كل شيء، فكنت أمر بعد ذلك على الموضع وأتذكر ذلك الوقت، وأسح فيه عبراتي، وآكل من ثمر تلك النخلة تبركاً بالشيخ أبي الحسن رضي الله عنه، وكانت ثمرتها من أطيب ثمرة العراق.

سكن رضي الله عنه الجوسق، بلدة على نهر الدجلة من أرض العراق، واستوطنها قديماً إلى أن مات بها مسناً، وبها دفن، وقبره هناك ظاهر يزار.

ووفاته فيما بلغني، قبل وفاة الشيخ مكارم النهر خالصي، وكان يلقب بأبي عراج لعرج كان به رضي الله عنه.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عمر الأزجي، قال: سمعت الشيخ العارف أبا طاهر الخليل ابن الشيخ القدوة أبي العباس أحمد بن علي الجوسقي الصرصري بها.

وأخبرنا أبو الفتح سليمان بن إسحاق بن أحمد الهاشمي العلثي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفضل إسحاق بن أحمد العلثي. قال: سمعنا الشيخ أبا الحسن الجوسقي رضي الله عنه، بها يقول غير مرة: صمت أذناي، وعميت عيناي إن كنت رأيت مثل سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

الشيخ أبو عبد الله محمد القرشي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أجلاء مشايخ مصر المشهورين، وعظماء العارفين المذكورين، ونبلاء المحققين البارعين،

صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، والإشارات الروحانية، والمحاضرات القدسية، والهمم السنية، والعزائم الموضوية. صاحب المقامات السنية، والمكانات العلية، والمعارف الجليلة، والحقائق الربانية، والعلوم الدينية. له الطور الأرفع في مراتب القرب، والمنهاج الأعلى في أرائك القدس، والمقر الأسمى في مجالس الأنس، والثبوت الأقوى تحت مجاري القدر، وله النظر الخارق في عوالم الغيب، والأخبار الصادقة عن مكنونات الأسرار، والباع الطويل في أحكام الولاية، والذراع الرحيب في أحوال النهاية، واليد البيضاء في علوم المشاهدة، والقدم الراسي في التصريف النافذ، والقوة الشديدة في التمكن المكين، والسبق إلى حلبات المعالي، والجمع بين أطراف المماجد، والتقدم في طرق الملكوت، والتجريد عن حظ الأكوان، والتقى من التشبث بالممالك، والانسلاخ من جواذب البقايا، والتحقق بالعبودية.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في العالم، وخرق له العوائد، وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بالحكم، وأجرى على لسانه الفوائد، وملأ القلوب بمحبته، والصدور من هيبته، ونصبه قدوة للسالكين، وحجة للصادقين.

وهو أحد أركان هذا الشأن وأئمة ساداته، وأعيان رؤسائه، وصدور الدعاة إليه، وأعلام العلماء بأحكامه علماً وعملاً، وزهداً وورعاً، وتوكلاً وتحقيقاً، وتمكيناً ومهابةً وجلالة. وهو الذي قال: رأيت القيامة، ومراتب الخلق، ومقامات الأنبياء بها، ورأيت صور الأعمال، وكيف تظهر على أربابها، ورأيت البرزخ، وكيف حال الموتى فيه، ورأيت شخصاً كنت أعرفه، وهو يشكو إليَّ من سوء حاله، ولم أكن علمت بموته، فسألت عنه فقيل لي: إنه مات. وقال أيضاً: أحسن ما تصورت لي الدنيا في صورة امرأة حسناء شابة، بيدها مكنسة، وهي في المسجد الذي كنت فيه تكنسه، فقلت: ما شأنك؟ فقالت: جئت لأخدمك، فقلت: لا والله، فقالت: لا بد، فأشرت إليها بعصا كانت معي، وعزمت على ضربها، فعادت عجوزاً، وجعلت تكنس المسجد. ثم غفلت عنها فعادت مثل ما كانت، فهممت بإخراجها فانقلبت عجوزاً ضعيفة، فرحمتها، ثم غفلت عنها، فصارت شابة، فتغيرت عليها، وانزعجت لذلك، فقالت لي: تطيل أو تقصر هكذا أخدمك، وهكذا خدمت إخوانك، فمن ذلك اليوم لم يتعذر عليَّ شيء من الأسباب. وقال أيضاً: كشف لي من باطن حقائق القرآن العزيز، واطلعت على أسراره.

صحب خلقاً من أعيان مشايخ المغرب ومصر، وشهد كثيراً من كراماتهم،

وروى عنهم أشياء عظيمة من بداياتهم، ووقعاتهم. وقال: لقيت من المشايخ قريباً من ستمائة شيخ، فاقتديت منهم بأربعة: الشيخ أبو زيد القرطبي، والشيخ أبو الربيع سليمان بن عمر الكتاني المالقي، والشيخ أبو العباس الخزرجي، والشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن طريف رضي الله عنهم. ولقي أيضاً أبا مدين رضي الله عنه، وأقام عنده، وحكى عنه، وروى مناقبه.

وقال: لقيت الشيخ أبا مدين رضي الله عنه، ببجاية، وكانت له العبارت، وشرف الهمة، وأقمت عنده، أحضر مجلسه، وأسمع كلامه. وقال أيضاً: كان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه، يلحظني بسره، وكان مشايخه يسمعون كلامه، ويعظمونه، حتى قال الشيخ أبو إسحاق بن طريف رضي الله عنه، الناس ينسبون القرشي إليَّ، والله لقد انتفعت به أكثر مما انتفع بي، وانكشف لي بسببه أمور كثيرة.

وقال الشيخ أبو الربيع المالقي رضي الله عنه: لقد ذكرتني رؤية القرشي أموراً غابت عني منذ أربعين سنة. وقال أيضاً: ما سمعت أحداً يذكر الله تعالى مثل لسان هذا القرشي.

وقال الشيخ أبو العباس أحمد القسطلاني رضي الله عنه: سمعت بعض من اقتدى به من المشايخ، يقول: ما يعرف مشايخ القرشي أي طريق سلكه الشيخ القرشي. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته بمصر، وبه غدق تربية المريدين الصادقين، بالديار المصرية. وتخرج بصحبته غير واحد من أكابر أهلها، مثل قاضي القضاة عماد الدين السكري، والشيخ العلامة بهاء الدين أبي الحسن علي ابن أبي الفضائل، هبة، الله المعروف بابن الحريمي، والشيخ أبي الظاهر محمد بن الحسين الأنصاري الخطيب، والشيخ أبي العباس أحمد بن علي بن محمد القسطلاني، وغيرهم رضي الله عنهم. وتلمذ له غير واحد من ذوي الأحوال، وانتمى إليه جماعة من الصلحاء واجتمع عنده كثير من العلماء والفقراء، وانتفعوا بكلامه وصحبته، وقُصد من كل قطر، ونقلت كراماته في جميع الآفاق. وكان ظريفاً كريماً، جميلاً سخياً، متأدباً متواضعاً لأهل العلم محباً لهم، مشتملاً على أكرم الشيم، وأشرف الصفات. وكان شريفاً قرشياً هاشمياً، وكان مبتلى بالجذام، وضر قبل موته بمدة، وجمع الشيخ أبو العباس أحمد القسطلاني في مناقبه كتاباً، فمن أراد الاطلاع على أكثر أحواله فلينظر فيه، وكان له لسان عالٍ في الشرائع والحقائق، سطِّر من كلامه فوائد جليلة كثيرة.

منه: من لم يدخل في الأمور بالأدب لم يدرك مطلوبه منها. ومنه: الزم الأدب وحدَّك من العبودية، ولا تتعرض لشيء فإن أرادك له أوصلك إليه. ومنه: من لم يجد المزيد بالنظر في أحوال القوم، فقد قصر عمله. ومنه: من لم يراعِ حقوق الإخوان، بترك حقوقه حرم بركة الصحبة. ومنه: من لم يكن له مقام في التوكل كان ناقصاً في توحيده. ومنه: الخواطر لا يملكها العبد، وإنما الذي يجب عليه القيام بأحكام ما أتت به. ومنه: من فسخ عقداً، أو نقض عهداً، فقد أفسد وجهه، وبقيت المطالبة عليه لأن العقد ليس بتركك له يتركك، ولا بإسقاطك يسقط عنك، لأنه حق عليك لا لك. ومنه: العالم من ملك الأشياء فلم تملكه، وتصرف فيها بالخلافة، واسترقها بالحرية. ومنه: العالم من أخذ أصحابه من اللوح المحفوظ، ومن لم يأخذ أصحابه من اللوح المحفوظ، طالت مخاصمته لهم.

ومنه: من اشتغل في الوقت، بما لم يأتِ به الوقت فهو متكلف. ومنه: من لم يصفه القرآن بخلق حسن لا يؤمن عليه التغير، ولن يبلغ العبد من قلوب الرجال بعمل ما يبلغه بمجالس الأخلاق، والشأن كله في التخلق، وعلى قدره يكون كبر الرجال. ومنه: عليكم بهذه القبلة، فإنه ما فتح على أحد إلا منها. ومنه: من تحقق في الشريعة، اطلع على أسرارها، وإنما تحقق أهل الحقيقة في الشريعة.

ومنه: من حفظ آداب الشريعة صار إماماً للمنتفعين. ومنه: من أخرج مريداً من حاله، وهو غير قادر على رده عليه، فهو متعد. ومنه: من نظر إلى المشايخ بعين العصمة حجب عن رؤيتهم. ومنه: لا ينبغي للشيخ أن يأمر المريد بالخروج من أسبابه، إلا أن يكون قادراً على حمله، متحكماً في حفظه.

ومنه: إذا طالبهم بالإخلاص تلاشت أعمالهم، وإذا تلاشت أعمالهم، زاد فقرهم، وفاقتهم، فتبرؤوا عن كل شيء ومن كل شيء لهم وعليهم. ومنه: من علامة الولي إذا طال عمره كثر عمله، وإذا كثر فقره زاد سخاؤه، وإذا زاد علمه كثر تواضعه. ومنه: من لم تكن السنة مصحوبه في توحيده، فهو مبتدع. ومنه: الفقر سر لا يعلمه إلا الأنبياء وبعض الصديقين. ومنه: أوقفهم رؤية ما هنالك على غاية العجز. ومنه: من لم يجد الزيادة بعد ورود الواردات فهي خدع، والعمل في غير سنة بطالة. ومنه: من صدق بهذا الأمر فهو ولي، ومن أدرك منه مقاماً، أو نال منه حالاً فهو بدل. ومنه: التدبير والاختيار من علامات الغفلة. ومنه: الولي إذا حضر الطعام انقلبت عينه ببركة حضوره، والولي لا يأكل إلا حلالاً. ومنه: من لم يخرق له حجب العادة لم يفتح له باب إلى الآخرة.

ومنه: المريد الصادق، ورده إرادته. ومنه: الهمة محل النظر. ومنه: من لم تهذبه أحكام المشايخ لا يصلح الاقتداء به. ومنه: لكل مقام علم يخصه، ولكل حال أدب يلزمه. ومنه: إذا جبل الله المريد على حسن الظن، فهي علامة الأخذ بيده. ومنه: لا يصلح التكلم في هذا الشأن إلا لأهل الإشراق، ولما لم يفهموا ما للمتبع عليهم من الحقوق، سهل عليهم كثرة الاتباع. ومنه: الحاجة إذا تحققت قلبت الأعيان. ومنه: الإرادة في البداية صولة ورعونة، فمن أخذ علم حاله منها انقطع عن المزيد، وكانت عليه فتنة. ومنه: من أدرك حقيقة مقام أعطي حالاً من جميع المقامات. ومنه: القصد من الرياض تهذيب الأخلاق، لا ورود الأحوال. ومنه: تأتي الأوقات بأنوارها، فينال الخاصة والعامة منها، ومن لم يكن ضرورته مولاه لم يصل إليه. ومنه: الخوف طريق أهل العلم، والرجاء طريق أهل العمل. ومنه: إذا سمع المريد علماً لم يبلغه حاله، ولا منازلته، فنطق به قبل منازلته له، أورثه ذلك الدعوى فيه، ومن لم يكن علمه في هذا الشأن عن منازلة وذوق لا يقتدى به.

ومنه: من علامات الخواص إذا نظروا إلى شيء سلط عليهم، وإذا استشرفوا إلى شيء حرموه. ومنه: من لم يعطِ الحركات والسكنات، لا يصلح الاقتداء به في هذا الشأن، والفهم أول خلع القبول. ومنه: لا ينبغي للشيخ أن يتكلم مع المريد إلا فيما يصلح به، وإلا كان عليه فتنة، ولا ينبغي للمريد أن يأخذ من العلم إلا ما وافق حاله. ومنه: الواردات من نعم الله تعالى، فإذا لم يحسن العبد جوارها بالتقيد والامتثال ذهبت، وإذا ذهبت فقلٍّ أن تعود، وعلى قدر العقول تعلو الهمم، وترتفع الإشارة.

ومنه: الزاهد يغلب عليه الغضب لعلمه بما فات، والعارف يسعه الحكم لمعرفته بالآفات. ومنه: العبودية الوقوف في محل الافتقار، والعبودية فقد التمني والاختيار، ومن لم يفرق بين الإلهام والوسوسة، لا يباح له السماع. ومنه: العارف من استوى في نظره تصريف القدرة وتدبير الحكمة. ومنه: الأحوال ثمرات الأعمال، والعلوم ثمرات الأحوال، فمن لم يكن علمه من حاله، فهو ناقل، وأصل العلم التوفيق والإلهام، ومادته الاطلاع والاتساع، ويد الله عز وجل على أفواه العلماء، لا ينطقون إلا بالحق. ومنه: من آداب السالك إذا أخذ في ترك، أو عمل، أو تهذيب خلق، أو تخلق بعادة، أن يأخذ على نفسه في ذلك المعنى أشد الأخذ، ويتسامح فيما سواه، لأن النفس إذا لم تجد مستروحاً، عجزت وحزنت

وكلت. ومنه: من التزم عقد التوكل، إنما يباح له الخروج للأسباب في حق الغير، إذا خاف خللاً في فرضه. ومنه: القوة ترك ما لك، والقيام بما عليك، ومن أعظم المحن ورود النقص على العبد، وهو لا يشعر به. ومنه: الهمة محل النظر، والصادق له في كل عمل وجهة. ومنه: من لم يكن له من قلبه شاهد، ويستحي منه في حركاته لم يتم له أمره. ومنه: لن يصل إلى موارث الأعمال، من سلك على غير السنة.

وكان رضي الله عنه يقول: من فوائد الفقر وثمراته، وجود ألم الجوع والعري، والتلذذ بهما، والزيادة منهما، والمنافسة فيهما. وكان من دعائه: اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة، فيما بيننا وبينك على السنة، وارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، وامنن علينا بكل ما يقربنا إليك، مقروناً بالعوافي في الدارين، برحمتك يا أرحم الراحمين.

ومنه: اللهم إنّا نستغفرك من كل ذنب أذنبناه، استعمدناه أو جهلناه. ونستغفرك من كل ذنب تبنا لك منه، ثم عدنا فيه. ونستغفرك من الذنوب التي لا يعلمها غيرك، ولا يسعها إلا حلمك. ونستغفرك من كل ما دعت إليه نفوسنا من قبل الرخص، فاشتبه ذلك علينا، وهو عندك حرام. ونستغفرك من كل عمل عملناه لوجهك، مخالطه ما ليس لك فيه رضى، لا إله إلا أنت يا أرحم الراحمين.

ومنه: اللهم أمتنا عنا قبل الموت، وأحيينا بك حياة طيبة. ومنه: أنه قال: دخلت على الشيخ أبي محمد المغاوري رضي الله عنه، في بعض الأيام فقال لي: يا شريف أعلمك شيئاً تستعين به إذا احتجت إلى شيء؟ قلت: نعم. فقال: يا واحد يا أحد، يا جواد انفحنا بنفحة خير منك، إنك على كل شيء قدير قال: فأنا أنفق منها منذ سمعتها، وكان ينشد:

أحرى الملابس أن تلقى الحبيب بها ... يوم الزيارة في الثوب الذي خلعا
فقــر وصبر هما ثوبــان تحتهمـا ... قلـب يـرى ألفـه الأعياد رالجمعا
الدهر لــي مأتم إن غبت يا أملي ... والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

قال الشيخ الجليل العارف أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن حسن القسطلاني، تغمده الله برحمته، في كتابه الذي أملاه في مناقب الشيخ أبي عبد الله القرشي. سمعت: الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: كنت عند الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن طريف رضي الله عنه، حاضراً، فأتى إليه إنسان فسأله: هل يجوز للإنسان أن يعقد على نفسه عقداً لا يحله إلا بنيل مطلوبه؟

فقال له: نعم، واستدل بحديث أبي أمامة الأنصاري في قصة بني النضير، في قوله عليه الصلاة والسلام: «أما إنه لو أتاني لاستغفرت الله له، ولكن إذا فعل ذلك بنفسه ندعه حتى يحكم الله فيه».

قال: فسمعت هذه المسألة، وعقدت على نفسي أنني لا أتناول شيئاً إلا بإظهار قدره، فمكثت ثلاثة أيام وكنت إذ ذاك، أعمل صناعتي في الحانوت، فبينما أنا جالس على الكرسي، إذ ظهر لي شخص بيده شيء في إناء، فقال لي: اصبر إلى العشاء تأكل من هذا، ثم غاب عني، فبينما أنا في وردي بين العشائين، إذ انشق الجدار، فظهرت لي حوراء، وبيدها الإناء الذي كان بيد ذلك الشخص، فيه شيء يشبه العسل، فتقدمت إليَّ، وألعقتني منه ثلاثاً، فصعقت وغشي عليَّ، ثم أفقت وقد ذهبت، فلم يطب لي بعد ذلك طعام، ولا استحسنت بعدها شخصاً، ولا كنت أتمكن من سماع كلام الخلق، وأقمت على ذلك مدة. وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: كنت بمنى فعطشت، ولم أجد ماء، ولم يكن معي ما أشتري به، فمضيت أطلب بئراً من الآبار، فوجدت عليه أعاجم يستسقون الماء، فقلت لأحدهم: ضع لي في هذه الركوة ماء، فضربني وأخذ الركوة من يدي، ورمى بها بعيداً، فمضيت لأخذها وأنا منكسر القلب، فوجدتها في بركة ماء حلو، فاستقيت وشربت، وجئت بها إلى أصحابي فشربوا، وأعلمتهم القصة فمضوا إلى المكان ليستسقوا منه، فلم يجدوا ماء، ولا أثراً لماء، فعلمت أنه آية.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه يقول: كنت في بحر جدة، ومعي صاحب لي، فعطش عطشاً شديداً، فسألت: من يبيعنا من الماء بشملة كانت عليَّ لم يكن عليَّ سواها، فلم يفعل أحد أن يبيعنا، فقلت له: خذ هذه الشملة، وامضِ إلى رئيس المركب، فمضى إليه، وحمل معه ركوة، فلما وصل إليه انتهره وصاح عليه، وكان شاباً من ذوي البيوتات، وأخذ الركوة من يده وحذف بها، فلم تقع في البحر، وسقطت في المركب، فجاء إليَّ فرأيت ذله وانكساره، وشدة حاجته، وعلمت أن الله تعالى لا يتركه كذلك، فأخذت الركوة، وملأتها من البحر، فشرب حتى روي، ثم أخذتها من يده وشربت حتى رويت، وشرب أيضاً من كان إلى جانبي ممن ليس معه ماء، وملأت ركوة أخرى عجنا بها الدقيق، فلما حصل استغناؤنا ملأتها بعد ذلك، فوجدته مالحاً على ما نعهده، فعلمت أن الحاجة إذا تحققت قلبت الأعيان.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: كنت يوماً عابراً على عرصة العنب، فلما وصلت اتصل بي أنين من بعض الأحمال، ثم تزايد الأنين ولم يمكنني الذهاب، فرجعت إلى أن وقفت على المنادي، فنودي على الحمل، وكان قيمته درهمين أو ثلاثة، فدفع فيه إنسان أكثر من قيمته، وكان يعصر الخمر، فقلت: إنما دفع فيه هذه القيمة ليعصره خمراً، وإلا فقد تقدم من الأحمال ما لم يبلغ هذا المبلغ، فلم يقبل مني ولم يلتفت إليَّ، فاشتريته بما دفع فيه، قال: ولم يكن معي شيء، فخلعت ثوبي، ودفعته في قيمته، وخلصته من يد المشتري، فسكن أنينه.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: أتيت بعض المشايخ أزوره، فقال لي: هاهنا امرأة مكاشفة من أهل العلم، لو اجتمعت بها، ثم قال: يا فلان لبعض الصبيان: امضِ، وقل لها: عندنا رجل من الإخوان أتانا زائراً أريد أن تجتمعي معه عندنا، فجاءت امرأة مستترة في لبسها، متضاوية في مشيها، فسلمت عليه وعليَّ، فقال لها: هذا رجل أردت أن تتعرفي به، فجرى بيننا أحاديث، فحدثت بمكاشفات لها، ومراءٍ رأتها، فبينما هي تتحدث إذ سمعت أنيناً من جيبها، ثم غفلت عنه، فوجدته متصلاً بي، فلما فرغت من كلامها، قلت لها: يا فلانة، الذي في جيبك أعطيه لي، فقالت: وما في جيبي؟ فقلت لها: أخرجي ما فيه، فأخرجت تفاحة نصفها أحمر، ونصفها أخضر، وقد وضعت في رأسها غالية، فقلت: ادفعيها لي، فقالت: أنا أريد أهديها لبعض النساء من نساء المشارق، فقلت لها: ما تمضين بها وغرضي فيها، فدفعتها لي، فمضيتُ بها إلى الشيخ أبي زيد، فأكلها، فعلمت أن سبب استغاثتها بي طلب الاتصال بالولي، وهرب من مكان أهل المعصية.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: كان معي درهم، فخرجت أشتري به دقيقاً، فاستقبلني سائل فأعطيته إياه، ثم مشيت ويدي مطبوقة، ففتحتها، فوجدت فيها درهماً، فاشتريت الدقيق، ثم عدت إلى البيت. وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: كنت في ابتداء أمري أشتري الدقيق، وأدفع منه لمن يسألني طول الطريق، إلى أن أصل إلى البيت، فأزنه فأجده كما أخذته.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا الطاهر محمد بن حسين الأنصاري، رضي الله عنه، يقول: أخبرني رجل أنه كان له صاحب له ولد، وكانت له مدة

أربع سنين لا يستطاع معه النوم من شدة بكائه، فقيل له: لو مضيت إلى الشيخ أبي عبد الله القرشي ليدعو له، فقال: إن هذا شيء لا ينفع فيه الدعاء ولا غيره، قال: ثم خطر بباله أنه لو مضى به إليه لم يضره ذلك، فاجتمع مع الشيخ في الجامع بعد صلاة الجمعة، وعرض عليه قصته، وسأله أن يدعو له، فقال له الشيخ: ما اسمه، قال: له يوسف، فالتفت إلى الصبي وقال له: يا يوسف لا تبكِ الليلة، قال الرجل: فبقي في نفسي من الذي قال له، وتعجبت فمضيت به إلى الدار، فنام تلك الليلة حتى الصباح، فقلت لأمه: انظري إن كان طرأ عليه شيء، فما أظن هذا نوماً، فتعجبنا من ذلك، وبقي الصبي إلى أن كبر لا يرجع إلى حاله في البكاء.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: لما تزوجت، فبينما أنا في الطريق، إذ سمعت شخصاً في الطريق يقول: هذا فلان قد تزوج، ولا بد أن يتغير حاله، وسوف يرى، فعقدت على أنني لا أشتري في تلك السنة قوتاً، ولا أدخر مؤنة حتى أنظر ما قد تخوفت عليه، فمضت تلك السنة، ووجدت فيها من البركة والفوائد ما لا أصفه، ولم يحوجني الله تعالى إلى أحد، بل عاملني بلطفه.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي، رضي الله عنه يقول: بلغت المقامات في الطوى، فكنت أواصل ثلاثاً، وأصبر فوق ذلك بحسب ما يقتضيه الحال من الثلاث إلى الأربع، ولم يتفق لي زيادة على ذلك اختياراً، وكنت مراداً بالتقليل، لم يكن يصفو لي شبع ولا ري، ولا كسوة، ولقد أقمت مقدار سنة، وعلي خلق جبة صوف، كنت أضمها عليَّ لئلا تنكشف عورتي، ولقد كانت عليَّ بمكة محشوة، فقطعت بطانتها، فصار القمل يسكن في القطن، فكنت أقاسي منها شدة.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: كنت أبحث عن قوام الجسد في الغذاء، وأسأل عنه من ألقى من العلماء، فلم يزل الأمر بي إلى أن طويت أياماً كثيرة، وضعفت نفسي، فحضر بين يدي طعام، وجعلت أراقب نفسي إلى أي حد يزيد علي قوتي، وأجد لذة الطعام، فأكلت مرة مقدار ست أواق، أو مقدار أربع أواق، فانتبهت نفسي، ووجدت لذة الطعام، فأردت الزيادة على ذلك المقدار، فخرجت لي يد من تحت يدي، تريد أن تأكل معي، فمددت يدي للطعام فامتدت تلك اليد، فتنغص عليَّ الحال، واسودَّ الطعام في عيني، فلم أقدر أن آكل منه شيئاً، فقمت عنه، فقيل لي: ذلك الحد هو قوام

جسدك، وما سواه فهو للنفس، فلم أزل على ذلك مدة حتى تمكن حالي، وكنت إذا أتاني ضيف، فأكلت معه لم تخرج تلك اليد.

قال الشيخ أبو العباس بن القسطلاني: فسألته كم كان صبرك على ذلك المقدار؟ قال: كنت أصبر عليه يوماً وليلة، وكان حالي مستمراً، وكانت نفسي ساكنة، وجوارحي هادئة، ولساني ذاكراً، وقلبي طيب، ودمت على ذلك مدة من الزمن. وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: أضافنا في بعض القرى رجل، فقدم إلينا طعاماً، فقلت لصاحبي: كل، فقال لي: لا أستطيع أن أمد يدي إليه لأني أجده ناراً، فقلت له: وأنا أيضاً أراه دماً، فاعتذرنا وانصرفنا، وسألنا عن الرجل، فإذا هو حجام. وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: سمعت أبا إسحاق بن طريف رضي الله عنه، يقول: كان الشيخ أبو العباس المتلي، الساكن بسبتة من الرجال، وكانت أصابعه قد سقطت، فخطر ببالي أن أسأله كيف حاله في التنوز بالموسى، فسألته عن ذلك، فقال: لا تسأل، فقلت له: يا سيدي، سألتك بالله إلا ما أخبرتني، فقال: يا بني إذا احتجت إلى ذلك، قلت: يا رب أنت العالم أن هذا موضع لا يمكن الاطلاع عليه، فينوب عني في تطهيره غيري، قال: فتخرج من بين يدي أصابع، بقدر ما تمسك الموسى، فأقضي حاجتي، ثم تعود يدي إلى حالها.

قال الشيخ أبو العباس بن القسطلاني: كان الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه، لا تثبت يده على قبض الشيء لتشنج العصب، وكانت عيناه قد ذهبتا، فكنت أضع الموسى له في يده، وأمكنها بين إصبعيه وأتركه، ثم أدخل عليه في موضعه، فأجد الشعر مطروحاً، والموسى مطروحة، فكنت أرى أنها كرامة. وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: سمعت الشيخ أبا محمد عبد الحق، المحدث ببجاية، يقول: أردت السفر إلى الحج، فركبت في مركب، فتعذر المركب، ونزلت على البر، وتوجهت إلى البلد، فسمعت هاتفاً يقول:

قد يصد المريد وهو قريب ويساق المراد وهو بعيد

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: قال لي أبو العباس أحمد بن صالح رضي الله عنه: عبرت على سرب، فجعلت أنظر إلى ما اجتمع فيه من الأقذار، واعتبرتها في نفسي، فسمعت هاتفاً يقول: انظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً.

وقال فيه أيضاً: أخبرني الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الثوري، رضي الله عنه، أنه كان يرى موضع قدمي الشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه، من الأرض، إحداهما ذهباً، والأخرى فضة.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: كان لي صاحب فحصل بيننا من الاتصال ما إن كان ليلة من الليالي نائماً، إذ قال لي: يا أبا عبد الله، انظر ما تحت جنبك، ففتشت فوجدت حجراً، فقال لي: انزعه، فقد أقلقني الليلة، فقلت له: كيف ذلك؟ فقال: أجد حجراً تحت جنبي فيؤلمني، فأفتش عليه فلا أجده، فعلمت أن ذلك بك.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: بينما أنا أسير في بعض السواحل، إذ خاطبتني حشيشة، وقالت لي: أنا لشفاء هذا المرض الذي بك، فلم أتناولها، ولم أستعملها، فقلت: يا سيدي أتعرفها الآن؟ قال: نعم، فقلت: فهل هي بديار مصر؟ قال لي: ما رأيتها بها، ولو رأيتها لعرفتها.

وقال فيه أيضاً: كان عند الشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه، في بعض الأيام صغيرة زائرة، وكان بها لمم من الجان، فصرعت، فسمع حركتها فسأل عن ذلك، فأخبر بالقصة، فقام عليها، وزجر الطارق زجراً شديداً، وقال: لا تعد إليها بعد هذا، فأفاقت، ولم يعد إليها.

وقال فيه أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: خرجت من بدر أريد مكة، فتعبت فنمت تحت شجرة، فانتبهت فرأيت منزلاً، فسألت عنه، فقيل لي: هذه خليص، فوصلت إلى مكة في ثلاث مراحل.

أخبرنا أبو المعالي، فضل الله بن سالم بن يونس القرشي البلبيسي. قال: سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بن سليمان بن أحمد القرشي، البلبيسي، المعروف بابن كيساء. قال: عبر الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه، في بعض قرى مصر، ومعه جماعة من أصحابه، فوجدوا القرية عامرة بالبيوت والبساتين، ولم يروا بها أحداً، فسأل الشيخ عن سبب خلوها من الناس، فقيل له إنها مشهورة بسكنى الجان، ومن سكنها من الناس آذوه أذى شديداً، وقد تفرق أهلها في القرى، فقال الشيخ لبعض الفقراء: نادي بأعلى صوتك في أرجاء القرية، معاشر الجان قد أمركم القرشي أن ترحلوا عن هذه القرية، ثم لا تعودوا إليها، ولا تؤذوا أحداً من أهلها أينما كانوا، ومن خالف منكم هلك.

قال: فجعل الرجل ينادي، والفقراء يسمعون في القرية جلبة وهرجاً، فقال

الشيخ: قد ارتحلوا، ولم يبقَ منهم فيها أحد، فتسامع أهل القرية وجاؤوها وعمرت بالناس، ولم يتأذ أحد من أهلها من الجان بعد ذلك.

أخبرنا أبو محمد عبد الرحيم ابن الشيخ أبي الوفاء، فضائل بن علي بن عبد الله المخزومي، المعروف بابن الجلاجلي. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: دخلت يوماِ على الشيخ أبي عبد الله القرشي بيت خلوة في حمام بمصر، فوجدته وحده، ورأيته بصيراً، ورأيت جسده أبيض كالفضة البيضاء، لا عاهة به، ورأيت في جانب بيت الخلوة وتداً فيه ثوب معلق، فقلت: يا سيدي، ما هذا الحال، وما ذاك الحال؟ فقال لي: أو رأيت؟ قلت: نعم، قال: يا أبا الوفاء: قد ألبسني الله تعالى ثوبي العافية والبلاء، وصرفني فيهما أيهما شئت لبست، فلما فرغ من طهره، عمد إلى ذلك الثوب المعلق في الوتد، فلبسه، فإذا هو أعمى مبتلى على عادته المعروفة.

قال: وكان تزوج امرأة من أهل مصر، فكانت تقول: إنه إذا دنا منها تراه بصيراً، وترى جسده كالفضة، كأحسن ما يكون من الناس. قال: وسمعته يقول: كنت أرى كأن القيامة قد قامت، والأنبياء عليهم السلام قد عقدت لهم ألوية، والخلق يتبعونهم، وكنت أرى أهلِ البلاء قد عقد لهم لواء، وقائدهم أيوب عليه السلام، وكنت أرى على رأسي لواءاً مكتوباً عليه أيوب.

أخبرنا الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن صالح القرشي السمنودي، قال: سمعت الشيخ أبا محمد عبد الخالق بن أبي صالح بن علي الفضائل القرشي، الأموي الشافعي، النحوي اللغوي بمصر. قال: أكل الشيخ أبو عبد الله القرشي، والملك الكامل، ونائب السلطنة يومئذٍ من إناء فيه لبن، فامتنع نائب السلطنة من الاسترسال في الأكل من أجل أن القرشي مبتلى. فقال الشيخ: إن امتنعت أن تأكل معي بهذه اليد المبتلاة، ورفع يده، فكل معي بهذه اليد، وأخرج يداً بيضاء مثل الفضة لا ألم بها.

قال: وكان الشيخ القرشي يقول لأصحابه: إنكار المنكر بالباطن، من حيث الحال، أتم من إنكاره بالظاهر من حيث القال، فقيل له: أرنا آية ذلك، فقال لصاحبه الشيخ أبي عبد الله القرطبي: أجلسني على دكة على الطريق، فأتى به إلى مسجد عند مفرق الطرق بين مصر والقاهرة، وأجلسه على دكته، فعبر بغل عليه جرار خمر، فأعلمه القرطبي به، فأشار الشيخ بأصبعه إلى البغل، وقال: هو هذا، فعثر البغل، وتكسرت الجرار، ومرَّ به ثلاثة أحمال بغال عليهم خمر، وهو يصنع كذلك والجرار تنكسر. فقال الشيخ: هكذا يكون الإنكار.

أخبرنا أبو المعالي فضل الله بن سالم بن يونس القرشي البلبيسي. قال: سمعت أبا العباس أحمد بن كساء البلبيسي يقول: كان عند الشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه جارية تخدمه، فصرعت، فجاء الشيخ، وقعد عند رأسها، وزجر العارض، وأخذ عليه أن لا يعود إليها، وتعافت، ثم بعد مدة صرعت، فجاء الشيخ وجلس عند رأسها، فاضطرب الجني اضطراباً شديداً، وأقسم أن لا يعود، فلما أراد الشيخ أن يسافر إلى بيت المقدس، قال لبعض جيرانه: إن رأيتها صرعت، فأتها، وارفع رأسها، واضرب هذا المسمار في أرض موضع رأسها، حتى يغيب، وإذا سمعت صياحاً منكراً، فلا يروعنك ولا ترحم، قال: فبعد مدة صرعت، فجاء الرجل وفعل ما أمره الشيخ فسمع صياحاً منكراً ارتاع منه، ثم ذكر قول الشيخ، فأتبع الضرب حتى غاب المسمار في الأرض وانقطع الصياح، وأفاقت الجارية، وأرخ ذلك اليوم، فجاء الخبر من بيت المقدس أن الشيخ مات في ذلك اليوم.

قال: ولم يصب تلك الجارية بعد ذلك اليوم عارض حتى ماتت. قال الشيخ أبو العباس أحمد بن القسطلاني رضي الله عنه، كان الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه، في آخر عمره قد ارتفع عنه النوم بالليل، مقدار عشرين سنة، وكان لا ينام إلا بالنهار، من بعد طلوع الشمس إلى الضحى الأعلى. وقال أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: بلغت من الشفقة إلى حال لا يستجاب لي فيمن يؤذيني، ولا تعجل عقوبته، وإني أرجو أن لا يتعلق بسببي تبعة بأحد من المسلمين. وقال أيضاً: كانت الولاية على الشيخ أبي عبد الله القرشي رضي الله عنه، شاهدة سمت ومهابة وسكينة، ما رأيت أحداً رآه فصرف بصره عنه. وكان رضي الله عنه إذا عبر في السوق، خمدت الأصوات، وهدأت الحركات، لاشتغالهم بالنظر إليه، ولا جالسه أحد إلا اغتبط بصحبته، ووجد في قلبه أثر بركته.

وقال أيضاً: سمعت الشيخ أبا عبد الله القرشي رضي الله عنه، يقول: ما سلكت هذه الطريق إلا بتدقيق الورع، وكمال المحاسبة، ولم أرض لنفسي المحاسبة في حظوظها، حتى يكون العلم هو الذي يخرجني إليه. وقال أيضاً: كان الشيخ أبو عبد الله القرشي رضي الله عنه، كثير التفقد لإخوانه بالدعاء، فيسميهم بأسمائهم في المواطن والأوقات المرجوة للإجابة، كليالي رمضان، وأفراد العشر، وكنا نعرف ليلة القدر باغتساله تلك الليلة، وتعديد أسماء إخوانه

من الموتى والأحياء. وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي رضي الله عنه، سكن مصر وأقام بها وبالقاهرة أيضاً مدة، ثم رحل إلى بيت المقدس، ومات به في السادس من ذي الحجة من سنة تسع وتسعين وخمسمائة. ودفن في الجبانة المعروفة بملاقي ظاهر البيت المقدس، من جهة الغرب، وقبره ظاهر يزار. ومولده بالأندلس قريباً من سنة أربع وأربعين وخمسمائة رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن الوهاب بن صالح بن إبراهيم القرشي السمنودي الشافعي. قال: سمعت الشيخ الفاضل أبا الطاهر محمد بن الحسين الأنصاري الخطيب، يقول: سمعت الشيخ أبا عبد الله محمد بن أحمد القرشي رضي الله عنه، يقول: سمعت الشيخ أبا الربيع سليمان المالقي رضي الله عنه، يقول: سمعت سيد أهل زمانه الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه يقول: مقام الفناء حد ومرد. قال الشيخ أبو الربيع: وفي هذه الكلمة علم عظيم، جمع فيها جلائل المعاني. قال أبو الطاهر: فقلت للشيخ القرشي الشيخ عبد القادر رضي الله عنه سيد أهل زمانه، فقال: نعم، أما الأولياء فهو أعلاهم وأكملهم، وأما العلماء فهو أورعهم وأزهدهم، وأما العارفون فهو أعلمهم وأتمهم، وأما المشايخ فهو أمكنهم وأقرهم، رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

الشيخ أبو البركات بن صخر الأموي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أجلاء مشايخ المشرق، ونبلاء العارفين، وجهابذة العابدين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمقامات الجليلة، والأنفاس الروحانية، والعلوم الدينية، والمعاني النورية. صاحب الفتح السني، والكشف الجلي، والقلب المضي، والقدر العلي. له المعراج الأعلى في مدارج القدس، والمنهاج الأرفع في مراتع الأنس، والمجلس المصدر في أرائك القرب، والطور السامي في الحقائق، والتعالي في المعارف، والبصيرة الخارقة لحجب طرائق الملكوت، والسريرة الساكنة بين مشاهد الجبروت. وله الباع الطويل في أحوال النهاية، والدرع الدريع في أحكام الولاية، واليد البسيطة في التصريف الخارق، والقدم الراسخة في التمكين الموطد، والاطلاع المبين على حقائق الآيات، والإشراق المبين لمنازلات المشاهدات، والعلو على متون الجلالات، والسمو إلى نسمات المحاضرات، والصعود على مراقي السعود، والنفوذ إلى عرصات الشهود.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، وملكه الأسرار،

ومكنه من الأحوال، وأظهر على يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، وملأ صدور الخلق من هيبته، وعمر قلوبهم بمحبته، ونصبه قدوة للسالكين، وحجة على الصادقين.

وهو أحد أركان هذا الشأن، وأئمة الدعاة إليه، وأعيان العلماء، بسبله علماً، وعملاً، وزهداً وتحقيقاً،، ومهابة، ورئاسة. صحب عمه الشيخ القدوة أبا الفضائل عدياً بن مسافر رضي الله عنه، وهاجر إليه من بقاع العزيز إلى جبل هكار، وإليه كان ينتمي، وخلفه بعد وفاته بالمشيخة، بجبل هكار، بزاويته بلالش. وكان يثني عليه، ويقدمه.

وقال فيه: أبو البركات ممن دعي في الأزل، وكان من السابقين إلى الحضرة. وقال فيه أيضاً: أبو البركات يخلفني. ولقي غير واحد من مشايخ المشرق، رضي الله عنه وعنهم. انتهت إليه رئاسة هذا الأمر في وقته في تربية المريدين السالكين، وكشف مشكلات أحوالهم، وتبيين مهمات أمورهم بجبل الهكار، وما يليه. وتخرج بصحبته غير واحد من الصلحاء، وبه تخرج ولده الشيخ الجليل الأصيل أبو المفاخر عدي رضي الله عنه. وانتمى إليه جماعة من ذوي الأحوال، وقال بإرادته خلق كثير، وقصد من كل جهة، واشتهر ذكره في الآفاق. وكان كامل الآداب، حسن الأخلاق، ظريف الشمائل، ذا سمت وبهاء، وصمت وحياء، محباً لأهل الدين، مكرماً لأهل العلم، وافر العقل، كثير الكرم، شديد التواضع. وكان له كلام عالٍ على لسان أهل الحقائق.

منه: المحب لذة في نغصة، ومواضع التحقيق منها للدهش والحيرة، ويلزمهما الشوق، وهو توق النفس إلى رؤية المحبوب، وذلك يتولد من امتلاء القلب بذكر الحبيب، وامتزاج الكرب باللهيب إلى مشاهدة القريب، فإذا امتلأ القلب من حب حبيبه، وضايقته الأشجان على أكثر من نصيبه، التجأ إلى الذل والخضوع، وانفجرت الشآبيب بالدموع، واتقدت في السرائر جمرات إرادة رؤية المحبوب، على قلة الصبر، فالشوق يقع على الرؤية، والمحبة تقع على الذات، والقلب الجزوع هلوع، والسر الممنوع فجوع، ومن سكر بكأس المحبة لا يصحو إلا بمشاهدة محبوبه، فإن السكر ليلة صباحها المشاهدة، كما أن الصدق شجرة ثمرتها المجاهدة، ثم تزايد بكاؤه، وأنينه، وأنشد:

إذا جاز ركب الشوق في ربع لوعتي ... جعلت لـه بـادي الأنين دليـلا
وقد عاد ليل العتب أقمر بالرضا ... وعوضنـــي منـــه الكثير قليـلا

فما بال خيل الحب في حلبة الوفا تطرق للبلوى إلـيَّ سبيلا
سأعتب للأيام فيك لعلها تبلغني بالعتب فيك قبولا

ومنه: أصول الأصول في ثلاثة أشياء: الوفاء، والأدب، والمروءة. فأما الوفاء، فانفراد القلب بفردانيته، والثبات على مشاهدة وحدانيته، والمؤانسة بنور أزليته. وأما الأدب: فمراعاة الخطرات، وحفظ الأوقات، والانقطاع عن المقاطعات. وأما المروءة: فالمقام على الذكر بالصفاء قولاً وفعلاً، وصيانة السر عن الأغيار ظاهراً وباطناً، وحفظ الأوقات لما هو آت، واستدراك ما فات. فإذا وجدت هذه الخصال في العبد، وجد لذة الوصال، وخالف حرقة البين، وهاج في سره نار الاشتياق.

ومنه: أساس هذا الشأن أربعة أشياء: ظاهران وباطنان. فأما الظاهران، فالسياسة، والرياضة. وأما الباطنان، فالحراسة والرعاية، فالسياسة حفظ النفس، ومعرفتها، وبذلك يصل العبد إلى التطهير، وميزانه القيام على وفاء العبودية، والرياضة مخالفة النفس، وبذلك يصل العبد إلى التحقيق، وميزانه الرضا عند الحكم، والحراسة معاينة بر الله تعالى، وبذلك يصل العبد إلى منازل المعرفة، وميزانه الصفو والمشاهدة، والرعاية مراعاة حقوق الله عز وجل بالسرائر، وبذلك يصل العبد إلى درجات المحبة، وميزانه الحيرة والهيبة، ثم الوفاء متصل بالصفاء، والرضا متصل بالمحبة، علمه من علمه، وجهله من جهله.

ومنه: ينبغي للمريد الصادق أن يستعمل عشر خصال، ويتجنب عشر خصال. فأما التي يستعملهن: فالعلم، والحلم، والمكارم، والعفو، والجود، والخلق، والشكر، والذكر، والإيثار، والورع.

وقانون هذه الخصال، الزهد في غير المحبوب، مع إيثار طاعة المحبوب.

وأما التي يتجنبها: فالكبر، والبخل، والفضول، والهوى، والنفس، والدنيا، والإرادات، وأنا، وأنت، ولي.

وقانون هذه الخصال: رؤية البلاء عطاء من الحبيب، مع استعمال الرضا والتسليم، ورعاية حال الخدمة، حذراً على حال القربة، من حال الفرقة، ثم لا يكون العبد متحققاً بحال الرضا، في مقام الحقيقة، حتى يلزم الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، والموافقة للمعبود، وإفناء النفس في المجهود.

ومن علامات أهل الخصوص، أن كلامهم يكون ذكر المحبوب، وصمتهم تفكراً فيه، وعلمهم طاعة له، ونظرهم عبرة في صنائعه، وأصل ذلك كله اليقين بما عنده، والإياس مما سواه.

ومنه: برهان العابدين زكاء أعمالهم، وبرهان العارفين صفاء أحوالهم، وبرهان المحبين بقاء أنفاسهم، وبرهان العالمين نشر عجائب قدره في أسرارهم، وبرهان المقربين إجابة الأكوان لدعائهم، بإخبارهم عن مولاهم، والمحبة وله وسكر، وخمود وذكر، واستغراق وفكر، وحيرة وذعر، فمن ادعى المحبة فبرهانه نضح الفؤاد، وتقطيع الأكباد، وإعدام الأشباح، وبذل الأرواح، كما أن من ادعى العلم بالله تعالى، فبرهانه بذل الحال، ومن ادعى المعرفة فبرهانه بذل النفس.

ومنه: من رأيته يدعي مع الله تعالى حالاً، أو مقاماً، وهو يجوز في اعتقاده على الله عز وجل، تشبيه أو تمثيل أو تحديد، فاعلم أنه كاذب، وكما أن الله تعالى لا يجوز في حقه تحديد ولا تشبيه، كذلك صفاته، ولو لم يرد الشرع بذلك، لكان العقل يوجبه بالضرورة، وينفي ما سواه، وكما أن الزيادة على الحق كفر، كذلك النقص منه، وكما أن التشبيه جحود، كذلك التعطيل، وكما أن الزيادة على معالم السنة بدعة، كذلك التأويل في صفات الله سبحانه، إلا بما ورد به نص، أو ألجأ إليه برهان، والحق في نفسه أقوى أن يقوى بباطل، والعروة الوثقى الوقوف عندما جاء عن الله تعالى، ورسوله ﷺ، من غير زيادة ولا نقص، وما رأيت أحداً من المشايخ الذين يقتدى بهم إلا على هذا السبيل، ولقد كنت أعرف رجلاً ممن ظهرت له كرامات، ومكاشفات، وكنت أعرف منه الميل إلى التشبيه، والتحديد، فما مات حتى سلب جميع ما كان له، وسقط من دائرة المباح، وخرج إلى حمى المحرمات. وكان رضي الله عنه، ينشد هذه الأبيات:

فأنت للعين عين عند نظرتها ... تسمو إليك كما تسمو إلى النظر
وأنت للقلب قلب في تقلبه ... يعلو إليك لدى العلياء والفكر
وأنت للوجد وجد في توجده ... بسطوة القهر لا تبقي ولا تذر

وكان أيضاً ينشد هذه الأبيات:

حقيقة الحق في سر سرائره ... مكشوفة بين معنائي ومولائي
إذا تلألأ شعاع الحق في خلدي ... فنيت عني فناداني بأسمائي
أفنيتني عن بلادي يا منى شغفي ... يا سر سري ويا أنسي ومعنائي
يا شاهدي يا أنيسي يا رضا أملي ... يا نور عيني ويا صدقي ودعوائي

أخبرنا الفقيه الصالح أبو المجد صالح ابن الشيخ الصالح أبي الثناء حامد بن غانم بن وحشي القرشي المكي. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى، يقول: سمعت الشيخ العارف جار الله تعالى أبا حفص عمر بن محمد المعدني بمكة

شرفها الله تعالى. يقول: كان الشيخ أبو البركات بن صخر الأموي رضي الله عنه، ظاهر التصريف، كثير الكرامات، شديد الحياء من الله تعالى دائم المراقبة والرعاية لأنفاسه وأوقاته، ملازماً لطريق السلف من المجاهدة، والآداب، كثير الشفقة والحنو على خلق الله تعالى، مجاب الدعوة، وكان الغالب عليه ترك التدبير، والاختيار لنفسه ولغيره. وكنت في بعض الأيام إلى جانبه، فخطر في نفسي متى يصل العبد إلى درجة المقربين، فالتفت إليَّ وقال: يا سيدي عمر: إذا أحكم العبد أساسه في الرضا، وصل إلى درجات المقربين. وكنت عنده يوماً جالساً في جانب الزاوية بلالش، فخطر في نفسي لحم مشوي في رغيف بر سخن، واشتدَّ الخاطر عندي، فبينما أنا كذلك إذ دخل علينا أسد، وفي فمه رغيف، وقصد إلى الشيخ أبي البركات، فقال له: اذهب، وضعه بين بدي الشيخ عمر، فجاء، فوضعه بين يدي، ومضى، وإذا فيه لحم مشوي، فلم يستقر بنا القرار حتى نزل علينا من الجو رجل أشعث، أغبر، فلما رأيته ذهبت عني شهوة اللحم والخبز، فأتى الرجل إلى الرغيف الذي أتى به الأسد وأكله، وما فيه جميعه، وقعد يتحدث مع الشيخ أبي البركات، ثم ذهب في الهواء من حيث جاء.

فقال لي الشيخ أبو البركات: يا شيخ عمر، الشهوة التي ألقيت فيك لم تكن لك، إنما هي شهوة الرجل الذي رأيت، وإنه رجل من المدللين، إذا خطر في نفسه شيء، لم يتم خطرته حتى تقضى له، وإنه الآن ببلاد الصين الأقصى.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الوهاب بن صالح السمنودي، الشافعي. قال: سمعت الشيخ العالم الناسك أبا الفتح، أحمد بن إبراهيم بن علي الهاشمي، أمام مقام إبراهيم الخليل عليه السلام بمكة شرفها الله تعالى. يقول: سمعت الشيخ أبا محمد عبد الله الدمشقي رضي الله عنه، يقول: لما اشتهر أمر شيخنا الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه، بجبل هكار، هاجر إليه ابن أخيه أبو البركات من بيت فار من أرض بقاع العزيز، فلما اجتمع به الشيخ، وعرفه بالعلامات التي كان يعرفه بها من صغره، وكان الشيخ فارقه عند أبيه صخر صغيراً، وأخبره بموت أخيه، وبموت جماعة من أهله ببيت فار، وأقام عنده وأكرمه جميع أصحابه، فلما توفي عمه رحمه الله تعالى رجعوا كلهم إليه، وقدموه ونصبوه مكان عمه بوصية منه، وكان المشايخ بالجبل رضي الله عنهم يقولون: إن سر الولاية انتقل إليه بعد عمه رضي الله عنهما.

أخبرنا أبو المحاسن يوسف بن إياس البعلبكي، قال: سمعت الشيخ العالم

المقري أبا الفتح نصر بن رضوان بن نروان الداراني. يقول: خرجت في بعض الأيام في فصل الخريف، مع الشيخ أبي البركات رضي الله عنه، من الزاوية إلى الجبل، ومعه جمع من الفقراء. فقال: اشتهينا اليوم رماناً حلواً وحامضاً، فلم يتم كلامه حتى امتلأت جميع أصناف أشجار الوادي والجبل رماناً. فقال لنا: دونكم والرمان، فقطعنا منه شيئاً كثيراً، وكنا نقطع الرمان من شجر التفاح والإجاص والمشمش، وغير ذلك وكنا نأخذ من الشجرة الواحدة الرمان الحلو والحامض، فأكلنا منه حتى شبعنا. قال: ثم خرجنا بعد ساعة، وليس الشيخ معنا، فلم نرَ على تلك الأشجار رمانة واحدة، ولا غير ذلك.

أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ العارف أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم بن حسن الحميدي. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى، يقول: لقيت الخضر عليه السلام بعبادان، فسألته عن الشيخ أبي البركات بن صخر رضي الله عنه. فقال: هو من أبدال العصر.

أخبرنا الشيخ الأصيل أبو محمد عبد الله ابن الشيخ العارف أبي الفرج عبد الرحمن، ابن الشيخ الناسك أبي الفتح نصر الله بن علي الحميدي الشيباني الهكاري. قال: سمعت أبي يقول: كان أبي رحمه الله تعالى، يقول: كان أبي ماشياً على حافة الجبل، في يوم ريح عاصف، فغلب عليه الريح فسقط، وكان الشيخ أبو البركات رضي الله عنه، جالساً تجاه الجبل فأشار بيده نحوه، فثبت في الهواء، بين أعلى الجبل والأرض، لم يضطرب يميناً ولا شمالاً، ولا إلى فوق ولا إلى تحت، كأن من مسكه، ومنعه من الحركة، ومكث كذلك ساعة. فقال الشيخ: يا ريح اصعدي به إلى سطح الجبل، فصعد رفقاً رفقاً، كأن من يحمله حتى انتهى إلى سطح الجبل.

أخبرنا أبو محمد سالم علي الدمياطي الصوفي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا البدر بن سعيد البغدادي بها، يقول: سمعت الشيخ الجليل العارف أبا البركات بن معدان العراق رضي الله عنه، ببغداد يقول: خرجت في بعض السنين إلى ظاهر البصرة، أمشي على البحر، فرأيت عند الساحل سفينة صغيرة، ليس فيها سوى رجل واحد، عليه سمت القوم، فنزلت معه في السفينة، فلم يكلمني، وسارت بنا السفينة غير بعيد، فأرسينا على جزيرة لا أعرفها، فصعد صاحبي وصعدت معه، فإذا هي جزيرة في أقصى البحر المحيط، وفيها مباحات كثيرة، وما رأيت بها أحداً، فمشينا حتى انتهينا إلى مسجد فيها، وإذا فيه سبعة نفر، عليهم

البهاء، والوقار، والسكينة، والأنوار، وفيهم رجل كل منهم يعظمه، ويسمع كلامه، فقال كبيرهم لصاحبه: ما هذه؟ فقال له: هذا ما ساقته الأقدار، فجلست في زاوية من المسجد، فلما كان وقت الصلاة، اجتمعوا وأمهم كبيرهم، ثم تفرق كل منهم في زاوية من المسجد، مقبل على توجهه، مشتغل بحاله، لا يكلم أحد منهم صاحبه، فلما صلوا المغرب، قام أحدهم، فدخل مخدعاً هناك، ومكث يسيراً، وأخرج طبقاً عليه خبز وطعام، فوضعه بين أيديهم، فأكلوا ثم صلوا العشاء، وانتصبوا يصلون إلى الصباح، فأقمت عندهم سبعة أيام على هذا المنوال، وما كلمني منهم أحد، وكل ليلة يدخل واحد منهم في ذلك المخدع، ويخرج منه الطبق، فلما كان عشية اليوم الثامن، قال لي أحدهم: الليلة نوبتك في الطعام، فقمت فدخلت المخدع، فلم أرَ فيه شيئاً، فخفت منهم، وانكسر خاطري وقلبي، وتضرعت إلى الله تعالى، وسألته بهم أن لا يخجلني بينهم، فإذا طبق نازل عليَّ من نحو السماء، فأخذته، ووضعته بين أيديهم، فقالوا: الحمد لله الذي رزقنا أخاً صالحاً، وقاموا إليَّ، واعتنقوني، ثم بعد مدة استيقظت في بعض الليالي، وإذا أنا بريح شديدة الهبوب، وسمعت لأمواج البحر اضطراباً عظيماً، فقلت: لا إله إلا الله، فسكنت الريح، وهدأ البحر، فأتاني كبيرهم، وقال: كانت في البحر مراكب عظيمة للإفرنج يقصدون بها المسلمين، وكانت أشرفت على الغرق من شدة الريح، فلما قلت: لا إله إلا الله سكنت الريح، وهدأ البحر، ونجت المراكب.

قال: فلما أصبحنا أخذ أحدهم بيدي، ومشينا حتى أتيت الساحل، فرأيت السفينة التي جئت فيها بعينها، فنزل فيها صاحبي وأمرني بالنزول معه، فسارت غير بعيد، وإذا نحن في بر عبادان، وغاب عني الرجل والسفينة، فلم أرهما، وبقيت متحيراً في أمرهم متحسراً على رؤيتهم، فبينما أنا بعد سنين عند الشيخ أبي البركات بن صخر رضي الله عنه بجبل الهكار، إذ رأيته قام مسرعاً، وإذا بصاحبي كبير القوم قد أقبل، فتلقاه الشيخ أبو البركات رضي الله عنه، وعظم من شأنه، ورأيته تأدب مع الشيخ أبي البركات أدباً عظيماً، وجلسا يتحدثان طويلاً، ورأيته قام، فتبعته حتى انفرد، فقبلت يده وسألته الدعاء، وبكيت فدعا لي، ثم قال لي: يا أبا البركات عليك بالشيخ أبي البركات، فببركته صرت إلى ما صرت، وإني كلما وجدت في قلبي قسوة أتيت إليه، فتزول قسوة قلبي برؤيته، ثم غاب عني، فدخلت على الشيخ أبي البركات رضي الله عنه، وسألته عنه، فقال: هو مقدم رجال البحر الأوتاد، وهو الآن في أقصى جزائر البحر المحيط.

أخبرنا أبو الفضل معالي بن نبهان بن فصلان التميمي الموصلي. قال: صحبت سيدي الشيخ أبا البركات رضي الله عنه سبع سنين، وما رأيت أكثر هيبة وجلالة منه، ولا رأيت أحفظ لمراعاة الأوقات منه. وكان أمره كله جداً، وكنت يوماً أصب الماء على يديه بعد الطعام، فقال لي: يا عامر ما تريد؟ فقلت: ادع الله لي بأن ييسر علي حفظ القرآن، فقال: يسر الله عليك وأعانك على تلاوته، وقرب لك كل بعيد. قال: فيسر الله علي حفظ القرآن، حتى كملت حفظه في ثمانية أشهر، وكنت أتلقن منه كل يوم مائة آية، بعد أن كنت أردد الآية الواحدة ثلاثة أيام، ويعسر علي حفظها، وها أنا أتلوه أثناء الليل،وأطراف النهار، وقرب الله تعالى لي كل بعيد، فما عسر عليَّ أمر إلا هان، ولا هالني شيء إلا يسره الله تعالى علي تيسيراً ببركة دعوته رضي الله عنه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن علي بن حسين الدمشقي. قال: سمعت الشيخ أبا المفاخر عدي ابن الشيخ أبي البركات بن صخر الأموي رضي الله عنه. يقول: رأى والدي رجلاً يصلي، وهو يعبث بيديه عبثاً كثيراً، تبطل الصلاة بمثله، فنهاه الشيخ فلم ينته، وأكثر من العبث كالمعاند الشيخ، فقال له الشيخ: لتكفن عن العبث، أو ليكفن الله يديك، فبطلت يداه للوقت الحاضر، حتى عادتا كالخشب، فجاء إلى الشيخ بعد أيام باكياً متضرعاً. فقال الشيخ: ما ينفعك هذا، إن هي إلا غضبة الله تعالى نفذ فيك سهمها. قال: فلم تزل تلك حالة الرجل حتى مات.

وهو أبو البركات بن صخر بن مسافر بن إسماعيل بن موسى الأموي. وقد قدمنا نسبه مرفوعاً في ترجمة عمه الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه. وأصله من بيت فار قرية مشهورة ببقاع العزيز، بسفح جبل لبنان، بالقرب من بعلبك، سكن لالش، من جبل الهكار، وبها مات قديماً مسناً، ودفن عند عمه الشيخ عدي وقبره ثم ظاهر يزار رضي الله عنهما.

أخبرنا أبو الفضل معالي بن نبهان المذكور، قال: سمعت الشيخ أبا العشائر المذكور خادم الشيخ أبي البركات بن صخر رضي الله عنه، بالموصل يقول: سمعت شيخنا الشيخ أبا البركات، يقول: أخذ الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، العهد على كل ولي في زمانه أن لا يتصرف بحالة في ظاهر أو باطن إلا بإذنه. وهو ممن له الكلام في حضرة القدس بإذن الله تعالى، وممن أعطي التصريف في الأكوان بعد موته. كما كان قبل موته رضي الله عنه، وعنهم أجمعين.

الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الملقب بالأعزب رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان مشايخ البطايح، وأعلام العارفين، وصدور المحققين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والمعارف الزاهرة، والحقائق الباهرة، والعلوم اللدنية، والمعالي النورية.

صاحب المقامات الجلية، والمراتب العلية، والفتح المونق في معادن الأسرار، والكشف المشرق في مطالع الأنوار، والاطلاع الواضح على حقائق الآيات، والنظر الجالي لعرائس المغيبات. له المجلس العالي في حضائر القدس، والمشرب الحالي من مناهل الوصل، والمقر السامي في أرائك القرب، والمنهاج الموطد على متن الملكوت، إلى ملك الجبروت، والمعراج الأعلى، فوق مراقي الصعود إلى حضرة الشهود. وله التقدم في التعالي، والتصدر في التداني، والسبق إلى حلبات المماجد، والمعالي، والجمع بين أطراف السعادات والتهاني. وله الباع الطويل في علوم المنازلات، واليد البيضاء في علوم المشاهدات، والذراع الرحب في التصريف الخارق، والقدم الراسخ في التمكين الواسع.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، وخرق له العادات، وأظهر على يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، وأجرى على لسانه الحكم، ومكنه من أحوال النهاية، وملكه أسرار الولاية، ونصبه قدوة وحجة.

وهو أحد أركان هذا الشأن، وأئمة ساداته، وأعلام العلماء بأحكامه، وأولي الأيدي والأبصار بمناهجه علماً وعملاً، وزهداً وتحقيقاً، ورئاسة وجلالة. صحب خاله الشيخ أبا العباس أحمد بن الحسن بن الرفاعي رضي الله عنهما، وأخذ عنه علم الطريق، وتخرج به، ولقي جماعة من مشايخ العراق رضي الله عنه وعنهم. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن بالبطائح في وقته، وتخرج به غير واحد من أهل البطائح، وغيرهم. وانتمى إليه جماعة من الأكابر، وتلمذ له خلق كثير من الصلحاء واجتمع عنده أمة من المريدين الصادقين، وانتفعوا بكلامه وصحبته.

خلف أباه الشيخ أبا الحسن علياً بعد وفاته بالمشيخة برواقي أم عبيدة، وكان أجل أهل بيته يومئذ، وكان قيماً بحل المشكلات الواردة مؤيداً في كشف مخيفات الأحوال. وكان ظريفاً جميلاً، كريماً خاشعاً، ذا حياء وافر، وعقل وصبر، محباً لأهل العلم، مكرماً لأهل الدين، شديد التواضع، مخفوض الجناح، دائم البشر، مشتملاً على أكرم الشيم، وأشرف الصفات، وأجمل الأخلاق، وأكمل الآداب. وكان عالماً فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، يلبس لباس العلماء، ويتكلم على أصحابه. وكان له كلام عالٍ على لسان أهل المعارف.

منه: رؤية الأصول باستعمال الفروع، وتصحيح الفروع بمعاوضة الأصول، ولا سبيل إلى مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله تعالى من الوسائط والفروع، وذكرك منوط بك، إلى أن يتصل ذكرك بذكره، فحينئذٍ ترفع وتخلص من العلل، فما قارن حدث القدم إلا تلاشى الحدث وبقي الأصل وذهب الفرع، كأن لم تكن والتبرع إلى استدراك علم الانقطاع وسيلة، والوقوف على حد الاختيار نجاة، واللياذ بالهرب من علم الذنوب وصلة، والاستماع قبول الخطاب والانبساط في محل الأنس عز، والتصوف مراقبة الأحوال، ولزوم الآداب، ومن تحلى بشاهد الظلم قصم، ومن تحلى بشاهد الحق عصم.

ومنه: كل حال طرقك وأشكل عليك فاطلبه في مفاوز العلم، فإن لم تجده ففي ميدان الحكمة، فإن لم تجده فزنه بالتوحيد، فإن لم تجده في هذه المواضع فاضرب به وجه الشيطان، وتوبة الاستجابة أن يتوب العبد حياءً من ربه عز وجل، والتواضع قبول الحق ممن كان، والتوكل أن لا يظهر فيك انزعاج إلى الأسباب مع شدة فاقتك إليها، وأن لا تزول عن حقيقة السكون إلى الحق، والصبر والوقوف مع البلاء بحسن الأدب، والرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد والعبودية، في أربع خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود، والاستقامة انفراد القلب لله تعالى، والأدب حسن معاملة الله تعالى، سراً وجهراً، والمعرفة على ثلاثة أركان: الهيبة، والحياء، والأنس، والعلم الأكبر الهيبة، والحياء، فمن عرا عنهما، فقد عرا عن الخيرات، والمحبة إقامة العتاب على الدوام، والشوق احتراق الأحشاء، وتلهب القلوب، وتقطع الأكباد، وإذا عاين القلب أربعة أشياء يرى الأشياء كلها عز وجل ملكاً، ومن الله ظهوراً، وبالله تعالى قياماً، وإلى الله عز وجل مرجعاً، فقد أخذ من اليقين، ومن علامات الولي أربعة أشياء: صيانة سره بينه وبين الله عز وجل، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين الله تعالى، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله تعالى، ومداراته للخلق على قدر تفاوت عقولهم.

وأركان الوصول بين الله تعالى وبين عبده ثلاثة: الاستعانة، والجهد، والأدب، فمن العبد الاستعانة، ومن الله عز وجل القربة، ومن العبد الجهد، ومن الله عز وجل التوفيق، ومن العبد الأدب، ومن الله عز وجل الكرامة، ومن تأدب بآداب الصالحين صلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء صلح لبساط القربة، ومن تأدب بآداب الصديقين صلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب

الأنبياء صلوات الله عليهم لبساط الأنس، والانبساط، وإذا كانت نفسك غير ناظرة لعلمها، فأدبها، وما ركن أحد إلى الدنيا إلا لزمه غيب القلوب.

ومنه: المقامات كلها تبع للقلب، والقلب واقف مع الله عز وجل، وحكم المبتدعي أن يهتدي بالحقائق، ويسير بالعلم، ويجد في العمل، ومن علامة المقربين أن ترفع الحجب بين القلوب، وبين علام الغيوب، ومن ركب النهاية في بدايته، كان ذلك علماً على قرب، فقوم شهدوا الداعي، وقوم شهدوا النداء، وقوم شهدوا البلاء، فمن سمع النداء صار إلى الجنة، ومن شهد البلاء انتهى إلى الدرجات، ومن شهد الداعي صار إلى الله عز وجل، وهم خواص الخواص الذين لا يحجبون عن الله عز وجل طرفة عين، أولئك عباد ربطت همومهم بأزمَّة القسط، ورعى عزمهم عز وجل من الفتور، وحرث نياتهم على طوارق الاعتلال، وقطع إرادتهم عن التطلع إلى غيره، وأظمأ قلوبهم من الاشتياق إلى رؤيته، وأنفذ عقولهم في حكم صنعته، وأطلع أفئدتهم على قرب مراقبته، وحوّل أرواحهم بين نسائم صفاته، وأدناهم إدناء من آنس به، وناجاهم مناجاة من أمنه، وفاوضهم مفاوضة من ارتضاه لسره، سيماهم الحياء في حال الإدناء رضي الله عنهم أجمعين. وكان يتمثل بهذه الأبيات:

تكشف غير الهجر عن قمر الحب ... وأسفر نور الصلح عن ظلمة العتب
وجاء نسيم الاتصال محققاً ... فصادفه حسن القبول من القلب
ودبت مياه الوصل في روضة الرضا ... فصار الهوى يهتز كالغصن الرطب
ولم ندرِ من حسن الوصال وطيبه ... أفي نزهة كنا هنالك أم حرب
فيا من سبى عقلي هواه تركتني ... أفكر ما بين التعجب والعجب

أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن الحسن بن الأربلي، قال: سمعت الشيخ الأصيل العارف نجم الدين أبا العباس أحمد ابن الشيخ الجليل أبي الحسن علي البطايحي. يقول: كان أخي الشيخ أبو العباس إبراهيم دائم المراقبة، كثير الخشوع، شديد الهيبة، ملازم الإطراق، لا يرفع رأسه إلى أحد إلا في الضرورة، ومكث أربعين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله عز وجل، ورأيت الأسد غير مرة تأتيه وتمرغ وجوهها على قدميه، ورأيته نائماً في الرواق في يومٍ صافٍ شديد الحر، وعند رأسه حية عظيمة في فمها باقة نرجس، تروحه بها، وشهدته مرة وقد أتاه رجل، ومعه شاب. وقال له: هذا ابني، وقد أكثر من مخالفتي، وزاد في عقوقي، فرفع الشيخ رأسه، وكان مطرقاً ونظر إلى الشاب فمزق ثيابه، وأخذ من نفسه

وحواسه، وغدا إلى البطيحة، وبقي شاخصاً إلى السماء يأوي إلى السباع لا يأكل ولا يشرب، وبقي على هذه الحال أربعين يوماً، ثم جاء أبوه يشكو إلى الشيخ سوء حاله على ولده، فأعطاه خرقة، وقال له: امسح بهذه وجه ابنك، فذهب وفعل، فأفاق ابنه، وجاء إلى الشيخ ولازم خدمته، وكان من أخص أصحابه.

أخبرنا أبو الفرج عبد الملك بن محمد بن عبد الله المحمودي الربعي الواسطي. قال: سمعت شيخنا الشيخ نجم الدين أبا العباس، أحمد ابن الشيخ أبي الحسن علي البطايحي. يقول: كان أخي الشيخ إبراهيم الأعزب ظاهر التصريف في البواطن والظواهر. وكان إذا قال لأشد الناس خوفاً من النار: اذهب إلى النار، لم يشعر بنفسه إلا وهو في النار، ومكث فيها ما شاء الله عز وجل، ويخرج منها وما احترقت ثيابه، ولا ضرت منه شيئاً. وإن قال لأشد الناس خوفاً من الأسد: اذهب إلى الأسد، لم يشعر بنفسه إلا وهو راكبه، أو قائده، من غير أن يروعه، ولا يضره. وإذا أحب رجلاً لا يقدر ذلك الرجل على مفارقته، ويجد باعثاً من نفسه يقوده إليه، طوعاً أو كرهاً. وإذا كره مفارقة رجل، يجد ذلك الرجل في نفسه مانعاً يصده عن الشيخ على محبته له.

أخبرنا الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفتح الواسطي بالإسكندرية، يقول: حكى لي الشيخ العارف الصالح أبو المجد سعد الله بن سعدان الواسطي رحمه الله تعالى. يقول: كان حاضراً مجلس الشيخ الصالح أبي إسحاق إبراهيم الأعزب رضي الله عنه، وكان يتكلم على أصحابه، فقال في بعض كلامه: أعطاني ربي عز وجل التصريف في كل من حضرني، فلا يقوم أحد، ولا يقعد، ولا يتحرك في حضرتي إلا وأنا متصرف فيه، فقلت أنا في نفسي: فها أنا أقوم إذا شئت، وأقعد إذا شئت، فقطع كلامه، والتفت إلى جهتي، وقال: يا سعد الله إن قدرت على القيام فقم، فنهضت لأقوم فلم أستطع، وإذا أنا كالمقيد لا أستطيع الحركة، فحملت إلى داري على أعناق الرجال، فبطل شقي، وبقي حالي، كذلك شهراً، وعلمت أن ذلك بسبب اعتراضي على الشيخ، فعقدت التوبة مع الله تعالى، وقلت لأهلي: احملوني إلى الشيخ، ففعلوا، فقلت: يا سيدي، إنما كانت خطرة، فنهض، وأخذ بيدي، ومشى فمشيت معه، وذهب ما كان بي.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو الفرج عبد المجيد بن معالي بن هلال العباداني. قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه، قال: سمعت الشيخ إبراهيم الأعزب رضي الله

عنه، يقول: لا يزورنا أحد إلا أردناه، قال: فقصدت مرة زيارته، وخطر في نفسي هذا الكلام وقلت في نفسي: ها أنا أزوره إن أراد وإن لم يرد، فلما أتيت باب الرواق، رأيت ثمة أسداً عظيماً هالني منظره، فكرَّ عليَّ، فوليت على عقبي مدبراً، وقد اشتد هلعي، فكنت معتاداً بصيد الأسد وقتلها، فلما أبعدت منه وقفت أنظره، وإذا الناس يدخلون ويخرجون، ولا يتعرضهم، ولا يرونه في ظني، فأتيت من الغد وإذا هو موضعه على حاله، فلما رآني قام إليَّ ففررت منه، وصار حالي كذلك شهراً لا أستطع الدخول ولا القرب من الباب، فأتيت إلى بعض مشايخ البطايح، وشكوت إليه حالي، فقال: انظر في نفسك، وأي ذنب أتيت، فذكرت له خطرتي، فقال: من هنا أتيت، والأسد الذي رأيت هو حال الشيخ إبراهيم رضي الله عنه، فاستغفرت الله تعالى ونويت التوبة من الاعتراض، ثم أتيت إلى باب الرواق، فقام الأسد ودخل إلى أن أتى إلى الشيخ ومازجه، وغاب عني، فلما قبلت يد الشيخ قال لي: مرحباً بالتائب.

أخبرنا أبو العفاف موسى ابن الشيخ أبي المعالي عثمان بن موسى البقاعي. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: حكى أبو المعالي غانم بن مسعود العراقي التاجر الجوهري. قال: عزمت في بعض السنين على السفر إلى بلاد العجم في تجارة، فأتيت إلى الشيخ إبراهيم رضي الله عنه مودعاً. فقال لي: إن وقعت في شدة، فنادني باسمي، فلما توسطنا صحراء خراسان، خرجت علينا خيل فأخذوا أموالنا، وساقوها بين أيديهم، ونحن ننظر، وذهبوا، فذكرت قول الشيخ، وكنت في جماعة معتبرين من رفقتي، فاستحييت منهم أن اذكر اسم الشيخ بلساني، فاختلج في سري الاستصراخ به، فلم تتم خطرتي حتى رأيته من بعيد على جبل بيده عصا، يومىء بها نحو أولئك الخيل، فلم نستقر، حتى جاؤوا بجميع أموالنا، وسلموها إلينا، وقالوا: انطلقوا راشدين، فإن لكم نبأ، فقلنا: وما هو؟ فقالوا: رأينا رجلاً على جبل في يده عصا، وهو يومىء إلينا برد أموالكم، وقد ضاق علينا الفضاء من هيبته، ورأينا الهلاك في مخالفته، وكان فينا من تفرق ببعض المال، فرده حتى جمعنا بعصاه، ثم ما رأيناه وما نظنه إلا من السماء.

أخبرنا أبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي رحمه الله تعالى. قال: سمعت الشيخ الصالح بقية السلف الملقب أبا الغنائم مقدام بن صالح البطايحي، نزيل الحدادية بها. قال: زرت مع الشيخ إبراهيم الأعزب رضي الله عنه، قبر الشيخ أبي محمد الشنبكي رضي الله عنه، بالحدادية. فقال: الشيخ إبراهيم رضي الله

عنه، سلام عليكم دار قوم مؤمنين، فسمعت الشيخ أبا محمد رضي الله عنه، من قبره يقول: وأنت عليك السلام يا شيخ إبراهيم، فتواضع له الشيخ إبراهيم، فقال الشيخ أبو محمد له: مثلك من يكون شيخاً مكملاً، ثم قال له: يا شيخ إبراهيم، هبني مقداماً يقيم عندي، فإني أحب تلاوة القرآن، فقال له: يا سيدي، أنا ومقدام بين يديك، فقال: لا بدَّ من إذنك في ذلك، فقال لي الشيخ إبراهيم: يا مقدام، قد سمعت ما قال الشيخ، فقال: سمعاً وطاعة، وودعت الشيخ وجلست عند قبر الشيخ أبي محمد أتلو القرآن.

قال أبو محمد الدمياطي: فكان المشايخ بالبطايح يقولون: إن الشيخ مقداماً تلا عند قبر الشيخ أبي محمد الشنبكي رضي الله عنه ثلاثين ألف ختمة.

أخبرنا أبو الفرج نصر الله بن يوسف بن خليل الأزجي الحنبلي. قال: سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بن إسماعيل بن حمزة الأزجي المعروف بابن الطبال. قال: سمعت الشيخ المعمر أبا المظفر منصور بن المبارك بن الفضل الواعظ الواسطي المعروف بجرادة. قال: عدت مع الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الأعزب، رضي الله عنه، مريضاً عليه جرب كثير، فشكا إلى الشيخ منه ضرراً كثيراً، فالتفت الشيخ إلى خادمه، وقال له: أتحمل هذا الجرب عن هذا الفقير، فقال: نعم يا سيدي، فقال الشيخ للمريض، قد حملته عنك، وحملته هذا، يشير إلى خادمه، فانتقل جميع ما كان على الرجل من الجرب إلى خادم الشيخ، وبقي جسد الرجل كالفضة البيضاء، ثم خرج الشيخ ونحن معه، وخادمه يشكو من الألم، فلما كنا ببعض الطريق رأينا خنزيراً، فقال الشيخ لخادمه: قد حملت عنك هذا الجرب، وحملته هذا الخنزير، فانتقل الجرب إلى الخنزير، وعوفي الخادم لوقته.

أخبرنا الشيخ الشريف أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس الخضر ابن عبد الله الحسيني الموصلي. قال: سمعت الشيخ العالم العارف أبا الفرج حسن بن الدويرة البصري المقري. يقول: حكى لنا بعض أصحابنا الصلحاء أنه حضر سماعاً بأم عبيدة فيه الشيخ إبراهيم الأعزب، وفيه أكثر من سبعة ألاف رجل، وأنا في آخر الناس، بحيث يعسر علي رؤية الشيخ إبراهيم رضي الله عنه، لبعده عني، فخطر في نفسي إنكار على جمعهم، فلم يتم خاطري حتى جاء الشيخ إبراهيم يشق صفوف الناس، حتى وقف علي وعرك أذني، وقال: يا بني إياك والاعتراض على أهل الله، ولو وجدت ما وجدت، لا تنكر عليهم، ثم ولى عني

فخررت لوجهي مغشياً علي، فحلمت إليه فقال: يا بني ألم تعلم أن قلوب الخلق بين أيدينا كالمصابيح، وراء الستارة، يشهد رأى العين، وهل يخفي الحبيب عن حبيبه شيئاً.

أخبرنا الفقيه العالم الناسك برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الصالح، بقية السلف أبي زكريا يحيى بن يوسف العسقلاني الحنبلي. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى يقول: مرضت مرضاً ظننت فيه أني ميت، فذكرت ذلك للشيخ إبراهيم الأعزب رضي الله عنه، وكنت يومئذ عنده زائراً بأم عبيدة، فأطرق الشيخ، ثم قال لي: يا سيدي أنت ما تموت في هذه المدة، قد بقي من عمرك زمان طويل. قال: وعاش والدي رحمه الله تعالى بعد ذلك أكثر من خمسين سنة.

أخبرنا الشيخ الصالح أبو المحاسن يوسف بن أبي العباس أحمد بن شبيب المقري البصري. قال: سمعت الشيخ المقري العالم العدل أبا طالب عبد الرحمن بن أبي الفتح محمد بن عبد السميع الهاشمي الواسطي. يقول: جمع الشيخ أبو إسحاق إبراهيم الأعزب رضي الله عنه مريديه ذوي الأحوال، وخطبهم فأبلغ في ذلك. ثم قال: إني استخرت الله تعالى لكم، في أن آخذ منكم أحوالكم وأدخرها لكم عند الله تعالى، ليزكيها لكم عنده، فإن آفات الحياة كثيرة، وإني خفت عليكم منها.

أخبرنا أبو محمد أحمد بن أبي النجا سالم بن يوسف الهاشمي الموصلي. قال: سمعت الشيخ العالم العارف أبا عبد الرحيم عسكر بن عبد الرحيم النصيبيني بها. يقول: حضرت برواق أم عبيدة سماعاً فيه الشيخ إبراهيم الأعزب رضي الله عنه، فأنشد القوال:

رماني بالصدود كما تراني ... وألبسني الغرام وقد براني
ووقتي كله حلو لذيذ ... إذا ما كان مولاي يراني
رضيت بصنعه في كل حال ... ولست بكاره ما قد رماني
فيا من ليس يشهد ما رآه ... لقد غيبت عن عين تراني

فتواجد الشيخ إبراهيم رضي الله عنه ووثب في الهواء على رؤوس الناس وارتفع إلى الجو ثم أنشد القوال:

إن كنت أضمرت غدراً أو هممت به ... يوماً فلا بلغت روحي أمانيها
أو كانت العين مذ فارقتكم نظرت ... شيئاً سواكم فخانتها أماقيها

أو كانت النفس تدعوني إلى سكن ... سـواك فاحتكمت فيهـا أعاديهـا
وما تنفست إلا كنت فـي نفسي ... تجري بك الروح مني في محاريها
كم دمعة فيك لي ما كنت أجريها ... وليلـة لسـت أفنـى فيـك أفنيهـا
حاشى فانت محل النور من بصري ... تجري بك النفس منها في مجاريها
ما فـي جوانح صدري بعد جانحة ... إلا وجـدتك فيهـا قبـل ما فيهـا

ثم أنشدأيضاً:

مجـال قلـوب العارفين برؤيـــة ... إلهية مـن دونهـا حجـب الـرب
معسكـرنا فيهـا ومجنـى ثمارهـا ... تنسم روح الأنس بالله في القرب
حباها فأدناها فجازت مدى الهـوى ... فلولا مدى الآمال ماتت من الحب

فصاح الشيخ إبراهيم ونادى: يا للرجال. قال: فرأيت رجال الغيب ينزلون عليه من الهواء مثنى، وثلاث ورباع، يقولون: لبيك لبيك.

سكن رضي الله عنه، أم عبيدة بأرض البطايح، وبها مات سنة تسع وستمائة، ودفن بها وقبره هنالك ظاهر يزار، وكسفت الشمس يوم موته.

فقال الشيخ علي القرشي رضي الله عنه: وكان حينئذٍ بدمشق، كسفت اليوم شمس السماء، وغابت شمس الأرض، فقيل: ومن شمس الأرض، فقال: الشيخ الأعزب رضي الله عنه، وقد مات اليوم، وروي أن بعض مشايخ البطايح رآه بعد موته، فقال: ما فعل الله بك؟ فأنشد:

لاحظته فرآنـي فـي ملاحظتي ... فغبت عن رؤيتي عني بمعناه
وشاهدت همتي حقاً ملاحظتي ... لما تحققت معنى كون رؤياه
فلا إلى فرقتي وصلي ولا سكني ... إلى سـواه فعيشى طيب لقياه

أخبرنا أبو القاسم محمد بن عبادة الأنصاري الحلبي. قال: سمعت الشيخ نجم الدين أبا العباس أحمد ابن الشيخ أبي الحسن علي البطايحي الرفاعي. يقول: سمعت أخي الشيخ إبراهيم رضي الله عنه، يقول: الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، سيدنا وشيخنا وسيد المحققين، وإمام الصديقين، وحجة العارفين، وقدوة السالكين إلى رب العالمين رضي الله عنه وعنهم أجمعين.

الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الصباغ رضي الله عنه، هذا الشيخ من أكابر مشايخ مصر المشهورين، وأعيان العارفين المذكورين، ونبلاء

المحققين البارعين. صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، والهمم السامية، والإشارات العالية، والمعاني الغيبية، والعلوم اللدنية. صاحب الفتح المونق، والكشف المشرق، والمعارف الزاهرة، والحقائق الباهرة. له الطور الأرفع من معالم القدس، والمحل الأعلى في مشاهد القرب، والمشهد الأعلى من موارد الوصل، والسبق إلى مواطن المجالسة، والتقدم في مراتع المؤانسة، والسمو على مراقي المشاهدة، والجمع بين أطراف التواصل، والتداني، والصعود فوق قمم التخصيص والتعالي. وله الباع الرحيب في علوم المنازلات، والذراع البسيط في معاني المشاهدات، والنظر الخارق في علوم المغيبات، والخبر الصادق عن حقائق الآيات، واليد البيضاء في الكشف عن مشكلات الأحوال، والقدم الراسخ في التمكين، والبسطة المالكة لأزمة التصريف النافذ.

وهو الذي قال: ليس لأحد علي في هذا الطريق منة إلا لله ولرسوله.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الخلق، وصرفه في الوجود، وخرق له العادات، وأظهر على يده الخارقات، وملكه أسرار الولاية، وحكمه في أحوال النهاية، وأنطقه بعجائب الحكم، وأجرى على لسانه غرائب، ونصبه قدوة للسالكين، وأقامه حجة للعارفين.

وهو أحد أئمة هذا الشأن، وأركان ساداته،وأعلام العلماء، بمناهجه، وأولي الأيدي والأبصار بأحكامه، علماً وعملاً، وزهداً وورعاً، وتمكيناً وتحقيقاً، ومهابة ورئاسة. صحب الشيخ أبا محمد عبد الرحيم بن أحمد بن حجون المغربي رضي الله عنه، وإليه كان ينتمي. وصحب أيضاً أبا محمد عبد الرزاق بن محمود الجزولي. ولقي جماعة من المشايخ بمصر والحجاز. وكان شيخه عبد الرحيم يثني عليه كثيراً، ويرفع من شأنه، حتى قال فيه: دخل أبو الحسن من باب ما دخلنا منه.

وقال فيه الشيخ أبو محمد الجزولي رضي الله عنه: أودع الشيخ أبو الحسن سراً ما أودعناه.

وقال فيه أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالرأس رضي الله عنه، الشيخ أبو الحسن بن الصباغ رضي الله عنه، شيخ مكمل عند الله عز وجل. انتهت إليه رئاسة هذا الشأن في وقته، في الديار المصرية، وبه غدقت تربية المريدين بها. وتخرج به غير واحد من أهلها، مثل الشيخ أبي بكر بن شافع

القوصي، والشيخ علم الدين المنفلوطي، والشيخ الإمام مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد، وغيرهم رضي الله عنهم. وانتمى إليه جماعة من أرباب الأحوال، وتلمذ له خلق كثير من الصلحاء. واجتمع عنده جمع من الفقهاء والفقراء، وانتفعوا بكلامه، وصحبته. وكان مقصوداً بالزيارات من كل جهة. وكان فقيهاً فاضلاً، متأدباً خاشعاً، متواضعاً كريماً، مشتملاً على أكمل الآداب، وأشرف الصفات، وأكرم الشيم، وأحسن الأخلاق. محباً لأهل العلم والدين، قيماً بتهذيب المريدين، مشفقاً على السالكين، عارفاً بمصالح شؤونهم. وجمع بعض أصحابه كتاباً في أحواله ومناقبه، فمن أراد أن يعلم غالب أحواله فلينظر فيه. وكان له كلام عالٍ نفيس على لسان أهل المعارف.

منه: المريد هو الرامي بأول قصده إلى الله تعالى، ولا يعرج على غيره، حتى يصل إليه، والحق عز وجل هو المقصود بالإشارات، لا يشهد بغيره، ولا يدرك بسواه، حجبهم بالأسماء فعاشوا، ولو برز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهم عن الحقيقة لماتوا، فبروح مراعاته تقوم الصفات، وبالجمع إليه تدرك الراحات.

ومنه: إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحي إليه بخاطره، وحرس سره، أن يسيح فيه غير خاطر الحق، وشاهد القدم، فهو إذاً منفرد للحق في جميع معانيه، وصار الحق مواجهه، فهو كل منظور إليه، ومقابله على الظاهر، ومن أسكرته نار التوحيد، حجبته عن عبارة التجريد، ومن أسكرته أنوار التجريد، نظر عن حقائق التوحيد، وحياء الموحدين من مولاهم، أزال عن قلوبهم سرور المنة، وحياء الأولياء من لحظ عظمة ربهم، أزال عن قلوبهم سرور الطاعة.

ومنه: لن يصفو قلبك إلا بتصحيح النية مع الله عز وجل، ولن يصفو بدنك إلا بخدمة الأولياء، وما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين، وخدمة الصادقين.

ومنه: من لم يكن له مع الله تعالى صحبة دائمة، بمعرفة اطلاعه عليه، ومراعاته لمعرفة المواد، ومشاهدة منه قاطعة، اعترضت عليه أسباب القطيعة، وانتهبته أيدي الأغيار، والذاكر لله تعالى لا يقوم له في ذكره عوض، فإذا قام له العوض، خرج من ذكره، وحرام على قلب مأسور بحب الدنيا، أن يسيح في دوح الغيوب.

ومنه: من أحب أن يطلع الخلق على عمله، فهو مراء، ومن أحب أن يطلع الخلق على حاله، فهو كذّاب، والدعوى تقتله، لا يقبل القلب إمساكها، فينقلها إلى اللسان، فينطق بها ألسنة الحمقى، وروعة عند انتباه من غفلة، وارتعاد من خوف قطيعة، أفضل من عبادة المسرورين وطاعتهم، وإن لله تعالى ريحاً، تسمى الصحبة، مخزونة تحت العرش تحمل أنين الاستغفار إلى الملك القهّار.

ومنه: الموارد إذا وردت صادفت شكلاً فيمازجه، فأي وارد صادف موافقاً ساكنه، وسرائر الحق عز وجل، إذا تجلت لسر أزالت عنه الظنون والأماني، لأن الحق إذا استولى على أمر قهره، ولا يبقى له معه أثر، ومن كان لله تعالى همته، لم يستنطقه شيء من الأكوان، ولا يسره شيء من الدارين.

ومنه: الزهد فقد الشيء من القلب، ومحو السرور به من النفس، واحتمال الذل، والرضا بالحال أبداً، والجهد في المراعاة إلى الموت، والعارف من توافقه معرفته في الأوامر، ولا تخالفه في شيء من أحواله، والسنة التي لم يتنازع فيها أحد من أهل العلم الزهد في الدنيا، وسخاوة النفس، ونصيحة الخلق. وكان رضي الله عنه، يتمثل بهذه الأبيات:

تسرمد وقتي فيك فهو مسرمد ... وأفنيتني عني فعدت مجددا
وكل بكل الكل وصل محقق ... حقائق حق في دوام تخلدا
تفرد أمري فانفردت بغربتي ... فصرت غريباً في البرية أوحدا

وكان رضي الله عنه، ينشد هذه الأبيات:

بقائي فناء في بقائي من الهوى ... فيا ويح قلب في فناه بقاؤه
وجودي فناء في فناء فإنني ... مع الأنس يأتيني هنيئاً بلاؤه
فيا من دعا المحبوب سراً لسره ... أتاك المنى يوماً أتاك فناؤه

أخبرنا الشيخ الصالح أبو محمد عبد الله بن أبي بكر بن أحمد القوصي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا بكر بن شافع رضي الله عنه. يقول: كان الشيخ أبو الحسن بن الصباغ رضي الله عنه، حسن التهذيب لأصحابه، يلحظهم بمراعاة حفظ الأدب في كل نفس. وكان إذا أتاه أحد يريد الانقطاع عنده، يطرق ملياً، فإن قال له: رأيتك في اللوح المحفوظ من أصحابي قبله، وأجلسه عنده في بيت خلوة، وإن قال: لم أرك في الوح المحفوظ من أصحابي، لم يجلسه عنده. وكان يقول: اللوح المحفوظ هو ديوان الموجود فيه كلما كان في الدارين، أو يكون، وإن الله تعالى أطلعني عليه، وأشهدني ما فيه. وكان رضي الله عنه، إذا أجلس

أحداً عنده في بيت خلوة، تفقد أحواله وموارده بكرة وعشية، ويلاطف كلاً منهم بما يليق بمزاجه، وينزله منازل الطريق درجة درجة، ويقول له: انتظر المنازلة الفلانية في اليوم الفلاني، فإنه رباني، فكان يقع حال المريد على ما يقول الشيخ بعينه.

أخبرنا الفقيه أبو الفضل إسماعيل ابن الشيخ الصالح أبي القاسم نصر الله، ابن أحمد الأسناني. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى، يقول: أجلس الشيخ أبو الحسن بن الصباغ، رضي الله عنه، رجلاً في بيت خلوة، وكان يتفقد أصحاب الخلوات من أصحابه كل يوم وليلة، فدخل الشيخ عليه في ليلة من ليالي العشرة الأخيرة من رمضان، فوجده يبكي، فسأله عن حاله، فقال: ها أنا أشهد ليلة القدر، وأشاهد كل شيء على وجه الأرض ساجداً، وكلما هممت بالسجود أجد في باطني شيئاً على هيئة العمود الحديد، يمنعني من السجود، فقال له الشيخ: يا بني لا تجزع، العمود الحديد الذي تجده هو سري المودع فيك، لا يمكنك إلا من فعل قربة، وجميع ما تشهده الآن من سجود الأشياء، إنما ما هو وارد شيطاني، وأراد الشيطان أن تسجد لما خيل لك، فيجد بذلك سبيلاً عليك.

قال: فوقع في نفسي من ذلك شيء، وخطر لي،ومن أين له صحة ذلك، فلم يتم خاطري حتى قال لي: أقول لك هذا، وأنت تطلب عليه دليلاً، ثم مدَّ يده اليمنى، فرأيتها انتهت إلى أقصى المشرق، ثم مدَّ اليسرى فرأيتها انتهت إلى أقصى المغرب، ثم قبضها إليه قبضاً يسيراً، وذلك النور الذي كنت رأيته، والأشياء الساجدة التي شاهدتها، تنضم بعضها إلى بعض حتى لم يبقَ بين راحته إلا مقدار ذراع، وتكون ذلك النور وما فيه، حتى صار كهيئة الإنسان، فسمعت منه صياحاً منكراً، يقول: يا سيدي الغوث الغوث، لا أرجع ولا أعود، يا سيدي، وكلما قارب الشيخ بين كفيه زاد ذلك الصياح.

فقال الشيخ: الله، فرأيت برقة من نور خرجت من فيه، أضاء لها كل شيء أراه، وانقلبت تلك الصورة التي بين راحتي الشيخ سوداء شديدة النتن، وصاحت صيحة مهولة، كادت نفسي تزهق، ثم صارت دخاناً، وتصاعد في الجو هباءً منثوراً.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف القرشي المصري المؤذن. قال: سمعت عمي الشيخ الفاضل أبا عبد الله محمد بن أحمد بن سنان القرشي، تغمده الله برحمته، وكان صحب الشيخ أبا الحسن بن الصباغ، وأقام عنده بقنا مدة. قال:

كنت أخدم الشيخ أبا الحسن بقنا، وغبت عن أهلي تسعة أشهر، وكانوا بمصر، فبينما أنا واقف في الرباط بقنا، وأنا في حضرة شوقي إليهم، إذ نزل الشيخ أبو الحسن من داره، وقال لي: يا محمد اشتقت لأهلك؟ قلت: نعم يا سيدي، فأخذ بيدي وأدخلني بيتاً وحدي، وقال لي: زيق، ففعلت، ثم قال: ارفع رأسك، فرفعت رأسي، فإذا أنا على باب دارنا بمصر، فدخلت وتلقاني أهلي، وسلموا عليَّ، فبقيت مدهوشاً، وكتمتهم أمري، وأقمت عندهم تمام يومي ذلك، وأكلت عندهم مرتين، وكانت معي عشرون درهماً، أعطيتها لأمي.

قال: فلما أذن المغرب، خرجت من باب الدار، فإذا أنا في باب الرباط بقنا، والشيخ قائم، فقال لي: يا محمد أبللت شوقك منهم، قلت: نعم يا سيدي. قال: ثم أقمت عنده بعد ذلك شهراً، واستأذنته في السفر، فأذن لي، فسافرت إلى مصر، في خمسة عشر يوماً، فلما رآني أهلي فرحوا فرحاً شديداً، وقالوا: كنا آيسنا منك، وظننا أنك قتلت، أو طرأ عليك أمر. قلت: لا بأس، وأخذت من أمي العشرين درهماً التي كنت أعطيتها لها في ذلك اليوم. قال: فلم أتكلم بشيء من ذلك حتى مات الشيخ رحمه الله تعالى.

أخبرنا أبو الفتح رضوان بن فتح الله بن سعد الله التميمي المنفلوطي رضي اللّه عنه. يقول: كنت يوماً مع شيخنا الشيخ أبي الحسن بن الصباغ رضي الله عنه، على ساحل البحر، ومعه إبريق يتوضأ منه، فسمع بالقرب منه صياح الناس، فسأل الشيخ عن ذلك، فقيل له: قد أخذ التمساح رجلاً من الساحل، فترك الشيخ الوضوء، وأسرع إلى المكان الذي فيه الناس مجتمعين، فرأى التمساح قد قبض على الرجل، وقد توسط به لجة البحر، فصاح الشيخ بالتمساح أن قف، فوقف مكانه لا يتحرك يميناً، ولا شمالاً، فعبر الشيخ على متن الماء وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، كأنه يمر على وجه الأرض، وكان البحر في نهاية زيادته، حتى انتهى إلى التمساح، فقال له: ألقِ الرجل، فألقاه من فيه، وقد هلك الرجل من فخذه، من مسكة التمساح، فوضع الشيخ يده على التمساح، وقال له: مت، فمات موضعه، وقال الشيخ للرجل: قم إلى البر، فقال: يا سيدي لا أستطيع من فخذي، وأنا أحسن العوم، فقال له: اذهب فهذه سبيل النجاة، وأشار إلى طريق البر، فإذا البحر من الموضع الذي فيه الشيخ والرجل، صلب قوي كالحجارة، إلى البر، فمشى الشيخ والرجل حتى وصلا إلى البر، والناس ينظرون، ثم عاد البحر إلى حاله المعتاد، وجرَّ الناس ذلك التمساح ميتاً.

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ العارف أبي عبد الله محمد بن محمد القرطبي. قال: سمعت الشيخ العلامة مجد الدين أبا الحسن علياً بن وهب القشيري، بقوص، يقول: كانت الأسد والحيات، تأوي إلى شيخنا الشيخ أبي الحسن الصباغ رضي الله عنه. وكان يقال: إن كل شيء من العالم يكلمه من الأشجار والأحجار، وكانت بقاع الأرض تخاطبه، وتخبره بما أوقع فيها الأنس والجن من الطاعات والمعاصي، وكانت النباتات تخاطبه بخواصها ومنافعها. وكان يقول: من خاطبه الله تعالى، خاطبه كل شيء. ورأيته غير مرة يخاطب شيئاً في الهواء، ويقول له: افعل كذا، ولا تفعل كذا، وكنت أقول إنهم رجال الغيب يخاطبهم، ويخاطبونه. ورأيته غير مرة يغسل قدميه من لعاب الأسد، إذ وضعت رؤوسها على رجليه، ورأيته مرات جالساً وحده، فتنزل عليه رجال من الهواء، مثنى وثلاث ورباع، حتى يكون عنده منهم خلق كثير. وكانت الأولياء والغيبيون، والجن والمشايخ تمتثل أوامره، حتى لو قال للأسد: لا تبرح من هنا، فلا يزول الأسد من مكانه ذلك، من غير أن يؤذي أحداً، حتى يقول له الشيخ: اذهب. وكانت القطبية تذكر عنه، وصحبته مدة، وخدمته في السر والجهر، فما رأيته ترك أدباً، ولا تكلم بما ينافي الشريعة، ولا بما ينكر عليه فيه رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ الأصيل أبو المعالي فضل الله ابن الشيخ العارف أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الأنصاري. قال: سمعت الشيخ أبا الحجاج الأقصري رضي الله عنه. يقول: كان الشيخ أبو الحسن بن الصباغ رضي الله عنه، جالساً في بعض الأيام عند جماعة من مريديه، فقال له أحدهم: يا سيدي المشاهد لأنوار جلال الله تعالى كيف نظره في الوجود. قال: ينظر السر القائم في الوجود، الذي به استقام وجود كل موجود، فإن نظر إلى عاصٍ أحياه، وإن نظر إلى ناسٍ ذكره، وإن نظر إلى ناقصٍ كمله. فقال له: يا سيدي، وما علامة من هو موصوف بهذا؟ فقال: هو من لو نظر إلى هذا الحجر لذاب من هيبته. قال: ثم نظر إلى حجر عظيم أصم بالقرب منه، فذاب الحجر، وصار ماء، وغار في الأرض.

قال: وفقد رجل من مصر حاله، وكان له حال مع الله عز وجل، فأتاه، وشكا إليه ذلك، وتضرع له، وأقسم الرجل بالله العظيم أنك قادر على رده. فقال له الشيخ: اصبر حتى أستأذن في رد حالك عليك، فأقام الرجل عنده ثلاثة أيام بقنا، فأكل الشيخ معه في اليوم الرابع عسلاً ولبناً، وإذا هو يجد حاله ضعفين. فقال له الشيخ: إني استأذنت في رد حالك، وقد أذن لي في أكلك، معي في اللبن، رد

حالك عليك، وفي أكلك معي العسل ضوعف لك، ولكن لا تقدر على التصريح به، حتى تخرج من بلدي هذا. قال: وكان الرجل يجد حاله ومثله معه، ولا يستطيع أن يتصرف فيه، ولا به، حتى خرج من قنا. قال: ودعا مرة بالبركة في طعام يأكله مقدار سبعة أنفس، فأكل منه نحو من مائة رجل، وفضلت منه بقية أكثر مما كان أولاً. قال: وكان الشيخ أبو الحسن بن الصباغ صباغ الخواطر بحاله، وكان مجاب الدعوة.

أخبرنا الشيخ العلامة تقي الدين أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب القشيري. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى، يقول: أجلس الشيخ أبو الحسن بن الصباغ رحمه اله تعالى رجلاً في بيت خلوة عنده، فنازلته صفة في صورة من صور البشر، فخرج إلى الشيخ فزعاً. فقال له الشيخ: ارجع يا صبي واجلس مكانك، قال: ففعلت، فسمعت في بيت خلوتي هاتفاً يقول: لقد منَّ الله على المؤمنين، إذ بعث فهم رسولاً منهم، لحماً ودماً يعلمهم، ويؤدبهم، ويرشدهم، ويفعل ويفعل. قال: وهذا معنى ما سمعته.

أخبرنا أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا بكر بن شافع بقنا، يقول: تخاصم فقيران بسوق قنا، على عهد شيخنا الشيخ أبي الحسن بن الصباغ رضي الله عنه، وتفاقم الشر بينهما، حتى قلع أحدهما عين الآخر، وسالت على خده، فانطلق بها إلى متولي الحرب بها يومئذ، فقال: أمر هذين إلى الشيخ أبي الحسن، فأتيا إلى الشيخ فلم يكلمهما، وأمر بمد السماط، فأكلا مع الفقراء، وأمر القوال، فقال شيئاً، فدخلا مع الفقراء فيه، وكشف الذي قلعت عينه رأسه مستغفراً. فقال له الشيخ: وممَّ تستغفر؟ قال: يا سيدي، أستغفر لأخي هذا، فإنه لو لم يبدُ مني ما أوجب الجراحة مني، لم يقلع عيني، فكشف الذي قلع عين صاحبه رأسه، وقال: اللهم بحق ذلي الآن، وندمي، وبحق حلمه إلا ما رددت عليه عينه، فعادت عينه كما كانت سوية، وضج الحاضرون. قال: وكان يقال: إن صفاء خاطريهما، ببركة الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه.

أخبرنا الشيخ أبو المعالي فضل الله ابن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الأنصاري. قال: سمعت الشيخ أبا الحجاج الأقصري رضي الله عنه، يقول: كان الشيخ أبو الحسن بن الصباغ رضي الله عنه، ماراً في بعض السنين، وقت الضحى بين بساتين قوص، فرأى حمامة على شجرة، تعدد بصوت شجي، فوقف يسمعها، ثم تواجد واستغرق في وجده وأنشد:

حمــــام الأراك ألا فاخـــبرينــا بمــن تهتفــين وبمــن تندبيــنا
فقد سقت ويحك نوخ القلوب فأجــرين ويحــك مــاء معينا
تعالــي نقم مأتمــاً للفــراق ونـنـدب أحـبابنــا الظاعنيـنا
وأسـعدك النوح كي تسعديني كذاك الحزين يواسي الحزينا

ثم بكى طويلاً وأنشد:

أتبكي حمام الأيك فَقْدَ إلفها وأصبر عنــه كيف ذاك يكــون
ولم أنا لا أبكي وأندب ما مضى وداء الهوى بين الضلـوع دفين
وقد كان قلبي قبل حبي قاسياً فإن دامت البلوى فسوف يلين
ألا هل على الشوق المبرح مسعد وهل لي على الوجد الشديد معين
سلام على قلب تعرض بالهوى ســلام عليــه أحـرقته شجون
وعذبــه هــم يهيج حــزنــه فللهـم والأحــزان فيــه فنون

ثم خرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق أنشد:

غنِّ لي في الفراق صوتاً حزيناً إن بـين الضلــوع داءً دفينـا
ثم جد لي بدمع عينيك باللــــه وكن لي على البكاء معينا
فسأبكي الدماء فضلاً على الدمــع ومثل الفــراق أبكى العيونا
كل أمـر الدنيا حقـير يسـير غير أن يفقد القـرين القـرينا

قال: فجرى الدمع من مقلتيه، وسقطت الحمامة إلى الأرض بين يدي الشيخ، وجعلت تصفق بجناحيها، حتى ماتت، فأنشد:

وردنا على أن الهوى مشرب عذب وحط به للسفر أشـواقه الركـب
فلما وردنـا مــاءه ألهــب الظما إلا من رأى ظمآن ألهبه الشرب
أكب الهوى يذكي علـى زنــاده أيا قادحاً أمسك فقد علق الحب
ولـو أنني أخليت قلبي لغـيركـم من الناس محبوباً لما وسع القلب
ترى تسمح الأيـام منكـم بنظـرة فتلقى على الأيدي الرسائل والكتب
أعاتبكم لا عــن مـلال ولا قلــىً ولكن إذا صاح الهوى حسن العتب

ثم مشى مستغرقاً في حاله، فاذن الظهر وهو بقنا، عند الشيخ أبي محمد عبد الرحيم بن حجون، والشيخ أبي الحجاج بن يوسف بن سليمان بن قاسم القلوسني رضي الله عنهما، وكانا وقتئذ حيين مجتمعين بقنا، فلما رآهما أنشد:

خليلي مــن طـول الملام دعاني لقد جل ما بي في الهـوى وكفاني
دعا الحب قلبي فاستجابت جوارحي وبلـت دموعـي بالـــذي تريانــي

فيا من تجنيه لبست بذلة　　فصرت وما أن في الورى لك ثاني
كأن رقيباً منك يرعى خواطري　　وآخر يرعى ناظري ولساني
أسر وأخفي ما بقلبي من الهوى　　على كل حال في يديك عناني
وأنت على الحالات لا شك ناظر　　على القرب والبعد البعيد تداني
فجد سيدي بالقرب منك فإنني　　أوصله يا من بذاك يداني

وكان الشيخ أبو الحسن ينشد، والشيخان يبكيان، فلما فرغ من إنشاده أنشد الشيخ عبد الرحيم رضي الله عنه وأرضاه:

ما إن ذكرتك إلا هم يقلقني　　سري وذكري وفكري عند ذكراكا
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي　　إياك ويحك والتذكار إياكا
اجعل شهودك في لقياك تذكرة　　فالحق إذ كان إياك لقياكا
أما ترى الحق قد لاحت شواهده　　وواصل الكل من معناك مغناكا

فلما فرغ الشيخ عبد الرحيم من إنشاده، أنشد الشيخ أبو الحجاج رحمهما الله تعالى:

البين فيه لمن ذاق الهوى أجل　　به النفوس عن الأجساد ترتحل
والبين يسكن في أعضائه زمناً　　ونار لوعته تذكو وتشتعل
والبين لون لروح المستهام إذا　　ما قيل قد بان من تهواه واحتملوا
يا سائلي كيف مات العاشقون فما　　ماتوا ولكن باشتياق الهوى قتلوا

سكن رضي الله عنه قنا، بلدة مشهورة بصعيد مصر الأعلى، وبها مات، في النصف من شعبان من سنة اثنتا عشرة وستمائة. ودفن عند شيخه الشيخ عبد الرحيم بمقبرة قنا، وقبره هناك ظاهر يزار، رحمه الله تعالى.

أخبرنا الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسيني. قال: سمعت الشيخ الأصيل أبا محمد الحسن ابن الشيخ القدوة أبي محمد عبد الرحيم بن محمد المغربي، بقنا. يقول: سمعت الشيخ أبا الحسن بن الصباغ رضي الله عنه، يقول: للشيخ عبد القادر خصوص من الله تعالى، لم يدركه كثير من الصديقين. قال: وكان إذا ذكره ينشد:

حسنك لا تنقضي عجائبه　　كالبحر حدثْ به ولا حرج

رضي الله عنهم أجمعين.

الشيخ أبو الحسن علي بن إدريس اليعقوبي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ العراق، وأعيان العارفين المشهورين، وأئمة المحققين البارعين.

صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة، والهمم السماوية، والمعاني القدسية، والإشارات النورية، والعلوم اللدنية. صاحب المقامات الجليلة، والحالات الجسيمة، والمناقب العلية، والكشف الجلي، والفتح السني، والسر المضي، والقدر العلي. له المحل الأرفع من مراتب القرب، والمجلس المصدر في منازل القدس، والمقر الأسمى من رياض الأنس، والمورد العذب من مناهل الوصل، والمشرب الأحلى من موارد الوصل، والحظ الأسنى من مواهب الرضا، والجد الأعلى في رغائب العلى.

وله الطور البديع في الحقائق الزاهرة، والثناء الرفيع في المعارف الباهرة، والمنهاج الأقوم في المحاضرات الأزلية، والمعراج الأعظم في المشاهدات الإلهية، والسعي بأقدام التجريد في مشاهدة الملكوت، إلى مقعد الصمدية، والسبق بنجاح التوحيد في معالم الجبروت، إلى مجلس القربة، والنظر الخارق بحجب مكامن المغيبات، والخبر الصادق عن مكنون حقائق الآيات.

وله اليد البيضاء في علوم الأحوال، والباع الرحيب في معالي الموارد، والقدم الراسخ في التمكين الواسع، والبسطة العظيمة في التصريف النافذ.

وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون، وخرق له العادات، وأظهر على يديه الخارقات، وأنطقه بالمغيبات، ومكنه من أحوال النهاية، وقلده أسرار الولاية، وملكه أزمة الهداية، وحكمه في أنوار البصائر، والأبصار، وأطلعه على مجاري الحكمة، وتصاريف الأقدار، وأجرى الحكم على لسانه، وملأ قلوب الخلق بمحبته، ووقر صدورهم من هيبته، ونصبه قدوة للسالكين، وحجة للعارفين، وإماماً للمتقين.

وهو الذي قال: كشف لي عن الكائنات من البداية إلى النهاية، وحلت لي التراجم، وكل من لم تحل له التراجم فليس بشيخ. وقال أيضاً: أطلعني ربي تبارك وتعالى على أهل الجنة، وأهل النار، وأهل البرزخ، وأهل السماء، وأهل الأرض. وكان المشايخ في وقته يقولون: الشيخ علي بن إدريس يعرف ألسنة الجن والإنس، والملائكة والطيور، والوحوش والحيتان. وكان يقال: إنه يعرف ملائكة كل سماء ومقام، ويعرف تسبيحهم ولغاتهم، وما يوحدون الله تعالى به. وكان إذا جاء إلى الشيخ عمر البزار يقوم إليه، ويمشي له خطوات، ويتلقاه من بعد، ويكرمه ويحترمه، ويعتنقه، وينشد:

أشم منك نسيماً لست أنكره ... كان لمياء جرت فيك أردانا

وكان المشايخ يقولون: لما توفي الشيخ عمر البزار رضي الله عنه، كانت مشايخ العراق كالنجوم الزهر، والشيخ علي بن إدريس شمساً طالعة. وكان الشيخ أبو الحسن القرشي رضي الله عنه، يقول: الشيخ علي بن إدريس من سكان الصفيح الأعلى. صحب الشيخ القدوة أبا الحسن علي بن الهيتي رضي الله عنه، وإليه كان ينتمي. وصحب أيضاً شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وخدمه، وروى عنه، وشهد له مشاهد جليلة، وله.

منه: موارد نفيسة، ودعا له وقال في حقه: لهذا الصبي شأن عظيم، وقال له أيضاً: سيأتي زمان يفتقر فيه إليك، وتصير علياً. وكان يقول: أنا دعوة الشيخ عبد القادر رضي الله عنه. ولقي مشايخ العراق مثل: الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي، والشيخ بقا بن بطو، والشيخ أبي سعد القيلوي، والشيخ أحمد البقلي اليماني، والشيخ مطر البادراني، والشيخ أبي الكرم المعمر، وغيرهم رضي الله عنهم. وكان شيخه ابن الهيتي يكرمه ويقدمه، ويعتني بأمره.

وقال فيه ابن إدريس: من جلساء حضرة القدس، وهو أحد أركان هذا الشأن، وأئمة ساداته، وأعلام الهداة القادة إليه، وأولي الأيدي والأبصار بأحكامه علماً وعملاً، وزهداً وتحقيقاً، ومهابة وجلالة انتهت إليه رئاسة هذا الأمر في وقته، وبه غدقت تربية المريدين الصادقين بالعراق. وتخرج به من أهلها غير واحد، مثل الشيخ خليفة بن خلف اليعقوبي، والشيخ أبي الشكر ماجد بن الحميدي الروحاني، والشيخ محمد معتوق بن رضوان النهر ملكي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الرصافي المعروف بالسبتي، والشيخ الفاضل أبي زكرياء يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري الصرصري، والشيخ العالم كمال الدين أبي الحسن علي بن محمد بن وضاح السهرأبادي، والشيخ أبي محمد الحسن بن أحمد البغدادي المعروف بالمقصورة، وجماعة كثيرة سواهم. وانتمى إليه خلق من ذوي الأحوال، وتلمذ له جمٌّ غفير من الصلحاء والعلماء.

وقال: بإرادته خلق لا يحصون كثرة، واجتمع عنده بيعقوبا عدد عظيم من الفقهاء والفقراء، وانتفعوا بكلامه وصحبته، واشتهر ذكره في الآفاق، وقصد بالزيارات من كل جهة. وكان يجتمع ببابه أمم عظيمة من الزوار القاصدين إليه من جميع الأقطار، وربما أقاموا على بابه أسبوعاً حتى يروه، وربما انتهى عددهم إلى سبعة آلاف. ولما توفي الشيخ عمر البزار رضي الله عنه، أهرع مشايخ العراق إلى زيارته، مثل الشيخ شهاب الدين السهروردي، والشيخ أبي طاهر الخليل بن أحمد

الصرصري، والشيخ أبي البدر بن خليل المعروف بالسمين، والشيخ أبي البدر بن سعيد، والشيخ أبي محمد عبد اللطيف البغدادي المعروف بالمطرز، والشيخ أبي العباس أحمد بن الشريف البغدادي، والشيخ أبي الحسن البغدادي المعروف بالخفاف، والشيخ أبي عمر عثمان بن سليمان المعروف بالقصر، والشيخ أبي الحسن علي بن سليمان المعروف بالخباز، والشيخ أبي البدر بن يوسف المعروف بالتماسكي، وجماعة سواهم من العلماء، والصلحاء. وكان يأتي إلى بغداد لزيارة ضريح الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، وينزل بمدرسته بباب الأزج عند قاضي القضاة أبي صالح نصر، فيأتيه أكثر أهل بغداد من العلماء والمشايخ وسائر الناس. وبلغني أنه سمع مرة ببغداد في المدرسة المذكورة، جزء حديث يرويه عن الشيخ عبد القادر، وكان جملة من سمع عليه، في ثلاث مجالس متفرقة، ما يزيد على ألفي رجل، وكان القارىء له الشيخ الإمام محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد المعروف بالتوحيدي، ابن أخت قاضي القضاة أبي صالح نصر. وكان الخلفاء إذا نزلت بهم نازلة التجؤوا إليه واستكانوا له. وكان جليلاً مهاباً، وسيماً متأدباً، متواضعاً لا يمكن أحداً من تقبيل يديه، ولا يستطيع أحد أن يقول له: يا سيدي لكراهته ذلك. وكان مشتملاً على أشرف الأخلاق وأكرم الشيم. وكان وافر العقل، قليل الكلام، دائم المراقبة، شديد الحياء، شديداً في اتباع الكتاب والسنة، ظاهر الوضاءة، عظيم الهيبة والوقار، معانق طريق السلف. وكان سماطه لا ينقطع أبداً إلا في نهار شهر رمضان. وما كان يجلس في صدور المجالس، ولا يتبعه أحد إذا مشي إلا بأمره، ولا يعرفه الذي لم يره قبل حتى يعرف به. وكان يلبس لباس أهل السواد، وكان به ألم متقادم في رجله، وعجز في آخر عمره عن الحركة. وكان يجلس مكانه أياماً، لا ينهض إلا أوقات الصلاة، ولا يستطيع أحد أن يدنو منه إلا بإذنه رضي الله عنه. وكان له كلام نفيس في الحقائق.

منه: الكرم طرح الدنيا لمن يحتاج إليها، والإقبال على الله تعالى لاحتياجك إليه، والتصوف كله آداب، ولكل وقت أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات، بلغ مبالغ الرجال، ومن ضيع الأدب، فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يظن القبول، وحسن آداب الظاهر عنوان أدب الباطن، لأن النبي ﷺ، قال: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»، وما استحق اسم السخاء من ذكرَ العطاء بلسانه، أو لمحه بقلبه.

ومنه: من لم يزن أحواله وأفعاله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعده في ديوان الرجال، ومن لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه، كان مغروراً، ومن نظر إليه باستحسان شيء منها فقد أهلكها، والولي من أيد بالكرامات وغيب عنها.

ومنه: طيب النفس، وروح القلب، وسعة الصدور، وقرة العين، في أربعة أشياء: الاستنابة للحجة، والأنس بالأحبة، والثقة بالعدة، والمعاينة للغاية. وأنفع العقل ما عرفك نعم الله عليك، وأعانك على شكرها، وقام بخلاف الهوى. وأنفع الإخلاص ما نفى عنك الرياء، والتصنع. وأنفع الأعمال ما سلمت من آفاتها، وكانت مقبولة. وأنفع الفقر ما كنت به متجملاً راضياً. وأنفع التواضع ما لقي عنك الكبر، وأمات منك الغضب. وأنفع المعاملات إصلاح خواطر القلوب. وأنفع الخوف، ما حجزك عن المعاصي، وأطال منك الحزن، وألزمك الفكرة.

ورأس الآداب أن يعرف الرجل قدره، ومن لم يخشَ أن يعذبه الله تعالى على أفضل أعماله فهو هالك، وما ابتلي أحد بمصيبة أعظم من قسوة قلبه، وكيف يفلح من الدنيا أحب إليه من أحب الناس، ومن ترك نهمة الدنيا استراح من الهم، ومن حفظ لسانه استراح من المعذرة، ومن جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته في دينه.

ومنه: عرض للخلق عارض من الهوى، أقعد المريد، وألهى العاقل، فلا العاقل عرف داءه، ولا المريد طلب دواءه، فمن استعصم بالله تعالى عصم، ومن أسلم إلى نفسه حجب، فصحة الورع من علامات الخوف، وحسن الخلق من كرم الحسب، ومن عقل أيقن، ومن أيقن خاف، ومن خاف صبر، ومن صبر ورع، ومن ورع أمسك عن الشبهات، وانتفى عنه الحرص والرغبة، ومن سخف عقله ضعف يقينه، ومن ضعف يقينه فقد منه الخوف، ومن فقد خوفه كثرت غفلته، ومن كثرت غفلته قسا قلبه، ومن قسا قلبه لم تنجع فيه موعظة، وغلب عليه حب الدنيا، وكثرت أعماله بغير حقيقة خوف من الله تعالى، والمحروم من حرم السؤال، والسؤال مفتاح الإجابة، ولا ينبغي للعالم أن يتكلم على الناس، إلا إذا خاف هلاك إنسان في بدعة، ويرجو أن الله تعالى ينجيه منها، ببركة صالح نيته فيه.

ومنه: أربع من أخلاق الأبدال، استقصاء الورع، وتصحيح الإرادة، وسلامة الصدر للخلق، والنصيحة للخاصة والعامة.

وأربع خصال يرفع الله تعالى بها العبد: العلم، والأدب، والدين، والأمانة، وأقوى القوة أن تغلب نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه، أطاعه من دونه، ومن خاف الله تعالى خافه كل شيء، والورع الوقوف على حد العلم، فورع الظاهر أن لا يتحرك إلا لله عز وجل، وورع الباطن أن لا يدخل في قلبه سوى مولاه، والزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح، ومن لا ورع له لا زهد له، ومن لا زهد له لا حب له، وعلامة الزاهد ثلاث خصال: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رئاسة. وكان رضي الله عنه يتمثل بهذه الأبيات:

غرست الحب غرساً في فؤادي ... فلا أسلو إلى يوم التنادي
جرحت القلب مني باتصال ... فشوقي زائد والحب بادي
سقاني شربة أحيا فؤادي ... بكأس الحب من بحر الوداد
فلولا الله يحفظ عارفيه ... لهام العارفون بكل وادي

وكان رضي الله عنه ينشد هذه الأبيات:

القلب محترق والدمع مستبق ... والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلق
يا رب إن كان شيء فيه لي فرج ... فامنن علي به ما دام بي رمق

أخبرنا قاضي القضاة شيخ الشيوخ شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي رضي الله عنه قال: سمعت الشيخ العارف أبا الحسن علي بن سليمان الخباز، والشيخ العارف كمال الدين علي بن محمد بن محمد بن وضاح ببغداد. قالا: سمعنا الشيخ القدوة أبا محمد علي بن إدريس ببغداد. يقول: حفظت نفسي من الهوى عشر سنين ثم حفظت قلبي من نفسي عشر سنين، ثم حفظت سري من قلبي عشر سنين، ثم وردت علينا منازلة، فحفظنا كلنا، والله خير حافظ وهو أرحم الراحمين.

أخبرنا أبو الفضائل صالح بن يعقوب بن حمدان التميمي اليعقوبي. قال: حدثني أبي قال: كان ابني إسماعيل طفلاً وهو مقعد، وبلغ عمره خمس سنين وهو على حاله لا يتحرك من مكانه، ولا يستطيع الحركة، فحملته وأتيت به الشيخ علي بن إدريس رضي الله عنه، وسألته له الشفاء، فأنكر عليٍّ ذلك، فتركته بالقرب منه، وتجنبت عنه، فرماه الشيخ بنارنجة كانت بيده، فوقعت على ركبتي الصبي، فقام يعدو، وأخذ تلك النارنجة، وعدا في الرباط، وهلل الناس، وذهب معي يمشي في عافية الله تعالى.

أخبرنا الشيخ أبو المعالي عبد الرحيم بن مظفر بن مهذب الفرنثي. قال: سمعت أبي رحمه الله تعالى، وكان من أصحاب الشيخ علي بن إدريس رضي الله عنه. قال: جار علينا عامل فرنث في بعض السنين، وبلغ مبلغاً منكراً، فأتيت إلى الشيخ علي بن إدريس رضي الله عنه، أشكو إليه، فأقمت عنده بيعقوبا ثلاث ليال لا أكلمه في ذلك من هيبته، ثم صلى المغرب في الليلة الرابعة في بستان، ودار أصحابه حوله، فرأى بيد أحدهم قوساً وسهماً. فقال: أعطنيه فناوله، فركب الشيخ السهم في كبد القوس، وقال لي: أأرمي؟ فقلت: يا سيدي إن شئت، فوضع القوس من يده، ثم أخذه ثانياً، وقال: أأرمي؟ قلت يا سيدي إن شئت، فوضع القوس من يده ثالثاً، وقال أأرمي؟ قلت: يا سيدي إن شئت، فرمى به، فوصل إلى شجرة هناك بينه وبينها قدر أربعة أذرع. فقال: قد رميت وأصبت عنق عامل فرنث، فكبرت وكبر الناس، وقام صاحب القوس والسهم فأخذها، فلما أصبحنا أتانا الخبر أن العامل بينا هو يعد المغرب على فراشه فوق سطح داره، إذ أتاه سهم غارب، لا يدري من أين هو، فأصاب عنقه، فذبحه، وقد أصبح ميتاً.

أخبرنا أبو الحسن علي بن أزدمر قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا زكرياء يحيى ابن يوسف الصرصري. قال: كان بيعقوبا بستان ملح ماؤه، فلا يثمر شجره، ولا تزرع أرضه، وكان معطلاً فأتى أصحابه الشيخ علي بن إدريس رضي الله عنه، وسألوه أن يدعو لهم بالبركة فيه، فأتاه وتوضأ فيه، وصلى ركعتين، ودعا لهم بالبركة فيه، فزرعه فاثمر وأنجب، وبورك لهم فيه.

وهو أبو محمد، ويقال أبو الحسن علي بن زكرياء بن إدريس الروحاني اليعقوبي. والروحاء قرية قريبة من يعقوبا،والإدريسي نسبة إلى جده إدريس. توفي في سلخ ذي القعدة سنة تسع عشرة وستمائة بيعقوبا، ودفن من الغد برباطه بها حدث رحمة الله عليه.

الشيخ علي بن وهب السنجاري رضي الله عنه: هذا الشيخ من أجلاء المشايخ، وعظماء العارفين، وأئمة الصادقين، وأعيان الزمان، صاحب الفتح السني، والكشف الجلي، والقدر العلي، والكرامات الظاهرة، والأفعال الخارقة، والأحوال الجليلة، والأنفاس النفيسة. له الطور الرفيع من المقامات، والمحل السامي في المعارف، والباع الطويل في الحقائق، والقدم الراسخ في العلوم، والمكان المكين في التمكين.

وهو أحد أئمة هذا الشأن، وأعلام العلماء بها، حالاً وقالاً، ورئاسة وجلالة.

وكانت له مكارم شريفة، وخلائق لطيفة، وزهد صادق، وتواضع عظيم، وحلم كثير، وأوصاف جليلة، يتميز بها على كثير من أهل زمانه. وهو أحد من صرفه الله عز وجل في الكون، وأنطقه بالمغيبات، وخرق على يديه العادات، وأظهره للخلق، وأوقع له عندهم القبول التام، والهيبة الوافرة، وأقامه قدوة لأهل الطريق. انتهت إليه تربية المريدين المخلصين بسنجار وما يليها. وتلمذ له جماعة من الأكابر مثل: الشيخ أبي بكر بن عبد الحميد الشيباني الخبازي، والشيخ قيس الشامي، والشيخ جواب الكبر، والشيخ سعد الصفايحي، وغيرهم. وانتمى إليه من أهل المشرق خلق لا يحصون كثرة.

ويقال: إنه مات عن أربعين رجلاً من مريديه، كلهم أصحاب أحوال، حدثت عنهم أنهم لما مات، اجتمعوا في روضة تجاه زاويته، جعل كل منهم يأخذ من تلك الروضة قبضة من نباتها، ويتنفس عليها، فتزهر من جميع الأزهار مختلفة ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأزرق وأبيض وغير ذلك، حتى أقر بعضهم لبعض بالتمكين والتصريف.

وهو الذي يقول: إن الله تعالى أعطاني كنزاً مختوماً وسأرده إليه مختوماً بحوله وقوته، وهو المسمى برد الفائت، لأنه اشتهر أنه من فقد حالاً كان له، وأتى إليه الشيخ علي بن وهب رضي الله عنه، رده عليه بزيادة.

وهو أحد الرجلين اللذين لبسا من أبي بكر الصديق رضي الله عنه في النوم، فيما أخبرنا به الشيخ الفقيه الصالح أبو محمد عبد الحميد ابن الشيخ العارف أبي حفص عمر بن الشيخ الجليل أبي الفرج عبد الحميد بن الشيخ القدوة أبي بكر بن عبد الحميد، بن أبي بكر السنجاري الشيباني.

قال: أخبرني أبي، قال: سمعت جدي الشيخ أبا بكر يقول: صليت بسيدي الشيخ علي بن وهب رضي الله عنه، أربعين سنة، وسألته عن بدايته. فقال: كنت أشتغل بالعلم، وأتعبد في مسجد بظاهر البدرية، فبينما أنا ليلة نائم رأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه في النوم، فقال لي: يا علي قد أمرت أن ألبسك هذه الطاقية، وأخرج من كمه طاقية، ووضعها على رأسي، فاستيقظت والطاقية بعينها على رأسي. ثم جاءني الخضر عليه السلام بعد أيام وقال لي: يا علي اخرج إلى الناس ينتفعوا بك فتثبت في أمري. ثم رأيت أبا بكر الصديق رضي الله عنه في النوم، وقال لي: مقالة الخضر فاستيقظت، وتثبت في أمري. ثم رأيت رسول الله ﷺ في الليلة الثانية، وقال لي كمقالة أبي بكر الصديق رض الله عنه فاستيقظت وعزمت

على الخروج ونمت في آخر الليل من ليلتي تلك فرأيت الحق سبحانه وتعالى وقال لي: يا عبدي قد جعلتك من صفوتي في أرضي، وأيدتك في جميع أحوالك بروح مني وأقمتك رحمة لخلقي فاخرج إليهم واحكم فيهم بما علمتك من حكمي، وأظهر فيهم ما أيدتك من آياتي، فاستيقظت وخرجت إلى الناس، فأهرعوا إلي من كل جانب، ولم يبلغنا أن أحداً من المشايخ ألبسه أبو بكر الصديق رضي الله عنه في النوم واستيقظ فرأى الخرقة التي ألبسه إياها في النوم على رأسه، سوى الشيخ أبي بكر بن هوار، والشيخ علي بن وهب رضي الله عنهما. وأجمع المشايخ والعلماء وغيرهم على تبجيله واحترامه. وقصد بالزيارات والنذور من الأقطار، واشتهر ذكره في الآفاق. وكان له كلام عال على لسان أهل الحقائق.

منه: معرفة الله تعالى عزيزة لا تدرك بالعقل، بل يقتبس أصلها من الشرع، ثم تتفرع حقائقها على قدر القرب، فقوم عرفوه بالوحدانية، واستراحوا إلى الصمدانية، وقوم عرفوه بالقدرة فتحيروا، وقوم عرفوه بالعظمة، فوقفوا على قدم الدهشة وأيقنوا أن لن يدرك أحد غيبه، وقوم عرفوه بعزة الإلوهية، وقوم عرفوه بصنائعه، واستدلوا عليه ببدائعه، فشاهدوه في إبدائه وصنعه، ورأوه، في إعطائه ومنعه، وقوم عرفوه بالتكوين، فمنحهم الثبات والتمكين، وقوم عرفوه لا بغيره، فأراهم من آياته ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ومنه: من أحبه الحق عز وجل، وأراده أسكن في قلبه الإرادة، والمريد محب طالب، والشوق لقلبه غالب، والتوق إليه سالب، والمراد محبوب مطلوب مأخوذ مسلوب، إلى الجنات مجذوب، قد ظهر عليه الشوق وغلب، إذ قد وجد ما طلب، قد قطع الطريق وطواها، وما أزال نفسه ونحاها،ومحا الأكوان من نظره، فما يراها.

ومنه: الزهد فريضة، وفضيلة، وقربة، فالفرض في الحرام، والفضل في المتشابه، والقربة في الحلال. والزهد أعم من الورع، لأن الورع اتقاء، والزهد قطع الكل. وعلامة الإخلاص أن تغيب عنك الخلق، في مشاهدة الحق، وبقاء الأبد في فنائك عنك، ومن سكن سره إلى غير الله تعالى، نزع الله عز وجل الرحمة من قلوبهم عليه، وألبسه لباس الطمع فيهم.

وكان رحمه الله تعالى يتمثل بهذه الأبيات:

من أظهروه على سر فباح به ... لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم ينعم بهم أبداً ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا

لا يصطفون مذيعاً بعض سرهم حاشيا جلالهم من ذلكم حاشيا

أخبرنا الفقيه الأصيل أبو محمد عبد الحميد ابن الشيخ الجليل أبي حفص عمر الشيباني. قال: أخبرنا أبي، قال: سمعت جدي الشيخ أبا بكر بن عبد الحميد الشيباني السنجاري. يقول: اجتمع الشيخ علي بن وهب، والشيخ عدي ابن مسافر، والشيخ موسى الزولي رضي الله عنهم، عند صخرة عظيمة، بجبل السلو، ببلاد المشرق، فقالا للشيخ علي بن وهب: ما التوحيد؟ فقال: هكذا، وأشار بيده إلى تلك الصخرة، وقال: الله، فانفلقت نصفين، وهي إلى الآن معروفة، يصلي الناس بين نصفيها. قال: وكان في زمانه رجل من أهل همذان، يسمى بالشيخ محمد بن أحمد الهمذاني، وكان من أصحاب الأحوال والمقامات، ففقد أحواله، وتوارت عنه مقاماته، وكان من بعض أحواله،أن بصيرته ترى الملكوت الأعلى إلى العرش، فطاف البلاد على المشايخ، فلم يرد عليه أحد حاله، فجاء إلى الشيخ علي بن وهب رضي الله عنه، فتلقاه، وأكرمه. وقال له: يا شيخ محمد هذا حالك الذي كنت فقدته، وسأزيدك اثنتين، ثم أمره أن يغمض عينيه، ففعل فرأى الملكوت الأسفل إلى البهموت. فقال: هذه الواحدة، وأما الأخرى، فقد أعطيتك خطوة تمر بها إلى جميع الآفاق.

قال: فرفع إحدى رجليه، وهو عند الشيخ علي بن وهب بسنجار، ووضع الأخرى بهمذان. قال: وورد عليه مرة فقراء واشتهوا عليه حلواء، فدخل إلى داره، وأخذ قشور رمان، كان، ثم وضعه في دست، وأوقد تحته ناراً، وحركه بيده، ثم صبه في إناء، وأخرجه إليهم، فأكلوا حلواء، من أحسن حلواء الدنيا، وأطيبها وألذها.

أخبرنا أبو علي أحمد بن محمد بن قاسم بن عبادة الأنصاري الحموي. قال: أخبرنا الشيخ العارف أبو الفرج عبيد بن منيع بن كامل الأعزازي العصعصي المقري. قال: سمعت الشيخ الجليل أبا منعة سلامة بن ناقد الفروقي، المجاب الدعوى، الملقب بالرويحج. قال: سمعت الشيخ قيس بن يونس الشامي، يقول: جاء رجل من العجم اسمه الشيخ أحمد بن علي إلى سيدي الشيخ علي بن وهب رضي الله عنه، وكان صاحب قدم ومجاهدة، فقال للشيخ: أريد أن أجلس أنا وأنت في بيت خمسين يوماً، لا نأكل ولا نشرب، ولا ننام ولا نتوضأ. فقال: يا بني إني كبرت، ووهن عظمي، وضعفت قوتي، فقال: لا بد من ذلك، فقال: بسم الله، وقاما ودخلا بيتاً.

وقال الشيخ لنا: ائتوني بالطعام والشراب، فجعلنا كل يوم نأتيه بأنواع الطعام والشراب والبطيخ، فيأكل في الليل والنهار مراراً، أكثر من عادته، فمكث في ذلك البيت خمسين يوماً، أكل فيها من الطعام واللحوم والبطيخ ، وشرب من الماء واللبن، ما لا يحصيه إلا الله عز وجل، ومع ذلك لا يبول ولا يتغوط، ولا ينام ولا يتوضأ، ولا يقوم من مجلسه ليلاً ولا نهاراً، فقبل الشيخ أحمد رجل الشيخ علي بن وهب وقال له: أنت الأستاذ، ولازم خدمته إلى أن مات.

قال: وأتاه أيضاً رجل مغربي اسمه عبد الرحمن بن أحمد الإشبيلي، ووضع بين يديه سبيكة من ذهب. وقال له: يا سيدي هذه للفقراء من صنعي. فقال الشيخ لمن حضره: من عنده آنية من نحاس، فليأتني بها، فأتوه بأواني كثيرة من الطاسات والأطباق، وغير ذلك، فأمر بها، فجعلت في وسط الزاوية، وقام ومشى إليها، فصار بعضها ذهباً، وبعضها فضة، إلا طاستين. فقال الشيخ لأصحاب الآنية: من له إناء فليأخذه، فأخذوها ذهباً وفضة. ثم قال لعبد الرحمن: يا بني، إن الله عز وجل، أعطانا هذا كله، وقد تركناه، ولا حاجة لنا في سبيكتك، فسألناه عن سبب اختلاف الآنية، فقال: لما قلت: من عنده آنية فليأتني بها، فمن انبعث لكلامي ولم يجد في نفسه حرجاً، صارت آنيته ذهباً، ومن وجد في نفسه بعض حرج، صارت آنيته فضة، ورجلان منهم أساءا بي الظن فلم يتغير إناؤهما. وكان رضي الله عنه، يحرث في وقت على زوج بقر، وكان لا يمسهما بيده، وإذا قال لهما: قفا وقفا، وإذا قال لهما: امشيا مشيا، وربما يذر الحنطة وغيرها، فنبتت في الحال، وماتت له بقرة فجاء فأخذ بقرنيها، وقال: اللهم أحيها لي، فقامت تنفض أذنيها. وهو رضي الله عنه، ربعي، شيباني، موسوي، سكن البدرية قرية بأرض القنا من أعمال سنجار، وبها مات، وقد ناف على الثمانين، وقبره بها ظاهر يزار. وكان عالماً فاضلاً فصيحاً، لوذعياً، متواضعاً، وكان لا يحلف بالله تعالى أبداً، وكان إذا أراد أن يحلف يقول: أمي مرة، رضي الله عنه.

أخبرنا أبو محمد عمران بن عثمان بن محمد بن أحمد السنجاري المؤدب. قال: أخبرنا الشيخ الأصيل أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الجليل، أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الأصيل أبي محمد الحسن، ابن الشيخ أبي عبد الله محمد، ابن الشيخ القدوة أبي الحسن علي بن وهب السنجاري. قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه، قال: سمعت والدي رضي الله عنه، يقول: الشيخ عبد القادر رضي الله عنه أحد أعيان الدنيا، الشيخ عبد القادر أحد أفراد الأولياء، الشيخ عبد القادر من

تحف الوجود، الشيخ عبد القادر من هدايا الله تعالى للكون، طوبى لمن رآه، طوبى لمن جالسه، طوبى لمن بات في خاطر الشيخ عبد القادر رضي الله عنهم أجمعين، ورحمنا بهم آمين.

الشيخ موسى بن ماهين الزولي رضي الله عنه: وأرضاه، هذا الشيخ من أكابر المشايخ، وصدور العارفين، وأئمة المحققين. صاحب الكرامات المأثورة، والمناقب المشهورة، والأفعال الخارقة، والأحوال النفيسة، والمقامات الجليلة، والحقائق السنية، والكشف الجلي.

وهو أحد أركان هذا الطريق، وأعيان علمائها، وأعلام ساداتها، حالاً، وقالاً، وزهداً وتحقيقاً، وتمكيناً ومهابة، ورئاسة. وله اليد البيضاء في الحكم والتواضع، والقدم الراسخ في القرب والمعالي، والمنازل الرفيعة من المقامات، والمرامي العلية في المعارف.

وهو أحد من أبرزه الله تعالى إلى العباد، وأنطقه بالمغيبات، وخرق له العادات، وأوقع له الهيبة في ا لقلوب، والقبول العظيم عند الخلق. انتهت إليه الرئاسة في هذا الشأن، وانعقد عليه إجماع المشايخ وغيره بالتبجيل والاحترام، وقصد بحل مشكلات الموارد، وكشف مخفياتها، وتربية السالكين، وتهذيب المريدين بماردين، وما يليها. وتخرج بصحبته كثير من المشايخ ببلاد المشرق. وتلمذ له جماعة من ذوي الأحوال السنية، وانتمى إليه خلق كثير. وكان شيخ الإسلام محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، يثني عليه كثيراً، ويعظم شأنه. قال مرة: يا أهل بغداد ستطلع عليكم شمس ما طلعت عليكم قط، فقيل له: ومن هو؟ فقال الشيخ عبد القادر: رجل يقال له الشيخ موسى الزولي، ثم أمر الناس أن يتلقوه من مسيرة يومين، فلما قدم الشيخ موسى أتى إلى الشيخ عبد القادر، فأكرمه إكراماً كثيراً، وتأدب الشيخ معه أدباً عظيماً، وكان قدم بغداد يومئذٍ حاجاً. وكان له كلام جليل على لسان أهل المعارف.

منه: الدقائق معاني تفصيل المنازلات، وشعائر تخميل المحاضرات، وهي بالنظر إلى الجمل الكليات متحدة متصلة، وبالالتفات إلى الصور الجزئيات، بطريق الكشف عن مواضع التشكيل، منفصلة، والرقائق أرواح في الدقائق، وهي مقدمة الحكمة الأزلية، فتحيط الأغيار بالأغيار، وتنكشف الأنوار بالأنوار، ولو رفع لك هذا الحجاب، على بساط الروحانية، لكلمك من ذاتك بعدد ولد آدم من الخلق، ولرأيت رقائق ذاتك راكعة مع الراكعين، وساجدة مع الساجدين، والحقائق

ذوائب العلى، وروائح أرواح السنا، وهو اللمح اللامع، والفتح الطالع، من وطىء بساطها استوى، ومن ركب براقها بلغ سدرة المنتهى، وهي التي تنفهق على القدس، بما تنفهق عليه المعاني العلوية من نور الحجب، ونعيم القرب، فيتجدد عليها البساط العلمي، والنور الكشفي، والحضور الأدبي، فيصعد عنها العارف على معارج أنوار من صور فوائد الوصل، إلى بين يدي حضرة الجلال، ومشرق الإقبال، بما يتبعها من نور وسنا، وروح طيب وحيا، فيقوم المقام الأحمد، ولا يزال الأمر كذا عود على بدء، ورد فعروج وحضور، ونور وقبول، وانفهاق ونفوذ، ونشاط ونهوض إلى ما لا آخر له، فكل باطن حقيقة لكل ظاهر، وكل أعلى حقيقة لكل أدنى.

أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن أبي المحاسن يوسف بن أحمد بن محمد القرشي المارديني. قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه، قال: كان شيخنا الشيخ موسى الزولي رضي الله عنه، كثير المشاهدة لرسول الله ﷺ، وكانت غالب أحواله بتوقيف منه ﷺ، وكان إذا مس الحديد بيده لان له، حتى يصير كاللبان، ووقع مرة بماردين حريق فادح، واستطار في أقطار البلد استطارة كثيرة، فضج الناس بالشيخ موسى، فأعطاهم عكازه، وأمرهم أن يلقوه في النار، فذهبوا وألقوه فيها، فانطفأت لوقتها كأنها لم تكن قط، وجاؤوا وأخرجوا العكاز. فما رأوه احترق ولا اسودّ، ولا سخن، فأتوا به إليه. فقال: إن الله عز وجل وعدني أن لا يحرق بالنار ما مسته يدي.

أخبرنا جدي لأمي الشيخ الصالح أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن زرع بن أبي الحسن المندري المغربي. قال: أخبرنا أبي عن أبيه، قال: كان الشيخ موسى الزولي رضي الله عنه، كثير الإخبار بالمغيبات، وإذا أخبر بشيء وقع كفلق الصبح في الوقت الذي أخبر عنه على الوصف الذي وصفه، وشاهدته مرة وقد أتته امرأة بصغير، وقالت له: هذا فلان بن فلان عمره أربعة أشهر، فدعاه الشيخ إليه فأتاه يعدو. فقال له: اقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص: ١]، فأقرأه سورة الإخلاص إلى آخرها، فقرأها الصبي بلسان فصيح، وما زال يمشي ويتكلم منذ ذلك الوقت، إلى أن بلغ سن من يمشي ويتكلم، ورأيته بعد موت الشيخ موسى رحمه الله تعالى بثلاثين سنة، فوالله ما زادت فصاحة نطقه على فصاحته، حين تكلم بين يدي الشيخ أول مرة.

قال: وكان الشيخ موسى الزولي رضي الله عنه، مجاب الدعوة، فما دعا

لأعمى بالنظر إلا نظر، ولا على بصير بالعمى إلا عمي، ولا لفقير بالغنى إلا استغنى، ولا على غني بالفقر إلا افتقر، ولا لذي عاهة أو مريض إلا برىء، أو عوفي، ولا في شيء بالبركة إلا ورأى من بركته عجباً، ولا في أحد بأمر إلا ظهر عليه أثره في الحال. وكان رضي الله عنه، يكنى أبا مساور فيما بلغني، واستوطن ماردين، وبها مات، وقد علت سنه، وقبره بها ظاهر يزار. وحدثت أنه لما وضع في لحده نهض قائماً يصلي، واتسع له اللحد، وأغمي على من كان نزل قبره. وكان رحمه الله جميلاً بهياً، مهاباً فاضلاً.

أخبرنا أبو علي الحسن بن نجيم الحوراني، قال: سمعت الشيخ أبا الفتوح يحيى بن سعد الله بن الحسين التكريتي. يقول: لما قدم الشيخ موسى الزولي بغداد حاجاً كنت أنا ووالدي معه، فلما اجتمع بالشيخ عبد القادر رضي الله عنهما، رأينا من احترام الشيخ موسى له، وأدبه معه ما لم نره فعله مع غيره من الناس، فلما خلونا به، قال له والدي: ما رأيتك احترمت أحداً مثلما احترمت الشيخ عبد القادر. فقال: الشيخ عبد القادر خير الناس في زماننا هذا، وسلطان الأولياء، وسيد العارفين في وقتنا، وكيف لا أتأدب مع من تتأدب معه ملائكة السماء رضي الله عنه، وعنهم أجمعين.

الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أكابر مشايخ العراق، وصدور العارفين، وأعيان المحققين، وأعلام العلماء. صاحب الكشف الظاهر، والكرامات الخارقة، والأحوال النفيسة، والمقامات الرفيعة، والأنفاس الصادقة، والمعارف السنية.

وهو أحد من درس بالنظامية وتصدر للفتاوى بها، ووضع الكتب المفيدة في علمي الشريعة والحقيقة، وقصد إليه طلبة العلم ببغداد، وكان يلقب بمفتي العراقين، وقدوة الفريقين.

وهو أحد أركان هذا الشأن، وأئمة ساداته، وأجلاء القادة إليه، ورؤساء الدعاة إليه. له المنهاج الأعلى في الحقائق، والمعراج الأرفع في المعالي، والمقر السامي في القرب، والقدم الراسخ في التمكين، والباع الطويل في أشرف الأخلاق، وأطيب الأعراق، وأحسن الصفات. انعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالاحترام، وأوقع الله عز وجل له القبول التام في الصدور، والمهابة الوافرة في القلوب. وتخرج بصحبته غير واحد من أعيان المشهورين، مثل الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله عمر بن محمد السهروردي، والشيخ أبي محمد عبد الله بن مسعود بن مطر الرومي، وغيرهما، رضي الله عنهم.

وانتمى إليه من مشايخ الصوفية جم غفير واشتهر ذكره في الآفاق، وقصد من كل قطر، وكلامه في الحقائق، وتسليك المريدين، وآداب الصادقين، كثير مشهور.

منه: الأحوال معاملات القلوب، وهي ما تحل بها من صفات الأذكار، وفوائد الحضور، ومعاني المشاهدة، فمن ذلك المراقبة، وهي النظر بصفاء اليقين، إلى المغيبات، ثم القرب، وهو جمع الهم بين يدي الله تعالى، بالغيبة عما سواه، ثم المحبة، وهي موافقة المحبوب في محبوبه، ومكروهه، ثم الرجاء، وهو تصديق الحق عز وجل، فيما وعد به، ثم الخوف، وهو مطالعة القلب لسطوات الله تعالى، ونقماته، ثم الحياء، وهو حصر القلب عن الانبساط، ثم الشوق، وهو هيمان القلب عند ذكر المحبوب، ثم الأنس وهو السكون إلى الله تعالى تحت مجاري الأقدار، ثم اليقين وهو التصديق مع ارتفاع الشك، ثم المشاهدة، وهي فصل بين رؤية اليقين ورؤية العيان، ثم يكون فواتح ولوائح وموانح، بخفاء العبارة عنها، والقرب يقتضي هذه الأحوال كلها، فمنهم من ينظر في حال قربه إلى عظمة الله تعالى وهيبته، فيغلب عليه الخوف والحياء، ومنهم من ينظر إلى لطف الله تعالى، وقديم إحسانه، فيغلب على قلبه المحبة والرجاء.

ومنه: أول التصوف علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على الطلب، والموهبة تبلغ غاية الأمل، وأمله على ثلاث طبقات: مريد طالب، ومتوسط سائر، ومنتهٍ واصل، فالمريد صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال، والمنتهي صاحب يقين، وأفضل الأشياء عندهم عد الأنفاس، فمقام المريد المجاهدات، والمكابدات، وتجرع المرارات، ومجانبة الحظوظ، وما للنفس فيه متعة، ومقام المتوسط ركوب الأهوال في طلب المراد، ومراعاة الصدق في الأحوال، واستعمال الأدب في المقامات، وهو مطالب بآداب المنازل، وهو صاحب تلوين لأنه مرتقٍ من حال إلى حال، وهو في الزيادة، ومقام المنتهي الصحو والثبات، وإجابة الحق من حيث دعاه، قد جاوز المقامات، وهو في محل التمكين، لا تغيره الأحوال، ولا تؤثر فيه الأهوال، قد استوى في حالة الشدة والرخاء، والمنع والعطاء، والوفاء والجفاء، أكله كجوعه، ونومه كسهره، قد فنيت حظوظه، وبقيت حقوقه، ظاهره مع الخلق، وباطنه مع الحق، وكل ذلك منقول من أحوال النبي ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين. وكان رضي الله عنه، يتمثل بهذه الأبيات:

فتفنى الحقيقة عن ذاتها ... ويخفي الفنا عن عيان الحقيقه
وتبقى بلا أنت فرداً به ... أنيساً تعوم بحاراً عميقه
وتقدم من غيبها ظاهراً ... بكل إشارة ذوق دقيقه
تميت الحجاب وتحيي اللباب ... وهذا نهاية علم الطريقه

أخبرنا الفقيه الصالح أبو محمد الحسن ابن القاضي أبي عمران موسى بن أحمد الخالدي الصوفي. قال: سمعت الشيخ الإمام شهاب الدين أبا عبد الله عمر ابن محمد السهروردي رضي الله عنه. يقول: ما لاحظ عمي شيخنا الشيخ ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر رضي الله عنه، مريداً بعين الرعاية إلا نتج وبرع. وكان إذا جاءني رجل في خلوة، يدخل عليه كل يوم، يتفقد أحواله، ويقول له: يرد عليك الليلة كذا وكذا، ويكشف لك عن كذا وكذا، وتنال حال كذا وكذا، أو مقام كذا وكذا، وسيأتيك شخص، في وقت كذا، في صورة كذا، ويقول لك كذا، فاحذره فإنما هو شيطان، فيجد ذلك الرجل جميع ما أخبره به الشيخ في الوقت الذي ذكره، وعلى النعت الذي وصفه، وكنت عنده مرة فأتاه سوادي بعجل، وقال له: يا سيدي، هذا نذرناه لك، وانصرف الرجل فجاء العجل حتى وقف بين يدي الشيخ.

فقال الشيخ لنا: إن هذا العجل يقول لي: إني لست العجل الذي نذر لك، بل نذرت للشيخ علي بن الهيتي، وإنما نذر لك أخي فلم يلبث أن جاء السوادي وبيده عجل يشبه الأول، فقال السوادي: يا سيدي، إني نذرت لك هذا العجل، ونذرت للشيخ علي بن الهيتي العجل الذي أتيتك به أولاً، وكانا اشتبها عليّ، وأخذ الأول وانصرف. وحضر عنده مرة ثلاثة من اليهود، وثلاثة من النصارى، فعرض عليهم الإسلام فأبوا إباءً عظيماً، فوضع في فم كل واحد منهم لقمة من لبن، فما يتم أكلها وبلعها حتى يسلم، فأسلموا ستتهم، وقالوا: لما خالط اللبن بواطننا، نسخ منا كل دين غير دين الإسلام.

فقال الشيخ: وعزة المعبود ما أسلمتم حتى أسلم شياطينكم على يدي، وإني استوهبتكم من الله تعالى فوهبكم لي، ثم مسح بيده على عيونهم، فكشف لهم عن قرنائهم، وخاطبوهم بالإسلام.

أخبرنا الشيخ أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن عبد السميع الصنهاجي. قال: سمعت شيخنا الشيخ أبا محمد عبد الله بن مسعود المعروف بالرومي. قال: مررت مرة مع شيخنا الشيخ ضياء الدين أبي النجيب رضي الله

عنه، بسوق السلطان ببغداد، فنظر إلى شاة مسلوخة معلقة عند جزار، فوقف عندها وقال للجزار: إن هذه الشاة تقول لي إنها ميتة، فغشي على الجزار، وتاب على يد الشيخ، وأقر بصحة قوله. قال: ومررت معه مرة أخرى على الجسر، فرأى رجلاً يحمل فاكهة كثيرة، فقال له: بعني هذه الفاكهة، فقال: ولِمَ؟ قال: إنها تقول لي: أنقذني من يد هذا، فإنه اشتراني ليشرب عليَّ الخمر، فأغمي على الرجل وسقط على وجهه، ثم أتى الشيخ، وتاب على يده، وقال: والله ما علم بهذا الحال الذي أخبر به الشيخ سوى الله تعالى، وأنا.

قال: واجتزت معه يوماً الكرخ، فسمعنا اختلاط أصوات سكارى في دار، وشممنا رائحة منكرة، فدخل الشيخ دهليز الدار، وصلى ركعتين، فخرج من كان فيها صالحين، فدخلنا، فإذا الخمر الذي كان في الأواني عندهم قد صار ماء، وتابوا كلهم على يد الشيخ. وهو الشيخ ضياء الدين، ويلقب أيضاً بنجيب الدين أبي النجيب، عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، المعروف بعمومية ابن سعد بن الحسين بن القاسم بن النظر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، السهروردي، رحمه الله. والسُهروردي بضم السين والراء الأولى سكن رضي الله عنه بغداد، إلى أن مات بها، سنة ثلاث وستين وخمسمائة، ودفن بمدرسته على شاطىء دجلة عند الجسر العتيق، وقبره بها ظاهر يزار. وكان رضي الله عنه، بهي السمت ظاهر الوضاء، قيماً يشرح أحوال القوم. وكان يتطيلس، ويلبس لباس العلماء، ويركب البغلة، وترفع بين يديه الغاشية.

وحكى عنه شهاب الدين السهروردي، في كتاب عوارف المعارف كثيراً، وعمويه بفتح العين المهملة، وتشديد الميم، وضمها، وبعدها واو ساكنة، وياء آخر الحروف، وتاء التأنيث.

أخبرنا الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله الأبهري، وأبو محمد سالم بن علي الدمياطي الصوفي. قالا: سمعنا الشيخ شهاب الدين أبا حفص عمر السهروردي، يقول: دخلت مع عمي شيخنا الشيخ أبي النجيب رضي الله عنه، في سنة ستين وخمسمائة، إلى الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، فتأدب عمي معه أدباً عظيماً، وجلس بين يديه أذناً بلا لسان، فلما رجعنا إلى النظامية، قلت له في ذلك الوقت عن التأدب مع الشيخ. فقال: كيف لا أتأدب معه، وهو له الوجود التام، وقد صرف في عالم الملك، وبوهي به في وجود الملكوت، وانفرد في عالم

الكون في هذا الوقت، وكيف لا أتأدب مع من صرفه مالكي في قلبي، وحالي، وفي قلوب الأولياء وأحوالهم، إن شاء أمسكها، وإن شاء أرسلها رضي الله عنه، وعنهم أجمعين.

الشيخ أحمد بن أبي الحسن الرفاعي رضي الله عنه: هذا الشيخ من أعيان مشايخ العراق، وأجلاء العارفين، وعظماء المحققين، وصدور المقربين. صاحب المقامات العلية، والجلالة العظيمة، والكرامات الجليلة، والأحوال السنية، والأفعال الخارقة، والأنفاس الصادقة. صاحب الفتح المونق، والكشف المشرق، والقلب الأنور، والسر الأظهر، والقدر الأكبر. صاحب المعارف الباهرة، والحقائق الزاهرة، واللطائف الشريفة، والهمم المنيفة، والإشارات السامية. له المكان المكين، في القرب، والمجلس المصدر في الحضرة، والطور الرفيع في التمكين، والمقام الأعلى في القوة، والقدم الراسخ في التصريف النافذ، والباع الطويل في أحكام الولاية، وهو أحد من خرق الله تعالى له العوائد، وقلب له الأعيان، وأظهر على يديه العجائب، وأنطقه بالمغيبات، وصرفه في الوجود، وأقامه حجة على المسلمين، ونصبه قدوة للسالكين، وأوقع له القبول العظيم عند الخاص والعام. وهو أحد أركان هذه الطريقة علماً وحالاً، وتحقيقاً، وأحد أفراد هذا الشأن، وأئمة ساداته، وأعلام الدعاة والهدى إليه. وهو أحد من تذكر عنه القطبية، وهو الذي يقول: الشيخ من يمحو اسم مريده من ديوان الأشقياء.

وقيل: إن رجلاً دخل على بعض مشايخ البطايح، فلما خرج الرجل قال ذلك الشيخ لمن حضره: قرأت على جبهة هذا الرجل سطر الشقاوة، فأتى ذلك الرجل إلى الشيخ أحمد، ولبس منه خرقة، ثم أتى إلى زيارة ذلك الشيخ ، فقال الشيخ لأصحابه: قد محا من وجهه سطر الشقاوة، وأُبدل بسطر السعادة، ببركة الشيخ أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه. وهو الذي سئل عن وصف الرجل المتمكن.

فقال: هو الذي لو نصب له سنان، في أعلى شاهق في الأرض، وهبت الرياح الثمانية، ما حركت منه شعرة واحدة. وذكر عنه أنه دخل عليه رجل، فوضع له الشيخ طعاماً، فقال: إذا جاء وقتي أكلت، قال له: متى وقتك؟ قال: المغرب، قال له: عن كم؟ قال: عن ستة أشهر، فلما كان وقت المغرب، قدم له الطعام،فأكل وسأله أن يأكل معه.

فقال: إذا جاء وقتي أكلت، قال: ومتى وقتك؟ قال: بعد ستة أشهر، قال: وكم مضى لك؟ قال: ستة أشهر. قيل: فسئل الشيخ أحمد رضي الله عنه، عن

سبب ذلك، فقال: دخلت دارنا يوماً شديد الحر، وأنا عطشان، فوجدت ماءً مخلوطاً ببياض العجين، قد فضل من ماء العجين، فأردت أن أشربه، فقالت لي نفسي: أما ترى الماء البارد في الكوز، فامتنعت من الشرب، وعاقدت الله أن لا آكل ولا أشرب إلى سنة. وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسراره. وغلب مراده، وظهر على أمره بصحة زهده، وكثرة حلمه، وشدة تواضعه، وعظم إيثاره، وبخمول نفسه، تضرب الأمثال، وإلى مثلها تمتد الآمال، وتشد الرحال، وفي بغضها تفنى الآجال، ولا غرو إن عمر الله عز وجل القلوب بمحبته، وملأ الصدور من هيبته، وقاد النفوس إلى إرادته، وعم الأقطار بذكره، وعطرت الآفاق بنشره، فاستطار في الأنام استطارة النار بالرياح، وعلا في العالمين علاء الجو بالصباح. وانتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق، وشرح أحوال القوم، وكشف مشكلات منازلاتهم، وبه غدق الأمر بتربية المريدين بالبطايح. وتخرج بصحبته جماعة كثيرة، من أعلام الطريق، وتلمذ له خلق لا يحصون من أرباب الأحوال الصادقة. وانتمى إليه عالم عظيم في كل قطر، وتبعه جمٌّ غفير من كل جهة، ورماه المشايخ والعلماء وغيرهم بأبصار التبجيل، وشهد له الخلق بالاحترام والتفضيل، وقصد بالزيارات من كل فج عميق، وكان مشتملاً على ألطف الأخلاق وأشرف الصفات، وأكمل الآداب. وقد جمع الله تعالى له أشتات المناقب، ومتفرقات الفضائل. وكان له كلام عالٍ على لسان أهل الحقائق.

منه: الكشف قوة جاذبة، فخاصيتها نور عين البصيرة، إلى فيض الغيب، فيتصل نورها به، اتصال الشعاع بالزجاجة، الصافية، حال مقابلتها بالمنع المجذوب، إلى فيضه، ثم يتقاذف نوره، منعكساً بضوءه، على صفاء القلب، ثم يترقى ساطعاً إلى عالم العقد، فيتصل به اتصالاً معنوياً له أثر في استفاضة نور العقل، على ساحة القلب، فيشرق نور العقل، على إنسان عين السر، فيرى ما خفي عن الأبصار موضعه، ودق عن الأفهام تصوره، واستتر عن الأعيان مرآه.

ومنه: الزهد أساس الأحوال المرضية، والمراتب السنية. وهو أول قدم الصادقين القاصدين إلى الله عز وجل، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله. فمن لم يحكم أساسه في الزهد، لم يصح له شيء مما بعده، والفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وغنيمة العارفين، ومنية المريدين رضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته، والأنس بالله عز وجل لعبد قد كملت طهارته، وصفا ذكره، واستوحش من كل ما يشغله عن

الله عز وجل، فعند ذلك آنسه الله عز وجل به، وأراده بحق حقائق الأنس به، فأخذهم عن وجد طعم الخوف لما سواه، والمشاهدة حضور، بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين، وحقائق المتقين، والتوحيد وجدان تعظيم في القلب، يمنع من التعطيل، والتشبيه.

ومنه: لسان الورع يدعو إلى ترك الآفات، ولسان التعبد يدعو إلى دوام الاجتهاد، ولسان المحبة يدعو إلى الذوبان والهيمان، ولسان التوحيد يدعو إلى الإثبات والصحو، ومن أعرض عن الأعراض أدباً فهو الحكيم المتأدب.

ومنه: لو تكلم الرجل في الذات والصفات، لكان سكوته أفضل، ولو خطا من قاف إلى قاف، لكان جلوسه أفضل، ولو أكل ملء بيت طعاماً، ثم تنفس عليه نفساً فأحرقه، لكان جوعه أفضل.

أخبرنا الشيخ أبو يوسف يعقوب بن بدران بن منصور الأنصاري. قال: سمعت شيخنا الشيخ الإمام العالم تقي الدين علي بن المبارك بن الحسن بن أحمد بن ناسويه الواسطي. يقول: جلس سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه، يوماً على الشط، وأصحابه حوله، فقال: نشتهي أن نأكل اليوم سمكاً مشوياً، فلم يتم كلامه، حتى امتلأ الشط أسماكاً من أنواع شتى، ووثب منها أشياء إلى البر، ورئي في ذلك الوقت، بشط أم عبيدة من الأسماك ما لم يرٍ مثله.

فقال الشيخ: إن هذه الأسماك كلها تسألني بحق الله تعالى على أن آكل منها، فصاد الفقراء منها شيئاً كثيراً، وشووه وقدموه سماطاً عظيماً من طواجن، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي في الطواجن من هذه السمكة رأسها، ومن هذه ذنبها، ومن هذه بعضها، فقال له رجل: يا سيدي ما صفة الرجل المتمكن؟ قال: أن يعطى التصريف العام في جميع الخلائق، قال له: وما علامة ذلك؟ أن يقول لبقايا هذه الأسماك: قومي، واسعي، فتقوم وتسعى، ثم أشار الشيخ إلى تلك الطواجن بيده، وقال: أيها الأسماك التي في هذه الطواجن، قومي واسعي بإذن الله عز وجل، فلم يتم كلامه، حتى وثبت تلك البقايا في البحر، أسماكاً صحيحة، وذهبت في الماء من حيث أتت، قال: وحدثني ابن أخته الشيخ الجليل أبو الفرج عبد الرحيم.

قال: كنت يوماً جالساً بحيث أرى خالي الشيخ أحمد رضي الله عنه، وأسمع كلامه، وكان جالساً وحده، فنزل عليه رجل من الهواء، وجلس بين يديه، فقال له الشيخ: مرحباً بوتد الأرض، فقال له ذلك الرجل: إن لي عشرين يوماً ما أكلت فيها ولا شربت، وإني أريد أن تطعمني الآن شهوتي قال: وما شهوتك؟

فنظر إلى الجو، فإذا خمس وزات طائرات، فقال: أريد إحدى هذه الوزات بين يدي مشوية، ورغيفين، وماءً بارداً.

فقال الشيخ: لك ذلك، ثم نظر إلى تلك الوزات، وقال: عجلي بشهوة الرجل، فما تم كلامه حتى نزلت إحداهن بين يديه مشوية، ثم مد الشيخ يده إلى حجرين بجانبه، فوضعهما بين يديه رغيفين يصعد فوارهما، من أحسن خبز الدنيا منظراً، ثم مدَّ يده إلى الهواء فإذا فيها كوز أحمر فيه ماء بارد، فأكل الرجل الوزة، وما بقي منها سوى عظامها، وأكل الرغيفين، وشرب الماء، وذهب في الهواء من حيث جاء، فقام الشيخ وأخذ تلك العظام، وضعها على يمينه، وأمر يده عليها، وقال: أيها العظام المتفرقة، والأوصال المقطعة، اذهبي باسم الله الرحمن الرحيم، فذهبت وزة سوية، وطارت في الجو حتى غابت عن نظري.

أخبرنا الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن سالم بن أحمد القرشي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا الفتح الواسطي بالإسكندرية يقول: حدثني الشيخ الجليل أبو الحسن علي، ابن أخت سيدي أحمد رضي الله عنه. قال: كنت يوماً جالساً على باب خلوة خالي الشيخ أحمد رضي الله عنه، وليس فيها غيره، فسمعت عنده حساً، فنظرت فإذا عنده رجل ما رأيته قبل، فتحدثا طويلاً، ثم خرج الرجل من كوة في حائط الخلوة ومرق في الهواء كالبرق الخاطف، فدخلت على خالي، وقلت له: من الرجل؟ فقال: أو رأيته؟ قلت: نعم.

قال: هو الرجل الذي يحفظ الله عز وجل به قطر البحر المحيط. وهو أحد الأربعة الخواص، إلا أنه هجر منذ ثلاث ليال، وهو لا يعلم، فقلت ياسيدي: وبأي شيء هجر؟ قال: إنه مقيم بجزيرة في البحر المحيط، ومنذ ثلاث ليال أمطرت جزيرته، حتى سالت أوديتها، فخطر في نفسه، لو كان هذا المطر في العمران، ثم استغفر الله فهجر بسبب اعتراضه، فقلت له: أو أعلمته؟ قال: لا لأني استحييت منه، فقلت له: لو أذنت لأعلمته.

فقال: لا تفعل، قلت: نعم، قال: زيق فزيقت، ثم سمعت صوته: يا علي ارفع رأسك، فرفعت رأسي من زيقي، فإذا أنا بجزيرة في البحر المحيط، فتحيرت في أمري، وقمت أمشي فيها، وإذا أنا بذلك الرجل، فسلمت عليه، وأخبرته، فقال: ناشدتك الله إلا فعلت ما أقول لك، قلت: نعم، قال: ضع خرقتي في عنقي، واسحبني على وجهي، ونادي عليَّ: هذا جزاء من اعترض على الله سبحانه، فوضعت الخرقة في عنقه، وهممت بسحبه، وإذا أنا بهاتف يقول لي: يا علي

دعه، فقد ضجت ملائكة السماء، باكية عليه، وسائلة فيه، وقد رضي الله عنه، فأغمي عليَّ ساعة، وإذا أنا بين يدي خالي بخلوته، فوالله ما أدري كيف ذهبت، وكيف جئت.

وهو رضي الله عنه بطايحي المنشأ، وكأنه منسوب إلى من اسمه رفاعة، وسكن أم عبيدة، قرية بأرض البطايح، إلى أن مات بها في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وقد ناهز الثمانين، وقبره بها ظاهر يزار، رضي الله عنه، وقال قبل موته: أنا شيخ من لا شيخ له، أنا شيخ المنقطعين، أنا مأوى كل شاة غرباً انقطعت في الطريق. وكان رضي الله عنه، شافعي المذهب فاضلاً ظريفاً، وما تصدر في مجلس، ولا جلس على سجادة، تواضعاً. وذكر عنه أنه قال: أمرت بالسكوت، فكان لا يتكلم إلا قليلاً، رضي الله عنه.

أخبرنا الشريف أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس الخضر بن عبد الله الحسني، الموصلي، رحمه الله. قال: سمعت أبي يقول: كنت يوماً جالساً بين يدي سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر، رضي الله عنه، فخطر في قلبي زيارة الشيخ أحمد الرفاعي، رضي الله عنه، فقال لي الشيخ: أتحب زيارة الشيخ أحمد؟ قلت: نعم، فأطرق يسيراً، ثم قال لي: يا خضر ها الشيخ أحمد، فإذا أنا بجانبه، فرأيت شيخاً مهاباً، فقمت إليه، وسلمت عليه، فقال لي: يا خضر ومن يرى مثل الشيخ عبد القادر سيد الأولياء يتمنى رؤية مثلي، وهل أنا إلا من رعيته، ثم غاب، وبعد وفاة الشيخ انحدرت من بغداد، إلى أم عبيدة، لأزوره، فلما قدمت عليه، إذا هو الشيخ الذي رأيته في جانب الشيخ عبد القادر رضي الله عنه، في ذلك الوقت، لم تجدد رؤيته عندي زيادة معرفة به، فقال لي: يا خضر ألم تكفك الأولى.

أخبرنا أبو القاسم محمد بن عبادة الأنصاري الحلبي. قال: سمعت الشيخ العارف أبا إسحاق إبراهيم بن محمود البعلبكي المقري. قال: سمعت شيخنا الإمام أبا عبد الله محمد البطايحي، قال: انحدرت في حياة سيدي الشيخ محيي الدين عبد القادر رضي الله عنه، إلى أم عبيدة، وأقمت برواق الشيخ أحمد رضي الله عنه أياماً، فقال لي الشيخ أحمد يوماً: اذكر لي شيئاً من مناقب الشيخ عبد القادر وصفاته، فذكرت له شيئاً منها، فجاء رجل في أثناء حديثي، فقال لي: مه، لا تذكر عندنا مناقب غير مناقب هذا، وأشار إلى الشيخ أحمد، فنظر إليه الشيخ أحمد مغضباً، فرفع الرجل من بين يديه ميتاً، ثم قال: ومن يستطع وصف مناقب

الشيخ عبد القادر، ومن يبلغ مبلغ الشيخ عبد القادر، ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه، وبحر الحقيقة عن يساره، من أيهما شاء اغترف الشيخ عبد القادر، لا ثاني له في عصرنا هذا. قال: وسمعته يوماً يوصي أولاد أخيه، وأكابر أصحابه، وقد جاء رجل يودعه مسافراً إلي بغداد. قال له: إذا دخلت إلى بغداد، فلا تقدم على زيارة الشيخ عبد القادر شيئاً إن كان حياً، ولا على زيارة قبره إن كان ميتاً، فقد أخذ له العهد أيما رجل من أصحاب الأحوال، دخل بغداد ولم يزره سلب حاله، ولو قبيل الموت. ثم قال: والشيخ محيي الدين عبد القادر حسرة على من لم يره رضي الله عنه، وأرضاه رحمة الله عليه.

انتهـــى

هذا آخر ما بيض من هذا الكتاب، وهو كتاب بهجة الأسرار، ومعدن الأنوار في مناقب شيخ الإسلام قطب العارفين، الشيخ سيدي محيي الدين عبد القادر الجيلي، قدس الله روحه، ونور ضريحه.

جمع الفقير إلى ربه تعالى الغني به، عمن سواه، علي بن يوسف بن حريز بن معضاد بن فضل الشافعي اللخمي، عرف بالشطنوفي، غفر الله له ولوالديه والمسلمين، آمين اهـ.

فهرس كتاب بهجة الأسرار ومعدن الأنوار
في بعض مناقب سيدي عبد القادر الجيلاني